

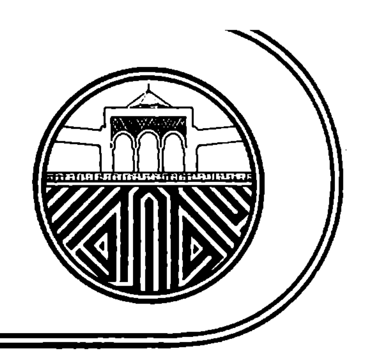
المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 6

البحث اللساني والسيميائي



2-3-4 رجب 1401 / 7-8-9 ماي 1981



المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 6

البحث اللساني والسيميائي

2-3-4 رجب 1401 / 7-8-9 ماي 1981



الطبعة الأولى 1405 ــ 1984

الايداع القانوني رقم 1984/595

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه أعمال ثالثة ندوة في البحث اللساني والسيميائي احتضنتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، بعد اللقاء المغربي الأول للسانيات والسيميائيات سنة 1976 والندوة العالمية السادسة للسانيات الوظيفية سنة 1979 . ويأتي هذا الإهتمام من اقتناع كلية الآداب بالرباط بأهمية البحث اللساني والسيميائي في مجال المعرفة ، ورغبة منها في طرح المشاكل الأساسية لهذين التخصصين .

وقد اشتملت الندوة على جلسات عامة طرحت بعض القضايا النظرية والمنهجية وإمكانية تطبيقها على اللغات المغربية . كما اشتملت على موائد مستديرة عملت على بلورة المحاور الأساسية للندوة ، بتعميق النقاش وتحديد المفاهيم ..

وإذا طغت على وقائع هذه الندوة وفرة تدخلات المناقشين فإن أهمية هذه التدخلات لا تقل عن أهمية الأبحاث الأساسية حيث عكست آراء مختصين ومشاركين من داخل المغرب وخارجه .

لجنة التنظيم

العميد : محمد حجي

نائب العميد : مصطفى الشابي

الكاتب العام : محمد منيار

الاساتذة : حسن مكوار

الطاهر وعزيز

علي أومليل

سعيد بنسعيد

أحمد شحلان

محمد عياد

عمر أفا

أحمد الادريسي

ادريس السغروشني

عبد القادر فاسي فهري

أحمد المتوكل

محمد مفتاح

محمد برادة

أحمد شوقي بنبين

الحسين بوزينب

محمد العلوي العبدلاوي

أحمد بوكوس

المصطفى شاذلي

برنامج

ندوة البحث اللساني والسيميائي

أيام جامعية
من 7 إلى 9 مايه 1981

الخميس 7 مايه

كلمات الافتتاح :
(مدرج الادريسي)

س. 09.00 — كلمة السيد رئيس جامعة محمد الخامس الأستاذ عبد اللطيف بن عبد الجليل
— كلمة السيد عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية الأستاذ محمد حجي .
— كلمة لجنة الندوة .

س. 09.30 **استراحة**

الجلسة الأولى : برئاسة الاستاذ ادريس السغروشني
— كلية الاداب — جامعة محمد الخامس .
(مدرج الادريسي)

س. 10.00 — الأستاذ أحمد المتوكل — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس
اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة «الاستلزام الخطابي»

س. 10.30 — الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس
لسانيات الظواهر وظاهرة التعليق في اللغة العربية

س. 11.00 — الأستاذ محمد عابد الجابري — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس

العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية

س. 11.30 **مناقشـــة**

* * * *

س. 14.45 **مائدة اللغة والفكر** : المقرر الأستاذ محمد عابد الجابري

(قاعـــة 16)

س. 16.45 — ختام المائـــدة

استراحـــة

س. 17.00 **جلستان متوازيتـــان**

ا) **الجلسة الثانية** : برئاسة الأستاذ سعيد بنسعيد — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس .

(مدرج ابن خلـــدون)

س. 17.00 — الأستاذ عبدالعزيز حليلي — كلية الآداب ، جامعة محمد بن عبدالله

مقارنة بين النظام الصوتي للعربية الفصيحة والنظام الصوتي للفاسية القديمة .

س. 17.30 — الأستاذ الحسين بوزينب — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس

اللغة الموريسكية المدعوة بالعجمية

س. 18.00 — الأستاذ عبد الرحيم اليوسي — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس .

موقف بعض المستعملين من اللغة العربية : استبيان

س. 18.30 **منـاقشـــة**

ب) الجلسة الثالثة : برئاسة الأستاذ أحمد المتوكل .

(مدرج الادريسي) — (عروض بالفرنسية) —

س. 17.00 — الأستاذ شميت براندت — من جامعة هايلد برغ بألمانيا الاتحادية

مقارنة بين بنى البربرية والدارجة المغربية

س. 17.30 — الأستاذ مصطفى الشاذلي — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس
«المكانية» في الأحاجي الشعبية .

س. 18.00 **مناقشـــة**

الجمعـة 8 مايـــه

جلستـــان متوازيتـــان

ا) **الجلسة الرابعة** : برئاسة الأستاذ أحمد الادريسي — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس .
(مدرج الادريســي)

س. 09.00 — الأستاذ عادل فاخوري* — كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية
البلاغة الرياضية

س. 09.30 — الأستاذ كمال أبوديب — كلية العلوم والاداب ، جامعة اليرموك بالأردن
دراسة بنيوية في الشعر

س. 10.00 **مناقشـــة**

س. 10.30 — الأستاذ عبده الراجحي — كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية .
النحو العربي واللسانيات المعاصرة

س. 11.00 — الأستاذ بوهاس — جامعة باريس الثامنة (سان دوني)
العروض والنحو (هل يمكن الحديث عن النبر في اللغة العربية الفصحى ؟)

س. 11.30 **مناقشـــة**

ب) الجلسة الخامسة : برئاسة الأستاذ مصطفى الشاذلي
(مدرج ابن خلدون) — (عروض بالفرنسية) —

س. 09.00 — الأستاذ الجيلالي السايب — كلية الاداب ، جامعة محمد الخامس
حول بعض الحالات المقطعية في الامزيغية

س. 09.30 — الأستاذ أحمد بوكوس — كلية الآداب، جامعة محمد الخامس
ظاهرة صوتية في لهجة تاشلحيت
س. 10.00 **مناقشة**
س. 10.30 — الاستاذ نور الدين جلال* — كلية الآداب، جامعة محمد الخامس
تأملات في «التحليلية»
س. 11.00 — الأستاذ بنطوليلة* — جامعة باريس الخامسة.
تسلسل الأحداث في البربرية
س. 11.30 **مناقشة**

* * * *

س. 14.45 **مائدة التركيبيات** : المقرر الأستاذ عبدالقادر الفاسي الفهري.
(قاعة 16)
س. 16.45 **استراحة**
س. 17.00 **مائدة الدلالة** : المقرر الأستاذ أحمد المتوكل
(قاعة 16)
س. 19.00 **ختام المائدة**

* * * *

السبت 9 مايه

س. 09.00 **جلستان متوازيتان**
ا) **الجلسة السادسة** : برئاسة الأستاذ محمد أبو طالب — كلية الآداب، جامعة محمد الخامس.
(مدرج الادريسي)
س. 09.00 — الأستاذ سعيد علوش — كلية الآداب، جامعة محمد الخامس
اشكالية الشاهد في الأدب العربي.
س. 09.30 — الأستاذ الأخضر بوجمعة — كلية الآداب، جامعة محمد الخامس
مفهوم اللغة في البحث اللساني العربي المعاصر

س. 10.00 **مناقشــة**

ب) الجلسة السابعة : برئاسة الأستاذ أحمد بوكوس
(عروض بالفرنسية) — (مدرج ابن خلدون)

س. 09.00 — الأستاذة بوف — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس
الصوامت الخلفية في اللغة العربية الفصحَى :
دراسة خارجية واكوستيكية

س. 09.30 — الأستاذ عبد الرفيع بنحلام — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس
التضعيف وانماط القواعد

س. 10.00 **مناقشــة**

س. 10.30 — **مائدة الصوتيات** : المقرر الأستاذ الجيلالي السايب
(قاعــة 16)

س. 12.30 **ختــام المائــدة**

الجلسة الثامنة : برئاسة الأستاذ عبدالرحيم اليوسي
(عروض بالفرنسية) — (مدرج الادريسي) —

س. 14.45 — الأستاذ عبدالله بونفور — كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس
الحسن اليوسي أو السيرة الذاتية المستعجلة

س. 15.15 — الأستاذ روفي* — جامعة باريس الثامنة (سان دوني)
النحــو والعــروض

س. 15.45 **مناقشــة**

س. 16.30 **مائدة السيميائيات** : المقرر الأستاذ عبدالله بونفور
(قاعــة 16)

س. 18.30 **ختــام المائــدة**

جلســة الاختتــام — (مدرج الادريسي) —

س. 18.30 — كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية الأستاذ محمد حجي .

(*) أساتذة لم يتمكنوا من الحضور في هذه الندوة .



كلمة السيد رئيس جامعة محمد الخامس في حفل الإفتتاح



السيد العميد يلقي كلمته في حفل الإفتتاح

كلمة السيد رئيس جامعة محمد الخامس
الأستاذ عبد اللطيف بنعبد الجليل

سيداتي وساداتي

يشرفني باسم جامعة محمد الخامس أن أعلن عن افتتاح هذه الندوة التي تنظمها كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط حول موضوع : «البحث اللساني والسيميائي في أبعاده الخاصة والعامة».

وإذا كانت كلية الآداب قد اختارت هذا الموضوع ، فذلك لقناعتها بأهمية اللسانيات والسيميائيات في المعارف الحديثة خاصة تلك التي تتناول السلوك الانساني كعلم النفس والفلسفة والاجتماع والأنطربولوجيا والأتنوكرافية ، بل حتَّى بالنسبة للعلوم الدقيقة كالبيولوجيا والاعلاميات والسبرنية والرياضيات في أبحاث حول اللغات ، ولإيمانها أيضا بأن الدرس اللساني أضحَى يدرس في المؤسسات العلمية لما له من أثر في بناء نماذج وآلات ذات قيمة نظرية وتطبيقية ، ولرغبتها كذلك في طرح بعض المشاكل النظرية والمنهجية لهذين العلمين ، وتطبيقاتها على اللغة العربية وآدابها وبعض اللهجات المغربية.

وإني إذ أهنئ أساتذة كلية الآداب بجامعة محمد الخامس على مواكبتهم المستمرة للبحث العلمي من خلال هذه الندوة والندوات السابقة ، أتمنَّى أن يستمر هذا النشاط الجامعي الذي سنجني من ورائه دون شك فوائد جلَّى.

وبهذه المناسبة ، لا يسعني إلا أن أزجي خالص شكري إلى السادة وزراء حكومة صاحب الجلالة الذين ساعدونا على تنظيم هذه الندوة ، وإلى السادة الأساتذة الذين أبوا إلا أن يلبوا دعوتنا ، خصوصا أولئك الذين تجشموا مشقة السفر من أجل الاسهام في هذه التظاهرة العلمية.

وفي الختام ، أتمنَّى أن تكلل أعمال هذه الندوة بكامل التوفيق والنجاح كما أرجو لكل المساهمين فيها مزيدا من التقدم في البحث العلمي.

والسلام عليكم ورحمة الله



جانب من الجمهور الذي حضر حفل الإفتتاح



إحدى جلسات الندوة بمدرج ابن خلدون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة السيد العميد الأستاذ محمد حجي

السيد رئيس جامعة محمد الخامس ، حضرات السيدات والسادة

أشكر السيد رئيس جامعة محمد الخامس على تكرمه برآسة حفل افتتاح ندوة البحث اللساني والسيميائي ، واهتمامه البالغ بكل النشاطات العلمية في كلية الآداب . فقد تفضل بطبع أعمال ندوتنا السابقة عن الفكر العربي والثقافة اليونانية على حساب رآسة الجامعة ، والكتاب على وشك الصدور ، ووعد سلفاً بالانفاق على طبع أعمال ندوتنا هذه . فإلى الحفل الكريم أزف البشرَى ، وإلى السيد رئيس الجامعة أزجي عبارات الامتنان والاعزاز .

وأشكر –كما شكر– الحضور الكرام على تفضلهم بالمشاركة في انطلاق أعمال هذه الندوة ، وأخص بالذكر الزملاء الاساتذة الذين أتوا من جامعات أخرى ، من داخل المغرب وخارجه ، متحملين عناء البحث ووعثاء السفر لينشطوا هذا الملتقَى العلمي بعروضهم ومناقشتهم ، وأنوه بالزملاء الاساتذة أعضاء لجنة الندوات بالكلية على ما بذلوا من جهد مضن طوال شهور لتكون هذه الندوة وتمر في أحسن الظروف .

السيد الرئيس ، حضرات السيدات والسادة

تنعقد ندوة البحث اللساني والسيميائي بعد مرور خمس سنوات على إقامة

الملتقى العلمي الأول في هذه الكلية حول اللسانيات والسيميائيات ؛ ومن الطبيعي أن تهتم كلية الآداب بموضوع الدراسات اللغوية الحديثة ، مادامت تضمُّ شعبا متخصصة تدرس فيها ، فضلا عن اللغة العربية وآدابها ، لغات وآداب أجنبية ، لاتينية الأصل وأنكلوساكسونية وآرية .

إن اللسانيات والسيميائيات ، كما تعلمون ، من الاكتشافات العلمية الغربية المفيدة في القرن العشرين ، بما أحدثت من ثورة في ميدان البحث اللغوي والأدبي عن طريق الضم والتجانس ، مثلما حدث في الرياضيات الحديثة . ويتجلَّى من برنامج العروض والموائد للندوة ، أن البحث اللساني والسيميائي عندنا يرمي إلى غايتين ، غاية علمية محضة لا ترَى غير الدراسة التخصصية للنظريات اللسانية والسيميائية في جميع اللغات المدروسة بالكلية ، وأخرى علمية – قومية تعنَى بصفة خاصة بدراسة اللغة العربية واللهجات المغربية وآدابها في ضوء المعطيات اللسانية والسيميائية . نحن هنا في المغرب أمة مسلمة ، لغتنا الرسمية هي العربية الأصيلة ، لغة القرآن والعلم والأدب ، ولهجاتنا القومية الدارجة على ألسنة عامة الشعب في السهل والجبل لهجات لا تختلف اختلافا جوهريا عن لغة القرآن – رغم ما علق بها عبر العصور من ضروب الاختلاف والنشاز إفرادا وتركيبا – لانها كلها من أرومة واحدة ، قحطانية أو عدنانية ، عاربة أو مستعربة .

إن اللغة العربية لغة أزلية ثرية ، تفاعلت منذ أقدم العصور مع شقيقاتها السامية ، وجاراتها الآرية والرومية ، أخذاً وعطاء ، وحظيت من العلماء في عصر التدوين صدر الاسلام بدراسة وافية واعية لم تقتصر على مجرد الرواية والاستقراء ، وإنما أفسحت المجال للمقارنة مع مختلف اللغات واللهجات ، وأدخلت المفاهيم المنطقية اليونانية في النحو ، دون أن تغفل الدخيل فتقننه وتصهره في بوتقة النسق العربي ، مثلما نجده في **كتاب سبويه** عندما يتحدث مثلا عما أعرب من العجمية أو عن اطراد الإبدال في الفارسية ، واستبدال الحروف التي لا توجد في العربية في الكلمات الدخيلة بحروف عربية .

كان من نتائج تلك الدراسات الدقيقة ، أن تمكن طلاب العربية من الوصول إلى السليقة ، فانطلقت ألسنتهم وعقولهم في حَلْبة الانتاج المفيد ، وكان ما عرفناه

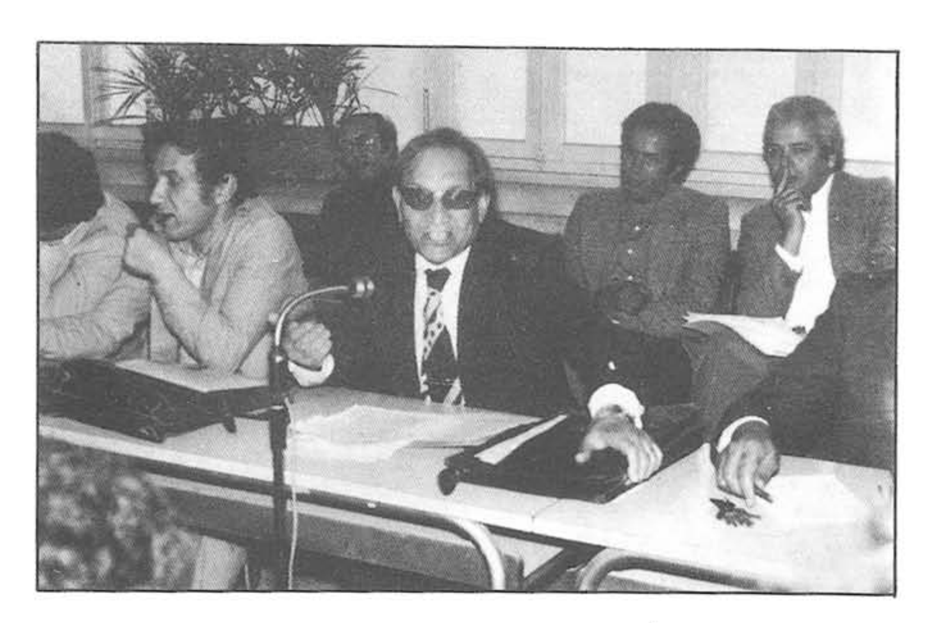
من نشاط مجالس البصرة والكوفة وبغداد ، ثم قرطبة وسبتة والقاهرة . وغيرها من المراكز الثقافية الشهيرة ، وكان هذا التراث الضخم الذي تحتفظ به المكتبة العربية في المشرق والمغرب . ثم حدث عكس ذلك تماما عندما ضعفت الدراسات اللغوية فيما يُعرف بعصر الانحطاط حيث لم يعد نصيب الدارس غير استظهار قواعد مفككة لا تُقوِّم له لسانا ، ولا تُكسبه بيانا ، فانحط الانتاج الفكري إلى درك الاجترار والتلهي بالملخصات والشروح والحواشي .

إن انبعاث الدراسات اللغوية في البلاد العربية، على أحدث المناهج اللسانية والسيميائية عند الاروبيين والامريكيين ، لمن شأنه أن يقوي الأمل في أن يستعيد اللسان العربي سليقته ، والفكر أصالته وخصوبته ، فالعلاقة وطيدة بين اللغة والفكر ، وسيتأكد لنا ذلك بالبرهان في أحد العروض التي سنستمع إليها هذا الصباح .

إننا نعيش ظروفاً لغوية سعيدة حقاً ، لا بهذه اللقاءات العلمية المتوالية فحسبْ ، ولكن أيضا بهذا النشاط العلمي المكثف المتمثل في الاطروحات الجادة التي تُهيأ ، ما نوقش منها وما سيناقش ، وبالدراسات اللغوية الهامة التي أخذت المطابع المغربية تخرجها تباعاً ، فقد طلع علينا في الشهر الماضي كتاب **الأصول . دراسة إيبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي** ، للأستاذ الدكتور تمام حسان الذي عمل مدة غير قصيرة في شعبة اللغة العربية بكلية الرباط ، ونترقب بعد بضعة أسابع ظهور كتاب قيم آخر ، هو **نظرية المعنَى عند اللغويين العرب القدامَى** للزميل الاستاذ الدكتور أحمد المتوكل .

وإذا رأيت مـن الهلال نموه أيقنتَ أن سيصير بدرا كاملا

والسلام عليكم
الرباط في 7 - 5 - 1981
محمد حجي



تدخل الأستاذ عزيز الحبابي في إحدى الموائد المستديرة .



جانب من الجمهور الذي حضر حفل الاختتام

أحمد المتوكل (*)

اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة «الاستلزام التخاطبي»[1]

مدخـل : الظاهرة

يلاحظ في كثير من الأحوال أن معنَى جمل اللغات الطبيعية ، إذا روعي ارتباطها بمقامات انجازها ، لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية من «استفهام» و«أمر» و«نهي» و«نداء» إلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل.

ويعني هذا ، بالنسبة للوصف اللغوي ، أن التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفي فيه بمعلومات الصيغة وحدها .

ولنأخذ مثالا لهذه الظاهرة الجملة التي أعتيد الاستشهاد بها في هذا الباب وهي : «هل تستطيع أن تناولني الملح ؟»

فاستعمال هذه الجملة ، في طبقة معينة من المقامات ، يخرج بمعناها من السؤال إلى الالتماس أي إلى الطلب من المخاطب مناولة الملح .

الاشكـــال

ويطرح وصف هذه الظاهرة التي اصطلح على تسميتها[1] تبعا لِـ «جرايس»

(*) كلية الآداب — الرباط

(1) نقترح الاستلزام التخاطبي مقابلا لمفهوم : «Conversational implicature»
مع التنبيه على أننا لا نستعمل هذا المفهوم بمعناه المنطقي .

«بالاستلزام الخطابي» إشكالا من أهم الاشكالات التي تستدعي من النظرية اللغوية معالجتها، خاصة إذا اعتبر امتلاك قواعد استعمال الجمل اللغوية على هذا النحو جزءا من قدرة المتكلم – المستمع اللغوية.

ويتمثل هذا الاشكال، إذا ما غض النظر عما يستتبعه من مشاكل جزئية تجريبية ومنهجية في التساؤلات الاساسية الاتية:

1) في حالة استعمال جملة ما، مخروجاً بمعناها الظاهر المدلول عليه بصيغتها، إلى معنًى آخر، ما هو في نهاية الأمر التأويل الوارد إعطاؤه لهذه الجملة؟ هل يعتمد المعنَى المستلزم وحده باعتباره السابق إلى الفهم أم هل يعتمد المعنَى الصريح والمعنَى المستلزم معا، باعتبار الثاني ناتجا عن الأول؟

2) في حالة اعتماد كل من المعنيين، يجد الواصف المتصدي لتحليل الظاهرة نفسه أمام مشكلين رئيسيين اثنين:

– كيف تتم عملية الاستلزام هذه أي كيف يتم الانتقال من المعنَى الصريح إلى المعنَى المستلزم خطابيا بوجه عام؟

– كيف يمكن معرفة وضبط المعنَى الذي تخرج اليه صيغة معينة من الصيغ الجملية كالاستفهام والأمر والنداء والنهي؟

وللتوضيح نأخذ من جديد الجملة المستشهد بها أعلاه:
«هل تستطيع أن تناولني الملح؟»

– في حالة استعمال هذه الجملة في مقام تستلزم فيه خطابيا الالتماس، ما هو معناها؟ أهو الالتماس لكونه المعنَى المفهوم مباشرة أم هو السؤال والالتماس مجتمعين؟

– إذا أخذ بالفرضية الثانية، كيف تمَّ الاستلزام؟ أي كيف انتقلت الجملة من الدلالة على السؤال أو «الاستفهام الحقيقي» إلى الدلالة على شيء آخر؟ ثم لماذا تم الانتقال بالضبط إلى الالتماس دون غيره من المعاني؟

سنحاول في هذه الدراسة المقتضبة للتحليلات العربية القديمة التي وردت في

وصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي أن نتبين درجة كفاية ما اقترحه المفكرون اللغويون العرب القدماء في هذا المجال ، وإلى أي حد يمكن الأخذ بما اقترحوه .

وسنتبع في هذه المحاولة الخطة الآتية :

ا — سنعرض أولا بايجاز لأهم ما اقترح في الدرس اللغوي الحديث لتحليل ظاهرة الاستلزام التخاطبي مبرزين ، بالأساس ، المبادئ العامة المعتمدة في كل صنف من الاقتراحات .

ب — وسنحاول ، ثانيا ، أن نستكشف المعالم الرئيسية للوصف العربي القديم لهذه الظاهرة انطلاقا من مثال يمكن اعتباره ، في نظرنا التحليلي، الأكثر استجابة لمقتضيات الوصف اللغوي وشروطه : اقتراحات السكاكي .

ج — وسنخصص القسم الثالث من هذا البحث لفحص اقتراحات السكاكي موازنين ، بينها وبين اقتراحات الفلاسفة واللغويين المحدثين ، قصد تقويمها والوقوف على امكانيات استثمارها[2] .

ا — الاقتراحات الحديثة

قدمت في السنوات العشر الأخيرة خاصة منذ ظهور مقالة جرايس «المنطق والخطاب»[3] ، اقتراحات متعددة لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، في إطار كل من «فلسفة اللغة العادية» و«الفلسفة الصورية» والنظرية «التوليدية التحويلية» .

ونشير هنا باقتضاب لأهم مميزات أشهر هذه الاقتراحات : اقتراح جرايس

(2) لن نتمكن هنا ، من التعرض للمنهجية التي تخلف عرضنا للاقتراحات العربية القديمة ومقارنتها بالتحليلات الحديثة وتقويمها . لهذا نكتفي بالإشارة إلى أننا نستوحي ، في تعاملنا مع هذه الاقتراحات ، عملا لنا يشكل محاولة لارساء أسس منهجية لقراءة الفكر اللغوي العربي القديم بوجه عام :

A. Moutaouakil : « Reflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe ancienne » Publications de la Faculté des Lettres Rabat. 1982.

(3) GRICE : « Logic and conversation ».
in P. Cole and J. Morgan (1975)

نفسه ، اقتراح سورل[4] (1975) واقتراح جوردن ولاكوف[5] .

1) اقتراح جرايس

– يرَى جرايس أن كل حوار يقوم على مبدأ عام ، يُخضع له كل من المتحاورين إسهامَه في الحوار ، وهو ما يسميه «بمبدأ التعاون» .
(Cooperative principle)

– ويتفرع عن هذا المبدأ العام قواعد أربع («قاعدة الكم» و«قاعدة الكيف» و«قاعدة الورود» و«قاعدة الكيفية») تضبط التخاطب في المقامات العادية .

– ويقترح جرايس أن توصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي انطلاقا من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باعتبار أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لاحدَى القواعد الاربع مع احترام المبدأ العام ، مبدأ التعاون .

2) اقتراح سورل

يصنف سورل «الافعال اللغوية» صنفين : أفعالا لغوية «مباشرة» وأفعالاً لغوية «غير مباشرة» ويقترح انطلاقا من هذا التصنيف نسقا من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنتاج وادراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معين أو في طبقة مقامية معينة .

3) اقتراح جوردن ولاكوف

أما بالنسبة لجوردن ولاكوف ، فإنهما يقترحان قواعد مصورنة أسمياها بـ «مسلمات الحوار» لضبط ظاهرة استلزام قضية ما قضية أخرى في طبقة من المقامات معينة . وترتكز مسلمات الحوار هذه على «شروط صدق» المتكلم أو المخاطب كما يحددها سورل في تصوره لنظرية «الأفعال اللغوية» .

---

(4) انظر : J. SEARLE : « Indirect speech acts » in P. Code and J. Morgan (1975)

(5) Gordon and Lakoff : « Conversational postulates » in P. Cole and Morgan, 1975, 86

ومن الأمثلة التي أورداها للمسلمات الحوارية القاعدة الضابطة لاستلزام «الالتماس» حوارياً والتي تقول : «يمكن انجاز معنَى الالتماس :

1) باثبات أحد شروط صدق المتكلم

2) أو بالاستفهام عن أحد شروط صدق المخاطب» .

ويعتبران ، مثلا ، أن استلزام الجملة : «هل تستطيع أن تناولني الملح» معنَى الالتماس خاضع لهذه القاعدة إذ أن الجملة عبارة عن استفهام حول أحد شروط صدق المخاطب ، أي قدرته على تلبية رغبة المتكلم .

* * * *

ب – اقتراحات السكاكي

انْتُبِهَ في الفكر اللغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، كما حاولنا تحديدها في المدخل ، وقدمت اقتراحات لوصفها في كل من علم النحو وعلم البلاغة وعلم الأصول .

غير أن جل هذه الأوصاف لم تتعد مستوَى ملاحظة الظاهرة والتمثيل لها مع وضع مصطلحات تختلف باختلاف العلوم المعنية («الاغراض التي تخرج اليها الأساليب» ، «دلالة المفهوم» ، «المعنَى المقامي» «المعنَى الفرعي».. الخ) .

وتمتاز اقتراحات السكاكي (في «مفتاحه») عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنها تجاوز الملاحظة الصرف وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة ، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنَى «الصريح» بالمعنَى المستلزم مقاميا ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة . هذا بالاضافة إلى ميزة أخرى وهي أن تقعيد السكاكي للاستلزام التخاطبي وارد مؤطرا داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية (أصوات ، صرف ، نحو ، معاني ، بيان ...)

ينطلق السكاكي من الثنائية (الواردة في الفكر اللغوي العربي القديم بوجه عام)، التي ينقسم الكلام بمقتضاها إلى :

مع اقتصاره بالنسبة للشق الثاني من الثنائية على «الطلب» الذي يضعه في مقابلة «الخبر»، فيفرع كلا من القسمين إلى أنواع يضع لكل نوع منها شروطا مقامية تتحكم في انجازه، أي في اجرائه مطابقا لمقتضَى الحال. ويتفرع عن هذه الأنواع نفسها أغراض «تتولد» في حالة اجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام :

1) فبالنسبة «للخبر»، يمكن، إذا ما أجري الكلام على غير أصله، أي على خلاف مقتضيات الحال، أن يخرج، عن قصد، إلى أغراض مختلفة «كالتلويح»، و«التجهيل» وغيرهما.

2) أما بالنسبة «للطلب»، فإن أنواعه الأصلية تخرج، إذا انجزت في مقامات تتنافَى وشروط اجرائها على الأصل إلى أغراض فرعية، تناسب هذه المقامات، «كالانكار» و«التوبيخ» و«الزجر» و«التهديد».

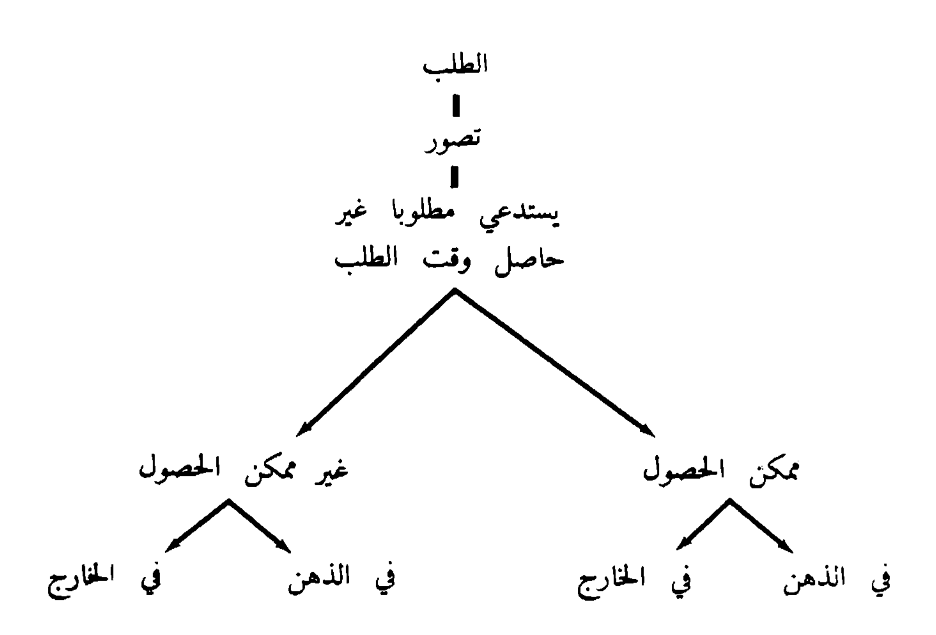
ولنقتصر في عرضنا لاقتراحات السكاكي، نظرا لضيق المجال، على ما ورد متعلقا. بخروج أنواع الطلب الأصلية إلى أغراض فرعية، مركزين، بالأساس، على نوع أصلي واحد : **الاستفهام**

1) معاني الطلب الأصلية

يحصر السكاكي معاني الطلب الأصلية في خمسة معان : الاستفهام والنداء، والتمني، والأمر، والنهي.

ويضع لكل من هذه المعاني قواعد (أو شروطا) تُعَرِّفُهُ وتضبط «اجراءه على أصله» أي انجازه في المناسب من المقامات.

وتشكل في رأي السكاكي هذه الشروط نسقا متكاملا ينتظم معاني الطلب الأصلية الخمسة كما يتجلى ذلك في الرسم الآتي :



2) المعاني المتولدة عن معاني الطلب الأصلية

1 — تخرج معاني الطلب الأصلية الخمسة ، حين يمتنع، مقاميا ، اجراؤها على الأصل إلى معان أخرى كالانكار والتوبيخ والزجر والتهديد وغيرها كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

2 — ويحصل، في حالة عدم المطابقة المقامية ، أن يتم الانتقال من معنًى إلى معنًى داخل معاني الطلب الأصلية نفسها إذ يمكن أن يتولد مقاميا ، عن الاستفهام التمني وعن التمني الاستفهام مثلا .

3 — أما عملية الانتقال ذاتها فانها تتم حسب السكاكي بالطريقة الاتية :

— في حالة اجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها ، أي في مقامات مطابقة لشروط اجرائها على الأصل، يتعذر الانتقال وتحمل الجملة المعنَى الذي تدل عليه صيغتها بدون زيادة .

— في حالة اجراء المعاني الخمسة في مقامات غير مطابقة لشروط اجرائها على الأصل ، يحصل الانتقال ، ويتم في مرحلتين متلازمتين اثنتين :

1) المرحلة الأولى :

يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط اجراء المعنَى الأصلي فيمتنع اجراؤه .

2) المرحلة الثانية :

يتولد عن خرق شرط المعنَى الأصلي وبالتالي امتناع اجرائه معنَى آخر «يناسب المقام» .

3) مثال : الاستفهام ومولداته

1 — يستخلص من نسق شروط اجراء معاني الطلب الأصلية أن شروط اجراء الاستفهام على أصله تكمن فيما يلي :

«طلب حصول» — «في الذهن» لغير حاصل «ممكن الحصول» — «يهم المستفهِم» و«يعنيه شأنه» .

2 — إذا استوفيت هذه الشروط كلها في انجاز جملة استفهامية ما ، أجري الاستفهام على أصله ، وكان «استفهاما حقيقيا» .

أما إذا أنجزت الجملة الاستفهامية في مقام غير مطابق فان معناها الأصلي يخرج إلى معنًى آخر حسب الآلية السالفة الذكر :

— خرق شرط من شروط الاجراء على الأصل فامتناع اجراء المعنَى الأصلي .
— تولد معنًى آخر يناسب المقام .

3 — وهذه بعض من الأمثلة التي يوردها السكاكي ليصف من خلالها ظاهرة انتقال الاستفهام إلى معان أخر :

— المثال الأول :

«إذا قلت : «هل لي من شفيع» في مقام لا يتسع امكان التصديق بوجود الشفيع ، امتنع اجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنًى التمني»[6] .

(6) مفتاح العلوم ص : 146

– **المثال الثاني**

«إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب «أتفعل هذا ؟»
– امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذَى **لعلمك بحاله**
– وتوجه إلى **ما لا تعلم** مما يلابسه من نحو : «أتستحسن»
– وولد الانكار والزجر»(7)

– **المثال الثالث**

«إذا قلت لمن بعثت إلى مهم وأنت تراه عندك «أما ذهبت بعد» ،
– امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه **معلوم الحال** ؛
– واستدعي شيئا **مجهول الحال** مما يلابس الذهاب مثل : «أما يتيسر لك الذهاب»
– وتولد منه **الاستبطاء والتحضيض**»(7) .

ج – نحو تقويم لاقتراحات السكاكي

يتحتم الآن بعد هذا العرض الوجيز لأهم ما يرتكز عليه تحليل السكاكي لظاهرة الاستلزام التخاطبي أن نحاول استخلاص قيمة ما يقترحه بالنسبة للوصف الكافي لهذه الظاهرة .

إن الوصف الكافي لهذه الظاهرة (ولكل ظاهرة لغوية على الاطلاق) يقتضي ؛ كما هو معلوم ، أن يستجيب التحليل المقترح أيا كان قديما أو حديثا لمجموعة من الشروط النظرية والتجريبية أجمع على اتخاذها معيارا تقويميا تحدد ، انطلاقا منه ، درجة كفاية الأوصاف المقترحة .

لن نتعرض في محاولتنا هذه لتقويم اقتراحات السكاكي لجميع هذه الشروط ؛ الأمر الذي يتطلب بحثا كاملا ، وإنما سنقتصر بالنسبة لظاهرة الاستلزام التخاطبي بالذات على شرط نعتبر ارضاءه من ضروريات كل تحليل يستهدف وصف هذه الظاهرة ؛ ويكمن هذا الشرط في الإجابة على السؤالين السالفي الذكر ، اللذين نعتبرهما صلب الاشكال المطروح :

(7) مفتاح العلوم ص : 147

– كيف تتم عملية الاستلزام في حد ذاتها ؟

أي كيف يمكن لجملة ما أن تحمل بالاضافة إلى معناها المباشر المدلول عليه بصيغتها معنًى آخر ؟

– ما هو بالضبط المعنَى المستلزم ؟ أو بعبارة أخرى كيف يمكن التنبؤ بماهية المعنَى الذي تستلزمه الجملة تخاطبيا ؟

1 – سبق أن أشرنا إلى أن السكاكي ، بالنسبة للسؤال الأول ، يحلل ظاهرة الاستلزام على أساس أنها تتولد عن خرق لاحد شروط اجراء معاني الطلب الخمسة نتيجة اجراء هذه المعاني في مقامات غير مطابقة .

1) مبدأ الخرق هذا باعتباره أساس عملية الاستلزام ، يقارب بين تحليل السكاكي واقتراحات الفلاسفة وبعض اللغويين الذين اهتموا بهذه الظاهرة .

ويظهر هذا التقارب جليا خاصة حين يقارن تحليل السكاكي باقتراحات جرايس المبنية ، كما رأينا على مبدأ خرق احدَى قواعد الحوار .

2) يمكن أن نستخلص حين نوازن بين تحليل السكاكي وتحليل جرايس على مستوَى المبدأ العام ، مبدأ الخرق ، ما يلي :

تمتاز اقتراحات السكاكي :

– أولا ، **بدقتها** ،

– وثانيا ، **بقدرتها التنبؤية**

تمتاز بالدقة لأن الشروط المؤدي خرقها إلى الانتقال من معنى إلى آخر شروط تهم فصيلة معينة من الجمل وهي الجمل الطلبية بل تهم كل معنى يعينه من معاني الطلب الخمسة وهذه الدرجة من الدقة لا نجدها فيما نظن ، في اقتراحات جرايس التي ركز فيها ، رغم ما تطمح اليه من عموم ، على قواعد الخطاب المتعلقة بالجمل الخبرية ، والتي لا تصلح بالتالي ، إلا لوصف الاستلزام الناتج عن خرق قاعدة من قواعد الخطاب الاخباري .

وتمتاز بقدرة معينة على **التنبؤ** من حيث أنها تمكن انطلاقا من ربط الخرق بامتناع اجراء المعني الأصلي من الجزم بحصول الاستلزام أي بحصول **الانتقال القطعي**

من المعنَى الأصلي إلى معنًى آخر مناسب للمقام ، وتمكن بالتالي من تلافي امكانية «الغاء» الاستلزام ، التي تشكل بالنسبة لجرايس احدَى خصائص الاستلزام والتي يجب اعتبارها من قوادح التعقيد لهذه الظاهرة .

2 – أما بالنسبة للسؤال الثاني ، المتعلق بكيفية ضبط المعنَى المستلزم فإن الغاية أن يُتمكن من وضع قواعد يكون لها من القدرة على التعميم والتنبؤ ما يجعلها كفيلة بالتحديد المضبوط للمعنَى المنتقَل إليه .

1) وقد قام كل من كوردن ولاكوف ثم سورل بمحاولات تستهدف الوصول إلى هذه الغاية . فوضعوا قواعد أو على الأصح «تعميمات» أشرنا إلى عيِّنة منها حين العرض الملخص لاختراحات كوردن ولاكوف ، ويتميز هذا النوع من التعميمات بالخصائص التالية :

ا – يشكل المعنَى المنتقل إليه نفسه نقطة انطلاق التعميم ،

ب – يتكون حيز التعميم من شروط اجراء المعنَى المستلزم ، كشروط صدق المتكلم أو المخاطب مثلا .

ج – ويكمن التعميم :
– اما في اثبات أحد الشروط المتعلقة بالمتكلم (كرغبته مثلا في أن يقوم المخاطب بما يلتمسه منه) .

– أو في الاستفهام عن أحد الشروط المتعلقة بالمخاطب (كاستعداده ، أو قدرته ، أو رغبته) ، وقد طبقت هذه التعميمات لحد الآن على نوع معين من الجمل ، الجمل المُنْتقِل معناها إلى معاني الالتماس ، والعرض ، والوعد[8] .

2) أما السكاكي فانه بالنسبة لهذا الشق من الاشكال يكتفي في الغالب الأعم من الأحوال ، بذكر المعاني المتفرعة عن المعاني الطلبية الأصلية (زجر انكار ، وعيد ، تهديد ، استبطاء ... الخ) مع اعطائها أوصافا عامة مثل «ما يناسب المقام» أو «ما يتولد بمعونة قرائن الأحوال» .

هذا النوع من التحديد غير المضبوط ، المرتكز على معلومات المقامات المختلفة

(8) انظر مقالة جوردن ولاكوف ومقالة سورل

(أو قرائن الأحوال) لا يمكن من الوصول إلى القواعد أو التعميات المنشودة التي تكمن أهم مبررات وضعها في الاستغناء بالذات عما يسمّى بقرائن الاحوال.

الا أن اقتراحات السكاكي لا تخلو من ارهاصات تمكن من الاستغناء عن قرائن الاحوال (أو على الأقل من تقليص دورها) في تحديد المعنَى المنتقل اليه. فثمة أمثلة يشير السكاكي أثناء تحليلها إلى أن المعنَى المتولد هو المعنَى الذي يقابل أحد شروط اجرائه شرط المعنَى الأصلي المخروق(9).

فالمعنَى المتولد، مثلا، في الجملة السالف ايرادها مثالا: «هل من شفيع» هو التمني، أي المعنَى المقتضي اجراؤه شرط «غير ممكن الحصول» الذي يقابل الشرط المخروق «ممكن الحصول» الذي هو من شروط اجراء الاستفهام على أصله.

يمكن، اهتداءً باشارات السكاكي هذه، الوصول إلى وضع قواعد انطلاقا من «تعميات» من النوع الآتي:

1) تعميم 1 = «تنتقل الجملة من الدلالة على معناها الأصلي (س) إلى معنًى آخر (ص) بالانتقال، خرقا، من أحد شروط إجراء (س) إلى ما يقابله من شروط إجراء (ص)». ويمكن، اشتقاقا من هذا التعميم الكلي، صوغ تعميات جزئية تخص الانتقال من معنًى معين إلى معنًى معين نورد منها، على سبيل المثال، التعميم الآتي:

2) **التعميم** 2 = «تنتقل الجملة الاستفهامية من الدلالة على **السؤال** إلى الدلالة على **التمني** بالانتقال، خرقا، من شرط «طلب ممكن الحصول» إلى شرط «طلب غير ممكن الحصول».

تبدو هذه التعميات في هذه المرحلة الأولية من الفحص معقولة، الا أن الأخذ بها في التقعيد لظاهرة الاستلزام التخاطبي، باعتبارها احدَى خصائص اللغات الطبيعية، يقتضي:

أولا: أن يعاد النظر في شروط اجراء المعاني على الأصل خبرية كانت أم طلبية:

(9) في تحليل السكاكي لبعض الأمثلة (انظر المثالين الثاني والثالث) اشارة إلى امكان اعتماد أحد شروط المعنَى المستلزم كمنطلق لعملية الاستلزام الا أنه لم يعمم هذا الامكان.

– باضافة شروط أخرى إلى ما يقترحه السكاكي بالنسبة لبعض المعاني (معاني الطلب على الخصوص)

– ووضع شروط لاجراء بعض المعاني التي لم يدقق السكاكي في قواعد اجرائها (كالزجر، والوعيد، والتهديد، والاستبطاء وغيرها) حتَّى يتسنَى ضبط عملية الانتقال بين معنًى وآخر، بضبط الشرط المنتقل منه إلى الشرط المُنتقَل إليه.

ثانيا: أن تمحص كفاية هذه التعميمات في وصف الظاهرة لا باعتبارها ظاهرة من ظواهر اللغة العربية فحسب، بل باعتبارها كذلك ظاهرة كلية[10].

ثالثا: أن يوازن بينها وبين التعميمات الحديثة التي عرضنا لبعضها باقتضاب، بكيفية أدق، ليتبين إلى أي حد يمكن طرح الأولى بديلا للثانية.

نظن، فيما يخصنا، رغم أننا لا نستطيع الجزم من الان، أنه من الممكن اعتماد التعميمات التي تتيحها اقتراحات السكاكي في وصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي كاحدَى خصائص اللغات الطبيعية بل من الممكن طرحها بديلا ممكنا للتحليلات الحديثة المقترحة شريطة أن يعمل على استيفائها الشروط المقتضاة.

ونرجو أن نتمكن من تمحيص هذه الفرضية في اطار مشروع نحن بصدد انجازه – يستهدف وضع أسس وصف دلالي لظاهرة الاستفهام نحاول فيه اعتماد ما نراه واردا مما اقترحه المفكرون العرب القدماء.

---

(10) من جوانب تمحيص كفاية التعميمات المعنية أن تواجه ببعض الاشكالات التجريبية التي يبدو أنها واردة بالنسبة لكثير من اللغات الطبيعية وأهمها مثلا:
ا) اشكال الجمل التي يلاحظ فيها أن المعنَى المستلزم يكاد يصبح «عرفا»
ب) اشكال الجمل «المتحجرة» التي أصبح معناها الأصلي هو ما كانت تستلزمه بحيث يصبح من العسير تطبيق هذه التعميمات المبنية أساسا على مبدأ الانتقال.

مراجع البحث :

1) **العربيـــة :**

سيبويه «الكتاب» دار القلم 1966 .

ابن هشام : «مغني اللبيب» ، مطبعة المدني القاهرة

عبد القاهر الجرجاني «دلائل الاعجاز» ، المكتبة المحمدية التجارية ، مصر

السكاكي : «مفتاح العلوم» ، القاهرة 1938 .

2) **الأجنبيـــة :**

P. Cole : « the synchronic and diachronic status of conversational implicature » in P. Cole and J. Margan, 1975.

P. Cole : Syntax and Semantics, vol 9, Academic Press, 1978

P. Cole and J. Morgan : Syntax and Semantics, vol 3, Academic Press, 1975

D. Gordon and G. Lakoff : « conversational postulates » in Cole and Morgan

G. Green : « How to get people to do things with words » in Cole and Morgan.

P.H. Grice : a) « Logic and Conversation » in Cole and Morgan
b) « Further notes on logic and conversation » in P. Cole.

L.R. Horn : « Greek Grece : A brief survey of protoconversational postulates in the history of logic », C.L.S., 1973

G. Lakoff : « Pragmatics in natural logic » in E.H. Keenan (éd) : Formal semantics of natural language. 1975

J.H. Morgan : « Two types of convention in indirect speech acts » in P. Cole.

J.M. Sadock : Toward a linguistic theory of speech acts » Academic Press, 1975

J.R. Searle : a) « Indirect speech acts », in Cole and Morgan
b) « A taxonomy of illocutionary acts » Minnesota Studies the philosophy of science, 7, 1975.

عبد القادر الفاسي الفهري (*)

لسانيات الظواهر وباب التعليق

اللسانيات العربية لازالت تبحث عن نفسها وتتلمس طريق الانطلاق ؛ بل انها انطلقت في كثير من الأحيان في اتجاه غير مرغوب فيه.

عدة عوامل لعبت دورا في هذه الوضعية جلها غير لساني خارجي ، يتعلق بسوسيولوجيا البحث في بلادنا العربية ، وبعضها داخلي ، كتأثير الفكر القديم نحويا كان أو بلاغيا أو فلسفيا على البحث في العالم العربي ، وغياب استراتيجية بحث تربط الماضي بالحاضر.

البحث اللساني العربي الحالي سار أساسا في اتجاهين . اتجاه أول تجسد عند من يصفون أنفسهم بأنهم «وصفيون». هذا الاتجاه الذي تميز بانتقاده الشديد للنحو العربي وخصوصا لنظرية العامل ، واستعمال التعليل والتقدير ، والتأثر بالمنطق الأرسطي ، عجز في الواقع عن دحض الأطروحات التقليدية وتقديم بديل للتعميات المشروعة أو غير المشروعة التي نجدها عند القدماء[1] .

اتجاه آخر تجلّى في القراءات . وهذه القراءات على نوعين : قراءات تقف عند شرح وتنظيم المادة الموجودة في التراث[2] ، وقراءات تحاول أن تنتقل مما هو موجود

(*) كلية الآداب ـــ الرباط

(1) انظر في هذا الصدد أعمال تمام حسان ، عبد الرحمن أيوب ، أنيس فريحة ، وكذلك ابراهيم السمرائي وابراهيم أنيس وكمال بشر.

(2) انظر مثلا Bohas (1979)

في هذا التراث من مادة وفكر لتؤوله وتربط بينه وبين ما هو موجود حاليا من درس وبحث، بغية الخروج إلى الحاضر والمعاصرة[3].

القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث واحيائه وتسهيل الاطلاع عليه، والقراءات من النوع الثاني نريدها مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم، بالرغم من كل التحفظات المنهجية والحدود النظرية لمثل هذا العمل. إلا أن بعض القراء لا يضعون عملهم في هذا الاطار، أي اطار التاريخ، بل يعتقدون أن وصف اللغة العربية، ولو اللغة الحالية، يقتضي الرجوع إلى الماضي ومقولات وأطروحات اللغويين القدماء، محاولة لبناء نظرية تصف اللغة العربية، واعتبارا منهم أن النظريات الحالية عاجزة عن وصف هذه اللغة[4]، وعن الأخذ بالتعميات المشروعة التي أتى بها النحو العربي القديم. هذا الموقف يتناقض مع أبسط المبادئ المنطقية والأسس التصورية للعمل التنظيري.

والاخفاق المسجل عند كل من الاتجاهين، والنتائج السلبية الكثيرة للتجربة القصيرة للغويات العربية المعاصرة، لها تفسير بسيط هو أن المشاكل المطروحة لم تكن مطروحة في إطار نظري أو إطار منهجي واضح ومحدد. وفي غياب هذا الاطار لا تكون هناك نتائج مقبولة، مادامت حدودها المنهجية والتصورية والمنطقية غير معروفة.

هذا الاخفاق من الاتجاهين ساهم في تعزيز أثر الفكر القديم وفكر الماضي وسيطرة هذا الفكر على الدرس اللغوي العربي، بحيث صار لزاما على كل من يريد أن يتحدث عن اللغة العربية أو يصفها أن يموضع كلامه بالنسبة لما يقوله النحوي القديم، وأن يسجل موقفه من التراث والدور الذي يمكن أن يعود إليه في البحث اللساني المعاصر.

التراث يمكن تصوره مادة منها ما هو معطيات، ومنها مفاهيم وصفية، وكذلك أصول وتأملات. هذا الفكر الموجود في التراث وهذه المعطيات، ككل فكر وككل معطيات، يمكن توظيفها في إطار فكر جديد أو دراسة علمية حديثة،

(3) انظر Haj-Salah (1979)

(4) Moutawakkil (1980)

على أن ليس هناك ضرورة منطقية ولا منهجية تفرض علينا هذا التوظيف. يمكن أن تكون هناك ضرورة تجريبية (empirical)، وهي الضرورة الوحيدة التي اعترف بها. إلا أن البرهنة على ضرورة توظيف مفهوم من المفاهيم التراثية، مثلا، تقتضي الاستدلال العلمي الدقيق بالاعتماد على المعطيات وعلى الظواهر، لا على ما قيل عنها في النحو أو البلاغة أو المنطق. إذن اللسانيات العربية يجب أن تكون كغيرها من اللسانيات لسانيات ظواهر. يخضع كل استدلال فيها للتجربة، وبذلك نتجاوز مشكل التراث.

لسانيات الظواهر هي برنامج بحث يختص بعدة مبادئ نظرية ومنهجية أذكر من بينها:

1 — ان الهدف الأول من البحث اللغوي هو بناء نظريات (أو انحاء) ذات كفاية تفسيرية تستطيع اعطاء مضمون لمفهوم **اللغة الطبيعية**، وتتم المفاضلة بين الأنحاء على أساس الكفاية المذكورة.

2 — الشرط الأساسي للمفاضلة بين النظريات المختلفة هو **الوضوح**، وهذا يعني أن كل قانون أو كل قاعدة مقترحة يجب أن تصاغ صياغة صورية واضحة لا تقبل أي تأويل أو تخمين.

3 — أحسن وسيلة لمعرفة اللغات الطبيعية، ومن ثمة اللغويات، هو الوصول إلى **بناء أجزاء كبيرة** من أنحاء اللغات.

في إطار هذه المبادئ ومبادئ أخرى بيناها في بعض أعمالنا (انظر المراجع) تتبين الأبعاد النظرية والمنهجية والتجريبية التي نهدف إليها في برنامج البحث الذي حددناه. ويتبين من المبدأ الثالث نوعية الطرق الاستكشافية الموجبة (positive heuristics) التي تلعب دورا مركزيا في منهج البحث. اذن سواء عملنا على ماضي اللغة أو حاضرها أو على اللهجات أو على نحاة أو بلاغيين، يجب أن نضع أمام أعيننا هذه الأهداف، ويجب أن نتساءل إلى أي مدى نتقدم في بناء نسق اللغة العربية في مرحلة معينة من تاريخها، وإلى أي حد نتقدم في وضع اللغة العربية من بين مثيلاتها اللغات الطبيعية الأخرى، وربطها بها، ومعرفة الخصائص

التي تلتقي فيها باللغات الأخرى ، والخصائص التي تختلف فيها ، وكيف تلتقي ، وكيف تختلف ، ولماذا . كذلك إذا اقترحنا شيئا بالنسبة للعربية القديمة ، لتكن قاعدة ، واقترحنا قاعدة أخرى بالنسبة للعربية الحالية يجب أن نكون على بينة من القانون الذي يربط بين هذه القاعدة وتلك ، والمبدأ أو القانون الذي على أساسه تم التطور ، في اطار قوانين اللسانيات التطورية والتاريخية . كذلك في علاقة اللغة الفصحَى باللهجات أو اللغيات التي كانت متداولة في القرون الأولى ، أو في علاقتها باللهجات الحالية ، يجب أن نكون على بينة من أن درس اللهجات اليوم يمكننا مبدئيا من تحديد تاريخ هذه اللهجات ، وتحديد تاريخ اللغة العربية في نفس الآن .

هذه المبادئ العامة كان من الضروري توضيحها قبل أن نخوض في باب التعليق واختبار هذا المفهوم على أساس المبادئ التي سطرناها .

يعرف صاحب الهمع التعليق بأنه (ترك العمل في اللفظ لا في التقدير لمانع ، ولهذا يعطف على الجملة بالنصب لأن محلها نصب)[5] .

ويقارن ابن يعيش بينه وبين الالغاء فيقول : (التعليق ضرب من الالغاء ، والفرق بينهما ان الالغاء ابطال عمل العامل لفظا وتقديرا ، والتعليق ابطال عمله لفظا لا تقديرا)[6] .

ولعل أحسن تعريف للتعليق يوجد عند الاستراباذي . يقول : (التعليق مأخوذ من قولهم امرأة معلقة أي مفقودة الزوج ، تكون كالشيء المعلق ، لا مع الزوج لفقدانه ولا بزواج لتجويزها وجوده فلا تقدر على التزوج . فالفعل المعلق ممنوع من العمل لفظا ، عامل معنًى وتقديرا ، لأن معنَى علمت لزيد قائم علمت قيام زيد ، كما كان كذا عند انتصاب الجزئين ، ومن ثمة جاز عطف الجزئين المنصوبين على الجملة الملغَى عنها نحو علمت لزيد قائم وبكرا قائما)[7] .

هذا اذن مدلول التعليق ، وهو كما نرَى مفهوم اعرابي . وقد اختلف النحاة في

(5) الهمع ، ج 2 ، ص 231
(6) شرح المفصل ، ج 7 ، ص 86
(7) شرح الكافية ، ج 2 ، ص 281

ما يختص بالتعليق من الأفعال ، فذكر بعضهم كالزمخشري وابن مالك انها الأفعال القلبية المتصرفة دون غيرها ، وذكر بعضهم كالمبرد وثعلب وابن كيسان أنه لا يعلق من الأفعال إلا ما كان بمعنَى العلم ، واما الظن ونحوه فلا يعلق . واجاز يونس تعليق جميع الافعال ، قلبية كانت أو غير قلبية .

واتفق النحاة على أن الأدوات المعلقة (بكسر اللام) هي أدوات الاستفهام ولام الابتداء وبعض أدوات النفي مع اختلاف في بعضها (ذكروا مثلا ما النافية واختلفوا في لا النافية)[8].

هناك اذن شرطان للتعليق : وجود معلق (بفتح اللام) ويغلب على الظن أنه من أفعال القلوب (علم ، ظن ، حسب ...) ووجود معلق (بكسر اللام) وهو أداة من هذه الأدوات .

على ضوء هذا التقديم الوجيز، يمكن أن نبدي الملاحظات التالية :

الملاحظة الأولى هي أن التعليق مفهوم اعرابي عند النحاة مرتبط بوجود اعراب تقديري . الحجة في هذا عندهم ان هذا الاعراب يظهر في العطف . والمثال الوحيد الذي نجده عند النحاة هو المثال المذكور عند الاستراباذي أي علمت لزيد قائم وبكرا قاعدا . لا نجد أمثلة من نوع آخر مثل : علمت أزيد قائم وبكرا قاعدا ، والسبب هو أن الخبر عندهم لا يعطف على الانشاء ، ولا نجد كذلك أمثلة تعطف فيها جملة اسمية على جملة فعلية كأن تقول : علمت لا يقوم زيد وبكرا راجعا .

إذن أمامنا نوع واحد من الجمل لا نحتاج في تحليله بالضرورة إلى القول بالاعراب التقديري . فلو فرضنا أن كل فضلة لا يدخل عليها الفعل أو الاسم أو الحرف مباشرة تكون منصوبة فبكرا منصوب هنا بموجب هذه القاعدة . من الممكن كذلك أن نقدر فعلا قبل الواو يعمل في بكر .

وحتَّى لو سلمنا بالاعراب التقديزي وافترضنا أن النصب مقدر على الجملة المعلقة (كما يقدر في الجملة الحال) وجب أن نبين كيف يتسرب هذا النصب إلى المركب الاسمي أو الوصفي . أقول هذا لأن الجملة الحالية مثلا في حكم المنصوب

(8) المراجع المذكورة

ومع ذلك فلا يتسرب نصبها إلى المكونات الموجودة بالضرورة . فلو صح هذا لنطقت بنصب الجزئين في الجملتين (4) و(5) وذلك محال :

(4) لقيت زيدا أعصابه متوترة

(5) لقيت زيدا والمطر نازل

اذن الاعراب التقديري لا يفسر نصب بكر في الجملة المذكورة عند الاسترابادي .

وحتّى لو سلمنا جدلا بأنه صالح لوصف الظاهرة المذكورة ، فاننا لا نحتاج إلى التسليم بذلك بالنسبة للاستفهام مادام الاستفهام لا يعطف على الخبر. حينما نقحم الاستفهام اذن في باب التعليق نفترض افتراضا يستحيل وجود معطيات تدعمه أو تنفيه. هذا النوع من الافتراضات لا يمكن الأخذ به مادام مستحيل الابطال (non réfutable) .

الملاحظة الثانية هي أن الظواهر المذكورة في باب التعليق لا يوحد بينها شيء ، لا تركيبيا ولا دلاليا . هناك الاستفهام وهناك النفي وهناك لام الابتداء . وإذا أردنا التوحيد بين هذه التراكيب المختلفة قلنا انها تراكيب جملية توجد في بدايتها اداة ، الا أنها جمل من نوع خاص أسميناها في أحد أبحاثنا بالمركب الموصولي (complementizer phrase) [٥]. هذا المركب الموصولي لا يعمل الفعل الذي قبله في الجملة التي داخله . وهنا نحتاج إلى نظرية للاعراب أقل تجوزا من النظرية التي يمكن بناؤها انطلاقا من ملاحظات النحاة العرب .

الملاحظة الثالثة هي حول شروط التعليق . لا نَرَى ما الداعي إلى ربط علاقة وثيقة بين الشرط الأول والشرط الثاني ، بل لا نَرَى أي نظرية للاعراب تستطيع الربط بين هذين الشرطين .

الملاحظة الأخيرة تتعلق باختلاف النحاة في المعلقات والمعلقات . هذا الاختلاف له أهميته ، إلا أننا لن نتحدث عنه في هذا العرض .

---

(9) Fassi Fehri (1980)

أكتفي بهذه الملاحظات لضيق الوقت ، بل أكتفي بالملاحظة الأولى فقط التي تبين أنهم أقحموا الاستفهام غير المباشر في هذا الباب بدون دليل ، بل ان الدليل كما بينا لا يمكن وجوده مادامت الجمل غير مقبولة لسبب آخر.

واقحامهم للاستفهام في هذا الباب ، بل ان الاستفهام هو أهم شيء يتحدثون عنه في الباب ، لم يكن بريئا بل جاء نتيجة عدم تمييزهم بين الاعراب (case) والتفريع المقولي (subcategorization)، وربطهم لاعراب معين (هو النصب) بوظيفة واحدة هي المفعولية . فقد اعتبروا أن الجملة الاستفهامية مفعول وتأخذ علامة النصب ، وبما أن هذا النصب قد يتسرب إلى اسم الاستفهام ، وبما أنه لا توجد جملة استفهام ينصب فيها اسم الاستفهام على هذا الأساس ، وجب اذن أن نقر بتعليق الفعل حتَّى لا يعمل . ولما وجدوا أفعالا لازمة دخلت على جملة الاستفهام مباشرة قالوا اما بالتضمين أو بحذف حرف الجر . فقالوا في (شككت أزيد في الدار أم عمرو) ان الجملة بعد الفعل مفعول منصوب بنزع الخافض (أي أن الأصل شككت في هذا الأمر) وقالوا في (فكرت هل زيد في الدار) ان فكر لازم وضعا لكنه تعدَى بتضمينه معنًى تعرف (أي تعرفت هذا الأمر بالتفكير فيه)، وكذلك في (سل وانظر اليه أقائم هو أم قاعد). وقولهم بهذا التضمين وكذلك بنزع الخافض جاء نتيجة لعدم تمييزهم الأفعال المتعدية التي تطلب مفعولا (objet) عن الأفعال غير المتعدية التي تطلب فضلة (complement) قد تكون فضلة حملية .

مفهوم التعليق إذن مرتبط بعدة تصورات للتفريع المقولي وللوظائف ، وللعلاقات بين الوظائف والعلامات الاعرابية ، يغلب على الظن أنها غير صحيحة . ما البديل اذن ؟

لوصف المعطيات والظواهر التي أوردها النحاة في باب التعليق وعلى الأخص الاستفهام غير المباشر نحتاج إلى بناء نظرية للاعراب ، ونظرية للتفريع المقولي (بما في ذلك القيود الانتقائية)، ونظرية للاستفهام غير المباشر. لن يسعفني الوقت هنا للتعرض إلى معالم هذه النظريات المختلفة ، بل سأكتفي ببعض الملاحظات العامة هنا واعطاء بعض الأمثلة،على أن يرجع من يهمه الأمر إلى بعض المقالات التي كتبتها في الموضوع .

النظرية الاعرابية التي أفكر فيها تقول بالمحلية الصرفة (strict locality) والعلامة الاعرابية (case feature) تأتي اما عن طريق المعجم (lexicon) باعتبار الوظيفة المحددة داخل نواة وظيفية (functional nucleus) أو عن طريق القواعد المركبية (phrase structure rules) وفي كلتا الحالتين أعتقد أن القاعدة الاعرابية لا يتعدّى ميدانها المركب الواحد ، ولا تخترق حدود مركبات أخرى . على أن مشكل الاعراب ليس مشكلا وصفيا محضا ، بل هو كغيره من المشاكل مشكل نظري . فعلينا أن نبحث عن النظرية الاعرابية (case theory) التي تقربنا من الأهداف المنهجية التي حددناها . هذه النظرية يجب أن تضيق في طبقة الأنحاء الممكنة ، وفي هذا الاتجاه اقترحنا مبدأ المحلية الصرفة .

بخصوص التفريع المقولي نحتاج إلى أن نمثل في المعجم للسياق التركيبي الذي تظهر فيه الوحدة المعجمية ، هذا التمثيل يمكن أن يتم بواسطة المقولات التركيبية (syntactic categories) أو عن طريق الوظائف النحوية (grammatical functions) ونحتاج بالاضافة إلى هذا إلى بيان الأدوار الدلالية (Semantic roles) التي تحتاج اليها الوحدة المعجمية (كالفعل مثلا) ليتم معناها . على أنه ليس هناك علاقة مباشرة بين البنية التركيبية والبنية الدلالية . اذا مثلنا لظن في المعجم تركيبيا ودلاليا يكون التمثيل كما يلي :

6) ظـن = ((فـا) (مـف) (فض حم))
((2) (1))

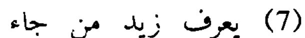
(فا = فاعل ، مف = مفعول ، فض حم = فضلة حملية) .

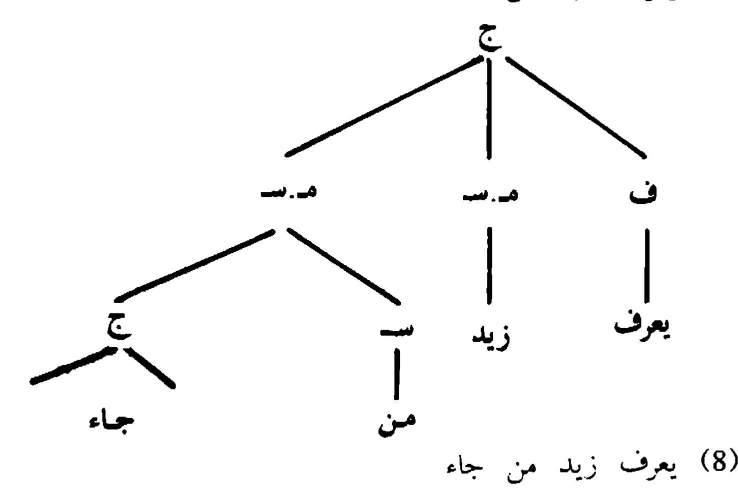
في جملة مثل (ظن زيد عمرا راكبا) هناك ثلاث وظائف متصلة أو مبنية على الفعل : الفاعل والمفعول وما اسميناه بالفضلة الحملية (predicate complement) ؛ على أن ليس هناك الا دوران دلاليان هما الدور الذي يقوم به الفاعل والدور المنسوب إلى الفضلة الحملية ، ولا يمثل المفعول دورا دلاليا قائم الذات .

باعتبار الفضلات الحملية التي تهمنا ، هناك ثلاث طبقات من الأفعال : أفعال لا تطلب إلا جملا خبرية وأفعال لا تطلب الا جملا استخبارية ، وثالثة تطلبها

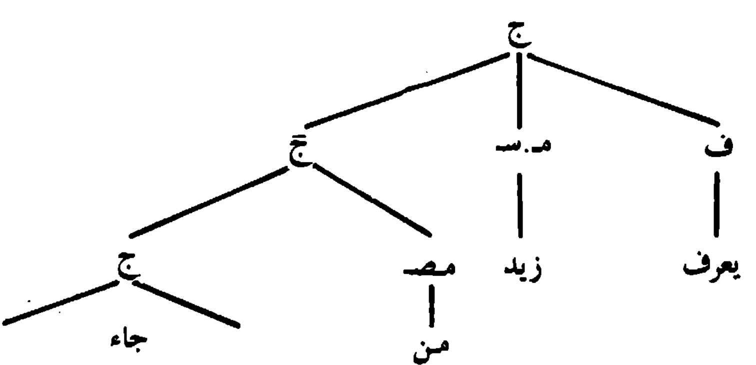
معا . فالطبقة الأولى تضم أفعالا مثل ثبت واتضح ...، تقول : (ثبت أن المسألة معقدة) ولا تقول (* ثبت هل المسألة معقدة). والطبقة الثانية تضم أفعالا مثل سأل واستفهم ونظر.. تقول : (سألته هل جاء زيد) ولا تقول : (* سألته ان زيدا جاء). وطبقة ثالثة تضم درى وعلم وعرف... تقول : (علمت أن زيدا قائم) وتقول : (لا أعلم هل زيد قائم) .

هذه الصفات الدلالية المختلفة يضطر الطفل إلى تعلمها ولا يمكن أن يستخلصها من أي شيء آخر. وهي الصفات الدلالية نمثل لها في المعجم بالصفة ± م. فالأفعال الخبرية ـ م والأفعال الاستخبارية + م ، والأفعال التي تكون خبرية أو استخبارية تكون ± م. هذه الصفات المختلفة زيادة على البنية التركيبية ، هي التي تجعلنا نفرق بين عرف في البنية (7) وعرف في البنية (8) :


(7) يعرف زيد من جاء



(8) يعرف زيد من جاء



يقول الاسترابادي ما نصه :

(واعلم أنك إذا قلت علمت من قام وجعلت من اما موصولة أو موصوفة فالمعنَى عرفت ذات القائم بعد أن لم أعرفها وان جعلتها استفهامية فليس في الكلام دلالة على هذا المعنَى ، بل المعنَى علمت أي شخص حصل منه القيام ، وربما كنت تعرف قبل ذلك ذات القائم وانه مثلا زيد ، وذلك لأن كلمة الاستفهام يستحيل كونها مفعولا لما تقدم لفظه عليها لاقتضائها صدر الكلام ، فيكون مفعول علمت اذن مضمون الجملة وهو قيام الشخص المستفهم عنه (...) واما ان كانت موصولة أو موصوفة فالعلم واقع عليها فكأنك قلت علمت زيدا الذي قام)[10] .

هذا كلام جميل ، يفرق فيه الاسترابادي بين الجملتين،الموصولة والاستفهامية فهما تختلفان تركيبا ومعنَى . تركيبا لأن الموصولة مركب اسمي كما في (7) ، ومعنًى لما هو واضح من تأويل كل من البنيتين .

الفرق في التركيب ينبني عنه فرق في الاعراب : إذا كانت الموصولة مركبا اسميا فهي تنتسب إلى النواة الوظيفية للفعل ، وداخل هذه النواة يقوم هذا المركب بدور المفعول فيأخذ علامة النصب التي تتسرب إلى رأس المركب ، كما في (عرفت اللذين جاءا) و(عرفت أيهم جاء)، بفتح الياء . أما الاستفهامية فهي جملة رأسها هو الفعل، ولا يمكن أن يتسرب الاعراب إلى المركبات الاسمية الموجودة داخلها بموجب مبدأ المحلية الصرفة .

لم أتمكن في هذه العجالة من معالجة الجوانب المتعددة للاشكال الذي طرحته، ولكني أتمنّى أن أكون قد نبهت على ضرورة بناء نحو جديد لوصف اللغة العربية يقوم على أصول ومبادئ جديدة . هذا البناء ، الذي يجب أن يعتمد على الاحتجاج الدقيق وان يستعمل المنهج النقدي لفرز المعطيات ، لا يمكننا فقط من معرفة حاضر اللغة العربية أو ماضيها ، بل له أيضا قيمة استكشافية في تقويم الفكر النحوي العربي القديم نفسه . لمن يزعم من الباحثين أن دراسة اللغة العربية (ولو الحالية) يقتضي الاعتماد على ما قاله القدماء وتوظيف مفاهيمهم ، نقول ان الدراسة العلمية تتطلب نهجا معاكسا ، وان السبيل الوحيد لوصف اللغة القديمة أو الحالية ، وللتفهم العميق للأطروحات القديمة،لا يتم إلا بموضعتها بالنسبة للحاضر .

(10) شرح الكافية ، ج 2 ص 284 .

المراجـع

الاستراباذي رضي الدين ، شرح الكافية ، دار الكتاب العلمية ، بيروت 1976

ابن عقيل ، شرح الألفية ، القاهرة بدون تاريخ .

ابن يعيش ، شرح المفصل ، دار الطباعة المنيرية ، القاهرة بدون تاريخ .

سيبويه ، الكتاب ، بولاق 1938 .

تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة الأنجلو مصرية القاهرة 1958

فريحة أنيس ، نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1973 .

Bohas G. (1979) – Contribution à l'étude de la méthode des grammairiens Arabes en morphologie et en phonologie, thèse de Doctorat d'Etat, Paris III.

Fassi Fehri A. (1980) – Some Complement Phenomena in Arabic, lexical grammar, The complmentizer Phrase Hypothesis and the Non-accessibility Condition, Analyses et Théorie, Fasc. n. 3, Paris VIII.

Fassi Fehri A. (1981) – Complémentation et anaphore en arabe moderne. Une approche lexicale fonctionnelle. Thèse de Doctorat d'Etat, Paris III.

Haj Salah (1979) – Linguistique arabe et luinguistique générale, Thèse de Doctorat d'Etat Paris IV.

Moutawakkil A. (1980) – La théorie du sens chez les linguistes Arabes anciens, thèse de Doctorat, Faculté des lettres Rabat.

محمد عابد الجابري (*)

العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية

لا يتعلق الأمر هنا بتناول العلاقة بين اللغة والفكر من الناحية الفلسفية ــ المنطقية العامة ، ولا من الناحية السيكولوجية ، ولا من الناحية اللسانية السيميائية ... وانما نطمح إلى طرح المسألة في اطار ما يمكن ان نطلق عليه اسم «الايبيستيمولوجيا الثقافية» نقصد بذلك البحث في اساسيات المعرفة ، أي في نظامها وآليات انتاجها ، داخل ثقافة معينة . ونحن في هذا نصدر عن اطروحة تقول بتعدد الثقافات كواقعة اساسية ، وتؤكد على ان كل ثقافة تحمل جنسية اللغة التي تنتجها ، وان نظام المعرفة العام في كل ثقافة لابد أن يختلف ، قليلا أو كثيرا ، عن نظام المعرفة في الثقافات الأخرى ، وان للغة دورا أساسيا في هذا الاختلاف.

وعلى الرغم من اننا لا نصدر عن الدوافع والاهتمامات التي وجهت بعض المفكرين الألمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، سواء منهم الذين اتجهوا بتأملاتهم إلى صياغة نظرية قومية في اللغة أو الذين عالجوا مسألة العلاقة بين اللغة والفكر في اطار الفلسفة الكانتية وامتداداتها ، وعلى الرغم كذلك من أن موضوعنا يختلف تماما عن موضوع الاتنولوجيا اللسانية التي تدرس العلاقة بين اللغة والفكر لدى الشعوب المسماة «بدائية» ، فاننا نتبنى الاطروحة العامة التي يشترك فيها هؤلاء وأولئك ، والقائلة : «**ان منظومة لغوية ما (الشيء الذي يعني ليس فقط مفرداتها**

(*) كلية الآداب ــ الرباط

بل نحوها وتراكيبها) تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم وفي كيفية مفصلتهم له ، وبالتالي في طريقة تفكيرهم»[1] .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فعلى الرغم من الأهمية الكبرَى التي نوليها لدور اللغة العربية في تشكيل الفكرِ العربي وتوجيه آلياته فإننا لا نعتبرها العنصر الوحيد المؤسس له . إننا ننظر إلى ، العقل العربي ، بوصفه نتاج الثقافة العربية الإسلامية التي تأسست على نظم معرفية ثلاثة : نظام معرفي **لغوي** ، عربي الأصل ، ونظام معرفي **غنوصي** هِرْمسي الأصل ، ونظام معرفي **عقلاني** يوناني الأصل .

واذن ، فنحن عندما نطرح هنا العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية ، انما نرمي إلى تسليط الأضواء على أحد النظم المعرفية التي أسست الفكر العربي ، النظام الذي تحمله اللغة التي يمارس هذا الفكر فيها وبواسطتها فعاليته .

ولكن ماذا نعني بـ **«الثقافة العربية»** ؟

اننا نعني بها مجموع التراث الفكري المنحدر الينا من الحضارة العربية الاسلامية في القرون الوسطَى . هذه الثقافة التي تسجل بنفسها بدايتها ومنطلق تشكلها . وليس هذا المنطلق ولا تلك البداية شيئا آخر غير ما اصطلح على تسميته بـ**«عصر التدوين»** ، عصر البناء الثقافي العام في التجربة الحضارية العربية الاسلامية ، العصر الذي يمتد زمنيا ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة ليشكل **الاطار المرجعي للفكر العربي بمختلف ميادينه** . وإذا كان هذا واضحا بالنسبة لعصر التدوين وما بعده فهو أوضح بالنسبة لما قبله ، لاننا لا نعرف شيئا عن الثقافة العربية ، قبل «عصر التدوين» ، إلا ما تم تدوينه في هذا العصر نفسه .

ويجب أن نفهم من «التدوين» هنا ليس مجرد التسجيل والتقييد ، الشيء الذي كان قائما من قبل ، بل يجب أن نفهم منه : **اعادة البناء الثقافي العام** ، بكل ما تنطوي عليه هذه العملية من حذف وزيادة وابراز واخفاء وتلوين وتأويل ... بفعل عوامل ايديولوجية أو سوسيوثقافية مختلفة . في هذا العصر دونت اللغة وشيدت العلوم العربية الاسلامية وترجمت الفلسفة و«علوم الأوائل» إلى العربية .. وقد تم

Cf. Adam Schaff: Langage et Connaissance p.p. 292-293 éd. Anthropos. Paris 1967 (1)

ذلك في تداخل وتشابك مما أضفَى على العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية الاسلامية خصوصية متميزة . وابراز هذه الخصوصية هي موضوع بحثنا .

* * * *

يمكن رصد **خصوصية العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية** على عدة مستويات أهمها : مستوَى المادة اللغوية ونوع الرؤية التي تقدمها عن العالم ، ومستوَى القوالب النحوية وطبيعتها المنطقية ، ومستوَى اساليب البيان العربي وطبيعتها الاستدلالية ، واخيرا مستوَى منهجية البحث العلمي وآلياته الذهنية العربية .

ا – المادة اللغوية : الاعرابي صانع «العالم» العربي

انطلقت عملية جمع اللغة العربية ، كما هو معروف ، في عصر التدوين بعد أن بدأ اللحن يتفشى فيها وسط مجتمع أصبح فيه غير العرب اكثرية كاثرة . ومهما يكن الدافع الحقيقي والحاسم لهذه العملية فان النتيجة هي ان جمع اللغة العربية بالشكل الذي تم به قد ساعد على استمرار التعامل مع القرآن بكيفية مباشرة فهما وتفسيرا ، فضلا عن تزويد المجتمع الاسلامي بلغة ثقافية واحدة قابلة لان تتعلم بطريقة علمية .

وبما أن سبب اللحن كان هو الاختلاط الذي حصل في الحواضر فلقد كان طبيعيا أن تطلب اللغة «الصحيحة» في البوادي ومن القبائل التي بقيت منعزلة وبقي رجالها «الاعراب» محافظين على «الفطرة» و«السليقة» و«سلامة» النطق . وإذا كان جامعو اللغة لم يعتمدوا القرآن اساسا لاحصاء اللغة العربية وتحديد قوالبها واستخراج قواعدها ، فليس ذلك بسبب «التحرز الديني» وحده ، بل أيضا لأن **المطلوب من عملية جمع اللغة كان هو تحصينه من الخارج** ، الشيء الذي يقتضي ايجاد **لغة «ما ورائية»** تكون اطارا مرجعيا له سواء على مستوَى اللفظ أو التعبير أو المعنَى . فكيف تم تشييد هذا الاطار المرجعي ... كيف جمعت اللغة العربية ؟ وما علاقة ذلك بنوع النظرة إلى العالم التي تقدمها لاهلها منذ اربعة عشر قرنا ؟

لا شك في أن عملية حفظ اللغة هي عملية تلقائية تواكب حياة اللغة ، أي لغة . غير أن التجنيد لاحصاء كلمات اللغة لوضع قواميس لها وتحديد قوالبها واستخراج قواعدها هو شيء آخر تماما ، انه «**صناعة**» حسب تعبير ابن خلدون ،

ان الأمر في هذه الحالة يحتاج إلى وضع مقاييس وسلوك طريقة منظمة ، أو من شأنها ان تصبح منظمة مقننة .

بالفعل لقد تحولت رواية اللغة إلى صناعة واحتراف مع بداية القرن الثاني للهجرة حيث ظهر رجال جندوا طاقاتهم المادية والفكرية لهذا الغرض . ومن أبرز هؤلاء أبو عمرو بن العلاء (تـ 154هـ) وحماد الراوية (تـ 155هـ) والخليل ابن أحمد (تـ 170هـ). وكان في مقدمة الشروط التي وضعوها في من تؤخذ منه اللغة أن يكون «خشن الجلد» أي اعرابيا صميما لم يعرف حياة المدينة ولم «تفسدهُ» الحضارة . وكما كان التنافس شديدا من أجل العثور على أكثر الاعراب ايغالا في القفر والعزلة ، كان التنافس أشد على الحصول منهم على **الغريب النادر من اللغة** ، الشيء الذي أدَّى مع مرور بعض الوقت إلى لجوء هؤلاء الاعراب الذين أصبحوا يملكون بضاعة مطلوبة ، وبثمن ، إلى الوضع والكذب ، وهي الظاهرة التي تفشت كثيرا حتَّى أصبحت مقبولة مادام الأمر يتعلق بالفاظ بدوية في مبناها ومعناها ؛ ألفاظ لا تشم فيها رائحة الحضارة[2] .

ما نريد لفت الانتباه إليه هو **ان جمع اللغة من الاعراب** ، **دون غيرهم معناه جعل «عالم» هذه اللغة محدودا بحدود عالم أولئك الاعراب**. ولما كان هؤلاء يعيشون حياة حسية بدائية فلابد أن ينعكس كل ذلك على لغتهم وبالتالي على «العالم» الذي تقدمه اللغة التي جمعت منهم وقيست بمقاييسهم . **ومن هنا لا تاريخية اللغة العربية وطبيعتها الحسية**. ان «العالم» الذي فيه نشأت هو عالم حسي لا تاريخي ، عالم البدو من العرب الذين يعيشون زمنا ممتدا كامتداد الصحراء ، زمن التكرار والرتابة ، ومكانا بل فضاء فارغا هادئا ، كل شيء فيه «ينطق» و«يسمع» كل شيء فيه صورة حسية ، بصرية أو سمعية . هذا العالم هو كل ، أو أهم ، ما تنقله اللغة العربية المعجمية إلى أهلها .

يمكن أن نلمس ذلك بسهولة في المعاجم العربية العامة أو المتخصصة حيث يسود عالم «الاعرابي» سيادة مطلقة . ان الالفاظ والمعاني والاستشهادات

---

(2) أنظر تفصيل ذلك في : الرواية والاستشهاد باللغة ، تأليف محمد عيد . عالم الكتب القاهرة 1976 .

والاستطرادات ، كل ذلك ينقل الينا حياة الاعراب الحسية البسيطة البدائية . ولقد بلغ تقيد واضعي القواميس بعالم «الاعرابي» ان اعتبروا كل كلمة لا ترجع إلى أصل حسي بدوي كلمة «دخيلة» تهمل إذا لم تكن معربة أو تذكر ، في الحالة المخالفة ، مع التنصيص على أنها من «الدخيل». ان معجم «لسان العرب» ، وهو أكبر واضخم معجم عربي ، يكاد يكون ، بالثمانين ألف مادة التي يضمها ، مدونة بل موسوعة لحياة البدوي ، حياة الاعرابي خاصة . وان المرء لا يملك الا ان تأخذ منه الدهشة كل مأخذ حينما يلاحظ أن اللغة العربية الراهنة لا تنقل الينا ، عبر المعاجم القديمة ، اسماء الادوات وأنواع العلاقات التي عرفها المجتمع المدني والمكي على عهد الرسول والخلفاء الأربعة وعرفها مجتمع دمشق ثم بغداد ثم القاهرة ... الخ وهي مجتمعات كانت حضرية راقية تستعمل من الآلات والادوات ما لا يحصَى ، هذا في حين نجد المادة اللغوية البدوية متراكمة ، مع كثرة المترادفات ، إلى درجة جعلت **اللغة العربية المعجمية تتوفر على فائض ضخم من الألفاظ بالنسبة للمعنَى ، ولكن فقط بالنسبة لعالم دون عالم ، عالم البدو دون عالم الحضر.**

والنتيجة هي أن اللغة العربية الفصحَى ، لغة المعاجم والشعر والآداب قد ظلت ، ولازالت ، تنقل إلى أهلها عالما يزداد بعدا عن عالمهم ، عالما بدويا يعيشونه في أذهانهم ، بل في خيالهم ووجدانهم ، يتناقض تماما مع العالم الحضاري ــ الآلي الذي يعيشونه والذي يزداد غنى وتعقيدا . فهل نبالغ إذا جنحنا إلى القول بأن **الاعرابي هو فعلا «صانع» العالم العربي** ، العالم الذي يعيشه العرب على مستوَى الكلمة والعبارة والتصور والخيال ، بل على مستوَى العقل والوجدان ، وان هذا العالم ناقص فقير ضحل جاف ... تماما كالعالم الذي استنسخته اللغة العربية في العصر «الجاهلي»... عصر «ما قبل التاريخ» العربي ؟

ب — القوالب النحوية ، قوالب منطقية

إذا كان «السماع» من الاعرابي قد رسم حدود «العالم» الذي تنقله اللغة العربية لأهلها ، فان «صناعة» اللغويين والنحاة قد قولبت بدورها «العقل» الذي يمارس فعاليته في هذه اللغة وبواسطتها ، العقل العربي الذي تغرسه الثقافة العربية في المنتمين اليها ، واليها وحدها . والواقع **ان «السماع» من الاعرابي لم يكن دوما من أجل**

«**أخذ**» **اللغة ، وانما كان أيضا من أجل «تحقيق» فروض نظرية في اللغة أو النحو** .
وإذا كانت طريقة الخليل في جمع اللغة ووضع معجم لها ، وهي الطريقة التي تبنتها المعاجم العربية كلها مع تعديلات طفيفة ، تقوم فعلا على مبدإ منهجي سليم يكشف عن عبقرية فذة وعقلية رياضية ، فان النتائج العملية التي اسفر عنها تطبيقه في مجال اللغة كانت لها جوانب سلبية تماما . لقد انطلق الخليل في جمع اللغة وتنظيمها من «**الامكان الذهني**» لا من المعطى اللغوي ، ففسح بذلك المجال لصنع اللغة بدل جمعها . بل ان طريقته تنطلق أساسا من وضع اللغة : ان تركيب الحروف الهجائية العربية بعضها مع بعض لصياغة جميع الكلمات الممكنة ، ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ، يمكن أن ينظر اليه على أنه وضع بالجملة للغة العربية . وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها هو وزملاؤه اللغويون من أجل التمييز في هذه المجموعات اللغوية النظريّة ، بين المستعمل والمهمل فلقد كان من الصعب ، بل من المستحيل ، وضع خط فاصل ونهائي بين ما نطقت به العرب وما لم تنطق به ، خصوصا في جو ساد فيه الوَلَعُ بالغريب . لقد كان من الطبيعي ، والحالة هذه أن ينتهي الأمر إلى تحكيم «القياس» بدل السماع ، الشيء الذي جعل اللغة المعجمية لغة الامكان لا لغة الواقع : فالكلمات صحيحة لانها ممكنة وليس لانها واقعية ، وهي ممكنة مادام هناك أصل يمكن أن ترد اليه أو نظير تقاس عليه ، وهي ليست واقعية لان «الفرع» هنا هو في الغالب فرض نظري وليس معطى من معطيات الاستقراء أوْ التجربة الاجتماعية .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان اعتماد الاشتقاق وخاصة ما سمي بـ «الاشتقاق الكبير» قد نتج عنه **تكريس النظرة التي تنطلق من اللفظ إلى المعنَى** ، وإذا لاحظنا ان الالفاظ التي تنطلق منها عملية الاشتقاق هي افعال ادركنا كيف ان هذه النظرة التي تنطلق من اللفظ إلى المعنَى ستنطلق كذلك **من الفعل «الأصل» إلى المشتقات** . والاسماء المشتقة هذه لا تخضع في عملية اشتقاقها للسماع بل لقد تم وضع اوزان لها هي في الواقع قوالب منطقية .

هذا والجدير بالملاحظة ان هذه الاسماء المشتقة ــ أو مقولات النحاة ــ تتمايز فيما بينها بالاصاتة : وهكذا فـ «فاعل» (الألف) للفعل كقاتل ، و«مفعول» (الواو)

للانفعال كمقتول ، و«فعيل» (الياء) للفعل كشريف أو للانفعال كقتيل ، و«فعَّال» (الشدة والألف) للفعل مع الكثرة كقتال ، و«أفعل» (الهمزة) للتفضيل كاحسن .. الخ . وهكذا يمكن القول ان **الصورة الصوتية هي التي تعطي لهذه المشتقات دلالتها المنطقية**. فالسامع يحدس من خلال الصورة الصوتية هذه ، هيكل المعنَى حتَّى ولو كان يجهل معنَى اللفظ جهلا تاما . ان قالب اسم الفاعل مثلا يعطيك معنَى الفاعلية في كلمة «لازص» دون أن تكون على معرفة سابقة بمعنَى مادة «لزص» وهو لفظ لا معنَى له في العربية ، أي لم يسجل في القاموس لكونه اعتبر من المهمل . ومع ذلك فهو يحمل شيئا من المعنَى ، وفي العربية بالذات ، لأنه يدل على من فعل «الزص» (؟) أو قام به ، تماما مثلما تدل كلمة «ضارب» على من فعل «الضرب» وكلمة «جائع» عَلَى من قام به الجوع ، فاسم الفاعل اذن مقولة منطقية إلى جانب كونه قالبا نحويا ، ومثله في ذلك جميع الاسماء المشتقة من الفعل وهي المصدر واسم المرة واسم الهيئة واسم المكان واسم الزمان واسم الآلة واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل وأمثلة المبالغة .

وانه لما قد لا يخلو من فائدة أن يعمد المرء إلى مقارنة هذه القوالب النحوية المنطقية العربية بمقولات أرسطو التي يمكن اعتبارها ، على الأقل من وجهة نظر بعض الباحثين القدماء والمعاصرين ، مرتبطة باللغة اليونانية ان لم تكن قد استخلصت منها . وهكذا فان أخذنا بعين الاعتبار كون الجملة — وبالتالي التفكير — في اللغة اليونانية واللغات الآرية عموما ، تنطلق من الاسم ، وان اللغة العربية ، واللغات السامية بكيفية عامة ، تنطلق ، على العكس من ذلك ، من الفعل ، أمكن وضع الجدول التالي على أساس التقابل بين «**الجوهر**» وما يحمل عليه في منطق أرسطو ، وبين «**الفعل**» وما يشتق منه في النحو العربي[3] .

(3) هناك من يقارن بين مقولات أرسطو وصيغ الفعل في اللغة العربية كفعل وانفعل وتفاعل انظر بحث :

Taha Abderrahmane : Langage et philosophie p. 46 Publications de la Faculté des Lettres – Rabat 1979

عند أرسطو	عند النحاة العرب
الجوهر	الفعل
الكم	اسم المرة أمثلة المبالغة
الكيف	اسم الهيئة الصفة المشبهة أفعال التفضيل
الاضافة	؟
المكان	اسم المكان
الزمان	اسم الزمان
الوضع	؟
الملكية	؟
الفعل	اسم الفاعل
الانفعال	اسم المفعول
؟	المصدر
؟	اسم الآلة

من تأمل هذا الجدول نسجل الملاحظات التالية :

1 — ان خلو لائحة المشتقات العربية (مقولات النحاة) من مقابل لمقولات الاضافة والوضع والملكية يمكن تفسيره بكون الأصل الذي وقع عنه الاشتقاق هو الفعل ، والمقولات المذكورة لا يتعلق بالفعل ولا يمكن تعليقها به ؛ وبالتالي فلا معنًى لها إلا إذا وضعنا الاسم — الجوهر — كمعطى أول . ولكن الا يمكن ربط هذا بمجال التفكير المجرد ؟ لنكتف بالاشارة هنا إلى أن كثيرا من القضايا الميتافيزيقية التي كانت موضوع نزاع بين المتكلمين والفلاسفة لها علاقة بغياب مقولات الاضافة والوضع والملكية من المشتقات النحوية العربية . ان المتكلمين الذين كانوا يصدرون عن تفكير يتخذ اللغة العربية سلطة مرجعية وحيدة لم يستسيغوا قط حمل هذه المقولات على الانسان لأن النصوص الدينية ، في نظرهم ، تمنع عن ذلك ، ان مقولات الاضافة والوضع والملكية لا تحمل ، في نظرهم ، على الانسان الا على

سبيل المجاز ، فالانسان لا يملك وانما المالك هو الله . وما يضاف إلى الانسان ليس له على الحقيقة ، لأن الفاعل على الحقيقة هو الله وحده ، وكذلك الشأن في الوضع فهو من عند الله .

2 — وبالمثل فخلو مقولات أرسطو مما يقابل المصدر واسم الآلة في لائحة المشتقات العربية يمكن تفسيره بكون اسم الآلة يدل على آلة الفعل والمصدر على الحدث ، أي الفعل بدون زمان وبالتالي فلا معنًى لحملها على الجوهر. ولكننا إذا ربطنا هذا بمجال الفكر المجرد وجدنا ان خلو مقولات أرسطو مما يقابل المصدر في لائحة المشتقات النحوية العربية له دلالة خاصة . ذلك أن المصدر عند النحاة هو ما يدل على فعل بدون زمان ، هذا في حين أن العقلية اليونانية لا تستسيغ حدوث شيء خارج الزمان ، فالزمان والفعل متلازمان ومن هنا قدم العالم وقدم الزمان . اما التصور العربي فهو يقبل الفصل بين الفعل والزمان ومن هنا القول بحدوث العالم وان الله خلقه «لا في زمان» .

3 — ان اشتقاق اسم الزمان واسم المكان ، في لائحة النحاة ، من الفعل يشير إلى ارتباطها به ، فالزمان زمن الفعل والمكان مكان وقوعه ، وبالتالي فهما يقومان ، كالفعل تماما ، على **الانفصال** ، لا على الاتصال . ومن هنا فكرة الخلق المستمر عند المتكلمين ، ومن هنا أيضا تصورهم للزمان والمكان على انهما اجزاء (قارن فكرة «الجوهر الفرد» بالنسبة للمكان ، وفكرة «الحركة لا تبقَى زمانين» بالنسبة للزمان) .

4 — وأخيرا ، وليس آخرا يمكن القول ان الانطلاق من «الجوهر» وحمل باقي المقولات عليه يجعل الجملة ، وبالتالي التفكير ، **تنطق بحكم** في حين أن الانطلاق من «الفعل» واشتقاق الاسماء منه يجعل الجملة **تبين من صدر الفعل** منه أو قام به أو ارتبط معه نوعا من الارتباط . ويجب أن لا يلتبس علينا هنا كون البصريين يقولون بان أصل المشتقات هو المصدر لا الفعل كما يقول الكوفيون . فعلاوة على أن الكوفيين كانوا المعبرين الحقيقيين عن طبيعة اللغة العربية ، فان المصدر «النحوي» لا يعادل بحال من الحال الجوهر «المنطقي» . ان المصدر عند النحاة هو فعل ، ولكنه فعل بدون زمان ، أي مجرد حدث ويجب الا يلتبس علينا كذلك أمر الجملة الاسمية في العربية فهي ليست عبارة عن موضوع ومحمول ، كما في المنطق الأرسطي ، بل هي عند النحاة العرب **مبتدأ**

وخبر، فالأمر لا يتعلق هنا بحمل معنًى من المعاني على موضوع أي باصدار حكم ، بل يتعلق الأمر فقط بالاخبار عن اسم وقع الابتداء به في الكلام وهو في الأصل فاعل صدر منه الفعل أو قام به ، فهو متأخر عنه اصالة (محمد قائم = قام محمد). وبعبارة أخرى **ان الأمر يتعلق في الجملة العربية ، اسمية كانت أو فعلية ، باصدار بيان ، لا باصدار حكم كما هو الحال في الجملة اليونانية وفي اللغات الآرية بكيفية عامة**.

والجدير بالتنويه هنا أن النحاة العرب كانوا على وعي تام بهذا الاختلاف ، بل التعارض ، بين المنطق اليوناني والنحو العربي ، وانهم **كانوا ينظرون إلى منطق أرسطو كنحو للغة اليونانية وإلى النحو العربي كمنطق للغة العربية** . وهذا ما يعكسه بوضوح موقف أبي سعيد السيرافي النحوي في المناظرة الشهيرة التي جرت بينه وبين أبي بِشْر متَّى بن يونس المنطقي في بغداد سنة 326هـ بمجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات[4] . ان المنطق في نظر أبي سعيد السيرافي «وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها» وبالتالي فهو لا يلزم سوَى اليونانيين ، ولذلك يخاطب متَّى ابن يونس قائلا له : «اذن لست تدعونا إلى علم المنطق ، انما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية» لان المنطق ، منطق أرسطو ، هو نحو تلك اللغة مثلما ان النحو العربي هو منطق اللغة العربية . وبعبارة أخرى : «**النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية ، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة**». ومن هنا كان استعمال المنطق الأرسطي ، مصطلحاته ومفاهيمه ومقتضياته ، في اللغة العربية ، وبعبارة أخرى تطبيقه فيها أو عليها بمثابة «**احداث لغة في لغة مقررة بين أهلها**»، وهذا بدون شك مثار للبس والخلط . ويعترض السيرافي على متَّى الذي أراد أن يميز بين النحو والمنطق على أساس أن الأول يبحث في الألفاظ وأن الثاني يبحث في المعاني ، يعترض عليه بكون هذا التميز مصطنع ولا يقوم على أساس : ذلك «لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والافصاح والاعراب والإبانَة والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتمني والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب

(4) انظر نص المناظرة في : الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة» وانما كان يصح الفصل بين اللفظ والمعنَى وبالتالي بين النحو والمنطق، «لو أن المنطقي كان يسكت ويجيل فكره في المعاني ويرتب ما يريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحدس الطارئ، فاما وهو يُريغُ أن يبرر ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر فلابد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده ويكون طباقا لغرضه وموافقا لقصده».

وعلى الرغم من أن المنطق الارسطي قد تسرب، في المراحل اللاحقة، بشكل واسع إلى العلوم العربية الاسلامية، وبكيفية خاصة إلى النحو والفقه والكلام، فلقد ظل كثير من المشتغلين بهذه العلوم يشعرون وكان الأمر يتعلق فعلا «باحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها»، فلم يترددوا في الاعلان عن أن هذا التداخل بين اللغتين – المنطقين هو السبب في كثرة المذاهب والنزاعات في الثقافة العربية الاسلامية، ينسب السيوطي إلى الشافعي قوله: «**ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس**» ثم يعلق على ذلك قائلا: «**ما حدث في زمن المامون من القول بخلق القرآن ونفي الرؤية وغير ذلك من البدع – انما – سبيلها الجهل بالعربية والبلاغة الموضوعة فيها ... وتخريج ذلك على لسان يونان ومنطق أرسطو طاليس الذي هو في حيز ولسان العرب في حيز**»[5]. نعم، قد لا يكون السيوطي يتحدث بدافع منطقي فقط، ولكن مع ذلك فلا أحد يستطيع أن يجادل في أن الخلافات الكلامية في الثقافة العربية الاسلامية كانت ترجع، في قسم منها على الأقل، إلى أن «المتكلمين» كانوا يتكلمون لغات مختلفة، ولو انهم جميعا كانوا يتحدثون بالعربية. لقد كان بعضهم يتحدث بمنطق «مسلوخ من العربية» في حين كان آخرون يتحدثون بمنطق لغة أخرى منقول إلى العربية. اما الجهل بـ«البلاغة الموضوعة» في اللغة العربية، حسب تعبير السيوطي، فلقد كان حقا مدعاة ليس فقط للاختلاف، بل أيضا لسوء الفهم، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالنص القرآني الذي اعتمد «سحر البيان» وسيلة للاقناع وطريقة للبرهان.

---

(5) جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام ... جـ 1 ص 47 دار النهضة للطباعة القاهرة 1970.

ج – أساليب البيان العربي ، وطبيعتها الاستدلالية

إذا كانت القوالب النحوية في اللسان العربي ، عبارة عن مقولات ، أو تتضمن معنَى المقولات ، **فان أساليب البيان العربي** ، بتعبير السيوطي «البلاغة الموضوعية» في اللغة العربية ، **تقوم في الخطاب العربي مقام «البرهان» في الخطاب «المنطقي»** وهذا ما كان يعيه البلاغيون العرب تمام الوعي . يقول السكاكي «ان من اتقن أصلا واحدا من علم البيان كاصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب اطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل»[6] ويشرح السكاكي كيف «أن صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ... يسلك في شأن متوخاه مسلك صاحب الاستدلال» : فيقول : «فوحقك إذا شبهت قائلا : خدها وردة ، تصنع شيئا سوَى أن تلزم الخد ما تعرفه يستلزم الحمرة ، فيتوصل بذلك إلى وصف الخد بها ، أو هل إذا كنيت قائلا : فلان جَمٌّ الرماد ، تثبت شيئا غير أن تثبت لفلان كثرة الرماد المستتبعة للْقِرَى ، توصلا بذلك إلى اتصاف فلان بالمِضْيَافِيَّة عند سامعك»[7] ومن هنا يرَى السكاكي «ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني» من جهتين : «جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم» وهو المجاز «كما تقول رعينا غيثا والمراد لازمه وهو النبت»، و«جهة الانتقال من لازم إلى ملزوم» ، وهو الكناية «كما تقول فلان طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد»[8] .

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين المعاصرين يؤاخذون السكاكي على مزجه الحديث عن البيان وهو فرع من علم البلاغة بالاستدلال الذي هو أحد اقسام المنطق ، فاننا لا نرَى مبررا لمثل هذه المؤاخذة اللهم إلا إذا كان المرء يصدر عن تصور يفصل بين الخطاب المنطقي والخطاب البلاغي كما هو الشأن عند أرسطو . اما عندما ينظر المرء إلى الخطاب العربي كما هو – لا كما يمكن أن يقرأ من منظور يتخذ أرسطو سلطة مرجعية له. بل عليه – فانه سيجد ان له منطقا خاصا هو بالذات اساليبه البلاغية . ونحن نعتقد أنه إذا كان السكاكي أو غيره من البلاغيين المتأخرين قد قرأوا البلاغة العربية ، نقصد أساليب البيان العربي ، قراءة منطقية فلانهم

(6) أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ص 182 دار الكتب العلمية بيروت .
(7) نفس المرجع ص 213
(8) نفس المرجع ص 141

اكتشفوا طابعها المنطقي وليس لانهم كانوا «يقحمون» المنطق في غير ميدانه . وإذا كان هناك من تدخل لمنطق «أجنبي» فهو ينحصر في طريقة عرض المادة وتنظيمها .

والواقع أن نشأة علم البلاغة في الثقافة العربية الاسلامية كان ، مثله مثل العلوم العربية الأخرى ، **بدافع حاجة داخلية في هذه الثقافة نفسها** ولم يكن بسبب تأثير خارجي ، لقد كان تحليل الخطاب البلاغي العربي يرمي إلى الكشف عن منطقه الداخلي بهدف استثمار النص القرآني في مجال الشريعة والعقيدة معا . فمن جهة كان لابد لاستنباط الاحكام الشرعية من القرآن من المعرفة المنظمة «المقننة» باساليبه في التعبير ، ومن جهة ثانية كان لابد لمواجهة المنكرين لاعجاز القرآن من بيان وجوه هذا الاعجاز . والحق أن تأسيس البلاغة كعلم من العلوم العربية الاسلامية انما يرجع الفضل فيه إلى المتكلمين الأوائل ، وخاصة المعتزلة ، الذين كان عليهم أن يواجهوا خصوما ركزوا على انكار اعجاز القرآن ضدا على الاسلام والعرب جميعا (الزنادقة والشعوبيون) فكان لابد من الكشف عن «دلائل الاعجاز» في الكلام العربي وبيان «أسرار البلاغة» فيه، وذلك ما تصدى له البلاغيون الأوائل الذين حللوا الخطاب العربي البليغ من داخله ، أي من دون أن يتخذوا من أرسطو أو غيره اطارا مرجعيا لهم ، فكانت النتيجة انهم شيدوا «القسم الثاني» من المنطق العربي (منطق اللغة العربية) بعد ان كان النحاة قد انتهوا من تشييد «القسم الأول» منه . لقد بدأ النحاة بتقنين الخطاب العربي وتحديد مقولاته وقوالبه المنطقية ، وهاهم علماء البلاغة يتممون عملهم ببيان وجوه الاعجاز في نفس الخطاب ، أي الكشف عن آلياته في البيان والبرهان . فما هي هذه الآليات اذن ؟ وبعبارة أخرى علام تقوم البلاغة — وبالتالي الاعجاز والاقناع والبرهان — في اللغة العربية ؟

يجمع علماء البلاغة على **أن أساليب البيان في اللسان العربي ترجع كلها إلى التشبيه** . فـ«التشبيه جارٍ كثيرا في كلام العرب حتَّى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم ، لم يَبْعُد» ، «وهو باب كانه لا آخر له» (المبرد)(9) و«قد جاء من القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان» (العسكري)(10) فهو «من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة عندهم .

(9) المبرد : الكامل ج 3 ص 818

(10) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ص 231 — 234
عيسَى الحلبي ، القاهرة 1952

وكلما كان المشبه (بالكسر) في تشبيهه الطف كان بالشعر أعرف ، وكلما كان بالمعنَى أسبق كان بالحذق اليق» (ابن وهب)[11] وبعبارة قصيرة : «التشبيه تعرف به البلاغة» (الباقلاني)[12] و«هو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني» (السكاكي)[13] .

ويشرح الجرجاني سر الاعجاز في التشبيه عندما يستوفي شروطه البيانية البلاغية ، فيقول : «وانها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق ، الذي يلطف ويدق ، في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة ، ويعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشبكة ، وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لكونهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج اليه غيرهما ، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما في هذا المعنَى ما لا يحتكم ما عداهما ، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة ايجاد الائتلاف في المختلفات» ثم يضيف «واعلم أني لست أقول لك متَى الفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت واحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد ، وبعد شرط : وهو ان تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الامر شبها صحيحا معقولا وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهبا واليهما سبيلا»[14] .

«الجمع بين المختلفين في الجنس ... والتأليف السوي بينهما» ذلك هو سر البلاغة العربية ، وذلك هو ميكانيزم البيان والبرهان في الخطاب العربي . والحق اننا إذا نظرنا إلى القصيدة العربية في الجاهلية ، وبالتالي «ديوان العرب» وجدناها عبارة عن سلسلة منفصلة الحلقات ، تقدم كل حلقة فيها صورة «فنية» تجمع بين مختلفين في الجنس وتحاول التاليف السوي بينهما ، اما على هيئة تشبيه واما على هيئة استعارة أو كناية ، وهما في الأصل تشبيه . ومن دون شك فان بناء القصيدة على «**الانفصال**» (= استقلال كل بيت بنفسه) من جهة ، وبناء البيت الواحد على تشبيه أو ما يؤول

---

(11) ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ص 130 منشورات جامعة بغداد .
(12) الباقلاني : اعجاز القرآن ، دار المعارف القاهرة 1954 .
(13) السكاكي نفس المرجع ص 161
(14) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص 127 ــ 130 تحقيق رشيد رضا .

اليه من جهة أخرى ، يجعل الصورة التي تقدمها القصيدة العربية عن العالم : عالم الطبيعة وعالم الوجدان ، **عبارة عن مشاهد منفصلة متتالية كل مشهد منها ينسي الآخر أو يلغيه** ، **والغالب** ، بل ان هذا هو السائد ، **ان تكون هذه المشاهد حسية** . ذلك ان التشبيه انما يستهدف الانتقال بالمخاطب من المعقول إلى المحسوس ، مما يجعل «البرهان» عبارة عن قياس يلحق فيه المجهول بالمعلوم عبر صفة أو حالة أو شبه ما . ان هذه الطبيعة «البرهانية» للتشبيه قد جعلت العرب لا يستسيغون تشبيه شيء بما هو غير مألوف أو غير حسي ، وفي هذا الصدد يحكي الجاحظ أن العرب اضطربوا في قوله تعالى : «انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين». فقالوا ان رؤوس الشياطين غير معروفة ولا محسوسة فكيف يمكن أن تشبه بها شجرة الجحيم ؟ ولذلك زعم بعضهم ان «رؤوس الشياطين» اسم لنبات ينبت في اليمن ، اي انهم جعلوه حسيا حتّى يستقيم التشبيه والقياس ، وبالتالي البيان والبرهان .

وتبلغ آلية البيان والبرهان في الخطاب العربي قمتها في القرآن ، وفي الصور المكية بكيفية خاصة . وإذا كان المتكلمون قد التمسوا لاعجاز القرآن وجوها أخرى غير الوجه البلاغي قصد اعطائه طابعا كليا ينسحب على جميع الناس عربا كانوا أو غير عرب ، وذلك بالقول مثلا انه تضمن اخبارا بالغيب ، وإذا كان الباحثون المعاصرون يسلكون نفس مسلك المتكلمين القدماء فيلتمسون للاعجاز القرآني وجوها جديدة يستوحونها من المشاغل المعاصرة كابراز ما فيه من «العلوم الكونية» أو من «تشريع محكم»... الخ فان الاعجاز في القرآن كان ، أولا وقبل كل شيء ، اعجازا بيانيا ، أي ظاهرة لغوية ، يلاحظ أحد الدارسين المعاصرين للقرآن ان ما واجهت به الدعوة المحمدية في أول أمرها مشركي مكة لم يكن «الاخبار بالغيب» ولا «التشريع المحكم» ولا «العلوم الكونية»، فالآيات التي نزلت في تلك الفترة لم تكن تشتمل على شيء من ذلك ، وانما واجهتهم بما قالوا عنه : «ان هذا الا سحر مؤثر»، وليس هذا «السحر المؤثر» شيئا آخر غير «التصوير الفني» الذي يقوم على «التخييل الحسي والتجسيم» «تجسيم المعنويات المجردة وابرازها اجساما أو محسوسات على العموم» ويضيف الباحث المشار اليه قائلا : «لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وابرازها في صورة

حسية ، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية والقصص المروية والأمثال القصصية ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب والنماذج الإنسانية كأنها كلها حاضرة شاهدة بالتخييل الحسي الذي يفعمها بحركة متخيلة»[15] .

الاعجاز البلاغي ، أو البرهان البياني ، في الخطاب العربي يقوم اذن على نوع من «القمع» الايبيستيمولوجي قوامه التأليف بين المختلفات بواسطة مشاهد حسية ناطقة تخفي الاختلاف وتظهر الائتلاف وتترك للمخاطب مهمة استخلاص المعنَى بنفسه بعد أن توحي له به ايحاء وتوجهه إليه توجيها مما يصرفه عن المناقشة والاعتراض. وفي أحيان كثيرة يرتفع هذا «القمع» الايبيستيمولوجي إلى درجة «الافحام» وذلك عندما يقذف صاحب الخطاب سامعه أو قارئه بوابل من التشبيهات التي تعرض سلسلة متوالية من الصور والمشاهد الحسية التي تنتقل بالذهن من فكرة إلى أخرى دون أن تترك له فرصة لِوَضْعِ الفكرة موضع السؤال .

وغني عن البيان القول ان هذا «القمع» الايبيستيمولوجي الذي يقوم عليه برهان البيان العربي انما يرجع في قسم كبير منه إلى طبيعة اللغة العربية ذاتها : فعلاوة على مادتها اللغوية المرتبطة بالحس ارتباطا يقرن كل معنًى مجرد بتجربة حسية (العقل من عقل البعير والسبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر والقاعدة من القعود ... الخ)، وعلاوة على القوالب النحوية التي تلعب الصورة الصوتية دورا كبيرا في تحديد هيكلها المنطقي ، كما بينا قبل ، لابد من الاشارة هنا إلى أن **البلاغة العربية** ، وبالتالي هذا القمع الايبيستيمولوجي الذي يعتمده البرهان البياني ، انما تقوم على الاخلال بالتوازن بين الالفاظ والمعنَى ، فتارة تكون الألفاظ في العبارة أقل من المعنَى بحيث تترك للسامع مهمة تكميله من عنده وتارة يكون العكس بان يصاغ المعنَى الواحد عبر عدة ألفاظ داخل العبارة الواحدة فيجد السامع نفسه امام فائض من الالفاظ يقدم نفسه كتعويض عن فقر المعنَى وهذا ما كان البلاغيون العرب على وعي تام به ، يقول الجرجاني : الاستعارة «عنوان مناقبها انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ»[16] وهذا يعني أن على السامع أن يقوم بدور

(15) سيد قطب : التصوير الفني . ص 16 ، وأيضا ص 192 – 194 . دار الشروق . بيروت .

(16) الجرجاني : أسرار البلاغة ، نفس المرجع ص 33 .

أساسي في انتاج المعنَى ، فكأن الالفاظ مجرد رموز يجب تأويلها. هذا من جهة ومن جهة أخرى يقول ابن وهب «وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم» ثم يضيف : «وليس هذا في لسان غير لسانهم ، فهم يعبرون عن المعنَى الواحد بعبارة كثيرة ربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره وربما استعملوا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجازي»[17] . والتعبير عن المعنَى الواحد بعبارات كثيرة يرجع ليس فقط إلى وجود فائض من الالفاظ بالنسبة للمعاني بل أيضا إلى قلة أو انعدام المفاهيم المجردة كما لاحظنا قبل .

ومهما يكن ، وسواء تعلق الأمر بأداء الكثير من المعنَى بالقليل من اللفظ أو بشحن الكثير من الألفاظ من أجل اداء القليل من المعنَى ، فان السامع أو القارئ يجد نفسه في كلتي الحالتين امام **خطاب يصرفه عن ملاحقة العلاقة بين المعاني وبالتالي يصرفه عن التفكير المنطقي ويدفعه دفعا إلى الانشغال بالعلاقة بين الألفاظ وبين المعنَى وبالتالي بالبيان اللغوي . ومن هنا كان الخطاب العربي ذا طبيعة لغوية بيانية وليس ذا طبيعة فكرية منطقية .**

هناك جانب آخر لا يقل أهمية من الجوانب السابقة يجب ابرازه الآن ، ويتعلق الأمر بالطبيعة الاستدلالية لاساليب البيان التي تحدثنا عنها قبل . يقول الجرجاني «اما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس»[18] . نعم «**التشبيه قياس**» ، بمعنَى أن التشبيه وما يتفرع عنه من تمثيل واستعارة وكناية هو من الناحية المنطقية قياس يقوم على الحاق شيء بآخر لجامع بينهما . ولكن يبدو أن الأمر من الناحية «التاريخية» في الثقافة العربية هو على العكس من ذلك ، إذ ربما كان من الأصوب القول : «**القياس تشبيه**» بمعنَى أن القياس الذي كان ولا يزال يشكل الفعل العقلي المنتج للمعرفة في الفكر العربي ، كما سنوضح في الفقرة التالية ، انما هو توظيف على صعيد التفكير المنطقي لنفس الآلية التي يعتمد عليها البيان العربي : آلية التشبيه . وإذا صح هذا ، ونحن لا نرَى ما يطعن في ذلك فان جِينْيَا لُوجيَا — أو علم أصول — التفكير العربي يجب البحث عنها في اللغة العربية وفيها وحدها . والحق ان الأمر لكذلك بالفعل ، والفقرة التالية تقدم مزيداً من التوضيحات .

(17) ابن وهب : نفس المرجع ص 142
(18) الجرجاني : نفس المرجع ص 15

د – البحث العلمي وآلياته الذهنية (العربية)

لقد نشأت العلوم العربية الاسلامية في تداخل وتشابك مع عملية تقعيد اللغة ، أي مع عملية استثمار كلام العرب من أجل صياغة العلاقات بين عناصره في قواعد وكان ذلك ، في نظرنا ، أول عمل علمي مارسه العرب . ان هذا يعني أن العلوم اللاحقة أو المواكبة لعلوم اللغة ستستمد تقنياتها من هذا العلم الرائد : النحو . بالفعل لقد كان القياس النحوي هو أساس القياس الفقهي والاستدلال الكلامي . ان الشافعي مؤسس علم أصول الفقه لم يخترع القياس اختراعا ، بل أخذه عن النحاة الذين سبقوه إلى ممارسته بوعي أي بوصفه طريقة معينة في انتاج الاحكام وتعميمها . مارسه الخليل بن أحمد المتوفى سنة 170هـ ومارسه تلميذه سبويه وقد توفي سنة 180هـ ومعلوم أن الشافعي قد عاش بعدهما ، فهو لم يؤلف رسالته في أصول الفقه إلا سنة 198هـ وعاش إلى سنة 204هـ . أضف إلى ذلك ان رسالته تلك كان قد سماها «الكتاب» وهو نفس الاسم الذي اختاره سبويه لمؤلفه الشهير في النحو ، أو على الأقل كان هذا هو اسمه ، فكأن الشافعي ، اذن ، اراد أن يقوم في ميدان الفقه بمثل العمل الذي قام به سبويه في مجال النحو ، فكان لابد ان يفكر بنفس الطريقة وبنفس الجهاز الايبيستيمولوجي اللذين استعملها النحاة ، وقد كان يعيش بينهم لمدة من الزمن يشاركهم مناقشاتهم وخصوماتهم . ولعل مما له دلالة خاصة في هذا الصدد ان رسالة الشافعي في أصول الفقه تبدأ بفصل عنوانه : كيف البيان ؟ بل إن الرسالة باجمعها تكاد أن تكون بحثا في الطريقة التي يجب اتباعها لفهم النصوص الدينية أي لاستثمارها فقهيا . وهل أصول الفقه شيء آخر غير هذا ؟ نعم لقد قنن الفقهاء القياس وطوروه ، ولكن يجب ان لا ينسينا هذا ان الميدان الذي نشأ فيه وتبلور كطريقة في انتاج المعرفة هو ميدان النحو ، وانه بالتالي سيظل مشدودا ، على الأقل في مراحله الأولى ، إلى آليات العمل في اللغة وتقنياته .

اما في علم الكلام فلقد كان ، في مراحله الأولى خاصة ، علما «لغويا» أي «كلاما» في النصوص. ان التوفيق بين العقل والنقل ما كان يمكن أن يمارس بدون نص ، أو ليس النقل هو النص بذاته ؟ ، هنا أيضا سيمارس النحو ، والابحاث البلاغية بكيفية عامة تأثيرا عميقا في طريقة المتكلمين ، «طريقة المتقدمين» منهم

بصفة خاصة . ان الاستدلال بالشاهد على الغائب ، وهو البرهان الكلامي على الاطلاق ، هو نفسه قياس الغائب على الشاهد عند النحاة والفقهاء ، بل لعل منهج المتكلمين في القياس أقرب إلى منهج النحاة منه إلى منهج الفقهاء وبكيفية خاصة من حيث الاحالة إلى الحس عند التعليل . يقول ابن جني : «اعلم ان علل النحويين ، وأعني حذاقهم المتقنين لا الفافهم المستضعفين ، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين ، وذلك انهم يحيلون إلى الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقهاء»[19] . وإذا كان احتجاج النحاة بكلام العرب امرا طبيعيا ، وإذا كان رجوع الفقهاء إلى اللغة من أجل الوقوف على معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة في عملية استثمار النصوص الدينية فقهيا ، أمرا مفهوما كذلك ، فان المثير للانتباه حقا هو احتكام المتكلمين إلى اللغة واتخاذهم لها سلطة مرجعية في تحديد المفاهيم الميتافيزيقية . من ذلك ، وهذا مجرد مثال واحد من عدد لا يحصَى ، قول أبي يعلى الحنبلي : «واما الجسم فهو المؤلف من الجوهر وكل مؤلف جسم ، وكل جسم مؤلف خلافا للفلاسفة والمعتزلة في قولهم : حد الجسم انه الطويل العريض العميق ، **والدلالة عليه ان أهل اللغة استعملوا لفظة المبالغة في الجسمين فقالوا هذا جسم وذاك اجسم ورجل جسيم إذا كثرت أجزاؤه**»[20] .

وإذا كنا قد أبرزْنا هنا أسبقية البحث اللغوي في تأسيس طريقة الفقهاء والمتكلمين فان هذا لا يعني أن التأثير كان من جانب واحد . كلا ، ان تأثير الفقهاء والمتكلمين على النحاة المتأخرين واضح جدا ، ويكفي ان يلاحظ الانسان كيف عمد فلاسفة النحو ، أعني الذين ألفوا في «أصول النحو» ، إلى استنساخ علم أصول الفقه ، إذ تبنوا مفاهيمه الايبيستيمولوجية ونسجوا على منوال هيكله العام . كما ان من الأمور المثيرة للانتباه لجوء فلاسفة النحو هؤلاء إلى اقحام كثير من مفاهيم علم الكلام في ابحاثهم النحوية ، مثل مفهوم «الحركة» و«العرض» و«العلة» الخ ... ومع ذلك كله فلقد ظل الطابع اللغوي مهيمنا على هذه العلوم جميعها ليس فقط لأن البحث المنهجي في اللغة كان المؤسس لكل منهجية لاحقة ، بل أيضا لأن موضوع البحث ، سواء في الفقه أو الكلام كان دوما النص .

---

(19) ابن جني : الخصائص ، ج 1 ، ص 48

(20) أبو يعلى الحنبلي . كتاب المعتمد في أصول الدين ، ص 36 ، دار المشرق ، بيروت .

والواقع ان العلوم العربية الاسلامية على اختلاف اسمائها وتباين أهدافها تبدو من الناحية الايبيستيمولوجية كعلم واحد مهمته **استثمار النصوص**. فسواء تعلق الأمر بالعلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه والكلام أو بالعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة فان مادة البحث هي دوما النص . وإذا تذكرنا ان طبيعة الموضوع في البحث العلمي هي التي تحدد نوعية المنهج وبالتالي طريقة التفكير ، آلياته وأدواته الذهنية ، وإذا تذكرنا كذلك ان هذه العلوم كانت أول نشاط علمي مارسه العقل العربي وأنَّها ظلت الميدان الرئيسي لانتاج واعادة انتاج المعرفة في الثقافة العربية الاسلامية ، ادركنا إلى أي مدَى سيكون «العلم العربي» — علم استثمار النصوص — موجها بل مؤسسا لآليات التفكير وانتاج المعارف في الذهن العربي ، وبالتالي إلى أي مدَى **سيكون النص ، أي اللغة ، سلطة مرجعية ، لا شعورية ولكن قاهرة ، للعقل العربي** .

* * * *

لقد انطلقنا في هذا البحث من اطروحة عامة تقول بان اللغة تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم ، وفي كيفية مفصلتهم له وبالتالي في طريقة تفكيرهم . ولعل الصفحات الماضية قد أظهرت بما فيه الكفاية صحة هذه الاطروحة على الأقل بالنسبة للغة العربية . لقد أوضحنا كيف أن الرؤية التي تقدمها اللغة العربية لأهلها عن العالم من خلال مفرداتها كما جمعت في عصر التدوين ، تستنسخ إلى حد كبير عالم ذلك الاعرابي البدوي الموغل في القفر ، البعيد عن الحضارة والتحضر ، عالم الصحراء بحيواناته وادواته ورتابته وطابعه الحسي اللاتاريخي ، كما أوضحنا ، من جهة أخرى كيف ان اللغة العربية بقوالبها النحوية المنطقية واساليبها البيانية البرهانية تحدد إلى درجة ما طريقة التفكير ، طريقة الاقناع والاقتناع في الفضاء اللغوي — الفكري العربي . وأخيرا ابرزنا وحدة المنهج في العلوم العربية الاسلامية وارتباطها بالبحث اللغوي ومنهاجه القياس : قياس جزء على جزء ، قياس غائب على شاهد .

ولكننا أشرنا في بداية هذا البحث كذلك إلى أن النظام المعرفي الذي تؤسسه اللغة العربية ليس إلا واحدا من النظم المعرفية الثلاثة المؤسسة للثقافة العربية الاسلامية ، فهل يمكن القول أن الاختلافات الأساسية داخل هذه الثقافة انما

ترجع ، في جزء منها على الأقل ، إلى اختلاف هذه النظم (النظام اللغوي العربي . النظام الغنوصي الفارسي ، النظام العقلاني اليوناني) ؟

إنه على الرغم من أن هذا السؤال يتجاوز إطار هذا البحث فإن المعطيات السابقة تسمح لنا ، مع ذلك ، بالقول أن الخلافات بين النصيين من أهل السنة والاشاعرة الأوائل وكل السلفيين القدماء من جهة ، وبين الاتجاهات الأخرى في الفكر العربي الاسلامي الكلامية والفلسفية والصوفية من جهة أخرى ترجع في جزء كبير منها إلى أن النصيين قد تمسكوا بالنظام المعرفي الذي تقدمه اللغة العربية وحده دون غيره ، فجعلوا منه سلطة مرجعية لهم لا يجوز اختراق حدودها . في حين عمدت الاتجاهات الأخرى إلى تبني نظم معرفية «أجنبية» منقولة إلى العربية فكان ذلك منهم بمثابة «احداث لغة في لغة مقررة بين أهلها» ، حسب تعبير السيرافي ، أي بمثابة اقحام بنية فكرية في بنية فكرية أخرى لا تجمعها معها أرومة واحدة مما جعل الاصطدام محتوما . إن الاكتفاء بالتعامل مع سطح اللغة وتجنب التأويل والقول بـ «لا كيف» واعتماد المقولات اللغوية والصور البيانية الحسية الطابع ، والاكتفاء في التعريف بالرسم ، ورفض السببية كرابطة ضرورية والقول بالمناسبة والعادة ورفض فكرة اللانهاية وما يترتب عنها ، واعتماد القياس الفقهي في الاستدلال ، وقبل ذلك وبعده الانطلاق من «الفعل» في الكلام وبالتالي في التفكير ومن ثمة ربط المقولات به ... كل تلك عناصر أساسية ومترابطة في النظام المعرفي اللغوي العربي الذي يعتمده ، دون غيره النصيون والسلفيون والمتمسكون بـ «الأصالة» على العموم .

هل نقول أن النزاع بين دعاة السلفية و«الأصالة» ، ودعاة الحداثة و«المعاصرة» في الفكر العربي الحديث والمعاصر يرجع ، هو الآخر ، ولو في جزء منه إلى كون الفريق الأول يفكر من داخل نظام معرفي محدد هو الذي تحمله معها اللغة العربية منذ عصر التدوين ، وان الفريق الثاني يفكر بواسطة عناصر من نظام معرفي آخر انتقل وينتقل عبر الترجمة ، عبر القراءة والدراسة باللغات الأجنبية ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما دورالايديولوجيا في هذا النزاع ؟ ألا يكون الخلاف الايديولوجي ، في هذه الحالة ، مجرد غطاء للاختلاف في نظم المعرفة ، بل لربما أيضا للنقص في المعرفة ؟

هناك مقدمة أخرى ، وأخيرة ، انطلقنا منها في هذا البحث ، وهي ان الثقافة العربية قد تأسست في عصر التدوين منذ اربعة عشر قرنا ، عصر البناء الثقافي العام في التجربة الحضارية العربية الاسلامية ، العصر الذي شكل ويشكل الاطار المرجعي للعقل العربي ، فلنختم اذن بالقول : **ان الحاجة تدعو إلى عصر تدوين آخر ، عصر تدوين جديد ، بمقاييس جديدة ، واستشرافات جديدة** .

ذلك في نظرنا هو المعنَى الذي يجب أن تحمله كل دعوة إلى الاصالة أو الحداثة ، فالتحديث مشروط بالتأصيل والعكس صحيح .

مناقشة الجلسة الأولى

رئيس الجلسة : الأستاذ ادريس السغروشني (*)

الأستاذ الادريسي

سأبدأ أولا بمناقشة الاستاذ الجابري نظرا لكون عرضه جاء عاما وشاملا لكثير من القضايا ، وسأتوقف عند بعضها ثم أنتقل إلى مناقشة الأستاذين المتوكل والفاسي الفهري .

بالنسبة للأستاذ الجابري ، سأتوقف عند بعض القضايا بالذات ، القضية الأولى : قضية جمع اللغة ، لاحظ الأستاذ الجابري أن جمع اللغة من البدو يدل دلالة قاطعة على أن اللغة المجموعة أي الحصيلة اللغوية لغة بدوية وبالتالي فالفكر بدوي والحضارة بدوية ولعله تعميم خاطئ،ذلك أن النحاة العرب ما كانوا يتغيون حين اتجهوا إلى البدو لغة بدوية بقدر ما كانوا يودون الاتجاه كما يفعل اللسانيون المحدثون الآن إلى المتكلم المستمع الفطري الذي يعيش في مجتمع متجانس كل التجانس من الناحية اللغوية ، ويتقن لغته اتقانا وليست به أية عاهة من شأنها أن تؤثر في سلوكه اللغوي،كفقد الذاكرة مثلا.اذن الغاية العلمية كانت محاولة للبحث وراء الجمل المأخوذة من المتكلم والمستمع الفطري عن نسق مجرد يحكمها لوصف تلك السليقة،وبعبارة أوضح،ان الاتجاه إلى البدو كان يدل على تقدم كبير في البحث اللغوي عند العرب ضرورة أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا شيئا واحدا أساسيا وهو ما انتهى إليه البحث اللساني الحالي وهو «فطرية اللغة» بهذا المعنى حين يلجأون إلى البدو ويلجأون إلى أولئك الذين لم تفسد لغتهم نتيجة اتصالهم بالآخرين فكأنهم كانوا يتجهون إلى أشخاص مجردين ، يريدون من وراء ذلك تبيان القيم النسقية التي

(*) كلية الآداب ــ الرباط

تثوي خلف التعبير ، فلا يعني هذا أنهم حين أخذوا هذه اللغة أخذوها معجما وصرفا كما قال الأستاذ ، وإنما أخذوها نسقا تركيبيا لا يشكل المعجم منه إلا مستوَى بسيطا جدا ، لأن المشكلة ليست مشكلة معجم أو صرف بقدر ما هي مشكلة نحو ، أي المستويات كلها : صوتا وصرفا ومعجما وتركيبا ودلالة وتداولا فإذن إذا كان المعجم العربي كما قال الأستاذ الجابري معجما حسيا ، معجما بدويا ، فليس هذا دليلا على أن الفكر كله الذي يظهر في المعجم فكر بدوي ، والعلاقة بين الفكر واللغة لا تؤخذ من المعجم انها تؤخذ من التركيب ومن العلاقات والوظائف التي تثوي داخل الجملة هذا بالنسبة للاتجاه إلى البدو وجمع اللغة .

فيما يتعلق باتجاه الفكر العربي إلى التعريف بالرسم حقيقة أن الفكر البشري حين كان يعرف ، كان يعرف بالحدين ـــ وكما يعرف الأستاذ الجابري وهو مختص في ذلك ـــ والحد الناقص والحد التام ، وكان يعرف الرسمين : الرسم التام والناقص ولكن أن نجعل التعريف عند العرب منحصرا في التعريف بالرسم ، فأظنه تعميما ، وليس هذا مجال المناقشة الطويلة في هذا الموضوع .

فيما يتعلق بالمنطق ردد الأستاذ كثيرا أن المنطق العربي منطق بيان وليس منطق برهان ـــ وان كنت أفهم من كلامه أنه يقصد كما نعرف في المنطق القديم بالبيان الخطابة ـــ فأكد الجابري أنه يقصد ما يقصده علماء البلاغة وعلماء العربية بالبيان دون الاستدلال الأرسطي ـــ (وتابع الأستاذ الادريسي) ـــ

إذن فيما يتعلق بجانب البيان يظهر أيضا أن هنالك نوعاً من التعميم ذلك أن الفكر العربي أيضا ان كان في بعض جوانبه منطقا بيانيا فهو أيضا في كثير من جوانبه الأخرى منطق برهان ، ولا نحتاج الآن إلى اثبات لذلك ، ويكفي أن نستند إلى قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» ←البيان و«جادلهم بالتي هي أحسن» فالحكمة إشارة إلى البرهان ، والموعظة الحسنة إشارة إلى الخطابة أي البيان .

فيما يتعلق بكون اللغة بنية محصورة ، الأستاذ الجابري وهو يتحدث عن الخليل ابن أحمد نسي أن الخليل بن أحمد في مقولتي المستعمل والمهمل ببساطة يريد أن يقول إن اللغة بنية متفتحة كل التفتح والذي استعمل منها ليس الا جزءاً بسيطاً ،

اللغة العربية مازالت في المهمل وما استعمل منها شيء قليل ، وهذا ان دل على شيء فعلى شيء بسيط جدا وهو أن اللغة في الفكر الخليلي بصفة خاصة ليست بنية مغلقة بقدر ما هي بنية متفتحة إلى ما لا نهاية .

فيما يخص الأستاذ المتوكل أظن أن السكاكي لم يتحدث عن الاستلزام وهو بصدد الحديث عن المعاني ، بمعنَى آخر ، حين تحدث عن الأسلوب الانشائي والخبري ، وتحدث في الأسلوب الانشائي عن الطلب وأنواعه كان يتحدّث عن (قرينة الحال) التي ليست استلزامية اطلاقا ، بمعنَى أن الاستفهام له امكانيات متعددة قد يخرج إلى احداها وليس هنالك استلزام . أما الاستلزام فلا وجود له عند السكاكي الا في مستوَى آخر وهو مستوَى البيان ، خاصة في الاستعارة والمجاز المرسل والكناية .

بالنسبة للأستاذ الفاسي ، ما كان ينبغي أن يوقف عرضه لأن فيه أشياء جديدة ومهمة لم تثر ، وتمنيت لو أنه الغَى المقدمة ليدخل توا في الموضوع لنستفيد أكثر.لقد طرح الأستاذ الفاسي مشكلا كبيرا جدا وهو : كيف يمكن أن نصوغ في اطار التصورات النظرية والمنهجية الحديثة جهازا نظريا جديدا يصف اللغة العربية . غير أنه وهو بصدد بحثه عن هذا الجهاز النظري الجديد ، حاول أن يكون له من النحاة موقف ــ لا أقول انه شديد القسوة ــ وإلا فالقضية لا تتعدّى أنهم رأوا أن التعليق ترك العمل لموجب لفظا لا محلا لمجيئ ما له صدر الكلام ، من هنا نعلم أن حشر الاستفهام وقد الححت أن ذلك الحشر ما كان ينبغي أن يكون واردا ، هذا الحشر آت من أنهم رأوا أنه كلما كانت هنالك أدوات تتصدر كلاما كلما وجدوا أنه من الضروري اثباتها وبالتالي يؤدي ذلك إلى التعليق .

ثانيا فيما يتعلق «بعلمت لزيد قائم» كنت أتمنَّى أن توضح للمستمعين أن هذه اللام ليست لام القسم وانما لام الابتداء هناك تعليق لأنه لو كانت لام القسم فستكون أمام مقولات أخرى ليست هي مقولة التعليق ولا مقولة الالغاء ولا مقولة الاعمال والذي يبقَى أن القسم ذو طبيعة أخرى .. وشكرا .

الأستاذ محمد أبو طالب

بالنسبة للأستاذ المتوكل

ما هو دور العنصر الحضاري في تحليل النظرية الاستلزامية أو التحاورية ؟ سؤالي هذا مرتكز على المثل الذي ورد باستمرار أثناء العرض : (هل تستطيع أن تناولني الملح ؟) هذه الجملة مرفوضة من الناحية الحضارية بالنسبة للبيئة العربية لأننا نطبخ بالتوابل ولا نناول الأطعمة وبجانبها الملح إلا إذا كان المشوي أو المبخر ، وحتّى في هذه الحالة لا ينزل الملح وحده وإنما مصحوبا بالكامون . والجملة الحضارية هذه مترجمة عن الانجليزية Can you hand me the salt ? أو الفرنسية Pouvez-vous me passer le sel ? أو الاسبانية Puede ud pasarme el sal ? وهي جملة صالحة لبيئتها التي تستعمل مائدة مستطيلة ، والجالس حول هذه المائدة اما لا يقدر واما لا يجرؤ أن يتناول الملح بنفسه فيطلب من جاره عن يمينه أو يساره أو ازاءه ليناوله اياه ، والطعام غير مملح .

هذا جانب حضاري ينبغي الانتباه إليه خاصة وأن النظرية التي قدمت لنا ترتكز عليه وهو بالذات الجانب التحاوري .

الملاحظة الثانية حول هذه الجملة تتعلق بالجانب اللغوي ، فهي ليست جملة استفهامية ولا سؤالا وإنما هي أمر من النوع الذي يعبر عنه بأمر الطلب أو التمني والوارد في القرآن الكريم كما في «اغفر ، وارحم ، واشرح لي صدري واحلل عقدة من لساني، الخ ...» فلا نقول «يا رب هل تستطيع أن تغفر ؟ يا رب هل تستطيع أن ترحم ؟ يا رب هل تستطيع أن تشرح لي صدري وتحل عقدة من لساني ؟ الخ ...» لأن الله قادر على ذلك ، وانما نلمسه منه استعطافا .

وهذه الجملة التي ينقصها عنصر الاستعطاف Please أو S'il vous plaît أو por favor أي (من فضلك) كلها تساوي صيغة الأمر (Hand me the salt) أو (Passez-moi le sel) أو (Pasame el sal) أي (ناولني الملح) .

وإذا ما حذفت الأجزاء الزائدة وهي «من فضلك» و«هل» و«يمكنك أن تناولني» يبقى أهم عنصر وهو و (Salt) أو (le sel) أو (Sal) أي «الملح»

وحين تقول «الملح» لمن هو عن يمينك أو شمالك أو ازاءك فانه يفهم أنك تريد منه أن يناولك اياه ، بل يكفي فقط أن تشير إليه ، فالصيغة صيغة أمر.

تبقَى الاستطاعة في «هل تستطيع أن» وهذا أيضا شيء مرفوض لأن ما تطلبه منه هو في الحقيقة في استطاعته مادام بجانبه. بل ربما في استطاعتك أنت الذي تطلبه الا أن آداب المائدة في بيئة الجملة هذه لا تقتضي تسريح اليد عبر الطاولة حتَّى لا يلسق كم اللباس بها أو بالطعام أو غيره فالكل مرتبط بعضه ببعض من الناحية الحضارية كما هو الشأن بالنسبة لآداب المائدة في البيئة التي ركبت فيها هذه الجملة.

بالنسبة للأستاذ الجابري :

هناك ملاحظة بسيطة تخص علاقة المادة المعجمية بالعنصر الحضاري. إذا اعتمدت على ابن منظور وحده يكون الحق معك ، وطبعا ، لأنه انحصر في تجميع المادة وتصنيفها بدون النظر إلى الجانب الحضاري. وهذا لا يعني أن المعجميين العرب كلهم نهجوا نفس الطريقة ، بل هناك من قدم المادة متصلة بالبيئة وخاصة إذا كان المعجم متعلقا بتخصص معين مثل (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار و(الجامع للعجب العجاب) للأنطاكي و(الكتاب الكبير للموسيقَى) للفارابي.

وهنا يمكن ادماج طبقة الشراح لما يشيرون إليه من معلومات حول حياة الناس وطبائعهم وعاداتهم وغير ذلك من الجوانب الحضارية. فكل هؤلاء لا ينحصرون في الجانب اللغوي كما تريد لهم ، ولو أنهم لا يقدمون لنا دراسة اجتماعية بمعنَى الكلمة.

إني متفق معك في أننا في حاجة إلى تدوين جديد يمكننا من التعرف، وبكيفية أدق، على البيئة القديمة وذلك لا بالنسبة للجانب الحضاري وحده ولكن بشكل مرتبط مع الجانب اللغوي، إذ أن الثاني يعبر عن الأول والأول يفسر الثاني ويبرر وجوده. فنحن نرغب في ذلك حتَّى نتعرف مثلا على الكيفية التي كان العرب القدامَى يتلفظون بها بعض الأصوات أو (الحروف) التي امتازت بصفات خاصة ومرت بتغيرات مختلفة مثل (ض ، ع ، غ ، ق) ونتعرف على اللهجة التي كان

يتحدث بها في فترة معينة وعلى المعاني التي كانت تعطى للمفردات والعبارات في نفس الفترة . وشكرا .

الأستاذ عبده الراجحي

أولا أشكر الأساتذة على هذا العرض القيم الذي قدم اليوم ، وهو عرض متناسق فيما أظن ، وأتصور أن مثل هذه الفرصة لا ينبغي أن تفوت دون أن تكون هناك مناقشة وان كنت أتحفظ في البداية على كلمة مناقشة هذه ، لأن كثيرا جدا مما جاء في هذه العروض لا يمكن مناقشته في مثل هذه الجلسة وانما في جلسات متخصصة ، فالكلام فيه كثير جدا من الموضوعات ومن الجزئيات التي يمكن أن تكون موضع نقاش طويل .

لكن ، الذي أحب أن أؤكده هنا أن الأبحاث الثلاثة يجمعها خيط واحد وهو أننا نعيش في عصر ، وأن هذا العصر يبرع الخطَى في البحث العلمي ، واننا لا يمكن أن نتخلف عن هذا العصر ، لكن هذه المسألة تثير دائما قضية التراث . فنحن لنا تراث طويل وتراث غني جدا ، ومسألة التراث دائما تثار عندما تتصل بعلوم العصر وهذه القضية أحب أن أؤكد أن مجرد الاحساس بها — وهذه الجامعة من الجامعات التي بادرت حقيقة إلى طرح هذه القضايا بل ربما تكون قد سبقت معظم الجامعات العربية في العالم العربي إلى طرح هذه القضايا بهذه الصورة الواضحة ، فكرة التراث أو فكرة علوم العصر — أحب أن أقول إن الاحساس بهذه القضية في حد ذاته نحن نتفق عليه اتفاقا كاملا ، قد نتفق مع ما قيل وقد نخالف على ما قيل أو في كثير منه ، لكن القضية موجودة هي أننا لا نستطيع أن نتعامل مع علوم العصر ونحن لا غنَى لنا عن التعامل مع علوم العصر الا إذا كنا أيضا نتعامل مع التراث ،هذه القضية أعتقد أنها مهمة جدا في محاولة الاتصال والتقدم والتطور ، لكن الذي يلاحظ في معظم ما قدم اليوم أن التعامل مع التراث كأنه — وهناك تحفظ على كلمة كأن — يكاد يكون مبنياً على نقد التراث بالرغم من أن معظم الذي قيل صدر أيضا على التراث ، هناك محاولة صدور عن التراث لكن التراث كما ظهر يكاد يكون غير صالح للتعامل الحقيقي المنهجي مع العلوم بل ان الأخ الدكتور الفاسي يكاد ينعى على الوصفيين المحدثين الذين نقدوا التراث بأن

نتيجة سلبية من هذا النقد كانت تعزيزا نحو القديم ، هذا النوع في حد ذاته فيه كلام كثير.

أحب أن أركز على بعض القضايا المتفق عليها وهي ما ذكره أولا الدكتور الجابري من أننا في حاجة إلى بحث الابستمولوجية العربية وأضيف أيضا الأنطولوجية العربية ، بمعنَى أن هذا البحث ضروري جدا لفهم التراث القديم. وعلى هذا الأساس قد أزعم أن تراثنا العربيَ لم يدرس حتَّى الآن دراسة حقية ، بدليل أن الدكتور الجابري قد قال — وفي قوله حق — ان فكرة دراسة النحو العربي مثلا أو دراسة علم اللغة عند العرب لا يمكن فصله عن الثقافة العربية القديمة والمنتشرة . لا يمكنك أن تفصل النحو والصرف عن البلاغة أو عن التفسير أو عن الفلسفة أو عن علم الكلام أو عن أصول الفقه ... ومجرد أن نفهم النحو العربي في هذا الاطار — مسألة ليست سهلة — ولا نستطيع أن نزعم الآن أننا فهمنا النحو العربي فهما حقيقيا لأن فهمه يحتاج إلى اتصال وثيق بكل العلوم الاسلامية ، ولذلك فإن معظم الأحكام التي تصدر الآن عن هذا النحو القديم أو عن طريقة القدماء في بحث اللغة هي أيضا أحكام مبتورة لأنها غير قائمة على دراسة مستفيضة للمنهج العربي القديم. وعلى هذا الأساس فان فكرة المطبخ التي أثيرت الآن ، أيضا فكرة جيدة جدا واستغلها فقط لمجرد الانتقال إلى كلمة الدكتور المتوكل عن فكرة الاستلزام الخطابي والتركيز على السكاكي ، لأنني قد أزعم أن العرب القدماء قد أحسوا بأن هناك أشياء كثيرة جدا تدخل في فهم الكلام وأن الكلام لا يمكن فهمه من مجرد جمع معاني الألفاظ ، أي لا يمكن فهم اللغة من مجرد أن نعرف أن الجملة أو أن التراكيب الكلامية أو أن السلسلة الكلامية مكونة من مجموعة من الألفاظ كل لفظة لها معنى وإذا جمعت هذه المعاني وصلنا إلى المعنَى النهائي للكلام أو للجملة ، أقول إن العرب وبخاصة قبل السكاكي كان عندهم احساس بأن هناك أشياء كثيرة تدخل في فهم الكلام ، وأنا أشير بالذات هنا إلى الجاحظ ، فقد أفرد فصولا غير قليلة لمحاولة معرفة الجوانب غير اللغوية في فهم اللغة ، وهذا نوع من الاحساس ، نحن لا نطلب من العرب ، أن يكونوا قد وضعوا نظرية ، ولكنهم كان عندهم هذا الشيء الذي يمكن أن نتلمسه وأن ننطلق منه وأن نصدر عنه وأن نفيد منه بعد ذلك في التعامل مع العصر. فهناك كلام يقترب جدا مما يعرف الآن في علم اللغة أو في

أنظمة الاتصال بعلم Kinesics أو علم استخدام الأعضاء الجسمية في التعبير اللغوي، فكرة المطبخ ، هنا بالضبط، المائدة مختلفة ، استخدام اليد مختلفة. هل يا تُرَى العربي كان يستخدم حاجبيه مثلا أو رأسه إلى أعلى للدلالة على الرفض كما يفعل البعض مثلا في سوريا أو في لبنان أو في الأردن، وفي مصر يحركون الرأس يميناً وشمالا للدلالة على الرفض أم أنك تستعمل الحاجب بسرعة للدلالة على الرفض وإذا استعملته في مصر يمكن أن تكون المسألة خطيرة جدا ؛ لأنها قد توصلك إلى مشاكل . المهم ، دراسة كون علماء العربية القدماء ، وأذكر الجاحظ لكي أقول إن التراث فيه أشياء كثيرة يمكن أن نتلمسها وأن نأخذ منها وتوصلنا أيضا إلى فكرة المطبخ أو إلى فكرة الثقافة أو فكرة culture ...

وحتَّى لا نقع كما أحس العربي قديما حين سمع الشيء فقال ليس هذا لحني ولا لحن أبي. وأيضا أنا أشير إلى ابن جني على وجه الخصوص هو قبل السكاكي، قيمة ابن جني أنه استطاع أن يضع كثيرا جدا من الأصول التي توصل إليها المحدثون على هيئة نظرية أو على هيئة نسق، لكنهم وضعوا باحساس كامل بفكرة paralanguige وهو استخدام مجموعة من المعايير لكي نصل إلى الاستلزام الخطابي ، محاولة لوضع معايير علمية أو موازين ، كأن نستخدم موازين ارتفاع الصوت أو انخفاضه أو السرعة أو القلة ... إلى غير ذلك من المعايير التي وضعت الآن ، أو محاولة لوضعها ، كلها مجموعة من التجارب ولا يستطيع أحد أن يقول فيه إن هناك شيء ثابت الآن ، لكن المسألة كل يوم في تطور ، ومن هنا أيضا نحن ندعو إلى عدم التعجل على الحكم على التراث من خلال علم اللغة الحديث لأن هذا العلم إلى فترة قريبة كان يكاد يكون ضد التراث اللغوي عند العرب أو تراث الدرس اللغوي عند العرب ، والآن يكاد يتطابق في كثير من الأحيان. فنحن في حاجة إلى الاحساس والحمد لله هذا الاحساس الآن موجود وهو أنه لابد من التطور والحياة مع العصر، ولكن لابد من فهم التراث القديم فهما قويا .

نقطة فرعية بسيطة جدا ، هل لي أن أقترح على الدكتور المتوكل — مجرد اقتراح — أن فكرة الاستلزام الخطابي إذا قرأت في بعض مناطق المشرق — هذا سبب غير وجيه ولا أتمسك به — قد يؤدي إلى شيء من الغموض ومن اللبس لأسباب بسيطة

وهي أن كلمة الخِطابي قد تختلط بكلمة الخَطابي بالاضافة إلى أن كلمة الخطابي إذا قرئت بطريقة مضبوطة تعني في الأغلب من الناحية الصيغة العربية خطاب بين اثنين الوزن فاعل هو أساس يحدث بين اثنين وانما قد أقترح الكلمة نفسها التي وردت في البحث وهي «التخاطب» التي تدل على أن اللغة الطبيعية المستعملة هي من المجتمع ، وأنا حتَّى الآن لا أعرف كلمة أخرى يمكن أن أقترحها مكان كلمة «استلزام» لأن أيضا كلمة استلزام يمكن أن تؤدي إلى لبس كثير نتيجة تداخل المصطلحات ، صحيح فكرة الأصول واللازم والملزوم واستلزامه إلى غير ذلك ، لكن الفكرة في حد ذاتها صائبة وهذا مجرد اقتراح فقط حتَّى يمكن أن تكون هذه الأبحاث عامة ومفيدة جدا في جامعات المشرق العربي ، وأنا أتمنَّى حقيقة أن تكون هذه الأبحاث معممة هناك ، لأن هناك شبه عدم المعرفة لما يحدث من أبحاث في هذه الجامعات ، وأبحاثكم أنا أزعم أنها من أكثر الأبحاث جدة وحداثة عما هو قائم الآن في الجامعات المصرية أو السورية أو العراقية أو غير ذلك .

مرة أخرى كانت مجرد محاولة لأن أقول أن فكرة التراث فكرة مهمة جدا ولا ينبغي التعجل في الحكم عليها أو اطلاق الأحكام العامة ونترك المناقشات الجزئية البسيطة للجلسات المتخصصة .

الأستاذ كمال أبو ديب

أود في البدء أن أعبر عن سعادتي لوجودي هنا لكي أستمع إلى دراسات هي بين أفضل ما سمعته لزمن طويل ، وأود أن أشكر الأساتذة المتحدثين وأؤكد شعوري بأن بين ما قيل وبيني كثيرا من الوشائج التي لا مجال لتحديدها بدقة الآن ، ولذلك فإن ما سأقوله سيكون غرضه الأول لا الدخول في جدال سلبي وإنما محاولة لتقديم نقاط بصيغة اقتراحات قد تؤدي في النهاية إلى اعطاء الأبحاث مزيدا من القدرة على اضاءة الموضوعات التي تحاول أن تضيئها وسأبدأ بالتركيب الذي بدأ به المتحدثون . يبدو لي بالنسبة للورقة الأولى أن الأستاذ المتوكل يمكن أن يضع أو يستحسن أن توضع دراسته في إطار دراسة أوسع ندخلها في سيميائي Semiotics بشكل أكثر طبيعية ، المشكلة في الواقع هي مشكلة المعنَى ومعنَى المعنَى . مشكلة ما يمكن أن نسميه أيضا «البعد المعجمي للغة والبعد الاشاري للغة» ببساطة هي كيف يمكن

تعبير أن يعني في لحظة واحدة شيئا ويعني في ظروف مغايرة أشياء أخرى ـ والمشكلة قديمة حتَّى في الدراسات العربية وقد يكون أبرز من عالجها لا السكاكي بل عبد القادر الجرجاني الذي طرحها في إطار ما أسماه حرفيا «معنَى المعنَى» إذا وضعنا الدراسة في هذا الإطار تصبح مرتبطة ببِنًى متكاملة اجتماعية وثقافية وموقفية تتناول السياق المكاني الذي يتم في السؤال ، أو البعد الحضاري الذي أشار إليه أحد الأساتذة السائلين.سأقتبس مثلا بسيطا من الجرجاني يناقش فيه الكناية حين يدرس عبارة مثل كثير الرماد،حين نصف شخصا بأنه كثير الرماد فإننا نستخدم لغة تنقسم مباشرة إلى بعدين : البعد الأول ما أسميه شخصيا البعد المعجمي للعبارة الناتج من وجود الألفاظ معجميا ومعنَى العبارة باعتبارها حصيلة لهذه العلاقات المعجمية الصرف والبعد الثاني هو الذي يضطرنا إلى طرح جميع الأسئلة التي طرحها الأستاذ المتوكل وأسئلة أخرى ، ما الذي ينقل العبارة «كثير الرماد» من كونها تعني ببساطة وجود رماد كثير في مكان محدد إلى كونها ما هي عليه في ثقافة محددة ، ولذلك فالقضية أضخم في علم« Sémiotics »من أن تكون ببساطة قضية فرعية مرتبطة بالاستفهام . في السؤال نفسه «هل تستطيع أن تناولني الملح» هناك جميع الأبعاد الموجودة في العبارة «كثير الرماد» وهي أبعاد حددت تقليديا لأنها نابعة من السياق إلى حد بعيد، ولا شك أننا نعرف جميعا تحديدات مختلفة للسياق، ويبدو لي أن العمل يتطلب مزيدا من الجهد لتحديد السياقات المختلفة بدءا بالسياق اللغوي المباشر والسياق العام لبنية النص والسياق الحضاري الكلي ، قد يكون مفيدا أن نقوم بهذا النمط من الدراسة ، وندرس سياق العلاقات القائمة بين المتحدِّث والمتحدَّث إليه . مثلا لا يبدو لي شخصيا أنه من الممكن أن أستخدم هذه العبارة وأنا أتناول الطعام مع طفل في السابعة ، حتَّى لو تم الكلام ضمن نفس الاطار الذي وصفه الأستاذ ابو طالب في سياق حضاري واحد . يميل الانسان في تلك الحالة إلى أن يقول ؟ Give me the salt ? بدلا من ؟ Can please give me the salt ما أحاول أن أقترحه هو تطوير الدراسة بحيث ترتبط بسلاسل دائرية من السياقات يتفرع كل منها من مصادر محددة ثم نقوم بدراسة العلاقات المعقدة بين هذا المجموع من السياقات ، وأرجو أن يسمح لي بتقديم الاقتراح نفسه بالنسبة لدراسة الاستاذ الفاسي الفهري كأن السؤال مطروح لدَى تشومسكي ومدرسته بشكل عام لكن طرحه في النهاية عن طريق

اقتراح بنية تركيبية للفعل وحده في عزلة سيخلق اشكالات أخرى قد تكون أكثر صعوبة من الاشكالات التي طرحت الآن ، مثلا يتبادر إلى الذهن فورا امكانية أن نستخدم مفهوم البنية التركيبية مع واقع اللغوي وقالوا فيه ما يلي : «علمت بكرا قائما ولزيد قاعد» ما الذي يحدث حين نواجه عبارة من هذا النوع سواء استخدمنا مفاهيم النحاة العرب التقليديين أو مفاهيم نابعة من تشومسكي ؟ إذا كنا نستطيع أن نقول «علمت بكرا قائما ولزيد قاعد» فإننا نواجه بسلسلة من المشاكل وإذا كنا لا نستطيع ذلك (فإننا غالبا) ما نواجه بسلسلة من المشكلات ، ويبدو لي أن مفهوم البنية التركيبية للفعل وحده في عزلة عن بنية الجملة ، بنية النص ، إذا كان النص واقعا أو بنية النص الإفتراضي الذي نقوم بتركيبه – يبدو لي أن هذا المفهوم – يجب أن يكون قادرا أيضا على معالجة الاحتمالات الكثيرة التي يمكن أن تطرح مادامت خاضعة لشرط grammaticality الذي نعرفه لدَى تشومسكي .

في دراسة الأستاذ الجابري كثير من النقاط التي نجد –كما قلت– بيني وبينها وشائج فعلية ، لكنني ما أزال شخصيا مواجها بمشكلة تتبع تبنيا لمنهج مشابه في دراسة ما أسمي العقل العربي وما كنت أميل إلى تسميته في دراسات سابقة «العقل العربي» ومحاولة اكتشاف العلاقة بين البنى اللغوية وبين البنى الفكرية في هذا العقل في دراسات للايقاع ودراسات للغة ، يبدو لي بعد عمل طويل أننا في الواقع قد نكون نمارس خطأً لا يقل في خطورته عما مارسه الدارسون العرب القدماء حين نتحدث عن اللغة وعن العقل باعتبارهما بنيتين سابقتين . في حديث الأستاذ الجابري هذا الميل إلى اعتبار اللغة جوهرا سابقا أو شيئا جوهرانيا لا يمكن الانفكاك له من نفسه ولا يمكن للفكر الانفكاك منه ، وقد يكون هذا مصدر الخطورة في هذا النمط من الدراسات التي بدأت طبعا تقريبا في استشراق القرن التاسع عشر بوجه خاص (كما عبر عنه ابن سعيد حديثا في كتابه «الجديد») ويبدو لي أننا من أجل تطوير هذه الدراسات يشكل قدرة في النهاية على حل الاشكالات ، ينبغي أن نعالج المشكل بشكل أكثر حذرا بكثير مما فعله حتَّى الآن . هل للغة جوهر ثابت ؟ هل اللغة كما دونها المدونون العرب جوهر ثابت ؟ هل اللغة كما نتحدثها نحن ونكتبها الآن هي الجوهر الثابت نفسه الذي قام اللغويون العرب بتدوينه ؟ كل هذه الأسئلة كانت مطروحة على المعجميين والمدونين العرب ضمنيا لكنهم لم يواجهوها – في تصوري –

نقديا وهي ما تزال مطروحة علينا ضمنيا ونقديا ولذلك فإن مهمتنا أصعب بكثير من مهمتهم.من هنا أرَى أن الحل الذي تصله ورقة الأستاذ الجابري يبدو لي بشكل ما أنه لا يواجه المشكل فعلا . في النهاية أثار الأستاذ الجابري أن اللغة كما نعرفها الآن صنعت في عصر التدوين ولابد من عصر تدوين جديد ، ويبدو لي أن هذه المواجهة تؤجل مواجهة المشكلة بدلا من أن تقوم بالمواجهة الآن . هل اللغة فعلا وليدة عصر التدوين ؟ هل عصر التدوين هو الذي خلق اللغة ؟ هل نستطيع نحن الآن أن نمارس عملية خلق بالمعنَى الذي استخدمت به هنا أو الصنع أم أننا ينبغي أن نطرح مجموعة جديدة من الأسئلة ونطور أنماطا جديدة من المناهج ؟ وشكرا

الأستاذ عــزام

تدخلي يتمحور حول قضية وردت في آخر عرض الأستاذ الجابري وهي قضية البلكفة التي نسبها إلى الأشاعرة ، ولا تبدو لي أن القضية جزئية نجد أنه بنَى هذه الأسس أو وضع هذا الاطار لينتهي إلى نتيجة أرَى أنها ربما كانت مغامرة أو رجما بالغيب برجوعنا إلى هذا الاطار الذي هو بناء أو وضع اللغة العربية على أساس من الحس أو من الرصيد الحسي ، لا يمكن أن نجزم أو أن نجعل اللغة العربية منفردة بهذا الوضع،لأن هذا الوضع وأعني «الاصطلاح» حسب اللغويين لا يمكن أن تخرج منه أية لغة من لغات العالم التي لابد أن تنبني في أساسها (حسب الأحداث التاريخية) على أساس حسي أو على رصيد حسي تنطلق منه جميع اللغات أو اللهجات لكي تبني بعد ذلك المفاهيم التي تتطور في خط تداولي للوصول إلى درجة ما من التجريد فاللغة العربية ليست وحيدة في هذا التطور ، بحيث حسب تعريفات قديمة «أن اللغة هي الفكر» فإذا كانت اللغة هي الفكر والفكر ما هو إلا نتيجة التصورات أو نتائج البحث أو القياس أو غير ذلك ، فأسس هذا الفكر دائما ولابد وأن تكون حسية مادام الفكر كجهاز أو نتيجة يعتمد أساسا على الحواس ، ولابد من النظر إلى ميكانيزم اللغة نفسها ونعني اللغة العربية في تطوير المفاهيم الحسية إلى بعض المفاهيم التجريدية في هذا الاتجاه ونجد أن اللغة العربية قد مارست نوعا من التطوير الذاتي الذي تجاوز المعاني المحسوسة إلى مجردات ، ولا يمكن اغفال ما جاء في التراث العربي الجاهلي في الغزل مثلا وفي الرثاء عن هذه المفاهيم التي استعملت

مفهومات الحب أو الشوق أو أنواع الحزن إلى غير ذلك من المفاهيم التي حاول فيها العرب الأوائل أن يجردوا هذه الأحاسيس والمشاعر ، ولا نغفل أيضا التراث الصوفي وما يزخر به من تجريدات تعتمد أحيانا على الاستعارة من مواضيع الغزليين أو غيرهم ولكنها تذهب بعيدا في خط التجريد . وقضية البلكفة هذه أرَى أنها ليست ضغطا لغويا كما يقول الأستاذ بل انها على العكس من ذلك انفلات «من الضغط اللغوي» إذا اعتبرنا أن الرصيد الحسي ضروري في بناء اللغة ، كل اللغات لا يمكن أبدا أن تعتبر أن استقاء الفكر من الحس ضغطا لغويا ثم ان هذه البلكفة ليست نتيجة ضغط لغوي يأمر بالسكوت عن شيء لا صفة له ولكنها انفلات من هذا الضغط المزعوم أو تتويج للتجريد لأننا نجد أن المفاهيم الاسلامية التي جاء بها القرآن كمفهوم الأزل ومفهوم الأبد ومفهوم الخلود هذه المفاهيم لا رصيد حسي لها أبدا وانما هي تجريد محض، فعبارة «ليس كمثله شيء»، فهنا ينتهي دور اللغة في استنادها إلى التشبيه (وهذا شيء مشترك بين جميع اللغات) وانتقال إلى مستوَى آخر من التصور الذي يتعلق بمنطق الايمانية أو غير ذلك من المناطق التي لا تقف عند المحسوس بل تتجاوزه إلى نوع من التجريد الذي لا يرتبط بالمحسوس ارتباطا تشبيهيا أو تصويريا .

الأستاذ المتوكـل

لن أطيل الحديث في الاجابة على الأسئلة التي طرحت علي :

1 – بالنسبة لسؤال الأستاذ الادريسي المتعلق بمفهوم الاستلزام أقول إنني قد نبهت في أول عرضي على أنني استعمل الاستلزام الخطابي كمقابل أو كترجمة للعبارة الواردة عند جرايس وهذا لا يمنع من أن السكاكي إذا مُحِّصَ استعماله لهذا المفهوم يمكن أن يستخلص منه أنه يستعمله بنفس المعنَى تقريبا ولو أنه لا يريده عندما يتحدث في إطار علم المعاني بل عندما يتحدث عنه في إطار علم البيان، عندما يتعرض للفرق بين المجاز وبين الكناية، المجاز انتقال من اللازم إلى الملزوم ، والكناية عكس ذلك من الملزوم إلى اللازم إلا أنه في مواضع كثيرة من كتابه يقول ان اللازم أو لازم الشيء يمكن أن يكون اما لازما عقليا أو لازما عرفيا أو غير عرفي ، في هذا الاطار يمكن أن ندخل الاستلزام الخطابي .

2 – بالنسبة لسؤال الأستاذ أبي طالب المتعلق بالحضارة أظن أن هذا السؤال

وارد لأنه إذا تفحصنا مثلا اقتراحات «سورل» فإننا نجد أنه داخل تلك السلسلة الاستدلالية يدخل ما يسمى بـ «المخلّف الثقافي» إلى غير ذلك ، انما أقف وقفة المتأمل بالنسبة للشق الثاني من سؤالك والمتعلق بعبارة «هل تستطيع أن تناولني الملح» تقول ان هذه العبارة أمر وليس استفهام ، تعرضت في عرضي إلى مشاكل تعترض سبيل الواصف ، ويمكن أن تكون أمثلة مضادة للتعميمات التي اشتققناها من اقتراحات السكاكي . قلت ان هناك مشكلا : **أولا** العبارات التي يصبح المعنَى المستلزم فيها عرفيا ، أي يقترب من أن يكون المعنَى الأصلي وأصنف هذه العبارة كما صنفها أصحابها الذين استشهدوا بها أولا في هذا الصنف ، ثم هناك العبارات المتحجرة التي أصبحت لا تدل من حيث معناها الأصلي إلا على ما كان بالنسبة لها معنًى استلزاميا مثلا «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» فلا أظن أن تركيبا مثل هذا يخرج إلى الاستفهام الحقيقي بل يخرج دوما إلى النفي . بالنسبة للعبارة «هل تستطيع أن تناولني الملح» هذه العبارة ليست متحجرة أو لمَّا تتحجر لأنني يمكن أن أقول لمخاطبي : «هل تستطيع أن تناولني الملح» إمَّا على سبيل الاستفهام الحقيقي أو على سبيل الالتماس .

3 — بالنسبة لتدخل الأستاذ الراجحي المتعلق بالتراث والتعامل معه ، قال في عرضه إن النقطة التي لاحظها بالنسبة للعروض التي ألقيت اليوم هي أنها تلتقي في شيء وهو أنها تنظر إلى التراث نظرة مبتورة ، في مقال محدود كهذا — اضطررنا كلنا أظن — إلى ما يسميه الأستاذ بالنظرة المبتورة للتراث . وبالنسبة لما قلته والذي يمكن أن يلخص في أن تعاملنا للتراث يجب أن يكون تعاملا مع الفكر اللغوي العربي القديم برمته : أصولاً ونحواً وبلاغة ... إلى غير ذلك أشير إلى أنني قمت بعمل من هذا النوع وسينشر إن شاء الله قريبا . بالنسبة لمشكل التراث ، لا أظن كما يقول الأستاذ الراجحي أن المشكل مشكلة احساس بالتراث بل المشكلة مشكلة منهجية لقراءة التراث وللتعامل معه ونحن نسعَى —كل في ميدانه— للوصول إلى ارساء هذه المنهجية .

4 — بالنسبة لتدخل الأستاذ كمال أبو ديب الذي ود لو أنني أدخلت ظاهرة الاستلزام الخطابي فيما يسمَى عند الجرجاني ، بمعنَى المعنَى أشير دائما أنني في عملي

الذي أشرت إليه منذ هنيهة ربطت هذه الظاهرة بمعنَى المعنَى عند الجرجاني ولو أنني أتحفظ في كون هذين المفهومين (معنَى المعنَى والاستلزام الخطابي) متماثلين. لأن للكناية ميكانيزماً يختلف عن ميكانيزم الاستلزام الخطابي فمعنَى المعنَى في الكناية هو معنَى العرف ، مثلا عندما أقول امرأة نؤوم الضحى فان الذهن ينصرف إلى المعنَى الثاني بدون واسطة وهي أنها امرأة ثرية وأود أن تثار هذه المشاكل في جلسة هادئة طويلة .

الأستاذ الفاسي الفهري

أريد أن أقرأ سؤالا مكتوبا للأستاذ الأخضر قبل الاجابة عن الأسئلة الأخرى التي طرحت شفويا . السؤال هو :

إذا أقررنا في مرحلة ما قبل النظرية بان موضوع دراسة الأقدمين للغة يشبه موضوع دراسة المعاصرين . فعلى أي مستوَى تعللون عدم جدوَى التعامل مع أوصاف الأقدمين لظواهر لغوية توجد في اللغة القديمة واللغة الحالية ؟ سأبدأ بالاجابة عن هذا السؤال لأنه ربما لا يتصل بالأسئلة الأخرى.أنا لم أقل ولا يمكن أن أقول إن موضوع دراسة اللغة عند العرب القدامَى يشبه موضوع اللغة عند المحدثين ولكن هذه النقطة تشير إلى مشكل لم أتعرض له وإن كنت قد أجبت عنه في العرض حينما تحدثت عن برنامج البحث والأهداف النظرية لهذا البرنامج . وفي إطار الحديث عن برنامج البحث تحدثت عن قضية اعطاء مضمون لمفهوم اللغة الطبيعية ، فبطبيعة الحال لا يمكن أن نتحدث حتَّى عن موضوع علم اللغة عند النحاة الأقدمين مادام ليس هناك أية علاقة بين أهداف الأقدمين وأهداف ما نحن بصدده .

الشيء الثاني يتعلق بالتراث ، وهو عدم جدوَى التعامل مع أوصاف الأقدمين كذلك . أنا لم أقل هذا ولم أقف أي موقف ، وأعتقد أنني نبهت على هذا في بداية عرضي . قلت ان طرح مشكل موقفنا من التراث طرح ليس مشروعا ، فإذن لا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال الا في اطار يكون فيه هذا السؤال مشروعا ، وهذا يعود بنا إلى مسألة اعتراضات بعض الاخوان الأساتذة على القساوة التي تشم من العرض اتجاه التراث . أعتقد أن هناك موقفا ، وهذا الموقف أفصح عنه الأستاذ

الراجحي . وهذا الموقف مع اعتذاري للأستاذ الراجحي – وهو قد أتاح لنا امكان الاختلاف مع أننا متفقين في نقطة الانطلاق وهي الاحساس بالتراث – أعتقد أن الموقف الذي عبر عنه الأستاذ الراجحي من التراث هو الموقف الذي لا يمكن أن أقول به شخصيا وهذا الموقف هو موقف انتظار الأعمال التي ستبين لنا ما هو التراث ، وكيف يمكن أن نفهمه .... الى غير ذلك .

بالنسبة لما أنا بصدده ، برنامج البحث الذي حددت بعض معالمه في هاته الجلسة ، وهو محدد في أعمال أخرى ، هذا البرنامج فيه جزء اجرائي استكشافي . وهذا الجزء الاستكشافي الذي يرتكز عليه المنهج الذي حددته سيمكننا من تفهم أعمق للتراث وسيمكننا من تجاوز مشكل طرح تحديد موقف قبلي من التراث قبل أن نشرع في البحث وقبل أن نشرع في التنظير . أعتقد أن في هاته النقطة اما أن تكون المواقف متباعدة تمام التباعد ، واما أن تقترب ، والوسيلة الوحيدة لكي تقترب المواقف هي التحديد الدقيق للأطر التي نعمل فيها ، الأطر النظرية والمنهجية . وأعتقد أن هاته النقطة هامة جدا فحتّى ولو أخذ علي الأستاذ الادريسي أنني أطلت في العموميات تبين لي أن الاعتراضات لازالت قائمة ، وكان علي أن أطيل أكثر في هاته العموميات .

أرجع إلى قضية اقحام الاستفهام في باب التعليق ، حينما قلت إن النحاة أقحموا الاستفهام في باب التعليق . لم أطلق هذا الحكم هكذا ، ولكن قدمت دليلا على ذلك ، والدليل هو أن اقحام الاستفهام في باب التعليق يجعل من هذا التحليل ، ان صح هذا التعبير ، فوق امكان الابطال **(non-réfutable)** لو وضعنا الاستفهام في باب التعليق ، ليس هناك معطيات تمكننا من أن نبين هل فعلا هذا التحليل وارد أو غير وارد ، كونه لا يخضع لمقياس الابطال يجعله لا يتنبأ بأي شيء فيما يخص التجربة وفيما يخص طبيعة اللغات ، وهذا من الأشياء التي نعرفها والتي تجعل كل اقتراح من هذا النوع مرفوضا من الناحية النظرية ، لماذا ؟ لأنه ليس له أي انعكاس وأي نتاج تجريبية . ربما الشيء الذي لم أبينه ، والذي كان علي أن أطيل فيه ، هو أن كل مشكل نظن أنه مجرد اختيار أو موقف خارجي من شيء ، يجب أن نجيب عنه بنظرية ومن هنا بدأ المشكل ، أي سواء تحدثنا عن الاعراب أو تحدثنا عن أي شيء ، فيجب أن تكون لنا نظرية للاعراب في إطار الأهداف النظرية

المحددة . يجب أن تربط اللغة العربية بغيرها من اللغات الطبيعية . يجب ألا تكون اللغة العربية لها وصف ، ولها مفاهيم وصفية ، وهاته المفاهيم لا تنطبق على أي لغة من اللغات ، إذن نريد بصفتنا لغويين أن نوجد وصفا أو مفاهيم لها كفاية بالنسبة للغات الأخرى .

قضية لام الابتداء ولام القسم.أنا لم أتحدث عن لام الابتداء ولام القسم . هناك ملاحظة أخيرة فيما يخص الدكتور كمال أبو ديب وهي متعلقة بقضية التمثيلية . كيف نمثل للخصائص الاستفهامية والخصائص الخبرية .. وأنا اقترحت أن يمثل لها في المعجم. وقد أعطى أبو ديب جملة هي : «علمت بكرا قائما ولزيد قاعد ..» أنا لا أرى ما هو الشكل الذي يمكن أن تثيره هذه الجمل بالنسبة لتحليلي. أنا آخذ المعطيات التي اتفق النحاة العرب عليها على أنها معطيات الماضي. ربما مثل هاته الجمل سوف لا نجدها في اللغة الحالية «علمت بكرا قائما ولزيد قاعد» ، ولكن المشكل تجريبي محض ، إذا وجدنا مثل هذه الجمل فإننا سنضع القواعد التي تصفها . وإذا لم نجدها يجب أن يكون نحونا محدد بشكل يمنع مثل هاته الجمل . وبالنسبة لباب التعليق ، أنا أتيت به كمثال لأنه قصير. كان من الممكن أن آتي بأبواب أخرى كثيرة . فلو أخذنا مثلا أي مفهوم نجده عند النحو العربي ، لو أخذنا مفهوم الابتداء ، أو مفهوم الناسخ ، أو مفهوم الخبر ، أو مفهوم الحال ، وإلى غير ذلك ، أول مشكل تطرحه هذه المفاهيم هو مشكل التعميمات التي أحيانا تضطر النحاة العرب إلى اصطناع معطيات لكي تتمشّى مع المضمون الذي يعطونه لمفهوم وصفي معين ، لأن المفهوم مرتبط بقاعدة أو بتعميمات .

الأستاذ الجابـــري

سأجيب على تدخلات السادة الأساتذة باختصار ، نظرا لضيق الوقت وأبدأ بملاحظات الأستاذ الادريسي : وأنا لا أظن أني أختلف معه في مسألة جمع اللغة العربية فأنا لا ألوم النحاة واللغويين القدامَى على الطريقة التي سلكوها بل أراها معه ، هي الطريقة التي كان يجب اعتمادها . ولكن لا يمنع من أن أسجل هذا الواقع ، هدف الحقيقة التاريخية ، وهي ما جمعه اللغويون القدامَى هو لغة بدوية . أسجل هذه الواقعة دون اصدار أي حكم معياري . أما فيما يتعلق بمسألة العلاقة بين الفكر واللغة فأنت تريد مني أن أعالجها من منظور لساني سيميائي وأنا قلت في

البداية أنني لن أعالجها من هذه الزاوية فما يهمني كباحث ابستيمولوجي وكعامل في حقل الفلسفة العام هو النظرة التي تقدمها اللغة لأهلها عن العالم من خلال مفرداتها وتراكيبها وبالتالي ما هو حاضر فيها وما هو غائب . وأعتقد أن الحضارة غالبة في اللغة العربية بنسبة كبيرة وأن البداوة حاضرة فيها بنسبة أكبر كثيرا . وهذا في حد ذاته ليس عيبا بل هو واقع. فاللغة هي دوما لغة المجتمع والمجتمع الذي جمعت منه اللغة العربية هو المجتمع البدوي العربي . أما بالنسبة لمسألة التعريف في اللغة العربية في المرحلة الأولى من قيام البحث العلمي فيها فلقد كان تعريفا بالرسم وأحيانا نجده تعريفا بالمثال فقط كما لَدى سيبويه . أما أنواع التعريف الأخرى فلم تظهر الا في مرحلة لاحقة ، بعد الاحتكاك بالثقافات الأجنبية . وعندما أقول إن منطق اللغة العربية هو منطق بيان لا منطق برهان ، فأنا أحكم هذا بالمقارنة ، وهذا ما نفعله في الغالب فإذا انطلقنا من أن الجملة في اللغة العربية ، وفي اللغات السامية عموما هي جملة فعلية فإن عناصر الجملة التي تأتي بعد الفعل الذي يحتل الرتبة الأولى فيها ، ان هذه العناصر اما تبين من قام بالفعل أو قام به الفعل وفي أي مكان أو زمان أو بأية كيفية أو كمية .. الخ اما في الجملة اليونانية وفي اللغات الآرية عموما حيث تبدأ الجملة بالاسم فالعناصر الأخرى تأتي بوصفها محمولات أي احكاما يصدرها المتكلم وفي هذه الحالة لا يكفي بيان الحكم بل لابد من البرهنة عليه . وهذه القضية ربما سنناقشها بتفصيل في الجلسة الخاصة هذا المساء .

أما بالنسبة لملاحظة الأخ بوطالب ، وتتعلق باقتصاري على قاموس «لسان العرب» فالمسألة بالنسبة لي مسألة نموذج وليست مسألة استقصاء . وأعتقد أن أحسن قاموس عربي يمكن اتخاذه كنموذج وكمرجع هو «لسان العرب» ذلك لأن ما يهمني ليس الناحية المعجمية المحضة بل الثروة اللغوية كلها . وأعتقد أن لسان العرب ليس مجرد معجم وقاموس بل هو موسوعة الحضارة البدوية العربية ، بمعنًى أن الحياة العربية البدوية القديمة نجدها كلها مسجلة في هذا (القاموس) ذلك أنه لا يقدم المفردات ومعانيها فقط بل يقدم الأمثال الكثيرة والشواهد والحكايات والأحاديث ... الخ وهذا الطابع البدوي السائد في قاموس لسان العرب نجده سائدا وربما بدرجة أكبر في المعاجم الأخرى المختصة كمعاجم المعاني التي جمعت قبل الخليل أو بعده . قبل تلك التي تتحدث عن الابل والطير وغير ذلك من (كائنات) الصحراء أما الشروح التي وضعت فيما بعد ، فهي تقع خارج الدائرة ، دائرة اللغة

العربية كما جمعت في عصر التدوين ، وكما لازالت – نظريا – إلى الآن أي كلغة (فصحَى) .

أما الملاحظة التي أدلَى بها الدكتور كمال أبو ديب حول ما إذا كنت أقول بجوهرانية اللغة ، فأنا لا أعتبر اللغة جوهرا ثابتا ، ولا أعتقد أن هناك اليوم من يقول بهذا ولكن مع ذلك فنحن متفقون جميعا – ربما – بأن اللغة العربية لم تتطور خلال الأربعة عشر قرنا الماضية لا بنفس الوثيرة ولا بنفس الشكل الذي تطورت به اللغات الأخرى . وهذا يعني أن (التقعيد) الذي مورس مع اللغة العربية في عصر التدوين مازال قائما إلى الآن ، رغم انفتاحها الكبير على الثقافة اليونانية والفارسية والهندية ... الخ لقد حافظت اللغة العربية (المعجمية) على جوهرها كما تم تحديده في عصر التدوين . نعم هناك تجديد في اللغة العربية على مستوَى المفاهم والتراكيب والتصورات نتيجة الترجمة والاحتكاك الثقافي ونتيجة التطور الداخلي للفكر العربي ، ولكن هذا التجديد ينعكس أثره على اللغة كلغة بل ربما أدَّى إلى قيام لغة أخرى بل لغات «جديدة» داخل اللغة العربية ، فهناك لغة الفقهاء ولغة المتكلمين والفلاسفة ولغة المتصوفة وهذا التداخل اللغوي داخل اللغة الواحدة نتج عنه ما أسميته في عمل آخر قيد التحضير بـ (صراع المقولات في العقل العربي) المهم أننا نشتكي جميعا من الظاهرة التالية : وهي أن الكلمة العربية لا تاريخ لها ، بمعنَى أننا لا نتوفر على تاريخ تطور الكلمة العربية باعتماد المعاجم . بل ان المعاجم تكرر نفسها لأن المعنَى «الأصلي» للكلمة أي المعنَى الذي حدد لها في عصر التدوين هو وحده المعترف به ، وهو وحده الذي لازال قائما إلى اليوم .

وبخصوص قضية الأصل الحسي للغة كل لغة كما لاحظ ذلك الأستاذ عزام فأنا أتفق معه فعلا بأن كل اللغات الطبيعية يمكن أن نرجع بها بشكل أو بآخر لهذه الدرجة أو تلك إلى أصل حسي أو أننا نفترض أن اللغات انطلقت أول الأمر من أصل حسي ، ولكن أعتقد أنه إذا كان هناك في كثير من اللغات الحية انفصال بين وضعيتها الراهنة وأصلها الحسي ، فان اللغة العربية وهي لغة حية الآن مازالت متصلة بأصلها الحسي . على أن ما يهمني ليس البحث المجرد العام في هذه المسألة بل تهمني حالة معينة هي حالة اللغة العربية . فاللغة العربية المعجمية الراهنة لغة حسية بمعنيين أولا أن مادتها هي في جملتها حسية أو يمكن الرجوع بها إلى الحس ، ثانيا أن (البرهان) البياني في هذه اللغة يعتمد الصور الحسية في الغالب : أساليب

البيان ، التشبيه ، الكناية ، المجاز بأنواعه .

أما بالنسبة لمسألة البلكفة التي كان يقول بها أهل السنة والأشاعرة حين يثبتون لله تعالى الاستواء مثلا : ولكن (بلا كيف) فلقد ربطتها أنا بالضغط اللغوي ، وأنت تقول إنها كانت بالعكس من ذلك انفلاتا من الضغط اللغوي ، والمهم بالنسبة لي هو ما تتفق معي فيه أي وجود ضغط لغوي . فليس المهم هو هل كانت (البلكفة) سببا أو نتيجة للضغط اللغوي المهم بالنسبة لموضوعنا هو أنها تشير إلى وجود هذا الضغط أي أنها علاقة عليه . وهذا في الحقيقة ما قلته .

والحق أن المسألة هنا تتعلق أساسا بالدور الذي لعبته اللغة العربية كاطار مرجعي بل كسلطة مرجعية في الفكر السني عامة . وهذا واضح كل الوضوح في ردود الأشاعرة وأهل السنة عموما على خصومهم حيث كانوا يحتكمون إلى اللغة العربية فإذا قرأنا ردود ابن تيمية مثلا مع المنطقيين أو مع الفلاسفة والباطنيين نجده يحتكم إلى اللغة العربية كما تداولها أهلها في عصر النبي وهذا يعني أن السلطة المرجعية لديه ولدَى كثيرين آخرين هو الحقل التداولي للغة العربية أيام النبي . وهذا هو معنَى السلفية في جانبها الابستيمولوجي . فإذا نظرنا إلى هذه المسألة في هذا الإطار ولاحظنا حد الصراع بين الأطراف المتخاصمة في الثقافة العربية (أهل السنة . المعتزلة ، الباطنية ..) يمكن بل يجب التساؤل عما إذا كان ذلك الصراع صراعا ايديولوجيا محضا أم أنه نتيجة اعتماد أنظمة معرفية لغوية مختلفة ويمكن أن نطرح اليوم قبل هذا السؤال . والواقع أني كثيرا ما تساءلت : ما الذي اختلف فيه مع فلان مثلا ، أو مع هذا الاتجاه أو ذاك ، هل الجانب الايديولوجي ؟ وإذا كان الأمر كذلك فأي واقع يعكس هذا الجانب الايديولوجي في حين أننا نعيش واقعا واحدا بل لقد وجدتني أختلف حتَّى مع من انتمي معهم إلى حقل ايديولوجي واحد .. فما سبب الاختلاف اذن ؟ أعتقد أن الاختلافات بين الأفراد والطوائف في البلاد العربية ليست راجعة إلى الايديولوجيا والمصالح الطبقية وحدها بل ربما صار من الواجب أن ندخل في الحساب الاختلاف السيوسيو ثقافي بل أيضا الابستيمو لغوي فنحن لا نتكلم من نظام لغوي واحد، هنا من يتكلم من نظام لغة عصر التدوين منذ أربعة عشر قرنا وهناك من يتكلم من نظام لغة أجنبية في القرن العشرين مترجمة أو غير مترجمة .. وشكرا .

عبد العزيز حليلي (*)

مقارنة بين النظام الصوتي للعربية الفصحَى
والنظام الصوتي للفاسية القديمة

سأحاول جهد المستطاع اختصار النتائج التي انتهت اليها هذه الدراسة المقارنة، نظرا لضيق الوقت المخصص للعروض في الندوة. وهكذا سأقتصر على عرض الخطوط العامة للنظامين الصوتيين الفصيح والدارج وذكر بعض الاشارات المقتضبة لنقط الالتقاء أو الاختلاف الاساسية والسر في ذلك. وآمل أن يمكن النقاش الذي سيلي العرض من توضيح ما قد يحتاج إلى توضيح وتقديم ما لم يستقدم بعد في دراستي هاته.

التصميم :

1 — الفاسية القديمة : تعريف وتحديد

2 — العربية الفصحَى : تعريف وتحديد.

3 — مقارنة النظامين الفصيح والدارج

ا) الصوامت وحروف اللين

ب) الصوائت.

جـ) المقطع.

(*) كلية الآداب — فاس

1 – الفاسية القديمة : تعريف وتحديد

1.1 — تعتبر الفاسية القديمة من أكثر اللهجات حفاظا على معالم البنية الاصلية للعربيات الحضرية ، نظرا لقدم مدينة فاس ونظرا كذلك للظروف التاريخية — المجتمعية المستقرة نسبيا التي نمت وتطورت في أحضانها هذه اللهجة[1] .

1.2 — تحديد وحصر الفاسية القديمة تم اعتمادا على الرواة الذين أخذناها عنهم . وقد اشترطنا فيهم الأمور التالية ، مراعاة للتجانس والأصالة[2] :

ا) أن يكونوا من أصل فاسي من مواليد المدينة القديمة ومن الذين لازالوا يقيمون بها .

ب) أن يتعدّى سنهم الخمسين ذكورا كانوا أو إناثا .

جـ) أن يكونوا «أميين» ، حتّى تبقَى لهجتهم بعيدة نسبيا عن تأثير العربية الفصحَى أو أية لغة أخرى .

1.3 — أصل الفاسية القديمة .

تنقسم اللهجات العربية إلى مجموعتين كبيرتين هما : اللهجات الحضرية (Les dialectes citadins) واللهجات البدوية (Les dialectes nomades) [3]
وأصل هذه الأخيرة معروف متفق عليه بين دارسي العربيات فأصلها عند هؤلاء هي لهجات القبائل العربية الرحل التي نزحت عن الجزيرة العربية وسكنت مختلف المناطق التي انتشر فيها الاسلام منذ القرون الأولى للهجرة . أما أصل اللهجات الحضرية ،

---

(1) أنظر مقدمة الرسالة التي تقدمت بها لنيل دكتوراة السلك الثالث في دجنبر 1979 تحت عنوان **Phonologie et Morphologie de l'ancien fassi. (Parler arabe marocain)**
من ص 24 إلى 39 توجد نسخة منها بخزانة كلية الآداب بفاس .

(2) نفسه ص : 38 — 39

(3) أنظر **Encyclopédie Islamique p. 590 et suite. Maisonneuve 1960 Paris.**

فقد اختلف فيه الدارسون فأدّى هذا إلى كثير من النقاش بينهم . ولا مجال هنا لتفصيل القول في مختلف الفرضيات التي قدمت في الموضوع[4] ، بل نكتفي بالاشارة إلى الفرضية التي اعتمدناها في تحديد أصل الفاسية القديمة وهي التي قال بها شارل بيلا (ch. Pellat) سنة 1952 [5] وحاول البرهنة على صحتها دافيد كوهن (D. Cohen) سنة 1962 [6] . يقول شارل بيلا ان الأصل في اللهجات العربية الحضرية يرجع إلى التقاء ثلاثة عناصر تختلف من حيث حجمها وأهميتها هي : اللهجات العربية القديمة والعربية الفصحَى والدخيل . اعتمادا على هذا ، افترضنا في مقدمة رسالتنا (المرجع الأول لهذا البحث) أن أصل الفاسية القديمة ، والسرّ في تميزها بطابعها الخاص هي لغات ولهجات السكان الأولين لمدينة فاس وهم :

ا) أسرة وحاشية المولى إدريس الأول مؤسس المدينة وقد كانوا من البربر والعرب .

ب) البربر الذين كانوا يسكنون المنطقة التي بنيت فيها المدينة .

جـ) أفراد من بعض القبائل العربية جاؤوا اما مباشرة من الشرق العربي أو من القيروان والأندلس ، إلى فاس عند تأسيسها بالإضافة إلى تأثير اللغة العربية الفصحَى ، لغة القرآن والسنة ، لغة الكتابة .

ويمكن أن نزعم ، بعد دراسة هذه اللهجة ، أن العربية الفصحَى وبعض اللهجات العربية القديمة قد كان لها أكبر الأثر في تكوين وتمييز الفاسية القديمة ، فأثر البربرية ضئيل جدا في بنية هذه اللهجة[7] .

2 – العربية الفصحَى : تعريف وتحديد

2.1 – المراد بالعربية الفصحَى هنا ، اللغة التي حدد مجالها ومصادرها نحاة العربية المتقدمون ، ووصفوا أبنيتها وضبطوا قواعدها الصوتية والصرفية والنحوية

---

(4) أنظر Phonologie et Morphologie de l'ancien Fassi pp. 32 à 37.

(5) أنظر Ch. Pellat : Langue et litérature arabe pp. 27 à 54 édition A. Colin Paris 1952.

(6) أنظر D. Cohen « Koiné : Langues communes et dialectes arabes » in Arabica t. IX Fasc. 2 pp. 119-44

(7) لقد أشرت إلى بعض من هذا في رسالتي عن الفاسية القديمة أنظر على الخصوص الصفحة 310

والدلالية ، فجمع كل هذا سيبويه في «الكتاب» وأكمل ما بقي منه من جاء بعده من علماء اللغة المتقدمين والمتأخرين .

2.2 — مصادر النظام الصوتي للعربية الفصحَى

إن مقارنة بعض مؤلفات النحاة المتقدمين . وبعض المتأخرين تمكن من الزعم بأن النتائج التي انتهَى إليها سيبويه في دراسته لأصوات العربية الفصحَى سليمة وصحيحة في مجملها ، يوافقه عليها كل من جاء بعده من هؤلاء وأولئك[8] .

يقول ابن جني مثلا في «سر صناعة الإعراب» (باب اسماء الحروف) : «فأما ترتيبها [الحروف] في كتاب العين ففيه خَطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته» ص 51 .

اعتبارا لما تقدم ذكره ، اكتفينا في وضع النظام الصوتي للعربية الفصحَى بما جاء به سيبويه[9] وابن جني[10] في هذا الباب ، مع الاستعانة بجان كونتينو **(J. Cantineau)** «دروس في علم أصوات العربية»[11] وتمام حسان «اللغة العربية معناها ومبناها»[12] وكمال بشر «علم اللغة : الأصوات»[13] .

---

(8) أنظر على سبيل المثال لا الحصر
ا) المقتضب للمبرد جـ 1 ، ص 192 إلى 196 تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة . عالم الكتب بيروت
ب) ابن جني «سر صناعة الاعراب» جـ 1 تحقيق لجنة من الأساتذة شركة ومطبعة مصطفَى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1954
جـ) ابن عصفور : «الممتع في التصريف» جـ 2 ص : 668 — 678 تحقيق فخر الدين قباوة دار الافاق الجديدة بيروت 1970
د) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها من ص 49 إلى 63 الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973

(9) سيبويه : الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975

(10) ابن جني «سر صناعة الاعراب» جـ : 1

(11) جون كونتينو : **J. Cantineau : Cours de phonétique arabe Klindkrieck. Paris 1960**

(12) أنظر الهامش 8

(13) كمال محمد بشر: علم اللغة العام ، الاصوات ، دار المعارف بمصر 1973 .

2.3 – المصطلح :

سأحاول جهد الإمكان – في هذا العرض – الاحتفاظ بالمصطلحات الصوتية التي استعملها النحاة العرب المتقدمون . وهكذا أرمز لمفهوم **Phonème** بحرف[14] **Consonne** بصامت ، **Voyelle** بصائت ، **Semi-voyelle** بلين ، **Syllabe** بمقطع ، **Liquide** بمنحرف الخ (*) .

بعد هذا التمهيد المقتضب أنتقل إلى صلب الموضوع ، فأبدأ بمقارنة الصوامت وحروف اللين في النظامين (الفصيح والدارج) فالصوائت واختمه بمقارنة تركيب المقطع .

3 – **مقارنة النظامين الصوتيين** (انظر الجدولين رقم 1 و2)

3.1 – **الصوامت** .

3.1.1 – الصوامت الشفوية :

تعرف اللغة العربية الفصحَى الصوامت الشفوية التالية : ب ، م ، ف ، وتعريفها كما يلي :

ب : شفوي شديد مجهور غير مطبق
م : شفوي شديد أنفي غير مطبق
ف : شفوي– أسناني رخو مهموس غير مطبق

أما الفاسية القديمة فتعرفُ الصوامت الشفوية التالية :

ب : شفوي شديد مجهور غير مطبق
ب م : شفوي شديد مجهور مطبق
م : شفوي أنفي
ف : شفوي– أسناني رخو مهموس

---

(14) ان كلمة «حرف» هي الترجمة المناسبة للمصطلح الفرنسي **Phonème** فقد اشار ابن جني في «سر صناعة الاعراب» جـ 1 ص 19 إلى أن متقدمي النحويين كانوا يسمون الحركات حروفا صغيرة وهكذا كانت كل الأصوات المميزة عندهم «حروفا» سواء كانت صائتة **(Vocalique)** أو صامتة **Consonantique** أو نصف صائتة **(Semi-vocalique)**

(*) انظر الجدولين رقم 1 و2

نظام الصوامت وحروف اللين في العربية الفصحَى
اعتمادا على سيبويه الكتاب، «ج 4» «باب الادغام»

المخارج	شديد							بين الشديد والرخو	رخو				لين	
	مجهور		مهموس		منحرف	أنفي	مكرر	مجهور	مجهور		مهموس			
	مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق					مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق		
ما بين الشفتين		ب				م							و	1
ما بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا												ف		1
ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا									ظ	ذ		ث		2
ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	ط	د		ت										3
ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا										ز	ص	س		4
ما بين ادنَى حافة اللسان إلى الطرف وما فويق الثنايا						ن								5
ما بين أدنَى حافة اللسان إلى طرفة ما فويق الثنايا، ادخل في ظهر اللسان							ر							5
من أدنَى حافة اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك					ل									5
من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس									ض					5
من وسط اللسان ووسط الحنك		ج										ش	ي	5
من مؤخر اللسان وما فوقه من الحنك				ك										7
من أقصَى اللسان وما فوقه من الحنك		ق												7
من أدنَى الحلق										غ		خ		8
من وسط الحلق								ع				ح		9
من أقصَى الحلق		ء										هـ		21

جدول رقم 1

نظام الصوامت وحروف اللين في الدارجة المغربية

	شديـد				رخـــو				متفشية		منحرف		أنفي	لين
	مهموس		مجهور		مهموس		مجهور		مهموس	مجهور				
	مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق	مطبق	غير مطبق	مطبق	غيرم						
شفـوي			ب م	ب									م	و
شفوي أسناني أسناني	ط×	ت	د م	د		ف							ن	
لثوي (أصول الثنايا)					ص	س	ز م	ز				ل		
ادنى حنكي (فويق الثنايا)									ش×	ج	ر م	ر		ي
أقصى حنكي		ك		ݣ										
هـــوي						خ		غ						
حلقـي						ح		ع×						
حنجري (أقصى الحلق)				ء		هـ								

ملاحظة : م ترمز إلى أن الحرف مطبق جدول رقم : 2

3.1.2 — الصوامت بين— الأسنانية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت بين— الاسنانية التالية :

ظ : بين— أسناني رخو مجهور مطبق

ذ : بين— أسناني رخو مجهور غير مطبق

ث : بين— أسناني رخو مهموس غير مطبق

أما الفاسية القديمة ، فلا تعرف هذا الصنف من الصوامت .

3.1.3 — الصوامت الاسنانية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت الاسنانية التالية :

ط : اسناني شديد مجهور مطبق (حسب سيبويه)

د : اسناني شديد مجهور غير مطبق

ت : اسناني شديد مهموس غير مطبق

وتعرف الفاسية القديمة الصوامت الاسنانية التالية :

د : أسناني شديد مجهور غير مطبق

دٖ : اسناني شديد مجهور مطبق

ط* : اسناني شديد مهموس مطبق

ت : اسناني شديد مهموس غير مطبق

ن : اسناني شديد أنفي.

3.1.4 — الصوامت اللثوية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت اللثوية التالية :

ز : لثوي رخو مجهور غير مطبق

ص : لثوي رخو مهموس مطبق

س : لثوي رخو مهموس غير مطبق

أما الفاسية القديمة فتعرف الصوامت اللثوية التالية :

ز : لثوي رخو مجهور غير مطبق

(*) انظر الجدول رقم 1

زم : لثوي رخو مجهور مطبق
صر : لثوي رخو مهموس مطبق
س : لثوي رخو مهموس غير مطبق
ل : لثوي منحرف غير مطبق.

3.1.5 — الصوامت الأدنَى — حنكية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت الأدنى — حنكية التالية :
ن : ادنى — حنكي شديد أنفي
ر : أدنى — حنكي شديد مكرر
ل : ادنى — حنكي شديد منحرف
ض : ادنى — حنكي رخو مجهور مطبق

وتعرف الفاسية القديمة الصوامت الادنَى — حنكية التالية :
ر : ادنى — حنكي منحرف غير مطبق
رم : ادنى — حنكي منحرف مطبق
ج* : ادنى — حنكي متفش مجهور
ش* : ادنى — حنكي متفش مهموس

3.1.6 — الصوامت الوسط — حنكية

يوجد بالفصحَى صامتان من هذا المخرج هما :
ج : وسط — حنكي شديد مجهور غير مطبق
ش : وسط — حنكي رخو مهموس غير مطبق

أما الفاسية القديمة فلا تعرف هذا الصنف من الصوامت

3.1.7 — الصوامت الأقصَى — حنكية :

تعرف العربية الفصحَى صامتين من هذا المخرج هما :
ك : أقصى — حنكي مهموس غير مطبق شديد
ق : أقصَى — حنكي مجهور غير مطبق شديد

وتعرف الفاسية القديمة صامتين هما :
ك : أقصَى — حنكي مهموس شديد غير مطبق

گَ : أقصَى– حنكي مجهور شديد غير مطبق

3.1.8 – الصوامت اللهوية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت اللهوية التالية :

غ : لهوي رخو مجهور غير مطبق

خ : لهوي رخو مهموس غير مطبق

وتعرف الفاسية القديمة نفس الصامتين

3.1.9 – الصوامت الحلقية

تعرف العربية الفصحَى الصوامت الحلقية التالية :

ع : حلقي بين الشديد والرخو مجهور غير مطبق

ح : حلقي رخو مهموس غير مطبق

وتعرف الفاسية القديمة صامتين هما :

ع* : حلقي رخو مجهور غير مطبق

ح : حلقي رخو مهموس غير مطبق

3.1.10 – الصوامت الحنجرية :

تعرف العربية الفصحَى من هذا الصنف صامتين هما

ء : شديد مجهور غير مطبق (حسب سيبويه)

هـ : رخو مهموس غير مطبق

وتعرف الفاسية القديمة صامتين هما :

ء : شديد بين الهمس والجهر غير مطبق

هـ : رخو مهموس غير مطبق

3.2 – **حروف اللين**

يوجد بالعربية الفصحَى وبالفاسية القديمة كذلك حرفا لين هما :

و : شفوي

ي : وسط– حنكي

تنتظم الحروف الصوامت وحروف اللين في النظامين الفصيح والدارج في مجموعات على الشكل التالي :

النظام الصوتي للعربية الفصحَى

المجموعـات

الازواج

المخارج	الصفات	
شفوي	أنني	غير أنني
ب	—	+
م	+	—
وسط حنكي	مجهور	مهموس
ج	+	—
ش	—	+
لهوي	مجهور	مهموس
غ	+	—
خ	—	+
حلقي	مجهور	مهموس
ع	+	—
ح	—	+
حنجري	مجهور	مهموس
ء	+	—
هـ	—	+

المثلثات

بين أسناني	مهموس	مجهور	مطبق
ذ	—	+	—
ظ	—	+	+
ث	+	—	—
أسناني	مجهور	مهموس	مطبق
د	+	—	—
ط	+	—	+

ت	—	+	—
لثوي	مجهور	مهموس	مطبق
ز	+	—	—
س	—	+	—
ص	—	+	+

الحروف المنعزلة :

ف ، ن ، ل ، ض ، ك ، ق ، ر ، و ، ي

النظام الصوتي للفاسية القديمة

المجموعات

الازواج	المخارج	الصفات		
	أقصَى حنكي	مهموس	مجهور	
	ک	+	—	
	ڭ	—	+	
	لهـوي			
	غ	—	+	
	خ	+	—	
	حلقي			
	ح	+	—	
	ع	—	+	
	حنجري	رخو	شديد	
	ء	—	+	
	هـ	+	—	
المثلثات	شفوي	مجهور	مطبق	أنفي
	ب	+	—	—
	بم	+	+	—
	م	—	—	+

المربعات	لثوي	مجهور	مهموس	مطبق
	س	—	+	—
	ص	—	+	+
	ز	+	—	—
	زم	+	—	+
	أدنَى حنكي			
	ج*	+	—	—
	ش*	—	+	—
	ر	+	—	—
	رم	+	—	+
	أسناني			
	ت	—	+	—
	ط*	—	+	+
	د	+	—	—
	دم	+	—	+

الحروف المنعزلة

ف ، ن ، ي ، ل ، و

ملاحظة : رمز الميم يشير إلى أن الحرف مطبق

3.3 — ان مقارنة النظام الصوتي للفاسية القديمة بالنظام الصوتي الفصيح تمكن من ملاحظة المسائل التالية في الفاسية القديمة :

ا) اختفاء الهمزة الأصلية من هذه اللهجة .

مثلا : **L'ard → l∂rd**

ب) تحول القاف الأصلية إلى صوت جديد هو ء وتحول الضاد إلى دم مثلا :

qalb^{un} → ρ∂lb.

darabe → dr∂b

جـ) اندماج الصوامت بين– الأسنانية الأصلية في الصوامت الاسنانية :

ث —— ت (ثلاثة) **talātat → tlata**

ذ —— د (ذهب) **dahab → dh∂b**

ظ —— دم (ظهر) **dahara → dh∂r**

د) ظهور صوامت جديدة في الفاسية القديمة هي :

دم ، رم ، بم ، زم ، وگ

أمثلــة :

دم : (درْب) **d∂rb**

(ضرْب) **d∂rb**

رم : (تهدَّم) **rāb**

(صار جبن) (الحليب) **rāb**

بم : (قُبَل) **būs**

(إهمال) **būs**

زم : (قدم التعَازي) **ε∂zza**

(ضغط) **ε∂zza**

گ : (باكرا) **b∂kri**

(بَقَرْ) **b∂gri**

(قِدْر) **g∂dra**

(أكلة فاسية) **∂dra**

هـ) تحول الجيم من الشدة إلى الرخاوة والطاء من الجهر (حسب سيبويه) إلى الهمس ، والراء من التكرار إلى عدمه الخ .

رغم كل هذه التحولات التي تظهر في نظام الفاسية القديمة ، بقي عدد الوحدات الصوتية الصامتة واللينة هو هو في النظامين الفصيح والدارج ، فهو في كليهما ثمانية وعشرون صامتا وحرف لين ؛ ومع هذا ، فإن ظهور صوامت جديدة في الفاسية القديمة ، وتحول اخرى ، واختفاء ثالثة ، جعل النظام الصوتي لهذه اللهجة العربية الحضرية يعرف تغيرات مهمة أدت إلى إعادة بنائه على شكل مغاير لبناء العربية الفصحَى . فمقارنة النظامين الصوتيين في الجملة تمكن من ملاحظة الظواهر التالية :

3.3.1 — إن ما يميز النظام الصوتي الفصيح هو وجود عدد كبير من الحروف المنعزلة التي لا تنتمي إلى مجموعات ، فقرابة ثلث الوحدات المكوِّنة له تبقَى متفردة (تسعة حروف) وتنتظم الحروف الباقية في مجموعات الازواج والمثلثات (انظر الجدول رقم 3) .

3.3.2 — أما النظام الصوتي الفاسي فإنه يتميز بوجود عدد قليل نسبيا من الحروف المنعزلة (خمسة حروف) وتنتظم باقي الحروف في مجموعات الازواج والمثلثات والمربعات (انظر الجدول رقم 4)

3.3.3 — اعادة ترتيب الحروف الصوامت في الفاسية القديمة تم هكذا ، انطلاقا من الفصحى(*)

ا) المثنى الشفوي ب/م أصبح مثلثا في الفاسية بانظمام صامت جديد اليه هو بم : ب م بم

ب) فُتِّتَ المثلث بين — الاسناني ، إذ تحول الثاء تاء والظاء دالا مطبقا والذال دال فانقرضت الحروف بين — الاسنانية من الفاسية .

جـ) أضيف إلى المثلث الاسناني ت د ط صامت جديد هو دم فأصبح مربعا في الفاسية :

ت — ط
د — دم

د) وقع نفس الشيء بالنسبة للمثلث اللثوي : س — ز ص بظهور (زم) في الفاسية :

س — ص
ز — زم

هـ) تحوَّل الجيم من صامت شديد في الفصحَى إلى رخو في الفاسية جعل المثنى ج/ش يدخل في تكوين مجموعة جديدة تتألف من أربعة صوامت هي :

ج — ش
ر — رم

(*) قارن بين الجدولين

و) دخل الكاف الذي كان منعزلا في الفصحَى في تقابل مع صامت جديد هو گ : ک ـ گ

السر إذن في انخفاض الحروف المنعزلة في الفاسية القديمة هو تحول الضاد إلى دم والقاف إلى ء ، وظهور راء مطبق إلى جانب الراء الأصلي وظهور صامت جديد هو كَ إلى جانب الكاف الأصلي . وهكذا انخفض عدد الحروف المنعزلة من تسعة في الفصحَى إلى خمسة في الفاسية القديمة . وهي ظاهرة تتفق والقواعد العامة للفونلوجيا التي تصف التطورات الداخلية التي تعرفها الأنظمة الصوتية للغات الانسانية .

3.4 ــ الصوائت

3.4.1 ــ ينحصر نظام صوائت العربية الفصحَى في ستة حروف نستطيع الاكتفاء في التمييز بينها بدرجة الانفتاح وبالمدة

ا) درجة الانفتاح :

تمكن درجة الانفتاح من التمييز بين ثلاثة صوائت هي :

الفتحة : منفتح a

الكسرة : منفرج i

الضمة : مضموم أو مستدير u

i ——— u
\
a

ب) المــدة

هذه الصوائت الثلاث إما أن تكون طويلة أو قصيرة :

ā / ă كتب / كاتب Kătăbă / Kātabă
ū / ŭ
ī / ĭ

3.4.2 ــ يتألف نظام صوائت الفاسية القديمة من خمسة حروف نعتمد في التمييز بينها المدة ، أولا ، ثم الصفات ودرجة الانفتاح .

ا) المدة : تعرف الفاسية ثلاثة صوائت طويلة واثنين قصيرين، لقد احتفظت هذه اللهجة العربية إذن بالصوائت الطويلة الثلاث التي توجد بالفصحَى وهي :

ā طويل منفتح	ī ——— ū
ī طويل منفرج	╱
ū طويل مستدير	ā

أما الصوائت القصيرة الفصحَى فلم تحتفظ الفاسية منها إلا بصائت واحد هو ŭ (الضمة) وضمت إليه صائتا مركزيا قصيراً هو ∂ (chewa) u ———— ∂

3.4.3 — نستطيع ، بمقارنة توزيع صوائت النظامين (الفصيح والدارج) استخلاص الملاحظات التالية :

ا) تُقابِل الصوائت الطويلة في الفاسية القَديمة مثيلاتها في جل الكلمات الفصيحة :

الفاسية القديمة	العربية الفصحَى
bāɛ	bāɛă (بَاعَ)
yρūl	yăqūlŭ (يَقُولُ)
ɛ∂Frīt	ɛĭFrītᵘⁿ (عِفْرِيتٌ)

وتُقابِل في بعض الكلمات الفصيحة الصوائت القصيرة .

الفاسية القديمة	العربية الفصحَى
Kūra	Kŭratᵘⁿ (كُرَة)
rīya	rĭ'atᵘⁿ (رِئة)
Ṣ̣īFa	ṢĭFătᵘⁿ (صِفة)

ب) الصوائت القصيرة في الفاسية القديمة :

الصائت يقابل نظيره الفصيح في بعض الكلمات القليلة :

الفاسية القديمة	العربية الفصحَى
dxŭl	'ŭdxŭl (أُدْخُل)

ويمثل الصائت المركزي ∂ (chewa) في جل الكلمات الفصيحة ă و ĭ و ŭ القصيرة :

العربية الفصحَى	الفاسية القديمة
Kắtắbắ (كتب)	Kt∂b
yắnsŭrŭ (ينصر)	y∂ns∂r
yắhsībŭ (يحسب)	y∂hs∂b

يتبين مما تقدم ان الفاسية القديمة قد احتفظت بصوائت الفصحَى الطويلة واختصرت القصيرة في صائتين هما ŭ و ∂ أولهما قليل الورود في الكلمات وثانيهما كثيرة يلعب دورا تمييزيا مهما في هذه اللهجة مثلا :

دخل (الماضي)	dx∂l
أدخل (الأمر)	dxŭl
دُخول (المصدر)	dxūl
فَرح (المصدر)	F∂rh
فرِح (الفعل)	Frah

3.5 — تركيب المقطع (La syllabe)

نقتصر هنا على ذكر المقاطع الممكنة التشكُّل في العربية الفصحَى وفي الفاسية القديمة مع ابداء بعض الملاحظات الوجيزة . ومن أجل دراسة مفصلة في الموضوع ؛ يمكن الرجوع إلى رسالتنا عن الفاسية القديمة وإلى دراستنا عن تراكيب المقطع في العربية الفصحَى المنشورة بالملحق الثقافي لجريدة العلم العدد 558 (18 ابريل 81) .

3.5.1 — المقاطع الممكنة التّشكّل في الفصحَى أربعة هي :

ا) صامت + صائت قصير : CV (دخل) dắ/xắ/lắ

ب) صامت + صائت طويل : CV (نَامَا) nā/mā

جـ) صامت + صائت قصير + صامت : CVC (لم) lắm

د) صامت + صائت طويل + صامت : C$\bar{V}$C (باب ، بالوقف) bāb

ملاحظات

— يبتدئ المقطع في الفصحَى — دائما — بحرف واحد صامت سواء كان في صدر السلسة الكلامية أو وسطها أو آخرها .

ـ لا تعرف الفصحَى المقطع المزدوج الإقفال لأن العرب لا تجمع بين الساكنين.

ـ لا يمكن أن يتقدم الصائت، نواة المقطع أكثر من صامت واحد، ولو في صدر السلسلة الكلامية، لأن العرب لا تبتدئ بساكن.

ـ يمكن للصائت النواة أن يكون طويلا أو قصيرا سواء كان المقطع منفتحا أو مقفلا.

ـ لا يتحقق المقطع المنفتح القصير (CV̄) في آخر السلسلة الكلامية قطعا لأن العرب لا تقف على متحرك.

3.5.2 ـ **المقاطع التي يمكن أن تتشكل في الفاسية القديمة ثلاثة أنواع هي :**

- **المقاطع المنفتحة :**

ا) صائت طويل : V̄ (ألف) ā/l∂F

ب) صامت + صائت طويل : CV̄ (الآن) dā/bā

جـ) صامت + صامت ثان + صامت طويل : $C_1C_2\bar{V}$ (بَدَأ) bdā

د) صامت مكرر + صامت + صائت طويل : $C_1C_1C_2\bar{V}$ (الأولاد) ddrā/ri

- **المقاطع المقفولة :**

ا) صائت طويل + صامت واحد: V̄C (نعم) īh

ب) صائت قصير + صامتان : VC_1C_2 (أرض) ∂rd

جـ) صامت + صائت (طويل أو قصير) + صامت CVC (مجموع) m∂g/mūε

د) صامتان + صائت (طويل أو قصير) + صامت C_1C_2VC (جَمَل) jm∂l

(فِراش) Frāŝ

هـ) صامت مكرر + صامت + صائت (طويل أو قصير) + صامت $C_1C_1C_2VC_3$ (الخصام) ddbāz

- **المقاطع المزدوجة الإقفال**

ا) صامت + صائت (طويل أو قصير) + صامتان CVCC (شدَّ) ŝ∂dd

ب) صامتان + صائت (طويل أو قصير) + صامتان CCVCC (في الأسفل) tt∂ht

ملاحظات

- ان المقطعين المنفتحين (ا) و(ب) والمقطعين المقفولين (ا) و(ب) أشكال نادرة في الفاسية لا تتحقق إلا في صدر السلسلة الكلامية.

- لا يظهر المقطع المنفتح الطويل (جـ) الا في صدر الكلمة.

- لا يظهر المقطع المنفتح الطويل (د) والمقطع المقفول (هـ) إلا في صدر السلسلة الكلامية في الاسم المعرف بأداة التعريف المدغومة في الصامت الذي يليه.

- المقطع المنفتح لا يكون إلا طويلا.

3.5.3 - يتضح من مقارنة التراكيب المقطعية في النظامين الصوتيين أن الفاسية القديمة قد احتفظت بكل أشكال مقاطع العربية الفصحَى باستثناء المقطع المفتوح القصير (CV) وأضافت إليها أشكالا جديدة هي:

- المقطع المكون من صائت طويل لا غير
- المقطع المكون من صائت طويل + صامت
- المقطع المكون من صائت قصير+ صامتان
- المقطع المنفتح الطويل الذي يتقدم نواته صامتان أو ثلاثة
- المقطع القصير والطويل المزدوج الإقفال

إن السر في ظهور هذه التراكيب المقطعية الجديدة في الفاسية القديمة يمكن تفسيره كما يلي:

ا) اختفاء الهمزة الأصلية من نظام الفاسية الصوتي سَمح بتشكُّل المقاطع التي تبتدئ بصائت طويل أو قصير، فوجود صائت في صدر المقطع دليل على اختفاء الهمزة من هذه اللهجة.

ب) إن اختفاء المقطع المنفتح القصير من هذه اللهجة نتج عن سقوط الصائت القصير أو تحوله من مكانه كلما وقع ضمن مقطع منفتح.

	العربية الفصحَى	الفاسية القديمة
ـ السقوط		
وَلَدْ	wàlăd^{un}	wɗld
كَتَبَ	Kătàbá`	Kt∂b
ـ التحول		
دخَلَ	dăxàla	dx∂l
دَخَلتْ	dăxàlăt	d∂xl∂t

جـ) سقوط أو تحول الصائت القصير كلما وقع في نهاية المقطع جعل متكلمي الفاسية القديمة يبتدئون السلسلة الكلامية ـ أحيانا ـ بساكن ويجمعون بين الساكنين عند الوقف على الخصوص.

الحسين بوزينب (*)

اللغة الموريسكية المسماة بالعجمية ALJAMÍA

كي لا يقع الخلط في كلمة موريسكو Morisco نريد أن نشير هُنا إلى أننا نَقصد بها على الخصوص المسلمين الذين مكثوا بإسبانيا بعد سقوط غرناطَة سنة 1492 ولا سيا بعد إرغامهم على اعْتناق المسيحية بعد 1562 . فلقد حاول الإسبان وبالخصوص رِجال الدين دمج المجموعة المسلمة التي سُميت في أول الأمر بالمدجنين Mudéjares في الأمة المسيحية ولكن بدون نتائج مُرضية . فلقد حالت قوة العقيدة الإسلامية دون ذلك وتمخَّضت هذه المحاولات عن عدة ثورات ، أهمها ثورة البُخَرَّسْ Alpujarras بين 1568 ـ 1570 .

إن رد فعل المسلمين كان حسب درجة القمع . فلما مُنع المسلمون من مزاولة شعائرهم الدينية ومداولة لغتهم التجأوا إلى الخفاء لمزاولة هذا الدين وهذه الأعراف ، ولكن اللغة حين يقل استعالها تضعف قوتها ويبدأ طور الإضمحلال فيها وتعوضها لغة الأغلبية القوية ولكن التعويض سيكون بمثابة تأليف Síntesis بين اللغتين .

قبل أن ندخل في صلب الموضوع ، نريد أن نقدم نظرة ولو ملخصة عن الحالة الثقافية العامة للموريسكيين الذين كانوا قد استوعبوا كثيراً من عناصر ثقافة الإسبان المسيحيين عكس ما كان عليه الحال بين الأندلسيين الذين هاجروا قبل القرنين

(*) كلية الآداب ـ الرباط

السادس عشر والسابع عشر والذين لم يجدوا صعوبة للدخول في حضيرة المجتمع المغربي (وأقصد المغرب العربي) الذي كان يستقبلهم .

إن الموريسكيين يمثلون من جهة إمتداداً مغلوطاً في تسلسل التواريخ Anacrónico للثقافة القشتالية الأراغونية في القرون الوسطَى . ومن جهة أخرى ابقاء على الحياة للثقافة العربية الأندلسية . إن اجتماع هذين العاملين هو الذي يخول العالم الموريسكي صفة الخلط الفريدة التي يختص بها. فبالنسبة للثقافة العربية الأندلسية فانها كانت قد انحطت ، ونعني بالانحطاط عدم التمكن من تجديد بنيتها الخاصة على حد تعبير L.P. Harvy . في القرن الخامس عشر ، رغم الإنحطاط الذي آلت إليه الثقافة الأندلسية ، كان في غرناطة مجموعة لا يستهان بها من العلماء والشعراء والفقهاء ... الخ الذين كانوا يعملون على إبقاء التقاليد العلمية والثقافية التي ورثوها عن أسلافهم . ولكن دخول الإسبان سنة 1492 وضع حداً لكل هذا .

قبل ذلك كان المدجنون يعيشون في جهل وكانوا قد فقدوا التطلعات التي كان يطمح إليْها أجدادهم الأندلسيون . فمن العُلوم الإسلامية لم يكن لهم إلا بعض المعرفة التي تكفي الذين هُم على طريق الله السوي . وكثير من هؤلاء المدجنُون كانوا قد فقدوا لغة أجدادهم . لهذا كان المسلمون الإسبان يقدمون على ترجمة الكتب العَربية وخصوصاً الدينية منها إلى الإسبانية لإنقاذ العقيدة الإسلامية عند هؤلاء الأشخاص .

رغم ما قلنا عن انحطاط اللغة العربية بين الموريسكيين ، ففي الحقيقة لم توضح بعد الدراسات التي انجزت إلى حد الآن الوضعية الدَّقيقة لحالة اللغة العربية بين الموريسكيين (خصوصاً بين الرجال والنساء). إننا نعرف أن الفقهاء كانوا يشتكون من الإنحطاط المستمر للغة العربية لذا كانوا يلجأون إلى تعليم مخارج الأصوات للموريسكيين الذين لم يتعودوا على نطق الألفاظ العربية وهذا التعليم كان يلقن ، بالطَّبع ، بالإسبانية .

إن أول سؤال يتبادر إلى الذهن عند تعرفنا على الأدب العجمي أو الأعجمي (Literatura Aljamiada) المكتوب بالخط العربي هو لماذا استعمل الموريسكيون الخط العربي ولم يستعملوا الخط اللاتيني في كتاباتهم ؟ إن للإجابة على هذا السؤال

سأعيد ما قاله الدكتور Ottmar Hegy من جامعة طرنطو Toronto بكندا في مقاله «استعمال الحروف العربية من طرف الأقليات المُسلمة وجوانب أخرى من الأدب العجمي ...»[1]: في أول الأمر كان يُعتقد أن الدافع الذي جعل الموركسيين يكتبون بالخط العربي لغتهم العجمية هو إخفاء أفكارهم وجعلها صعبة الفهم من طرف غير المسلمين. إننا لا نستبعد هذا — يقول O. Hegy — في حالة الموركسيين ولكن نظن أن ظاهرة الأدب الاعجمي يمكنها أن تفسر من زاوية أخرى، لأنه يجب أن لا ننسَى بأن كتاباً ما إذا كتب بالعربية فسيلفت بسرعة انتباه السلطات. زيادة على أن كلاً من حكام البلاد ومحاكم الكنيسة (Inquisición) كانوا يتوفرون على خبراء في اللغة العربية (...) إننا نظن أيضاً أن استعمال الحروف العربية من طرف الموركسيين راجع، إلى حدٍّ كبير، إلى قدسية الكتابة العربية، وراجع أيضاً إلى مُيول عاطفية تجاه هذه الكتابة. وإن الأمر يتعلق بفترة حيث الدين أو حالة الانتساب إلى مجموعة دينية لم يكن ينحصر في الاعتقادات المتصلة بما وراء الطبيعة وإنما كان يتضمن أيضاً (كما هو الحال في يومنا هذا) القسم المتصل بالعِبادة الخارجية (والحروف تدخل في هذا القسم).

ظهور الأدب الأعجمي إلى الوجود :

رغم بعض الإشارات التي نَقرأها في بعض الكتب القديمة على عجمية الموركسيين (كالتي وردت في رواية دُنْ كِخُطِ Don Quijote[2] مثلاً فإن هذا الأدب بقي مجهولاً إذ ظل مدفوناً بين سطوح منازل الموركسيين وفي غيران مهجورة وفي تجاويف ... الخ.. إلى أن شُرِع في العثور عليه في القرون الأخيرة بعد أن تهدمت بعض منازل الموركسيين التي كانت مخبأ لهذه الكتب، كما هو الحال بالنسبة للمخطوط رقم 1880 لمكتبة الاسكوريال El Escorial الذي عثر عليه سنة 1795 في بلدة أَغْراذَ Agreda بعد هديم أحد المنازل. أما أكبر اكتشاف عرفنا في هَذا المجال فهو ذلك الذي حصل سنة 1884 ببلدة Almonacid de la Sierra بناحية سرقسطة Zaragoza حيث عثر على مخزن كامل لكتبي

(1) O. Hegy : Actas del coloquio Internacional sobre literatura Aljamiada y Morisca. O – viedo – 1972. Cleam, Madrid, Ed. Gredos 1978 pp. 147-186.

(2) Don Quijote. II parte. cap. IX

موريسكي فيه حوالي 150 مخطوط عدد كبير منها أعجمي ، توجد أغلبها حالياً في معهد الدراسات العربية التابع للمجلس الأعلى للبحث العلمي C.S.I.C. بمدريد ، ولكن رغم هذه الإكتشافات الهامة ، فنوعية مضمون هذه الكتب بقيت مجهولة مدة طويلة حيث أن في بادئ الأمر ظن بعضهم أن الكُتب عربية وآخرون عبرية ... الخ .

إن في القرن الماضي أُنجزت سِلسلة من المنشورات في هذا الميدان ولكن الناشرين لم يكونوا مهتمين إلا بمضمون هذه المخطوطات ولم يخضعوا للدرس جانبها اللغوي ؛ فـ Guillén Robles نشر سلسلة من أساطير موريسكية وجَدَّدَ لغة هذه المكتُوبات حتَّى يتمكن القارئ الحالي من فهمها بسهولة و P. Gayangos نشر في 1853 مجموعة نصوص دينية مصحوبة بمعجم للكلمات . في بداية هذا القرن عرِفنا دراستين ممتازتين للنصوص الأعجمية الموريسكية هي : قصيدة يوسف El Poema de Yuçuf من طرف R. Menéndez Pidal (1902) وحكاية الملك اليشندر El Rrekontamiento del Rey Ališandᵉre من طرف A.R. Nykl (1924). بعد الستينات بدأت تظهر دراسات علمية عميقة من طرف باحثين مختصين سأذكر منهم (كي لا أطيل) Gisela Labib – O. Hegy – R. Kontzi ... الخ . وفي جامعة أبييذو Oviedo بإسبانيا يقوم الاستاذ A. Galmés بإدارة شعبة فقه اللغة الإسبانية التي اختارت البحث والتخصص في الأدب العجمي . ولقد أنجزت تحت إشرافه عدة رسائل جامعية في الأدب الأعجمي . ونظم سنة 1972 بنفس الجامعة لقاءاً دولياً لدراسة جميع جوانب هذا الأدب حضره ألمع دارسي واخصائيي الحياة والأدب الموريسكيين . والأستاذ A. Galmés يشرف على سلسلة كتب تنشر فيها الدراسات المنجزة في هذا الميدان . ويوجد الآن في طور الإنجاز بشعبة الأستاذ A. Galmés معجم ضخم للغة الموريسكية .

بعد هذه اللمحة التاريخية للتَّعريف بهذا الأدب ، سنتطرق فيما يلي إلى تحليل لغة الأدب الأعجمي الموريسكي الذي يمكننا أن نعتبره بحق أدب صُمُود وأدب مقاومة الدين والحضارة اللذيْن أرغموا على اعتناقها . أدب الخفاء .

إن أغلب هذه المخطُوطات عثر عليها في ناحية أرغون Aragón بإسبانْيا لذلك نجدها تَخضع لخصائصها اللغوية الإقليمية (كما تخْضع باقي المخطوطات للخصائص الإقليمية التي وجدت فيها مثل البرتغالية والقشتالية والكطلانية ... الخ) فبالنسبة لهذا الصنف الأول نجد أن أراغونية هذه المخطوطات تتسم بالمحافظة على حواصل (Resultados) بارحتها اللَّهجة الأراغُونية المعاصرة لها (ونذكر هنا أن الأراغونية Aragonés بدورها محافظة عن حواصل تخلت عنها القشتالية (Castellano) عدة قرون سلفت .

أما الخصائص الصوتية العربية التي تظل في مخطوطاتنا فإنها تكوِّن في بعض الأحيان الحد الوسط في التطور من العربية الفصحَى إلى العربية الدارجة المغربية ، خصوصاً فيما يتعلق بالتطور : فَعْلْ > فَعَلْ > فْعَلْ في كلمات مثل :

قَصْرْ (عربية فصحَى) > قَصَرْ (عجمية) > قْصَرْ (مغربية)

تَمْرْ (ع. ف) > تَمَرْ (عج) > تْمَرْ (مغ)[3]

وَحْدَهُمْ (ع. ف) > وَحَدَهُم (عج) > وَحَدْهُمْ (مغ)

كَعْبُ (ع. ف) > كَعَبُ (عج) > كْعَبْ (مغ)

ظَهْر (ع. ف) > ظَهَرْ (عج) > ذْهَرْ (مغ)

فَجْرْ (ع. ف) > فَجَرْ (عج) > فْجَرْ (مغ)

جَهْلْ (ع. ف) > جَهَلْ (عج) > جْهَلْ (مغ) .. الخ

أحياناً نجد أن بعض الأشكال ما زال الاحتفاظ بها في المغرب كـ : عَصْرْ (ع.ف) > عَصَرْ (في تطوان ونواحي أخرى من شمال المغرب)

من حيث الصائت نجد ما يلي :

— عربية المورسكيين —كالدارجة المغربية— ضيعت التمييز بين الصائت الطويل والصائت القصير (هذه الظاهرة يمكن أن تقارن مع ما حدث في اللغات اللاتينية الحديثة بالنسبة للغة الأم). فبالرغم من أن في بعض الأحيان تمثل لنا كلمات تحتفظ

---

(3) ع.ف = عربية فصحَى
عج = عجمية
مغ = مغربية

بطول الصائت . إلاَّ أننا اعتبرنا أن هذا التمثيل راجع بالدرجة الأولى إلى كونه أثر خطي لا غير ، شبيه بذلك الأثر الذي يمثل الرمز h أحياناً في اللغات اللاتينية الحديثة كالإسبانية مثلاً في كلمات مثل hacer و hablar حيث تذكرنا بفاء بائدة fabŭlari > hablar – făcĕre > hacer . ولا يُكون تحقيقاً فونولوجياً خصوصاً وأننا نجد أن في بعض الأحيان يدخل الموركسيون بهذا التمثيل في تناقضات مع الإمكانات الفونولوجية العربية فمثلاً كلمة مثل الاَحْبَارْ ulāḥbār (المشتقة من كَعْبْ الْأَحْبَارْ) تحاشتها العربية نظراً للكلفة التي تتطلب . في هذا قال ابن جني[4] : «فإن كان الساكنان المحشو بهما الأول منهما حرف معتل والثاني حرف صحيح تحامل النطق بهما وذلك نحو قَالْبْ وقُولْبْ وقِيلْبْ إلا أنه وإن كان سائغاً ممكناً . فإن العرب قد عدته وتخطته عزوفاً عنه وتحامياً لتجسم الكلفة فيه . الا ترَى أنهم لما سكنت عين فعلت ولامه حذفوا العين البتة فقالوا قُلْتُ وبِعْتُ وخِفْتُ ولم يقولوا قُولت ولا بيعت ولا خيفت» .

إن هذه الآثار الخطية تتكرر مراراً في المخطوطات العجمية الموركسية . فأحياناً أخرى نجد أن لِا (بالخفض) لا تمثل إلا لاماً خالصة . في كلمات مكتوبة بـ لا مثل : الاِفَامَ l-aliqāma ، اَلاِمَامْ alimām ، لَلِانجيلْ l-alinjīl ، لَلاِفَامَ (aliqāma) ... الخ معنَى هذا أن الهمزة ضاع صوتها وآلت إلى الدرجة الصفر .

وأحياناً أخرى نجد أن كماً صائتاً جديداً في بعض الكلمات يمثل في الحقيقة كيفاً صائتاً أي أن الكم الصائت الجديد في هذه الكلمات يمثل في الحقيقة نبر اللحن acento tónico : فابِيلْ (*) qābīl < (ع.ف) قَابِلْ ، الرَّاشِيدْ al-R-Rāšīd < (ع.ف) الرَّشِيدْ . شَيِيِيْ šayī'i < (ع. ف) شيء ، أشايْطَنْ āšayṭan < (ع. ف) الشيطان ... الخ . خصوصاً وأننا نجد حالياً أن في موقع الكم الصائت الجديد يضع المغاربة نبر اللحن ومما يزيدنا يقيناً من هذا ، استعمال الكم الصائت مكان نبر اللحن في كلمات إسبانية مثل dīšo دِيشُ Kamīno كَمِينُ R-Rīko رِّيكُ prīsa پْرِيشَ ... الخ .

---

(4) الخصائص 2 ص 495– 496

(*) احتفظ للفاء وللقاف (ف ، ق) في الأمثلة المأخوذة من الأدب العجمي بطريقة كتابتها في هذا الأدب أي نقطة تحتية للفاء ونقطة فوقية واحدة للقاف .

إننا قد سجلنا ضياع الكم الصائت حتّى بين الكلمات القرآنية وكلمات من الحديث النبوي الشريف.

فيما يلي نماذج تبين لنا هذا الضياع :
– سُبْحَنَ اللّهْ
– اِبْنُ حَنِفَتَ
– اِسْتَغْفِرُ اللّهَ اَلَدِيْ لاَ اِلَهَ إِلَى هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ وَاَتُبُ اِلَيْهِ
– لاَ لِلَّهَ إِلاَ اللّهْ وَحَدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِ وَيُمِتُ وَهُوَ حَيُ لاَ يَمُتُ بِيَدِهِ اَلْخَيْرِ وَإِلَيْهِ اِلْمَسِيرُ وَهُوَ عَلَ كُلِ شَيِيْ قَدِرُ [مخطوط 5267 – R 14 7/4]

من الخصائص الصائتية الأخرى نجد أن الإمالة ليست مهمةً كما هو الشأن في عربية غرناطة التي تغلب عليها الإمالة. فعربية الموريسكيين في هذا تشبه العربية المغربية.

نجد كذلك الضم الآتي من الفتح في كلمات مثل **رُمَضَانْ**، **فُجْرْ**... الخ (كما هو الشأن في بعض أنحاء المغرب).

أما فيما يخص الصوامت فنجد ما يلي :
– الثاء تطل تحت صيغة سين في كلمات كـ **الْخَدِيسْ** < الحديث (ع. ف).
– الحاء تنطق خاء في كلمات مثل **خلال** < حَلالْ (ع. ف). **خَرَنْ** < حرام (ع.ف) **خَرَّمْ** < حرام (ع.ف)، **الْخَدِيسْ** < الحديث (ع. ف). **خَيُّ** < حَيٌّ (ع.ف). **الْخَرْفْ** < الْحَرْف (ع.ف)... الخ. رغم عدم غياب هذا الإبدال عن الإمكانات العربية (بالخصوص في الدارجة : خْشَ/حْشَ) فإن تحقيق الحاء خاء يمكن أن نعتبره في الكلمات السابقة بدون شك ناتج عن فقدان الموريسكيين للنظام الصوتي العربي وتعويضه بالإسباني الذي لا يعرف حرف الحاء.

ومن نفس الزاوية السابقة يمكننا أن نشرح تعويض الغين للعين في كلمات مثل **اَلْغَابِدْ** < عابد (ع.ف). **اَلرَّكَغَة** < ركعة (ع.ف). **اَلْغَرْشْ** < عرش (ع. ف) **مَلْغُن** < ملعون (ع. ف). **اِلْغَتِيمْ** < العظيم (ع. ف) **تَغَالَى** < تَعَالى (ع. ف)... الخ.

إن تعذر النطق بالعين يمكن أن يحل بإبدالها غينا [الحالة السابقة] أو باختفائها تماماً فنجد كلمات مثل **أَرَفَ** < عرفة (ع. ف) . **وَلَيْكَ** < وَعَلَيْكَ (ع. ف) ... الخ .

ومن جهة أخرى نجد المورسكيين يخلطون كثيراً بين القاف والكاف . في كلمات إسبانية مثل **جِّفُ** (chico =) chiqo ، **قُرَسُنْ** (corazón =) qoraçon **أَقُنْبَنَّ** (acompana =) aqonpana **قُوَنْدُ** (cuando =) quando ... **الخ**

نرَى الكاف الإسبانية تعوض بالقاف وأحياناً أخرى نجد أن القاف العربية تعوض بالكاف كما هو الشأن في كلمات مثل **اَلْكُرَنْ** < قُرْآن (ع. ف) **اَلرِّشْكَا** < الرِّزق (ع. ف) **كَدِيْرُ** < قدير (ع. ف) **اَلْيَكُتَشْ** < الياقوت (ع. ف)... الخ

في كلمة **اَلْقُرْسِي** <كرسي (ع. ف) الكاف العربية تعوض بالقاف كمبالغة في التصحيح ultracorrección

إن التداخل الحاصل في النطق بالقاف عوض الكاف في كلمات إسبانية والنطق بالكاف عوض القاف في كلمات عربية يطرح مشكلة دقيقة . فمن جهة لا يمكن لنا أن ننكر معرفة المورسكيين للنطق بالقاف (كما هو معروف حالياً) نظراً لتوفرنا على المعطيات الكافية التي تبرهن عن وجود هذا النطق . ومن جهة أخرى فإن تحقيق الكاف الاتية من القاف في كلمات عربية يدفعنا إلى الشك في قدرة تحقيق القاف من طرف المورسكيين .

نظراً للتواتر في ظهور التحقيقات السالفة الذكر في المكتوبات الأعجمية فإنني أظن أن المورسكيين عرفوا النطق بالقاف الحلقي الخلفي المهموس . وسبب ظهور تحقيقات الكاف بدل القاف في الكلمات العربية راجع إلى التردُّد والخلط الذي كان يطبع المورسكِيين بعد أن قَلَّ سماعهم للعربية من أفواه العرب وإلى السطو المتزايد للنظام الصوتي الإسباني على النظام الصوتي العربي للمورسكيين . فلنا مثل واضح لهذا الخلط والتردد في إبدال الكاف قافاً في كلمة **اَلْقُرْسِي** < كرسي (ع.ف)

— نجد الصاد تفقد الإطباق كما يحدث في كثير من اللهجات العربية المعاصرة

في كلمات **ٱلْمَسِيرْ** < مصير (ع.ف) . **أَسَغَا** < أصغى (ع.ف) . **حِمْسْ** < حمص (ع.ف) **ٱلسَّدَفَ** < صدقة (ع.ف) . **السَّفَا** < الصفا (ع.ف) .... الخ

– ثم وجدنا فيما يخص الطاء كلمات تنم على خاصية الجهر القديمة لهذا الصوت : **أَبِي ظَالِبْ** < أبي طالب (ع.ف)**ٱشَيْظَنْ**– **ٱلشَّيْظَنْ** < الشيطان (ع.ف) ... الخ . هذه الخاصية عرفتها العربية الأندلسية قبل هذا في كلمات مثل Rábida < رابطة (ع.ف) Adobe < طوب (ع.ف)... الخ .

فيما يخص الضاد والظاء ، وجدنا نفس النتائج التي تميز هذين الصوتين في عربية المغرب حاليا أي 1) الخلط بينهما 2) فقدان الإطباق 3) الجهر يتحول إلى الهمس في الصوتين :

رَظِيَ < رَضِيَ (ع.ف) **ٱلضُحَرْ** < ظهر (ع.ف) . **اِلْغَتِيم** < العظيم (ع.ف) ، **اِلْعَدِيمْ** < العظيم (ع.ف) . **ٱللَّوْحْ الْمَحْفُوتْ** < اللوح المحفوظ (ع.ف) ... الخ .

اما فيما يخص الهاء فزيادة على اختفائها عند اشتقاقها من التاء الدالة على التأنيث في آخر الكلمة (وهذا عام على كل اللهجات العربية)، نجد في المكتوبات الأعجمية المورسكية أنها تختفي أحياناً في وسط الكلمة لكونها صوتاً لا يدخل في الإطار الفنولوجي الإسباني الذي سيطر، كما قلنا، على عربية المورسكيين لهذا نجد كلمات مثل : **شَاَافْ** < شاهق (ع.ف) . **ٱلطُّوُرْ** < الطُّهُورْ (ع.ف) ، **قُلُ هُوَ** < قُلْ هُوَ (ع.ف) [رغم كتابتها في هذا المثل الأخير فهي لا تنطق . (انظر رسالتي ص 306 جـ 2)] .

نجد كذلك النطق بالهاء كالحاء في كلمات مثل **ٱلدِرْحَمِسْ** < درهم (ع.ف) ، **ٱلضُّحَرْ** < الظهر (ع.ف) . ثم الهاء كالعين في **لاَ اِلَعَنْ** < لا إله (ع.ف) ، **تُعَامَ** < تهامة (ع.ف) .

بعد ابتعاد المورسكيين عن عيون العربية وبعد أن طال بهم الزمن بين الاسبان اللاتينيين نجدهم يفقدون ، كما ذكرنا ، إثبات الحدود بين ما هو عربي وما هو آت من اللاتينية ، فنجد أن الخلط والتداخل خاصيتان للغتهم . فيبدلون التشديد بالكم الصائت : **الشَايْطَنْ** بدل الشّيطان . ويبدلون الكم الصائت بالتشديد في **خَرَّمْ** من

حَرام **لاَ إِلَّهَ** من لا إله ، **لا لِلَّهَ** من لا إله [نشير هنا إلى أن التشديد بدل الكم الصائت في مجموعة لا إلَّه يحتفظ به المغاربة حاليا في المجموعة «أوْ لَيْلَّهْ»] . وينقلون الكم الصائت من مقطع إلى آخر : **الْعَسَانَشْ - الْحَسَانَشْ** < الحسنات (ع.ف) كما ينقلون التشديد من مقطع إلى آخر : **اَسِوَّاكْ** < السّواك (ع.ف) . **مُحَمَدْ** < محمَّد . ثم يشددون ما لا يشدد في العربية : **يارَّسُولُ اللَّه** [هنا تأثير إسباني] . **اِلَّيْه** < اليه (ع.ف) . **مُحَمَّدْ دَا رَّسُولُ اللَّهْ** < محمد رسول الله (ع.ف) . **فَرْجًّا** < فَرَجًا (ع.ف) **مَخْرْجًّا** < مَخْرَجاً (ع.ف) . **وًّ** < وَ (ع.ف) . **جّهَنَّمْ** < جهَنَّمْ (ع. ف) . **الرَّاشِّيدْ** < الرَّشِيد (ع.ف) .... الخ .

كتأثير إسباني نجد أن التشديد يختفي في كثير من الأحيان فنجد كلمات مثل : **الْوَصِيَ - اَشَيْطَنْ - رَبِ - اَتَوْرَا - اَدِنْ - صَلَ - الْحَجْ - مُحَمَدْ - خَيُ - كُلِ - عَزَ - اَسَجْدَ - ذُو الْحِجَتِ** .... الخ .

ومن حيث الخط نجد مثلا أن اللام في الكلمات الشمسية لا تكتب في كثير من الأحيان وتُستعمل رموز التنوين بدل التشديد وتقسيم الكلمة العربية في آخر السطر بين سطرين كما هو الشأن في الإسبانية وباقي اللغات اللاّتينية وأحياناً تكتب التاء المبسوطة بدل المربوطة في كلمات : لَيْلَتُ - ذُو الْحِجَتِ - اِبْنُ حَنِيفَتَ ... الخ .

إذا كان الجانب الصوتي الإسباني قد طغَى كما رأينا على الجانب العربي من الأعجمية المورسكية ، فإن التأثير العربي على إسبانية هؤلاء المسلمين لم يبق على الهامش ، فإننا سنجد أن التراكيب النحوية والأسلوب العربي قد فرضا نفسيهما على العجمية المورسكية . إن أصل هذه التراكيب وهذا الأسلوب راجع في بداية الأمر إلى الترجمة الحرفية من اللغة العربية . وبعدئذ سنجد أن التركيب الجديد الذي خُلق على أساس نقل مكونات التركيب العربي ، أخذ يتحرر ويكتسب في الإستعمال شخصية مستقلة عن الأصل الذي خلقه ويتحول إلى «عبارات مسكوكة» **cliché** أو «تعبير مورسكي» سيستعمل في الترجمة لعكس تركيب عربي مغاير في المكونات للتركيب الذي خلق «التعبير المورسكي» فمثلاً إذا كان التعبير المورسكي : **asi lo e kerido Kon vosotros** أُخذَ في الأصل على التركيب العربي : **هذا ما أردت بكم** كما نَرَى جلياً ، فليس معنَى هذا أن كل التراكيب التي سنجدها على

هذه الصيغة قد أخذت عن نفس التركيب العربي . خصوصاً وأنّنا وجدنا بعد مقارنة نصوص مورسكية ترجمة حرفياً من كتاب تنبيه الغافلين **للسمرقندي** أن الأصل العربي للجملة المورسكية السالفة الذكر أُخِذَ من «**أردت بكم ذلك**» (بدل : هذا ما أردت بكم). ونفس الشيء يحدث بالنسبة للتركيب المورسكي :
Kuando akaeçerá kon tu fortaleza الذي أُخِذَ من : **إذا نزلت بك شدة** بينما كانت الصيغة المورسكية توحي بالأخذ من : **إِذَا أُصِبْتَ فِي قُوَّتِكَ** .

فيما يلي سنذكر بإيجاز بعض التراكيب العربية التي نقلها المورسكيون إلى إسبانيتهم ونذكر هنا أن الأستاذ A. Galmés قد ألّف في هذا الموضوع كتاباً شيقاً سماه «**التأثيرات النحوية والأسلوبية العربية في نثر العصور الوسطَى القشتالي**» . من هذه التراكيب نذكر :

– ما فعل من ذنوب
– إسم الفاعل
– واو الحال
– غياب بعض الأدوات واستعمال بعضها الآخر من غير أن تحتاج وذلك تحت تأثير عربي .
– استعمال مخطئ لبعض الأدوات في الاسبانية بعد تأثير ترجمة حرفية من العربية كاستعمال **Sobre** كترجمة للأداة العربية **على** في الأمثلة :

صلى على النبي	fazer al-ṣ.ṣala sobre l-an-nabi
صبر على الفقر	ser paçiʸente sobre la pobreza
دخل على ابنه	entró sobre su fijo

– **غير** ترجمت بـ sines de أو بـ menos de

yā ʿAlī, no rreçibe Al. lah al-ṣ.ṣala sines de al-ṭawūr
(= يا علي ، لا يقبل الله الصلاة من غير طهر)

komo aprovechara a otʳri memos d-él ?
(= كيف ستنفع آخرين من غيره ؟)

– **كأن** ترجمت بـ Komo ke

Y es komo ke dayunasen siʸenpᵉre

(= وكأنهم صاموا الدهر كله)

..... الخ .

ذو أهمية كبرى في الأدب الأعجمي الموريسكي نجد النقل الدلالي calcos semánticos لمعاني عربية . هذا النقل يبرز في ثلاثة مظاهر كما بين R. Kontzi

1) نقل المعنى 2) نقل المخططات calcos de esquema 3) نقل الصدفة اللفظية calcos de coincidencia léxica

1) فالنوع الأول يوجد عندما تملأ كلمة إسبانية بمدلول جديد آت من العربية كما هو الحال في الأمثلة الآتية :

كلمة kontinuar التي تدل على القراءة لنقلها المعنى الثاني لكلمة **تلا** العربية . بينما في الأصل لا تدل إلا على معنى تبع :

Kiʸen kontinuarà leirla serà siʸenpᵉre en la guarda de Allah

كلمة Konpan̄a التي تدل في الأصل على معنى زميل– صديق ... الخ أخذت معنىً جديداً بعد احتكاكها بالعربية . وهذا المعنى هو الدال عن «صاحب الشيء» في كلمة صاحب :

فـ Konpan̄as de las fuʷesas هي ترجمة لأصحاب القبور .

وفي المثال se iualó sobre el arxi الذي تُرجم من «استوى على العرش» نجد أن الكلمة العربية «**إستوى**» يترجم معناها المادي بدل المجازي .

2) أما فيما يخص نقل المخططات calcos de esquema فهو يكمن في خلق كلمة إسبانية جديدة تحت تأثير كلمة عربية بتقليد بنيتها وأخذ مدلولها . نجد هذا النقل في كلمات مثل : se asoleta التي خلقت على أساس solo (= **وحيد**) وتحت تأثير **توَحَّدَ** . amucheçer التي خلقت على أساس mucho (= **كثير**) وتحت تأثير **أكثر**. ونفس الشيء نجد في espeçialar التي خلقت على أساس especial (=**خاص**) وتحت تأثير **خَصَّ**) .... الخ .

3) والنوع الثالث من النقل الدلالي يحدث عندما يلتقي مدلولان مختلفان لمتجانسي اللفظ **homónimos** العربيين في كلمة إسبانية كما يحدث في كلمة عَبَّرَ التي تُرجمت إلى **pesar** في المثال الآتي :

Ku^{w}ando pesaréys o dent^{a}raréysen algún rrí^{y}o (...)

في هذا المثال عُكس مدلول وَزَنَ للفظة عَبَّرَ. ونشير هنا إلى أن هذا المدلول الذي بارحته العربية الفصحَى ما زال يستعمل في بلادنا في الدارجة .

(نموذج من مخطوط أعجمي)

عبد الرحيم يوسي(*)

موقف المستعمل من اللغة العربية

ملاحظات على هامش استبيان أنجز في مصر ، تونس ، الجزائر والمغرب

أريد أن أطمئن الحاضرين – قبل الشروع في الموضوع – على شيئين اثنين ، وأن ألتمس عفوا مسبقا عن ثالث :

1 – أريد أن يتيقنوا من أنني لن أستعرض من الأرقام والنسب الا القليل وعندما تكون دالة أو مكملة للتحليل فقط .

2 – البشرَى الثانية أن هذا العرض – فيما أعتقد – لن يستغرق النصف ساعة الممنوحة ، وقد ملت عمدا إلى الايجاز حتّى تأخذ المناقشة القسط اللائق ، وإني على كل حال ، على استعداد للاتيان بأية ايضاحات تكميلية أو للاجابة على أية استفسارات بعد العرض .

3 – أما العفو المسبق ، فالتمسه عن كل لحن أو ضعف في عربيتي (**) ، وأعترف أنه ليس من عادتي تقديم بحوثي بالعربية ، وبالأحرى أن أتكلم أمام جمهور مختص مثل الذي تجرأت نفسي لتتحدث اليوم أمامه .

تخضع المجتمعات الناطقة بالعربية اليوم إلى تيارات تتولد عنها هزات لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، ويصعب توقع مآلها . فقد تعرض الوضع اللغوي مثله في هذا مثل العلاقات والأنظمة والبنيات الاجتماعية الأخرى ، بعد قرون طويلة من

(*) كلية الآداب – الرباط

(**) أود أن أشكر هنا زميلي الكريم ، أحمد شحلان ، على مراجعته لهذا النص قبل تقديمه للطباعة . أما العيوب التي يمكن ان يتضمنها النص شكلا أو مضمونا فأنا وحدي مسؤول عنها .

المحافظة ، أقول،تعرض الوضع اللغوي لبعض هذه الهزات اذ من المعلوم أن اللغة العربية اليوم في وضعية ديناميكية فريدة من نوعها ـ قد يقال نفس الشيء عن العبرية ، طبعا مع مراعاة عدد المتكلمين وضخامة ارث العربية ـ واختلاف مواقف الناطقين بالعربية تجاه لغتهم . بما في هذه المواقف من احساسات قوية ، هو دليل على أن هناك أشياء تتحرك تحت أنظارنا ، أوهي على وشك أن تتغير . فمن الواجب اذن محاولة فهم هذه الوضعية اللغوية من شتَّى جوانبها : أعني بهذا فهم جميع المعطيات التي تدخل في التخاطب ومن ضمنها هوية وأصناف المستعملين . ومواقفهم من اللغة أو اللغات المتداولة إلى غير ذلك من المعطيات . وان عمل أي اصلاح أو توجيه تربوي أو اجتماعي مثلا ، لن يوفق إلا على هذا الأساس . أعني لا بد أن ينبني على دراسات علمية شاملة .

قصدي بهذا العرض استخلاص وتحليل بعض الاستنتاجات من استبيان كان الهدف منه رسم هوية الناطق بالعربية الممدرس من البلدان الأربعة المشار إليها في العنوان ، أي مصر ، تونس ، الجزائر والمغرب[1] .

الملاحظة الأولى التي سأقوم بانجازها تتعلق بقيمة الاستبيان ـ وأعني جميع أنواع الاستبيانات ـ كوسيلة للبحث العلمي أو كأداة له . واني أفضل حتَّى لا نضيع الكثير من الوقت خلال المناقشة التي ستتبع هذا العرض ، أن أذكر بأن النقد الموجه لهذا النوع من البحث ـ وبالأصح إلى هذه الأداة ـ هو نقد مألوف وسهل ومكرس . لا جدوَى منه ، مادام لم يتقدم أحد لحد الساعة بأداة تمكن من الاستغناء عنه .

إن الاستبيانات هي وسيلة لا غاية ، والوسيلة ليست لها جدوَى إلا بالطريقة التي استعملت بها ومن أجلها .

---

(1) أشرفت على الاستبيان في المرحلة الأولى الجمعية الدولية لدراسة حضارات البحر الأبيض المتوسط AIECM تحضيرا لموائد مستديرة تحت عنوان : «اللغة العربية المشتركة في العالم المعاصر» وأنجز الاستبيان الأساتذة والباحثون : أحمد فهمي عن مصر ، أحمد العايد ومحمد المعموري عن تونس ، الحبيب الحمداني وتوفيق المدني عن الجزائر ، وزكية سي ناصر وعبد الرحيم يوسي عن المغرب . أنجز الاستبيان خلال ربيع وصيف 1980 وتمت مقارنة النتائج ودراستها في خريف نفس السنة .

حررت الأسئلة في الاستبيان من أجل شيئين اثنين :

ا) تحديد أنواع مستويات اللغة العربية المستعملة . بين فصحَى ووسطَى[2] وعامية . أو بصفة أدق تحديد ميادين استعمال كل واحد من المستويات اللغوية الثلاث مع محاولة ضبط الهدف من وراء ذلك .

ب) محاولة رسم صورة المستعمل لكل مستوَى لغوي قصد ضبط هويته وابراز ميولاته وأفكاره وسلوكه تجاه كل من المستويات الثلاثة واشكاليات الاستعمالات . فبإيجاز كان الهدف ابراز المتغيرات الآتية : هوية من يتخاطب بأي مستوَى لغوي ؟ إلى من ؟ في أي من المواقف ؟ وما احساسه من استعماله أو استعمالاته اللغوية ؟ .

لضبط المتغيرات أعلاه جزئ العمل في ثلاثة استبيانات وُجه الأول إلى المدرسين والثاني إلى المتعلمين والثالث إلى المستعملين من غير هؤلاء . أما الردود فانها ، بايجاز تراوحت بين 50 و120 من 200 نسخة وزعت فعلا ، حسب كل من الفئات الثلاث وحسب البلدان .

أجاب عن الاستبيان بنسب تكاد تكون متساوية مدرسون للأطفال والمراهقين

---

(2) التعريف الذي يمكن تقديمه في تسمية ومضمون هذا المستوَى اللغوي أي المغربية الوسطَى هو أنها لغة التخاطب المستعملة من لدن المدرسين عامة والمثقفين خاصة في التبادل العفوي حول مسائل من الحياة العصرية أو الثقافية ، فمن الناحية اللغوية يتميز هذا المستوَى بما يلي :
– الحفاظ على النمط الصوتي للعامية ولكن بادماج الهمزة
– التخفيف من التراكيب الصوتية بتوزيع الصوائت والأصوات الصامتة توزيعا متوازيا ، ولكن دون استعمال المد ، مثلا
– من ناحية المورفلوجيا يعتمد أساسا على العامية
– في التراكيب البنيوية يعتمد تتميم أو اغناء الكلمات الوظيفية fonctionnels بالاستعارة من الفصحَى . وفيما يخص التراكيب نفسها نلاحظ كثرة الجمل المعقدة subordonnées complexes بالنسبة للجمل المركبة composées
– وأخيرا الاعتماد على الفصحى في تحديد رصيد المفردات بعد «توسيطها» حسب القواعد المذكورة أعلاه ، واجتناب كل ما أمكن ذلك المفردات العامية أو الأجنبية . ان المستعمل طبعا يعرف حالات ومواقف استعمال كل من المستويات الثلاثة حيث لا يستعمل واحدا في محل الآخر حتَّى يضمن تبليغ خطابه بنجاح .

أي أن أغلبيتهم من مدرسي التكوين العام. واستجابة لطلب «تحديد القواعد المنهجية للتدريس» اتفق المجيبون من البلدان الأربعة في الاعتماد على طرق تربوية حديثة مبنية على الحوار المباشر الذي ينطلق من الاستقراء والاستنتاج و«بالدرج من البسيط إلى المركب» الخ. ويشير المجيبون إلى أن كل هذه الطرق تنبني – حسب الأجوبة دائما – على «دراسات نفس / لسانية» متطورة جدا ، حيث أن المدرس المصري ، مثلا ، يذكر «الطرق السمع / شفوية» والمدرس التونسي «الطرق السمع / بصرية» والاجمالية التركيبية إلا أنه وُجِد ضمن مجموعة أخرى من أجوبة خاصة بالوسائل المستعملة في التدريس نفس المجيبين يشيرون إلى انعدام حتّى أبسط الوسائل : آلة التسجيل مثلا ، فبالأحرَى الأشرطة السينمائية والتلفزة المدرسية[3].

لذا فباستثناء تونس ، حيث يوجد توازن نسبي في الآلات والتقنيات المستعملة من سبورة لبدية وخرائط ومسجلات وأسطوانات وأشرطة متحركة وثابتة وتلفزة مدرسية أقول باستثناء تونس فإن المدرسين في البلدان الأخرى يكتفون بالسبورة السوداء والوسائل التقليدية الأخرى كالصور والخرائط والكتب المدرسية المقررة من قبل الدولة.

وما دمنا مع المدرس فسنكتفي بالتطرق إلى الاستعمال اللغوي في ميدان اختصاصه وسنرجع إلى التحليل والمقارنة مع الطبقتين الأخريتين، أي المتعلم والمستعمل العام لأخذ نظرة شمولية. فحول نقطة مستوَى اللغة العربية المستعملة في التخاطب بين المدرس والمتعلم تتقاسم الفصحَى والوسطَى الاستعمالات داخل القسم ولا يوجد إلا 3٪ من المدرسين يذكرون استعمال العامية. ونجد أن المدرس المصري لا يستعمل الفصحَى إلا بنسبة 39٪ بيد أن الجزائري يستعملها بنسبة 50٪ والتونسي 61٪ والمغربي وهو الأكثر تعريبا – بنسبة 78٪.

وينفرد المدرس التونسي خارج القسم ، حيث يستعمل الفصحَى ، الا أنّه لا يفعل ذلك إلا بنسبة 5٪. أما في البلدان الأخرى ، فتتقاسم الوسطَى والعامية الاستعمالات بنسب تكاد تكون متساوية ، وتغلب الوسطَى في التخاطب في

---

(3) ربما لم يفهم المدرسون أن المقصود من السؤال هو ما يملكون فعلا لا ما يجب التوفر عليه أو ما هم مؤهلون لاستعماله.

الاختصاصات الأدبية ، مثلا مع الزملاء بنسبة 70٪ حيث تهمش الفصحَى والعامية إلى حد ما .

ولما طلب من المدرسين ابداء الرأي في الهدف من وراء عملهم ، أكد معظمهم بأن تدريسهم يستهدف الكتابي والشفاهي بشكل متساوٍ . وان معرفة النحو والصرف لا تكون إلا بنسبة ضئيلة : 12٪ في تونس ، 0٪ (لا شيء) في مصر 25٪ في الجزائر و8٪ في المغرب.فكل هذه النسب تستلزم تحفظا رغم ضآلتها لأنها تتناقض مع الواقع كما سنرَى في ما بعد .

وينفرد التونسي أيضا في تقييم مستوَى تلاميذه حيث يقول 77٪ من المدرسين انهم راضون عن هذا المستوَى ولا يرضَى به إلا 31٪ من المغاربة و27٪ من المصريين و20٪ من الجزائريين . أما أسباب هذا الضعف ، فيرجعه المجيبون أساسا إلى انعدام المواءمة في المعجم وإلى الصعوبات في النحو والتراكيب،بنسب تتراوح ما بين 29 و61٪ حسب البلدان،كما يشير المدرسون إلى القطيعة بين الفصحَى والعامية ، أي اختلاف لغة التخاطب بين المدرسة وخارجها ، خصوصا في المغرب العربي فيشيرون إلى أن القطيعة ليست لغوية فحسب،ولكن توجد في المضمون أيضا وفي مواد الكتاب المدرسي كالأشخاص مثلا ، والمواقف والعلاقات عامة حيث لا يكون للمواضيع المطروقة ارتباط مع واقع الأغلبية من التلاميذ .

أما بالنسبة للغة كسبب من أسباب نقط الضعف فيذكر الجزائري والمغربي – لا التونسي – ازدواجية اللغة في التعليم – وسنتطرق إلى الاقتراحات المقدمة فيما بعد – ويشير المصري هو الآخر إلى ازدواجية اللغة ، غير أن الازدواجية في المغرب العربي تعني شيئا آخر في المشرق ، كما هو معروف.ويذكر المدرسون أن من أسباب الضعف أيضا قلة الأدوات وانعدام الوسائل التربوية عامة وقصر اليوم الدارسي كما يقول المصري ، أو أن الوقت غير كاف للتدريس كما ورد في استبيانات التونسيين وهذه كلها أسباب موضوعية وأسبابها أو منابعها معروفة إلى حد ما .

ونتطرق الآن إلى ملاحظات يمكن اعتبارها غير موضوعية ، بعضها شعارات ، وبعضها الآخر ربما يعبر عن أشياء أخرى مضمرة ، أذكر من بين هذه الأسباب :

— عدم اقبال التلاميذ على التعليم؟[4] (تونس)
- عدم اهتمام أولياء الأمور بأبنائهم (المغرب)
— انخفاض السلوك الخلقي والاجتماعي وسيطرة الاهتمام المادي على الأوساط الحضرية (الجزائر) الخ.

هذه كلها علل نعرفها أيضا ونعرف مصدرها اذ هي اجتماعية واقتصادية وليست لغوية،كما أن بعضها يوجد أيضا في مجتمعات أخرى : صناعية ومتخلفة على السواء.

وأخيرا يتقدم المجيبون من المدرسين باقتراحات لمواجهة الضعف اللغوي،وأغلب هذه الاقتراحات معروف أيضا ولا يستوجب الوقوف عنده ، وسنكتفي بما هو دال. يوصي المجيبون باستثناء الجزائريين بـ :

1 — تبسيط اللغة الفصحَى والاقتراب بها من العامية ، والاستغناء عن الشكل وضبط القواعد والتركيز على اللغة بدل القواعد.

2 — يجمع المجيبون من المغرب العربي على أن ازدواجية اللغة (عربية / فرنسية) هي سبب الضعف الحاصل ويقترحون التخلي نهائيا عن اللغة الأجنبية في التعليم الابتدائي.

لقد أطلت نسبيا الوقوف حول آراء المدرسين أعلاه لكونهم مصدر اشعاع الأفكار وسط تلامذتهم ، أي المستعملين أو مستعملي الغد ، وهذه الاطالة تغني عن العودة إلى عدد من الأفكار السائدة وسط المستعملين ، ولن أتطرق فيما يلي إلا إلى ما انفرد به هؤلاء الأخيرون[5].

يلجأ المستعمل العام بنسب تتراوح بين 40٪ و60٪ إلى الفصحَى في مباشرة المهن في شكل كتابي ، أو في شكل كتب من أجل القراءة جهرا ، كالخطب والعروض والمحاضرات. وتحتل العربية الوسطى ما بين 43٪ و85٪ حسب البلدان. كما أن العامية تأتي في المقام الأول في المنزل وفي الشارع ، أي ما بين 71٪ و94٪.

(4) ربما للبطالة التي يتعرض لها المدرسون أكثر فأكثر ، بعد سنوات سمان ، أثر في نظرة التلاميذ والأولياء إلى المدرسة.

(5) وقد ارتأيت كذلك أن لا أقف عند آراء المتعلم لأنه كرر نفس ما جاء عند مدرسه.

وإجابة عن السؤال : هل يلاقي المستعمل صعوبات في التحدث بالفصحَى ؟ نفى الجميع بنسب ما بين 67٪ و84٪ واتفق المصري والتونسي في إرجاع الصعوبات في التحدث إلى النحو والصرف — ما بين 51٪ و73٪ منهم — والجزائري والمغربي إلى المعجم المخصص ، بنسبة 70٪ .

ويرَى المستعملون من البلدان الأربعة بنسبة 50٪ أن صعوبات التحرير والقراءة ناتجة عن الصرف والشكل والاعراب . و50٪ يطالعون بالعربية أكثر من أية لغة أخرى . اما الـ 50٪ الآخرون فيعللون قلة القراءة بالصعوبات اللغوية وقلة المراجع وضيقها، الا أن الشيء المدهش هنا، هو أن أولئك الذين يشتكون من انعدام الشكل ، عندما يطرح عليهم السؤال «هل شكل المطبوعات المنتظم من شأنه أن ييسر المطالعة والفهم ؟» يجيبون أن نعم بنسبة 100٪ في الجزائر مثلا و81٪ في المغرب ، ثم يتراجع في هذا الرأي نسبيا عندما لا يقبلون هذا الشكل الا بنسبة 20٪ في التعليم العالي ، ولا يقبل تعميمه على جميع النصوص المطبوعة (كتب ، مجلات ، صحف ، الخ) إلا 50٪ من المجيبين .

هذه بعض الملامح من شخصية المستعمل للغة العربية وبعض الاشارات إلى مواقفه المختلفة . ان هذه الملامح والمواقف تبرز تناقضات وتردداً ومواقف مثالية ، حتّى لا نقول وهمية ، وهذا كله ليس بسبب آفة في دماغ المتكلم بالعربية بل جذوره عريقة في التاريخ ، ومعطياته اللغوية مؤصلة من الواقع الاجتماعي أي في الارتباط السوسيو / لساني — ان صح هذا التعبير — داخل المجتمعات العربية . ان هذه المواقف تشير أيضا — وان لم نقل بالدرجة الأولى — إلى انعدام احساس المستعمل بالطمأنينة داخل لغته أو بالأمن والاستقرار النفس/لسانيين نظرا لثقل الارث وانعدام رؤيا واضحة للمستقبل .

لست أشك في أن المجيبين الذين أشاروا إلى التباين والقطيعة بين الفصحَى والعامية ، والذين اقترحوا تبسيط اللغة — مع ما يتضمنه هذا الاقتراح من سذاجة — سيكونون من بين الأوائل الذين سيرفضون أي تعديل . أومس بقواعد اللغة عندما يصدران بأوامر من فوق .

تنبأ اللغوي الأمريكي تشارلز فيركسون في خاتمة مقاله : «دايكلوسيا»[6] حول ازدواجية اللغة بشيئين اثنين بالنسبة للعالم العربي :

1 — بروز لغة وسطَى أساسها العامية،غنية بتراكيب ومفردات من الفصحَى يكون من ضمن وظائفها سد حاجيات المتكلم في الظروف والمواقف الرسمية المتسمة بالعفوية ، وهذا فعلا ما نرَى انجازه يتحقق تحت أنظارنا[7] في كل جهة من العالم العربي .

2 — ستكون هذه المستويات لغات رسمية Standard جهوية موحدة ومضبوطة القواعد ، تنبثق ، في ما يخص المغرب العربي من لهجة الرباط أو من لهجة تونس العاصمة؟ ويعطي فيركيسون مهلة قرنين لهذا الحدث إذ يؤرخه بسنة 2150م .

ان هذا بطبيعة الحال ، تكهن فقط ، وكجميع التكهنات لن يعد الا من علم الغيب . إلا أننا نعلم أنه انطلق من دراسة دقيقة للواقع وأثار ملاحظات جد وجيهة . أضف إلى هذا كله أن المستعمل العربي العادي بعد قرون مضت في الصمت ترك فيها أمره — ربما أكثر من أي انسان آخر — إلى من وهبهم الله ملكة الكتابة والقراءة أصبح الآن يريد لنفسه نصيبا في هذه الملكة ، وهذا كما هو معلوم مصدره تأثير الأفكار الاقتصادية والسياسية التي تحرك عالم اليوم ، بما في ذلك أفكار التعادل في الحظوظ والمساواة في الفرص . فماذا يقدم المخططون وواضعو السياسات عامة الآن إلى مجتماعاتهم وفي أي اتجاه هم سائرون ؟

إنه لبديهي أن لا تعتبر اللغة العربية مادة ضمن المواد الملقنة لا أقل ولا أكثر، وحبذا لو كان الأمر كذلك. فعندما يرفع هؤلاء المخططون وواضعو السياسات شعار التعريب فهل ينطلقون من زاوية موضوعية ومن واقع ومعطيات

(6) ص 339 Furguson C.A. « Diglossia » p. حلل الكاتب في هذا المقال وضعية أربعة مجتمعات لغوية (سويسرا اليونان هايتي والدول العربية) تتشابه كلها في القطيعة بين مستويين لغويين متأصلين من لغة واحدة تاريخيا ، المستوَى الأصيل عال أو مرتفع والثاني سفلي أو منخفض للعامة .

(7) نظرا لهذا العامل يحق التحدث عن تريكلوسيا Triglossie أو تيتراكلوسيا Tetraglossie

المستعملين الحقيقية ؟ يذكرنا عبد الله العروي في مقال له باللغة الانجليزية بعنوان: «اشكاليات ثقافية وبنية اجتماعية : الحملة من أجل التعريب في المغرب»(8) بهذه الحقيقة البسيطة ان مسألة قياس اللغة بمردودياتها المادية أكثر بديهية ، ويمكن القول بأن جميع الأوساط الاجتماعية تقيس قيمة اللغات أساسا بمردودياتها وبقدرتها على ضمان ربح مادي أو بجعل المستعمل محط اعجاب وتقدير داخل المجتمع ، الخ . ان مشكل اللغة يقول العروي «هو في الحقيقة ثانوي ، وقد يكون أكثر أهمية ، ضمان روابط بين التربية والمرافق المنتجة في المجتمع» (ص 36) ، إذ يكفي التنبيه إلى عدد الأطفال المغاربة في المدارس الفرنسية وأصلهم الطبقي للاقتناع بهذا .

إن الخلاصة التي يمكن استنتاجها من ملاحظة عبد الله العروي والتي برزت كذلك في الاستبيان هي أن المناخ اللغوي بصفة خاصة والثقافي بصفة عامة بالنسبة لعهد الحمايات أو الحكم الأجنبي لا زال هو هو وأنه، يختم العروي «على هذا النهج لن يتغير» حيث أن اللغة الأجنبية هي «أقل من لغة رسمية ولكن أكثر من لغة أجنبية» فهل هناك تعريف أحسن للغة الجاه أو لغة السلطة ؟ .

هذه ملاحظات غير مبالغ فيها، والأسباب التي أشار اليها العروي وغيره، لازالت تأثيراتها سارية . إلا أن وسائل التطور الديناميكية التي أشرنا إليها في مقدمة هذا العرض ، المادية منها والايديولوجية ، بين طموحات المستعملين التي تنشد وسائل فعالة للوصول إلى وظائف لكسب الحياة وفي نفس الوقت إلى ملكة أداة تخاطب فعالة وشاملة ، نقول ان هذا الاتجاه الديناميكي ، نظرا للطاقات البشرية والمالية الهائلتين في العالم العربي ونظرا للايديولوجية الوحدوية ، الخ . ان دل على شيء فإنما يدل على نهاية الركود . فعلا إن الحالة متعددة الأوجه والأطراف ، أي أنها جد معقدة، ولازلنا في حاجة إلى دراسات أكثر دقة . فلا شك ان من السذاجة أو من باب التسرع القول إن حلول المشاكل اللغوية والتربوية في العالم العربي تكمن في كذا أو كذا ، كما أنه من الغريب أن يقارن البعض العربية باللاتينية مثلا ، ويتكهن للأولى بما آلت اليه الثانية بين دول أوربا ، أي بتشعبها إلى لغات وطنية أو جهوية

---

(8) LAROUI A., «Cultural Problems and Social Structure: The Campaign for Arabization»

ترجمتي ، (انظر المراجع في آخر النص) ..

مختلفة . ان التاريخ كما هو معروف لا يعيد نفسه . ان البحوث اللغوية التي أنجزت في شتى أنحاء العالم العربي تؤكد وجود هذه الثلاثية Triglossie أو Tetraglossie أي الثلاثة مستويات من لغة واحدة بالإضافة إلى لغة أجنبية (فرنسية أو انجليزية) كما تتفق هذه البحوث في أن هذه الثلاثية حديثة العهد . ولكل مستوى لغوي ولكل لغة وظيفتها أو وظائفها . فعوض التنافس بينها كما هو الشأن في مجتمعات أخرى ـ كالتنافس الذي نجده مثلا في كندا بين الفرنسية والانجليزية وفي بلجيكا بين الفرنسية والفلامان . الخ . نجد هناك تكاملا ضمنيا هو نتيجة مواطأة يقبلها الكثير لا لشيء الا لكي تجنب أو تؤجل اتخاذ مواقف وتدابير معينة .

المراجع

كمال بكداش «التعبير الشفهي والتعبير الكتابي» **الفكر العربي** 1979 ص : 26 إلى 58 .

FERGUSON, C.A. « Diglossia », **Word,** 15, 1959 pp. 324-40.

GALLAHER, C.F. « North African Problems and Prospects : Language and Identity » in **Advances in Language Planning,,** J. Fishman éd. The Hague, Mouton, 1972.

GRAVEL, L.A., **A Sociolinguistic Investigation of Multilingualism in** Morocco, Ph.D. thesis, Columbia University 1979.

LAROUI A. « Cultural Problems and Social structure : the Campaign for Arabization in Morocco », **Humaniora Islamica** 1, 1973 pp. 33-46.

YOUSSI, A. **L'arabe marocain conceptuel, thèse de 3ème cycle,** Paris V, 1977

مناقشة الجلسة الثانية

رئيس الجلسة : الأستاذ سعيد بنسعيد (*)

الأستاذ أنور مرتجي

..الذي جمع العروض ككل هي اشكالية فصحَى – عامية – لغة وسطَى . حتَّى بالنسبة للمقارنة ما بين النظام الصوتي للغة العربية الفصحَى واللغة الفاسية ويطرح نفس المشكل كذلك بالنسبة للعرض حول اللغة الموريسكية ، وبالتالي لن أدخل في بعض التفاصيل الدقيقة ، (لأن ذلك يقتضي بطبيعة هذه المناقشات أن تكون على شكل ارتسامات) وسوف أدلي ببعض الملاحظات :

أولا : السؤال حول أصل الدوارج يجب أن يطرح. فما معنَى الفاسية القديمة مادام الاعتماد كان مبنيا على الاستبيان أي le corpus الذي اشتغلت عليه في اللغة الفاسية . وهو يتعلق بنوع من المتكلمين عمرهم يتجاوز الخمسين سنة وقد حددتهم على المستوَى المكاني ؟ .

ثانيا : في العامل التاريخي استعملت اشارة ، وهو أصول الهجرة الادريسية بالنسبة لسكان مدينة فاس ...كذلك اعتقد أنه من الناحية المنهجية اعتمدت على آراء ضعيفة لدارس ليس بلسني (شارل بيلا) ، خاصة حول آرائه في أصل الدوارج ، وهذا النقاش يحتاج الى كثير من العمق ، أعتقد أن الرأي الأساسي وهو أن الدوارج ليست تطورا للغة الفصحَى ، هنالك لغة فصحَى ليست تطورا للغة الفصحَى الأم – لا أعتبر هذا التعبير صحيحا الذي يحمل حكم قيمة في قضية فصحَى / عامية – ولكن ما يسمَّى بالفصحَى ليس سوَى تطور للهجة معينة كانت في شبه الجزيرة العربية ، وعلى أن اللهجات التي يعرفها المغرب هي كذلك تطور للهجات أخرى ليست لها أية علاقة بما يسمَّى . تجاوزا باللغة الأم كذلك التحليل – أتكلم عن المقدمات النظرية والنتائج – يصل على أساس أنه عن طريق عملية

(*) كلية الآداب – الرباط

المقارنة، وجود بعض أشكال اللقاء ما بين الفصحَى على المستوَى الصوتي ولغة فاس يطرح نفس السؤال. خاصة بالاعتماد على دراسة الأستاذ يوسي بما يسمَّى « اللغة المفهومية أو اللغة المشتركة » على أنه سيكون هنالك لقاء في يوم من الأيام مابين اللغة الوسطَى واللغة الفاسية . أعتقد ، باعتبار أن الفاسية تلتقي مع اللغات الأخرى المشتركة ، لغة الدوارج الأخرى ، وبالتالي أنه سيقع تصالح أو زواج ما بين الأم وما بين « لغات البنات » كما سميتهم.أعتبر أن هذه النتيجة لا يمكن أن تطرح الا خارج سياق آخر – سأشير إليه فيما بعد – أنها تخرج عن اطار التحليل اللسني. فعلا ، أن الوصل كعامل أساسي يعطينا هنالك ادخال عوامل أخرى أشار اليها الأخ اليوسي عن طريق ما قال الأستاذ عبد الله العروي وأتبنَّى النتيجة التي وصل اليها وهي الناحية السوسيو لغوية علميا . ماهي الظروف ؟ هنالك رأى فركسون الذي يعتقد أن هنالك تطور حتمي يشمل له عن طريق اللغة المصلحية وهي اللغة المشتركة أنها ستصير في يوم من الأيام هي اللغة التي تفرض نفسها – اعتقد أنه ليس هناك نوع من اعطاء حكم قيمة في هذه القضية بقدر ما أن هنالك عوامل سوسيو ثقافية وسياسية ستجعل إذا وجدت بأي مستوى من هذه المستويات اللغوية سواء الفصحَى أو الدارجة أو اللغة المشتركة ستفرض نفسها في يوم من الأيام.

لماذا عبد الله العروي تبنى رأي اللغة الفصحَى لأن لها سلطة سياسية ودينية وثقافية وإذا وجدت هذه السلطة بالنسبة للعامية في يوم من الأيام ، ولتكون عامية الرباط المرشحة أكثر أو اقليم زعير باعتبار أن السلطة السياسية والثقافية موجودة عندها ممكن ان تفرض في يوم من الأيام نفسها ، إذن يجب ادخال هذه العوامل .

هنالك سؤال بالنسبة للغة الموريسكية ، فعلا المعطيات التاريخية التي قدمها الأخ بوزينب في عرضه حول اللغة الموريسكية هي ايجابية من الناحية التاريخية . لكننا في عمل لسني وهنالك صعوبات كثيرة بالنسبة للدارس حول اللغة الموريسكية ، وهو أن المخاطبين غير موجودين لكي نقوم بعملية وصف لتلك اللغة نظرا لانقراض هؤلاء المخاطبين لكن أرى أنه من الضروري القيام بعملية وصف النظام لهذه اللغة بالمقارنة مع بنية أو جملة اللغة الاسبانية ، وكذلك من الناحية الصوتية مع اللغة العربية ، واعتبر كذلك أنه كان من الضروري المقارنة – ولو على الأقل – مع اشكال من

النطق الدارجي مثلا المغربية باعتبار الاحتكاك والبربرية ان اقتضى الحال نظرا للقاء التاريخي . وكنت أتمنّى أنه بدلا من أن يكون العرض التاريخي هو المقدمة ، أن تقوم بعملية المقارنة التي قمت بها ، وأن تفسر أشكال الاختلاف عن طريق عملية المقارنة بناء على تلك المعطيات التاريخية .

هنالك سؤال أساسي بالنسبة لعملية بعض الملاحظات التي قدمتها وهو عنوان العرض : هل الموريسكية لغة أم أنها ليست سوى تطور عرفته اللغة الاسبانية في مرحلة معينة عن طريق متكلمين لهم ثقافة دينية وهي الاسلام ؟.

بالنسبة للأستاذ يوسي : هناك مشكل « الاستبيان » لقد قدمت ملاحظة منهجية في أول الأمر وهي الاستبيان وحدوده المنهجية . خاصة وان هناك صعوبة في ضبط المتغيرات،مثلا من الناحية اللسنية أعتبر أن هذا الجانب يمكن أن يفيد . وكذلك ليس هو العامل الأساسي ، كان من الأحسن وصف اللغة المشتركة في هذه الدول الثلاثة وتقوم بعملية المقارنة بدلا من البحث عن المتغيرات لأنها غير مضبوطة ..والمدرسة التوليدية أغفلت هذا الجانب من الدراسة ليس لأنه لا يكتسي أهمية وانما نظرا لشروط متعددة لم تتحقق . مع الشكر .

أحد الحاضرين

انني بحكم اهتماماتي المهنية أولا ، بحيث أشتغل في قضايا التعريب في مؤسسة عمومية . وعضو في اللجنة الوطنية لتخطيط تعريب المصطلحات العلمية والتقنية .

ما أثار انتباهي يتعلق بالدرجة الأولَى بعرض الأستاذ عبد الرحيم اليوسي حول موقف المستعملين من اللغة العربية ، وكان الاستغراب كثيرا من الخلاصة التي أتت في كلمته حول أن اللغة العربية ستسترجع ، وأن التاريخ يأتي بمعجزات ، وأود فقط أن أنطلق من فرضية أساسية . هل التعريب ضرورة أم لا ؟ الجواب في اعتقادي وفي اعتقاد الجل ان استعمال اللغة العربية بالنسبة لبلد عربي واسلامي شيء لا مناقشة فيه لمجموعة من الاعتبارات سواء منها السياسية أو الاقتصادية او الاجتماعية .

فمن الناحية السياسية مثلا ، اللغة العربية تساعد على الوحدة الوطنية وعلى الوحدة العربية ، ثم انها تساعد أيضا في تقريب الادارة من المواطنين ، إذا اعتبرنا أن هذا التقريب يعتبر من العناصر الضرورية للديموقراطية . أيضا من الناحية الاقتصادية تبين بأن استعمال اللغة الوطنية ضرورة لدفع عجلة التنمية وهذا باعتراف جل المنظمات الدولية .

بالاضافة الى هذا أن الحفاظ على الأصالة العربية الاسلامية بالنسبة للدول العربية لا يمكن أن يضمن الا بلغتهم الوطنية وهي اللغة العربية .

انطلاقا من هاته الفرضية ، لا يمكن أن ننتظر المعجزات بل يجب أن نعمل من أجل تحقيق هذا الهدف بجميع الوسائل طبعا ، اللغة العربية تعاني من مشاكل المصطلحات ، من مشاكل الطباعة ، من مشاكل الترجمة ، من نقص في التأليف ، من انعدام الوسائل السمعية البصرية ..

والسؤال هو : الا يجوز القيام بشيء معين من أجل الرفع من اللغة العربية حتّى تسترجع مكانتها الطبيعية ؟.

الأستاذ حليلي

أولا شارل بيلا Charles Pellat وضع فرضية ، ولكن اللساني المعروف دافيد كوهن Cohen حاول أن يبرهن على هاته الفرضية التي قال بها شارل بيلا وهذا هو السر في ذكر شارل بيلا ، وكما أشرت في العروض فان المهتمين بالعربيات قد قالوا بفرضية متعددة في الموضوع لا مجال للتعرض اليها الآن ، وإنما أهم فرضية في نظري استطاع أن يبرهن على صحتها دافيد كوهن بطريقة علمية دقيقة ، هي الفرضية التي تقول بائتلاف اللهجات العربية القديمة والعربية الفصحَى بالاضافة الى الدخيل في تكوين وتمييز اللهجات العربية الحضرية كل لهجة على حدة . ختمت عرضي بالتساؤل عن امكانية التقاء الفصحَى المعاصرة باللهجات العربية المعاصرة انطلاقا من الملاحظة الأساسية التي ألف فيها رسالة كاملة الأستاذ عبد الرحيم اليوسي

وهي ما سماه: L'arabe Marocain conceptuel

وهو نموذج يمكن أن ينطبق على كثير من الدول العربية ، والذي يمكن أن نلخصه كالتالي : ان اللهجات المحلية الاقليمية قد دخلت منذ زمن قريب في مرحلة تطور جديد تحت تأثير العربية الفصحَى على الخصوص بالاضافة الى اللغات الأجنبية المتداولة في هاته الدول المختلفة ، وبالاضافة ، بالطبع ، الى اللغات المحلية الأصلية كالبربرية في المغرب، دخلت في مرحلة تطور بينت الدراسات اللسانية على مستوَى الأبنية أنها ستؤدى بها الى الاقتراب من نظام الفصحَى المعاصرة التي تطورت . أعني الفصحَى كما وصفها سيبويه في كتابه ، بعبارة أخرى ، لنأخذ مثلا في المغرب عندما أتحدث أو يتحدث غيري باللغة العربية الفصحَى، فإنه على مستوَى الأصوات . لا يستعمل الأصوات بين الأسنانية . لا أقول الثلاثاء ، وإنما أقول التلاتاء مثلا ، هذا ناتج عن تأثير العامية في الفصحَى . ثم على مستوَى الأبنية يلاحظ الأستاذ يوسي في مقدمة دراسته عن العربية المغربية الموحدة رجوع الهمزة الأصلية وعودة القاف التي كانت قد أصبحت في بعض اللهجات الحضرية همزة جديدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، اندثار بعض الأصوات المطبقة التي كانت تميز الأنظمة الدارجة مثلا الزاي المطبق ــ ان كنت أتذكر ــ لم يعد مستعملا في هاته اللهجة المغربية الموحدة . هذا مالاحظته ، وهو سؤال بالدرجة الأولَى ، وفيه شيء من الأمل . لأنني أعتبر أن الفصحَى تتطور ، ولكننا لم نهتم بما فيه الكفاية لتتبع مراحل هذا التطور الذي تعرفه . هذا من ناحية أخرى ، اللهجات كذلك تتطور نحو الوحدة تحت تأثير الفصحَى ، فاذن من ناحية الفصحَى تتطور تحت تأثير اللهجات ، ومن ناحية أخرى اللهجات تتطور تحت تأثير الفصحَى على الخصوص ، فهل سيتم الالتقاء ؟ وما المراد بالالتقاء ؟ لاشك أن المستويات ستستمر ، وان مستوى الكتابة سيختلف دائما عن مستوى اللغة المنطوقة . ثم في اطار اللغة المنطوقة وفي اطار اللغة المكتوبة من ناحية أخرى لابد من وجود مستويات مختلفة ، ولكن بصفة عامة ، على مستوى الأبنية ــ أعتقد شخصيا ــ أن التطور يسير في الخط الذي رسمته في نهاية عرضي هذا . وشكرا .

الأستاذ الحسين بو زينب

من بين الأسئلة التي طرحت ، هل اللغة يمكن ان تدرس مع أن المخاطب غائب ؟

أقول في باديء الأمر أن المخاطب ليس بغائب . لأن المخاطب أي الموريسكي لازال حيا في المغرب وفي تونس ، ففي الرباط مثلا ، إذا دخلنا الى الاحياء الشعبية القديمة فسنجدها ممتلئة بالمورسكيين ، كل هذه العائلات توريدانوا— جوريو— بيرو ، مولينا ..الخ أصلها مورسكي ، أتت الى المغرب بعد أن طردت في سنة 1609 أو ابتداء من أواخر القرن السادس عشر ، ولكن ، ولو غاب المخاطب فانه بامكاننا دراسة لغته ، لأنهم تركوا أثرا مكتوبا له أهمية كبرى من الناحية اللغوية حيث أن هؤلاء الموريسكيون كانوا قد فقدوا ما سميناه «باللغة الفصحَى». إذن كتاباتهم كانت تعكس اللغة الدارجة ولم تكن تعكس اللغة الفصحَى ، فكانوا يكتبون ما ينطقون ولنا عدة أمثلة ، وقد بينت كيف تكتب كلمة « العظيم » فعند الموريسكيين تكتب « العديم » كما تقال حاليا في الرباط ، ونحن في دراستنا للغة الموريسكية نعتمد أساسا على ما تركوا لنا من أثر مكتوب .

السؤال الثاني : هل يمكن أن نسمي اللغة الموريسكية بلغة ؟ أظن ، أن لهذه المكتوبات صفات خاصة تنفرد بها عن العربية وعن الاسبانية . ولها مكونات تخول لها صفة لغة Modalité وكصيغة كلام لمجموعة انسانية خاصة ، فكما قلت ، اللغة الموريسكية ولو أنها تتقدم الينا بهيئة خارجية اسبانية فتركيبها تركيب عربي وهذا يختلف عن الاسبانية ، التركيب العربي من جميع الجذور ، زيادة عن الناحية الصوتية التي تختلف تماما عن الهيئة الصوتية أو ما سميناه « بالنظام الصوتي الاسباني » النظام الصوتي الموريسكي يختلف تماما عن النظام الصوتي القشتالي الاراغوني أو البرتغالي ..الخ .

ومن حيث المقدمة التاريخية التي ابتدأت بها ، أظن أنها لازمة لتفهم كثير من الظواهر التي قد لا تتبين بدون المقدمة التاريخية ، حيث الحياة الموريسكية لها خواص شخصية دقيقة فيجب التعريف بها قبل الدخول في شرح اللغة كلغة.

الأستاذ عبد الرحيم يوسي

أظن أن بيني وبين الأخ من المؤسسة الحكومية من أجل التعريب سوء تفاهم ربما راجع الي أنا لأنني أجزمت في النهاية نظرا لضيق الوقت ولم يكن قصدي أن أقوم بدور المناضل في هذا العرض بالذات ، إذ الخلاصة – في نظري – بديهية حيث أن العربية ربما تسترجع مكانتها ، وهذا مرهون بموقف المستعملين أنفسهم ، بالسياسات التي ستخطط في هذا المجال وبعدة مسائل أخرى . أظن أن الأخ انور كمل فكرتي في هذا المجال ، حيث الكل رهين بالمستقبل وبأشياء يصعب التكهن بها.

يمكن أن تقوم بنوع من اللسانيات المستقبلية ولكن أظن أن هذا لن يكون مجديا . أما بالنسبة الي فلقد حاولت أن أفرق بين طربوشين اثنين طربوش المحلل الباحث وهذا ما حاولت أن أقوم به في هذه العشية.وطربوش المناضل وقد حاولت الا ابرهن عن شعوري الخاص واتخذ موقفا من أي من المعطيات التي ذكرتها .

فالمسألة تُترك الى المستقبل والى التاريخ يمكن أن تكون هناك معجزات ومن ضمن هاته المعجزات الشيء الذي تطلبه وأطلبه أنا كذلك ، اما الاشياء الأخرى فهي من علم الغيب .

كمال أبو ديب (*)

في الشعرية
«دراسة بنيوية في الشعر»

موضوع حديثي سيكون الشعرية ، وسأقدّم خلاصة لمشروع بحث مطول يمثّل محاولة لطرح الشعرية على أسس ترتبط بالدراسات اللغوية والبنيوية المعاصرة ، من خلال إشارات سريعة إلى نماذج أدبية ما تزال بحاجة إلى مزيد من النصوص ومدَى أعمق من التحليل .

1 ـ كلٌّ تحديدٍ للشعرية ينبغي أن يكون تحديداً لها ضمن **معطيات العلائقية** ومفهوم أنظمة العلاقات ، ذلك أن الظواهر المعزولة ، كما تؤكد الدراسات الألسنية والبنيوية ، وبشكل خاص أعمال رومان ياكوبسن وكلود لفي ـ شتراوس ورولان بارت وجورجي لوتمان (Lotman) [1] ، لا تعني، وإنما تعني نُظُم العلاقات التي تنشأ بين الظواهر والتي تندرج فيها الظواهر ضمن بنية كلية . هكذا لا يكون ثمة من كبير جدوَى في تحديد الشعرية في إطار الظاهرة المفردة كأن تُحدَّد بالوزن ، مثلاً ، أو بالصورة أو بالايقاع الداخلي أو بالرؤيا أو بالانفعال أو بالموقف الفكري أو العقائدي ... الخ .

2 ـ الشعرية خصيصة **علائقية** ، أي أنها تَجَسُّدٌ في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سِمَتُها الأساسية أن كلاً منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعرياً ، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة ضمن بنية النص مع مكوّنات أخرى تمتلك السمات الأساسية ذاتها ، يتحوَّل إلى فاعلية خلق للشعرية .

(*) كلية الآداب والعلوم، جامعة اليرموك ، الأردن

(1) أوردت الأسماء الأجنبية غير المألوفة للقارئ العربي بالعربية ولغتها الأصلية . أما الأسماء المألوفة فقد أوردتها بالعربية فقط .

3 ــ الشعرية إذن خصيصة **نصّية** لا ميتافيزيقية ؛ ولأنها كذلك فهي قابلة للإكتناه ، والتحليل المتقصّي ، والوصف . كلُّ قياسٍ للشعرية على الحب (أن يقال مثلاً : الشعر كالحب لا يوصف) إدخالٌ لها في ميتافيزيقيّةٍ تضعها خارج المتناول وتجعلها عصية على الفهم تحديداً ، أي أنها فيما تصدر عن نفي للتحديد تتحول إلى تحديد سلبي .

بدلاً من ميتافيزيقيّة التصور أو ما أسماه الأشكاليون الروس (Formalists) «ميتافيزيقيّة النص» تطمح هذه الدراسة إلى محاولة رصد الشعرية في تجسّداتها في النص ، منطلقةً ، في المرحلة الأولية الحاضرة ، من اكتناه العلاقات التي تتنامَى بين مكونات النص اللغوية ، وعلى محورَيْ النص **المنسق** (ما أسميه المحور المنسق (paradigmatic) والمحور التراصفي (Syntagmatic) لتحاول في النهاية دخول عالم البعد الخفي للنص ، بل للشعر ، الذي يقع باستمرار وامتياز خارج النص ، أو بشكل أدق في **مساحة** العلاقات بين النص وبين كينونات خارجية عليه . ذلك أن النص هو ، في آن واحد ، تجسُّدٌ لغويٌ لكائن ، وانفتاح خارج اللغة على كينونة في الغياب . أي أنه علاقة جدلية بين الحضور والغياب . وما هو حضور هو تحديداً علاقةٌ بين مكونات لا سبيل إلى تأملها إلا في تجسدها اللغوي لأنها لا تنكشف إلا عبر هذا التجسد فقط . والتجسد اللغوي ليس عصيّاً على التحليل إلى الدرجة التي افترضتها ميتافيزيقيّة الشعر . أما ما هو غياب فانه ينتمي إلى البعد الخفي ، إلى علاقة النص بآخر خارج النص . آخر أطلقت عليه تسميات كثيرة ، لكنه ما يزال عصيّاً على التحليل في هذه المرحلة ، وسيظل مطمحاً للعمل النقدي لزمن طويل ، وإن كان تحليله مشروطاً بتطوير مناهج نقدية «مسفسطة» ووسائل تناول على درجة عالية من الرهافة والقدرة على النفوذ إلى البنية العميقة (بتوسيع مصطلح تشومسكي قليلاً) للنص . وفي تجربة نقاد مثل عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي والبنيويين والسيميائيين المعاصرين في النقد الغربي ، ما يؤكد إمكانية التحليل ويقشع ضبابيةَ التصور الميتافيزيقي .

ورغم الاسهامات الحقيقية التي قدمتها دراسات كثيرة بين أبرزها دراسات لوسيان غولدمن التوليدية . ومفاهيم بيير ماشيري (Macherey) عن الانتاجية وتَري إيغلتُن (Eugleton) عن «اللامعقول» في العمل الأدبي ، ومفهوم جوليا

كريستيفا (Kristeva) عن الـ (Inter-textuality) و«عبر النصية»[2] ومحاولات كثيرة أخرى تنتمي إلى مدارس كمدرسة التحليل النفسي ، ودراسات لوكاش والنقاد الماركسيين ؛ والنقد الأسطوري [كما يتمثل في عمل نورثروب فراي (Frye) بشكل خاص] فإن هذا البعد التصوري ما يزال صعباً يتطلب تطوير مزيد من المناهج الدقيقة لوصفه .

4 — الشعرية اذن ليست خصيصة في الأشياء ذاتها ، بل في تموضع الأشياء في فضاء من العلاقات . بدقة أكثر ، لا شيء يمتلك الشعرية ما هو شعري هو الفضاء الذي يتموضع بين الأشياء : بين شيئين فأكثر ينتظمان ، **أولاً** ، في علاقات تراصفية ومنسقية ، ثم في علاقات تشابك تقاطعية داخل النص . ثم في علاقات بين النص والآخر (العالَم ، المبدع ، المتلقي). هذه **البينيّة** هي ما سأسميه في هذه الدراسة «الفجوة» أو «مسافة التوتر» والشعرية وظيفة من وظائف هذه الفجوة متعددة الوظائف ، (ومن هذه البينية أهمية المكان والزمان في الشعر . كل شعرية هي تحديداً اكتناه لعلاقات تتموضع في المكان أو في الزمان أو في كليهما) .

5 — الشعرية ، إذن ، في التصور الذي أطرحه ، وظيفة من وظائف ما أسميته «الفجوة أو مسافة التوتر» وهو مفهوم لا يقتصر على الشعر بل إنه لأساسي في التجربة الانسانية بأكملها . بيد أنه خصيصة جوهرية مميزة للتجربة الفنية بوصفها شيئاً متمايزاً عنها وقد يكون نقيضاً للتجربة العادية اليومية . من هنا أصف الشعرية بأنها إحدى وظائف الفجوة أو مسافة التوتر ، لا بأنها مُوَحَّدة الهويَّة بها ، أو الوظيفة الوحيدة لها .

1.5 — حددت الفجوة بعبارة بديلة هي مسافة التوتر ؛ لكنني سأمضي الآن في استخدام كلا المصطلحين معاً ، لأن أيا منهما بذاته لا يفي بغرضي . وسأشير إليهما منذ الآن دون حرف العطف : **الفجوة** : **مسافة التوتر** .

6 — يمكن تحديد الشعرية بشكل أدق ، بأنها الفضاء الذي ينشأ من إقحام مكونات لا **متجانسة** للوجود الانساني أو للغة (أو لأي عنصر ينتمي إلى ما يسميه ياكوبسن «نظام الترميز» (code)) في سياق تقوم فيه علاقات ذات بعدين متميزين : فهي ، أولا ، علاقات تُقدَّمُ باعتبارها طبيعية نابعة من الخصائص

(2) أو «التداخل النصّي»

العادية للمكونات المذكورة ومنظّمة في بنية لغوية تمتلك صفة الطبيعية والألفة .
وثانياً ، تمتلك خصيصة **اللاتجانس** أو اللاطبيعية : أي أن العلاقات هي تحديدا لا متجانساً ، لكنها في السياق الذي تقدّم فيه تدرج في صيغة المتجانس .

(وجلي في هذا الوصف أن مفاهيم مثل **الطبيعية والألفة والتجانس** بحاجة إلى تحديد دقيق لن أحاول القيام به الآن مؤجّلا إياه إلى مرحلة إنجاز الدراسة المنتواة).
وبهذه الصيغة يمكن رؤية العلاقات التي أحاول تحديدها باعتبارها أحد الخيارات المتدرجة ضعفاً وقوة في الامكانية على محور منسقي Pradigmatic يضمُّ عدداً آخر من العلاقات الممكنة في السياق المعطى . وينبغي التأكيد على أن سلسلة الخيارات المتاحة لا نهائية . أي أنه ليس ثمة من نقطة يمكن أن يمتنع عندها خيار جديد وتقفل الدائرة المنسقية . (وبهذا التأكيد نخرج على التصور الكلاسيكي لضرورة وجود حدود مدركة معقولة للاستعارة) . وما يعنيه هذا المبدأ هو أن تحديد الخيارات الممكنة بصورة مسبقة عملية مستحيلة ، لأن المحور المنسقي يحتوي اختيارات تتم في سياقات معينة ، في لغة الشعر خاصة ، تخرج على كل ما يمكن أن نتوقعه في التعامل النظري مع مادة لغوية محدودة ذات دلالة قاموسية مدركة سلفاً .

أما على المحور التراصفي فان اختيار هذه العلاقات وضمّها تراصفياً في سياق متجانس يفترض بدوره القيام بسلسلة أخرى من الخيارات الملائمة ويخلق بذلك فجوة : مسافة توتر بين العناصر المكوِّنة . وتتحدد طبيعة الفجوة على أكثر من مستوَى : **دلالياً وصوتياً وتركيبياً** .... الخ . ولئن بدا للوهلة الأولى أن هذا التحديد يشير إلى بنية لغوية صرفة ، إن بالامكان تطويره ليخرج من إطار اللغة إلى إطار التصور والوجود والرؤيا بتوسيع دلالة عنصرين : **السياق والمكوِّنات** .

فكما يمكن أن يكون السياق لغوياً ، كذلك يمكن أن يكون تصورياً ، تجريبياً ، ثقافياً : أي أنه ، باختصار ، يمكن أن يكون زَا ـ نصّي (extra-textual) و.
ويُمَثّل على توسيع السياق هنا بمصطلحي مالينوفسكي القديمين : سياق الموقف وسياق الثقافة ، وبالمفهوم الذي طورته كريستيفا للتداخل النصّيّ . أما المكوِّنات فيمكن أن تكون عناصر لغوية لكنها يمكن أن تكون أيضاً مواقف فكرية أو شعرية أو تصورية مرتبطة باللغة أو بالتجربة أو بالبنية العقائدية (الايديولوجية) أو برؤيا العالم بشكل عام . وبهذا التوسيع تصبح الفجوة : مسافة التوتر قائمة في الأمثلة التالية :

(وسأكتب الآن مقطعاً من نص لأدونيس من أجل توضيح النقاط التي أثرتها)

«ذاهب أتفيأ بين البراعم والعشب أبني جزيرة»

يمكن أن نتناول مكونات مثل «البراعم» و«العشب» ونرمز لها بـ x و w و«الجزيرة» ونرمز لها بـ Z

وفي تحليل كهذا تكون كل من x و w أحد الخيارات الممكنة على المحور المنسق ، إذ أنه يمكن أن يكون لدينا هنا بدل الخيارين x و W

«ذاهب أتفيأ بين الجدار والشجرة»

كذلك تكون Z (وهي الجزيرة) أحد الخيارات الممكنة على هذا المحور ، إذ أنه بدلاً من الجزيرة يمكن أن يكون لدينا «حائطاً من الحجارة» .

يمكن أن نقرأ النص البديل إذن بهذه الطريقة :

«ذاهب أتفيَّأ بين الجدار والشجرة وأبني حائطاً من الحجارة»

حين ندرس ما يحدث هنا على المحور المنسق الذي وصفته ، ندرك أن تحليل النص يقودنا إلى بداية لتلمس ما أسميته الشعرية في العلاقات التي وصفتها سابقاً أي الفجوة : مسافة التوتر . لا يبدو لي شخصياً أن العبارة المستخدمة الآن على المحور التراصفي : «ذاهب أتفيأ بين الجدار والشجرة» تخلق الشعرية ، لكن البدائل التي استخدمت في النص فعلاً هي التي تؤدي ، عبر خلق ما أسميته الفجوة : مسافة التوتر ، إلى أن تبلور الشعرية .

في النص الثاني الذي سأعود إليه بعد قليل بشيء من التفصيل تتمثل الفجوة على صعيد آخر حين ندرس العلاقات بين الجملة الأولى «طائر باسط جناحيه» وبين الجملة الثانية «هل يخشَى سقوط السماء» . لكن مفهوم الفجوة : مسافة التوتر يصبح قائماً أيضاً في التصور الرمزي للوجود (تصوّر بودلير للطبيعة معبداً أعمدته الأشجار مثلاً) ، أو نص قصيدة أسطورية («مدينة بلا مطر» للسياب مثلا) أو في قصيدة صوفية (الحلاج في قصيدته المشهورة «أنا من أهوَى ومن أهوَى أنا») ، لأن التصورات القائمة في تصوير بودلير للطبيعة أو في قصيدة أسطورية أو في قصيدة صوفية يمكن أن تمثِّل بدائل على المحور المنسق ، إذ أن كلاً من هذه المواقف ،

بتوسيع مستوَى تحديد البنية ، يصبح مكوّناً في بنية يدخل ضمنها في علاقات تتحدد على التوالي بين :

ا) الرمز / المرمَّز.

ب) البعد المعجمي للأسطورة / البعد الاشاري للأسطورة

جـ) الأنا في محدوديته في القصيدة الصوفية / والمطلق (هو) في لا محدوديته

7 — سأعود إلى نص أدونيس[3] الذي أشرت إليه قبل قليل :

/... طائر باسط جناحية / هل يخشَى سقوط السماء؟
أم أن للريح كتابا في ريشه؟ / العنق استمسك بالأفق
والجناح كلام سابح في متاهة .... /

وسأقضي معظم ما بقي من الوقت في تقديم دراسة مبدئية للنص.

حين ترد عبارة «طائر باسط جناحيه»، يتجسد الشيءُ المرئي وهو **الطائر** ذو الهوية المحددة في جملة خبرية **إشكالية** تبرز فور تجسدها إمكانيتان للتركيب النظمي لها يمكن وصفهما على صعيد البنية السطحية والبنية العميقة بطريقة تشومسكي التشجيرية المعروفة ، أي أن للجملة تركيبين كلاهما يفترض شيئاً غائباً محذوفاً ، وجوده شرط أساسي لاكتمال الجملة ، بيد أن هذا الاكتمال لا يمكن أن يتم لأن طبيعة الغائب مبهمة (قارن مثلا بالجملة «زيد رأيته» حيث المحذوف محدد بدقة = (هو) على صعيد البنية العميقة) . ثم ان ثمة احتمالاً ثالثاً لاكمال الجملة ، (احتمالاً تستثنيه العلاقة النظمية المشار إليها بالرفع على صعيد البنية السطحية) وهو الاحتمال : **أرَى طائراً باسطا جناحيه**. هكذا يكون لدينا ثلاثة احتمالات في جملة أدونيس :

الأول : أن نصف الجملة بأنها تقرأ : «**هو** طائر باسط جناحيه»

والثاني : أن نعتبر «طائر» مبتدأ ، ويكون الخبر محذوفاً : «أمامي»

والثالث : (متضمن على صعيد البنية العميقة) «أرَى طائراً باسطا جناحيه» .

الجملة منذ البدء ، إذن ، تتكشف عن مسافة توتر بين ثلاث امكانيات

(3) **كتاب القصائد الخمس تليها المطابقات والأوائل**
دار العودة (بيروت ، 1980) ص 156 حيث يوزّع النص توزيعا طباعياً هو بدوره ذو دلالات لكنني لن أناقش هذا المستوَى منه هنا .

للاستبدال على المحور المنسق . وبكشفها لهذه التعددية من الامكانيات ، يصبح محور تناميها **البحث عن صيغة** ، عن **اكتمال** ، وعن **غائب يحقق هذا الاكتمال ويحلّ** الاشكال والالتباس القائمين . ويعمق إشكالية الجملة الصيغة اللازمنية لاسم الفاعل «باسط» التي تثبت الحدث في إطار الموجود المطلق وتجعل البحث عن اكتمال شرطا مطلقا .

منذ البدء تحدد القصيدة نفسها محور تناميها بأنه **محور للبحث عن صيغة** . وبدراسة النص دراسة مفصلة نرَى أنه في الواقع يتجه باستمرار إلى محاولة البحث عن صيغة لأن الجمل التالية جميعا هي جمل **استفهامية** :

«هل يخشَى سقوط السماء أم أن للريح كتاباً في ريشه ؟»

وطغيان الجملة الاستفهامية استمرار للمحور الأساسي الذي تتنامى عليه القصيدة وهو محور **البحث** .

في نهاية القصيدة ينقسم الموجود المرئي (وهو الطائر نفسه) إلى قسمين : العنق متمسكاً بالأفق يسير في اتجاه ، والجناح كلام يسير في اتجاه آخر . وهكذا يتم الانقسام الذي تبلور على المحور الأول للقصيدة في كل من جملها وينتهي بالعبارة : «سابحٌ في متاهة» فالكلام نفسه يكون سابحاً في متاهة . **وهكذا تتجه القصيدة من تأسيس البحث باعتباره المنطلق النظري للوجود إلى تأكيد اللاوصول** . ويصبح البحث عملية تقود في النهاية إلى متاهة .

ما يهمني هنا هو جملة الانقسامات التي تتم في القصيدة على أكثر من صعيد . وسأبدأ بالانقسام الأول الذي سيتيح لي إيضاح مفهوم الفجوة : مسافة التوتر بشكل أدق .

في الجملة «طائر باسط جناحيه» ، يمكن أن نقرأ الجملة باعتبارها تجسيداً لمرئي بشكل عادي . ويمكن للجملة أن تقع في أكثر من سياق دون أن تنسب إليها ضرورة خصيصة الشعرية . حين يستمر النص فانه ينتقل إلى صيغة جديدة ، صيغة الاستفهام التي تبدو في : «هل يخشَى سقوطَ السماء ؟» وفي الانتقال من الجملة الخبرية البسيطة «طائر باسط جناحيه» ، إلى جملة استفهامية «هل يخشَى سقوط السماء» ، احداث أول لما أسميته الفجوة : مسافة التوتر ، لكن الفجوة تتبلور على

صعيد آخر أكثر أهمية بالنسبة للقصيدة هو الانتقال من المحدّد المحسوس (الطائر في وضعه وهو باسط جناحيه) إلى البعد الآخر الذي يمثل نقيضا للمحدد والمرئي : «هل يخشَى سقوط السماء» ، لأن جملة الاستفهام عادة تستخدم بالاشارة إلى شيء يمكن الاجابة عليه مبدئيا . في «هل ضربك أحد ؟» مثلاً يمكن الاجابة على السؤال بطريقة توضح إشارة سابقة. «أنت تبكي. هل ضربك أحد ؟» وتكون العلاقة بين جملة الاستفهام والجملة الخبرية من طبيعة ما أسميته علاقة «طبيعية» ، لأن الإجابة على الجملة الاستفهامية تصلح تعليلاً للفعل الملحوظ «البكاء» .

في الجملة المطروحة هنا تكون للاستفهام دلالة لا ترتبط بما سبقها بالطريقة التي ارتبط بها الاستفهام بما سبقه في الجملة «طائر باسط جناحيه» لأن الاستفهام هنا لا يستطيع أن يقدم تفسيراً فعليا للموجود المرئي ، فكون الطائر باسطاً جناحيه لا يُسأَل عن تفسير له بالاشارة إلى كونه يخشَى سقوط السماء أو لا يخشَى سقوط السماء ، أو إلى الاحتمال الآخر «أم أن للريح كتاباً في ريشه» . إذ أن كلا جملتي الاستفهام في هذه الحالة لا ترتبط بالموضوع المقدّم المطروح ، وهي صورة طائر مرئي ، بطريقة تعين على جعل الاجابة على السؤالين قادرة على تفسير المرئي بشكل طبيعي . ومن هنا يخلق ما أسميته الفجوة ــ مسافة التوتر على صعيد لغوي صرف أولا ، ثم على صعيد التصورات التي يتضمنها كل من السؤالين .

وهكذا يمكن أن نتابع التحليل لنطوّر مفهوم الفجوة ــ مسافة التوتر ــ لنتناول الرؤي الكلية والمواقف والتصورات العميقة للوجود الانساني التي تبلورها التجربة الشعرية .

8 ــ لن يتاح لي مناقشة المزيد من الأمثلة بسبب ضيق الوقت . ولذلك سأنتقل من التوضيح المبدئي لمفهوم الفجوة ــ مسافة التوتر ــ إلى إثارة قضايا نظرية مرتبطة به .

يسمح استخدام مفهوم الفجوة : مسافة التوتر في تحليل الشعرية وتحديدها بإضاءة أطروحات متعددة حول طبيعة الشعر وإعادة صياغتها في إطار معطيات جديدة تقصي عن الشعرية ما حددت به من ملامح عرضية أحيانا ، وتلغي ما كان يبدو تضاربا أحيانا ، أو تفسر ما هو مقبول بداهة ، تقريباً ، دون أن يكون ثمة من تعليل نقدي صارم لقبوله .

لقد أدت الدراسات الألسنية ، مثلا ، خصوصا تلك التي قام بها رومان ياكوبسن ومريدوه إلى اعتبار مبدأ التنظيم والترتيب سمة أساسية مميزة للغة الشعر . وحاولت دراسات كثيرة من أبرزها دراسات لوتمان أن تكتنه أنماط التنظيم المتعددة صوتيا وتركيبيا وايقاعيا ، مظهرة طغيانها على لغة الشعر . وليس من الصعب الآن قبوله سلامة هذا المبدأ ونتائج الدراسات التي هدفت إلى بلورته وإظهار تجلياته المختلفة . لكن من الجلي أن توضيح هذا المبدأ بالقول ، مثلاً : «إن السبب في سلامته هو أن لغة الشعر مختلفة عن لغة النثر» ، لا يمثل فهما نقدياً للظاهرة بقدر ما يمثل إعادة صياغة لها بعبارة مغايرة . كما أن من الجلي أيضا أن القول : «إن لغة الشعر تمثل **انحرافاً** عن لغة النثر» يطرح المشكلة في إطار نظري ضيق ويجعل لغة النثر معيارا أو محكاً سويا والخروج عليها انحرافا عن السوائية .

(ولعل مثل هذا الفهم أن يكون بين أعمق اشكالات الاسلوبية وعمل تشومسكي مثلاً على اللغة ، لأن تشومسكي يحدد الاستعارة بأنها انحراف) .

باستخدام مفهوم الفجوة ــ مسافة التوتر لفهم فاعلية مبدأ التنظيم وتميز لغة الشعر به يمكن أن نصف كلا الشعر والنثر بأنهما سويان معياريان باعتبارهما أصلين متوازيين لا مجال للمفاضلة **القيمية** بينهما ، ونلغي مفهوم الأصل/ الانحراف نهائياً ، ونتخلص ، مثلاً من المشكلة العويصة التي تواجهنا حين نجد مقاطع شعرية في سياق لغة نثرية أو العكس ، أو حين نضطر نتيجة للتصور الخاطئ لعلاقة الأصل بالانحراف إلى القول بأن لغة الشعر «أسمَى» أو «أفضل» ومع ذلك نواجه حقيقة أن لغة النثر طاغية في الكتابة الانسانية عبر العصور وأنها مجال التعبير عن روح الحضارات وتطورها . في التصور الجديد نصف لغة الشعر بأنها لغة تتجسد فيها فاعلية التنظيم على مستويات متعددة وأن هذا التنظيم حين ينشأ يخلق فجوة : مسافة توتر على درجات مختلفة من السعة والحدة بين اللغة الشعرية وبين اللغة اللاشعرية (ولتكن لعة النثر مثلا) ، وأن هذه الفجوة تميز الشعرية تمييزاً **موضوعيا لا قيمياً** ، وأن خلو اللغة من فاعلية مبدأ التنظيم لا يعني سقوطها ، أو أصوليتها ، أو انحطاطها بالنسبة للغة التي تتجسد فيها فاعلية مبدأ التنظيم . وبهذا التصور تكون القيمة الوحيدة التي يمكن نسبتها لفاعلية التنظيم قيمة موضعية تَمَايُزِيَّة ، بمعنَى أن قيمتها تستقي من قدرتها على تجسيد بنَى فكرية معينة ، أو طرق في الرؤيا والاحساس

متميزة — بشكل خام قد نستطيع البرهنة على أن فاعلية التنظيم على مستوياتها المتعددة ترتبط برؤية للأمور ينشأ فيها ، مثلاً ، الحد الأدنَى من التوازن بين الفكر والانفعال أو يطغَى فيها الأخير طغياناً نسبيا . وهنا نواجه مشكلة النثرية في قصيدة طويلة «شعرية» أو مشكلة الشعرية في قصة قصيرة نثرية ، لا بمفاهيم الأصل والانحراف والأفضلية بل بمفاهيم التوازن والتناغم (لاستخدام مصطلحات بسيطة الآن ينبغي أن تناقش وتشذب بتعمق فيما بعد). وتكون دراسة مثل هذه الظواهر دراسة للعلاقات البنيوية القائمة بين المقطع أو المقاطع والنص الكلي من حيث تعدد مستويات الرؤيا في النص ، وقدرة المقطع أو المقاطع على تجسيد هذه المستويات وذلك التعدد إلى درجة أسمَى ، عن طريق العلاقات المميزة التي تنشأ بينه وبين النص الكلي . نواجه هذا التعدد في المستويات ، على سبيل المثال ، في لغة الفكر الديني . وباستخدام مفهوم الفجوة : مسافة التوتر يمكن أن ندرس هذه التعددية ضمن معطيات العلاقات الكثيفة بين طبيعة الرؤية أو الرؤيا وبين لغة التجسيد .

في النص القرآني ، مثلا ، نواجه التعددية في مقاطع ابراهيم من سورة البقرة . بإزاء مقاطع التنظيم القانوني ، وفي دراسة سورة مريم بإزاء السور التشريعية ، في اطار معطيات جديدة تتجاوز الشعرية والنثرية من حيث هما نهجان قابلان للتفاضل أو للدراسة في إطار الأصولية والانحراف عنهما . وبهذه الطريقة ننقل مفهوم الفجوة من مستوَى البنية الجزئية التي حاولت أن أثيرها هنا ضمن النص الواحد ، إلى مستوَى النص الشامل والعلاقات التي تنشأ بين الأجزاء المستقلة المكوِّنة له (مثلاً روايات كاتب واحد بأكملها ، مجموعة شعرية واحدة ، عمل شاعر بأكمله) .

9 — ومن منظور الفجوة — مسافة التوتر يتاح لنا فهم ظاهرة معقدة يغلب أن تطرح طرحا حدسيا : هي ظاهرة التعامل الشعري مع الأسطورة . ما هي العلاقات التي تمنح تناولاً معيناً للأسطورة طبيعة شعرية (أو أكثر شعرية) من تناول آخر ؟ ثمة نص ينظم الحدث الأسطوري (بروميثيوس ، مثلا ، أو عشتار وأدونيس) أو ناقلا إياه من صيغته النثرية إلى صيغة منتظمة موزونة ، لكنه لا يتجاوز كونه **نظماً** للأسطورة مهما كان في تفاصيله من صور أو تعابير «جميلة» «شعرية» ؛ وثمة نص لا ينظم الحدث الأسطوري بل يتعامل معه بوصفه بؤرة دلالية رمزية ؛ وثمة نص يتعامل مع الأسطورة بوصفها نقطة انطلاق إلى بناء أسطورة مضادة وهكذا . كيف يمكن أن نفسر الشعرية في مجالات كهذه ؟ ضمن منظور الفجوة : مسافة التوتر تنبع

الشعرية من العلاقات التي تنشأ بين الحدث الأسطوري وبين النص الشعري ومن تجسيد هذه العلاقات للفجوة ــ مسافة التوتر التي يخلقها النص الشعري بينه وبين الحدث الأسطوري .

لنسمِّ الحدث الأسطوري **البعد المعجمي** للأسطورة ، والحل الذي تطرحه الأسطورة للتناقض الأساسي الذي تميزه **البعد الاشاري** لها . تُحَدَّد شعرية النص بطبيعة الفجوة ــ مسافة التوتر التي يخلقها بين البعد الاشاري والبعد المعجمي للأسطورة .

هكذا يكون نص السياب «بربروس في بابل» أقرب إلى نظم البعد المعجمي للأسطورة ؛ ويكون نص لأدونيس مثل «إقليم البراعم»[4] نصاً شعريا يفجر في البعد المعجمي للأسطورة طاقات جديدة ، مانحاً الأسطورة بعدا معجميا جديدا بينه وبين بعدها المعجمي الأصلي مسافة توتر كبيرة ، ثم مانحاً البعد المعجمي الجديد بعداً إشاريا بينه وبين البعد الاشاري الأصلي للأسطورة مسافة توتر شاسعة .

وإذن بطرح الشعرية في إطار الفجوة ــ مسافة التوتر يتاح للدراسات النقدية أن تعيد اكتناه أحد أكثر المكونات التصاقا بلغة الشعر عبر تاريخ الشعر في العالم . أعني الوزن والايقاع .

لقد ارتبط الوزن ــ الايقاع ، وما يزالان ، بماهية الشعر في كل تراث نعرفه كما ارتبطا وما يزالان بالشعرية الطقوسية ، بلغة الدين ، ولغة الاسطورة ولغة الموعظة ، بل ان الشعر في أكثر من تراث حُدِّد في إطار الوزن ــ الايقاع ، إما بصورة مطلقة أو بصورة نسبية ، كما حدث في التراث النقدي العربي مثلاً حين حدّد قدامة بن جعفر الشعر بأنه كلام موزون مقفًى ، ومع أن تحديده يستمر ليقول «الذي يكون له معنًى» ، فإن الشرط الوجودي هو الوزن والقافية لا المعنَى ؛ وكما تجلو بعض ردود الفعل المعاصرة للشعر الحر (والقصيدة النثر) التي تقول إنه ليس شعرا لأنه يخلو من الوزن .

ثمة أطروحات كثيرة لتفسير هذا الترابط الوجودي بين الشعر والوزن ــ الايقاع تعود كلها جوهرياً إلى مفهوم الميل الطبيعي (أو الخاصة الطبيعية) وإلى ارتباط الوزن

(4) **ديوان أدونيس**، دار العودة، بيروت ، 1971 ؛ ج 2 ؛ ص 24 .

بلغة الانفعال . بيد أن أطروحات كهذه هي في الواقع استقراء لشرط قائم أكثر منها تفسيراً لظاهرة مدروسة .

باستخدام مفهوم الفجوة : مسافة التوتر لاكتناه ارتباط الشعر بالوزن ــ الايقاع يتاح لنا أن نعاين لغة الشعر من حيث هي لغة تنظيم وتنسيق يقومان على التشابه والمغايرة أي أنها لغة تتعامل مع المادة اللغوية الصوتية بطريقة تركيبية تخرجها عن الطبيعة الحرة العائمة التي تمتلكها في الاستخدام النثري لها وتضعها على صعيد ينشأ فيه بينها وبين الوجود الحر للغة النثر فجوة : مسافة توتر تمنحها تميّزها ، ويبدو ما يقصد إليه هنا جلياً ، إذ نتناول المادة اللغوية :

A «قفا لنبكي لذكرَى حبيب ومنزل»

والمادة اللغوية B «قفا نبك من ذكرَى حبيب ومنزل» ونكتنه مستوَى التمايز بينهما . لا شك أن الفرق بين نبكي بالجزم و«لنبكي» ، وبين (من) و(ل) ذو دلالة ، لكنها دلالة هامشية لا تكفي لكي تصف التمايز بين التعبيرين . ولا شك أيضا أن هذا التمايز ينشأ من كون التعبير A يمتلك خصائص يمكن له أن يمتلكها في أي سياق فيه أما التعبير B وهو بيت شعري لإمرئ القيس ، فانه يمتلك خصائص تجعله ينتمي إلى سياق آخر هو سياق التنظيم الشعري في بيت يرد له فيه معادل إيقاعي من نمطه ، وهذه الخصائص هي ما ينشأ من عملية التنظيم القائمة على التشابه والمغايرة في التعامل مع المكونات الوزنية . وبهذا التحديد ندرك أن ما يجعل التعبير B شعراً هو ما ينشأ بينه وبين التعبير A من فجوة أو مسافة للتوتر ، وتنبع الفجوة : مسافة التوتر من تشكل علاقات (واعية ، كامنة) بين المادة اللغوية في وجودها الحر وبين المادة اللغوية في بنيتها المنظمة ، وهي علاقات تقارب العلاقات التي تنشأ بين الطبيعة/ الثقافة في تصوّر كلود لفي ــ شتراوس لهذين المفهومين ؛ وقد وصفت هذه العلاقات بأنها لا واعية ، كامنة لا اصراراً على كونها كذلك بل تأجيلاً لمشكلة شديدة التعقيد هي مشكلة الوعي في الخلق الأدبي والتلقي الأدبي ، ذلك أن مستوَى الوعي للعلاقات التي أشير إليها يتغير من قارئ إلى قارئ ، ومن بيئة ثقافية إلى بيئة أخرَى .

10 ــ ثمة نقطة أخيرة ينبغي أن تؤكد : هي أن الفجوة : مسافة التوتر لا

تنشأ من وجود المادة اللغوية **معزولة** بل من وجودها **العلائقي** ، أي من شبكة العلاقات القائمة بين المادة اللغوية وبين بنية النص الذي تتحرك المادة فيه وتتفاعل معه . بهذا التحديد قد يكون التعبير شعراً وقد يكون نثراً تبعا للعلاقات القائمة بينه وبين بنية(**M**)أو بنية (**S**) يكون هو مكوّناً لغويا من مكوناتها . ويصدق هذا المبدأ على أي من المكونات اللغوية والتركيبية والبلاغية أو ما يسميه شكلوفسكي (Shklovsky) وآيخنباوم (Eichenbaum) «الوسيلة البلاغية» . وصدقه على الحالة الأخيرة ذو آثار عميقة في تطور الأدب ، لكن الوقت لا يسمح لي الآن بالبدء بمناقشة هذه النقطة . وسأكتفي من النقاش لمفهوم الفجوة : مسافة التوتر وعلاقته بالشعرية بما تقدم من نقاط لا تمثّل الا الخطوط الأولية للبحث الذي آمل أن ينجز في مستقبل قريب ، شاكراً لكم حضوركم وصبركم .

عبده الراجحي (*)

النحو العربي واللسانيات المعاصرة

أولا أتقدم بخالص الشكر إلى جامعة محمد الخامس ولكلية الآداب والعلوم الانسانية ولقسم اللغة العربية ولكم جميعا أن أتيحت لي هذه الفرصة الممتازة لأن نتعرف — بمفاجأة غريبة — إلى عدد ممتاز جدا من شبابنا الباحثين ، وأحسب أن هذه الأيام من أغنَى أيامنا في البحث العلمي . وبعد فأرجو ألا أجد صعوبة كبيرة في أن أنتقل بنفسي وبكم من الشعرية والفجوة — مسافة التوتر إلى أن نتحدث عن النحو . في الحقيقة أن لجنة الندوة هي التي اختارت مشكورة لي هذا العنوان ولذلك أستميحكم عذرا في أن أتحدث فيه بغير ورقة مكتوبة .

العروض التي قدمت في هذه الندوة حتَّى الآن ، تثبت حقيقة واضحة جدا هي أن الشباب هنا على وجه الخصوص من أكثر الناس إقداما على ملاحقة التطور العالمي في البحث العلمي ، أقول هذا الكلام بالمقارنة بما يحدث الآن في الجامعات العربية جميعها تقريبا،ولذلك كانت مفاجأة كبيرة لنا لأننا منذ هذه الفترة نحاول على استحياء أحيانا وبحذر شديد أحيانا أخرى أن نقدم للناس ما يمكن أن نسميه بالمناهج الحديثة في البحث اللغوي ، لكن هذا كله يؤكد لنا حقيقة أساسية هي أننا وعلى الأخص في هذه الفترة من أشد الناس حاجة إلى أن يكون لنا منهج ، أو أن تكون لنا نظرية شاملة ، كافية للبحث اللغوي . ومن الاحساس بفكرة البحث عن

(*) كلية الآداب — الاسكندرية

منهج ، والبحث في منهج يكون الحديث عنه في مثل هذا العنوان «النحو العربي واللسانيات المعاصرة» .

هناك قضية أساسية قد تبدو واضحة جدا بالنسبة إلى من عانوا الدرس النحوي العربي وحاولوا الاتصال بعلوم اللغة الحديثة . هذه الحقيقة هي أنه من الخطر ومن الخطأ أن نتصور أن عندنا نحوا عربيا نكتفي به ونقول إن كل ما يحدث في العالم شيء غريب وليس منا ولا نقبله، لأن فيه خطرا شديدا على لغتنا أو على قرآننا أو على إسلامنا . خطر الجمود على الشيء الموروث خطر كبير ، وهو خطر علمي وإنساني، لكن خطرا آخر أيضا لا يقل عنه ، وهو ما يمكن أن يسمَى : «خطر المسخ» فمن الصعوبة جدا أن نتصور أو أن نقول إن هناك شيئا جديدا في العالم ، وأنه هو الصالح لنا وأن هذا القديم غير صالح على الإطلاق ، ولذلك لا ننظر إليه وانما نحن نأخذ كل هذا الجديد ، ويؤدي هذا إلى نوع من المسخ البشري الذي أتصوره في غاية الخطورة أيضا .

أنا طبعا أنزهكم عن أن تتصوروا أن مثل الحل الذي أريد أو أحاول أن أبينه أن يكون شيئا من الوسطية ، ولكن الذي أجده واضحا جدا وأومن به ايمانا حقيقيا أنه قد لا توجد شعوب مغلقة ، نقية مختارة بالمعنَى الصحيح ، وإذا وجدت ففيها خطورة شديدة ، وهي تؤدي في النهاية إلى نوع من التحلل أو على الأقل إلى وجود أمراض خاصة واضحة . كذلك فإن فكرة الانبتات الكامل من الأرض فيه أيضا خطورة شديدة .

وهذه المسألة تتصل بفكرة البحث العلمي نقع فيها دائما في العالم العربي وهي فكرة البحث عما يسمى بالأصالة ، فنحن دائما ننطلق من عقدة تقول مثلا : النحو العربي أصيل ، الشعر العربي أصيل ، البلاغة العربية أصيلة ، الفكر العربي أصيل ، فكرة الأصالة التي تحركنا دائما وكأنها معبود خفي ، يمكن أن توقعنا في مشاكل كثيرة جدا ، وأنا أتصور أن كلمة الأصالة في حد ذاتها كلمة غير علمية ، لا يمكن تحديدها تحديدا واضحا ، لأنه ما معنَى أن نقول هذا الشيء أصيل «original» هل هو صنع شيء بدون سبق ؟ هل هو القديم الذي لا أول له ؟ وانما نحن نقترح الكلمة الانجليزية appropriation أو على الأقل «تملك» أو

ما يمكن أن نسميه بالناموس البشري الكوني ، وهو فكرة التمثل أو التمثيل تماما كما يشبه التمثيل الغذائي عند النبات ، أو التمثيل الغذائي عند الانسان،كما أننا لا نستطيع أن نتصور انسانا قد حصر نفسه في نوع معين من الغذاء يؤدي به إلى التحلل أو إلى المرض أو إلى الكساح ، كذلك لا نستطيع أن نتخيل انسانا يمكنه أن يستعير ذراعا أو أذنا أو قدما ، وإنما الذي نتصوره أنه لابد أن ينفتح على ما يستطيعه من غذاء ، لكن هذا الغذاء لابد أن يتمثل في داخله هو ، وأن يهضم من داخله هو ، وأن يكون النمو والتطور من داخله هو ، أي أنني في عرضي لقضية النحو لا أتصور التطور إلا من الداخل وليس من الخارج .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن ننطلق إلى بعض المسائل الخاصة بالنحو العربي وفيما يمكن أن نعرضه أمام الدرس اللغوي المعاصر ، أتصور مبدئيا أن النحو العربي باعتباره تراثا طويلا جدا ، لا ننكر أن من الجمل الدالة جدا في النحو العربي أن يقال إن النحو العربي هو العلم الذي نضج حتَّى احترق من كثرة ما كتب فيه قديما ، ومن كثرة ما أشعل حوله من نار حتَّى احترق هذا الطعام ؛ فالنحو طويل كالتاريخ ، ولكني أعتقد أنه يمكن الوصول إلى جوهره وإلى كنهه في غير صعوبة .

القضية الأساسية في فهم النحو العربي ألا نتصور أن النحو العربي هو مجرد هذه الشروح المتأخرة ، وكتب الألغاز أو كتب الأحاجي النحوية أو كتب الحواشي والتعليقات والشروح والهوامش ... ولكن النحو العربي كما يتمثل لدينا هو ذلك النحو الذي نشأ في الفترة الحيوية من الفكر العربي الإسلامي في القرن الثاني للهجرة ؛ كما وصل إلينا متمثلا في كتاب سيبويه ، وهذه الفترة بالذات هي التي تمثل لنا تصورا حقيقيا لمنهج التفكير العلمي أو البحث عند العرب وعلى هذا الأساس أقول إننا لا نستطيع أن نتخيل أن النحو العربي يمكن أن يدرس بمعزل عن الفكر أو الجو العقلي العام الذي كان موجودا في هذه الفترة ـ فترة نشأة العلوم الإسلامية ـ هذه القضية يمكن أن توصلنا إلى حد ما إلى طبيعة النحو العربي .

من الأشياء الموروثة عندنا في العلم أن يقال إن النحو العربي نشأ لمحاربة اللحن ؛ أن العرب والمسلمين خشوا أن يقع الناس في اللحن ، وبخاصة الذين دخلوا في الإسلام ، خوفا من انتشار اللحن وضعوا النحو العربي لمحاربة اللحن . هذه من

الأشياء الموروثة عندنا ، وأحسب أن مثل ترديد هذا القول يبعدنا كثيرا عن فهم طبيعة النحو العربي . النحو العربي فيما أتصور هو ككل علوم المسلمين نشأ في هذه الفترة لهدف محدد وواضح عندهم ، هذا الهدف هو فهم النص القرآني . هناك نص قرآني كان عليهم أن يقرأوه وأن يتلوه ويحفظوه وأن يستنبطوا الأحكام منه وأن يناقشوا الآخرين به .

العلوم الإسلامية فيما أتصور نشأت جميعها لخدمة هذا الهدف وهو خدمة النص القرآني وفهمه، وكلمة «**فهم**» أضعها بين قوسين وأركز عليها لأنها توصلنا إلى الاتصال بعلم اللغة الحديث وإلى فهم النص القرآني ، طبعا هناك فرق كبير جدا بين علم يمكن أن ينشأ لمحاربة اللحن وعلم ينشأ لمحاربة الفهم ؛ لفهم نص أدرك المسلمون وآمنوا بأنه نص كبير وواسع ...

فكرة الفهم هذه جعلت النحو العربي غير معزول عن كل العلوم التي كانت موجودة بل يمكن أن يقال انك لا تستطيع أن تميز بوضوح بين نحوي وغير نحوي . إنما كانت المسائل كلها متواصلة ومتصلة ، ويمكن أن يقال : انه قد كان هناك نوع من الإستلهام، وكان هناك نوع من التأثير المتبادل الشديد الوضوح بين العلوم الإسلامية جميعها ومن أبرزها النحو ، هذه القضية في فهم جوهر النحو توصلنا إلى الآتي :

العلوم الاسلامية التي كانت موجودة ، أبرزها علوم تبدو متناقضة الاتجاه ، فأول هذه العلوم هو علم قراءة القرآن ، وأنا أحسب أن بيئة المغرب من أفضل البيئات في دراسة القراءات القرآنية ، هناك علماء كبار في القديم خدموا هذا العلم خدمة كبيرة ولا زلت أيضا أتصور أن هذا العلم لا يزال بعيدا عن البحث العلمي المدقق ، بالرغم من أنه — في تصوري — يمثل منهجا في البحث ، في طريقة المسلمين في البحث اللساني . وقد يفوق علم مصطلح الحديث .

علم القراءات القرآنية من طبيعته أنه علم يقوم على التلقي المحض — النقل المحض — بمعنَى أن علماء القراءات قالوا ان فكرة قراءات القرآن سواء كانت سبعة أو عشرة أو قراءات شاذة ، لا تؤخذ كما يؤخذ علم الحديث ، إذ أجيزت الرواية بالمعنَى عند بعض العلماء ، وكان يكتفى في علم الحديث بان يحدث الشيخ تلاميذه

ثم يصرح لهم بعد ذلك أن يحدثوا عنه ، وعندنا في الكتب ما يفيد بأنه في بعض مجالس الاملاء في الحديث ، كان الشيخ يجلس وأمامه ما يزيد عن خمسين ألفا يسمعون منه الحديث ، وهو يملي عليهم ، وهناك أكثر من مبلِّغ — يعني مكان الميكروفون — يبلغ الحديث وهو يملي ولكن كان يمكن اجازة شخص بأن يحدث بعد السماع من الشيخ ، أما القراءات القرآنية فقد اشترطت شرطا في منتهَى الشدة ، وهو ما يسمَى «بالتلقي والعرض» التلميذ لابد أن يتلقَّى عن شيخه القراءة ، ولا يصح له أن يقرأ ولا أن يُقرئ الناس إلا بعد أن يعرض ما أخذه عن شيخه عليه ، لأن المسألة هنا ليست متصلة بالمعاني ولكنها متصلة بالأداء — بفكرة الأداء — وعلى هذا الأساس قال العلماء ان القراء تعمل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل وليس على الأفشَى في اللغة والأقيس في العربية — قانون من قوانين علم القراءات — معنَى هذا أن علماء القراءات هم علماء نقل ، وكلمة نقل هنا يمكن أن نسميها — مع الحذر الشديد — انه الشيء الوصفي المحض .

وعلى هذا نشأ اتجاهان

الاتجاه الأول : اتجاه كان موجودا ، طبعا تعلمون أن عددا كبيرا من النحاة كانوا قراء ، بل كان منهم من هو من القراء السبعة : أبو عمرو ابن العلاء هو قارئ البصرة ، الكسائي هو قارئ الكوفة ، أي أن اثنين على الأقل من القراء السبعة كانا من كبار النحاة ، فضلا عن أنه إذا تتبعنا تراجم معظم النحاة تقريبا نجد أن ابن الجزري مثلا ترجم لهم في كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» .

الاتجاه الثاني : اتجاه يكاد يبدو مناقضا تماما هو اتجاه الكلاميين ، اتجاه علم الكلام وأخص بالذات تأثيرات المعتزلة على وجه الخصوص ، في النحو العربي . فكرة العقل ، أو المعارف واجبة بالعقل قبل ورود السمع التحسين والتقبيح الذاتيان ، تناول الكون من وجهة نظر عقلية. علم الكلام له تأثير كبير جدا ، وهو أيضا متأثر بالنحو العربي . ثم يجمع هذين الاتجاهين ، علم الأصول — أصول الفقه — كما سمعتم بالأمس في الحديث عن الامام الشافعي مثلا حين تبلورت عنده فكرة الأصول ، نجد الأصول الأربعة : القرآن ، السنة ، الإجماع ، القياس . الجمع في الأغلب بين منهجي النقل والعقل . هذه الفكرة إذن يمكن أن تبلور لنا

جزءا مهما جدا من طبيعة النحو العربي في نشأته الأساسية أو كما ورد عند سيبويه بأنه يمثل الاتجاه النقلي المحض ، كما تأثر هو بالقراءات ، ويمثل الاتجاه العقلي أو الجمع بينهما كما ورد في الكلام وفي أصول الفقه .

هذا كله يمكنه أن يوصلنا إلى الحقيقة الآتية وهي التي يمكن أن تكون موضع نقاش الأمس ، وهو أنه لا يمكن أن نفهم القديم إلا إذا استطعنا أن ندرك نظرية المعرفة كما دعا الأستاذ الجابري أمس ، أنه لابد أن يكون فيه ايبستيمولوجية وأسس أنطولوجية في الفكر العربي الاسلامي وأتصور أننا نمر على كثير من قضايا النحو ومن التحليلات النحوية القديمة كأنها مسألة مستقلة ، وإنما لابد أن يكون هناك ادراك أولي للايبستمولوجية الاسلامية الأولى .

طبعا لا مجال هنا لنضع تفصيلات ، إذا كانت هناك مناقشة يكفي أن أشير فقط إلى أن فكرة الاسناد وفكرة التنظيرات المختلفة لتسمية الفعل بأنه مضارع مثلا دون أن يتحدث عن «الزمن» ، أو من أوضح الأمثلة كأن نسمع من الكلمات التي نسمعها من طلاب دارسي النحو ، انهم يشتكون من كلمة «تعلّق» ، وليس «تعليق» التي عرضها أمس الأستاذ الفاسي ، ليس التعليق في الأفعال القلبية ، ولكن التعلّق فيما يسمى بشبه الجملة ، لأن الجار والمجرور ، لابد أن يكون متعلقا بكذا ، أنا أشير — مجرد إشارة — انه لا يمكن تصور أن النحوي جاء بكلمة «التعلق» هكذا بكل بساطة ، وإنما كان صادرا في الواقع عن ايبستومولوجية خاصة وعن موقف أنطولوجي في الواقع من الكون وفي الحياة ، أبسط مثال أننا نعرف في النحو أن الجار والمجرور والظرف هما اللذان يسميان بشبه جملة ، وإذا نحن تأملنا الظرف سنجده في الأغلب مكانا أو زمانا وأن الجار والمجرور أيضا له دلالة زمانية أو مكانية ، إذا أخذنا كلمة من ، وإلى وعلى وفي الخ ...

فإذا أدركنا أن النحوي العربي لم يستطع أن يرَى هذه التركيبة اللغوية : كلمة مِنْ وإلى : كمشيت من البيت إلى الجامعة ، ويصر على أن «من البيت» شبه جملة متعلقة بالفعل «مشيت» ، ويقوم النحاة ليقولوا لنا إن التعلق هذا مسألة أساسية — وعلى الأقل عند البصرة — وأنه لابد أن يكون «من البيت» متعلق «بمشيت» ، وكذلك «إلى الجامعة» متعلقة بمشيت ، لأنه غير ممكن تصور البيت هنا إلا أنه

موضع ابتداء المشي وأن الجامعة انتهى عندها المشي . وهم يصرون على القول : وقفت أمام البيت أو لعبت أمام البيت ، فتكون كلمة أمام مسرحا للفعل لعب ... ويقرر النحاة بأن تعلق شبه الجملة لابد أن يتعلق بمشتق ، أي بفعل أو ما فيه معنَى الفعل .

هل يمكن أن نتصور أن مثل هذه الفكرة لكي توصلنا إلى فكرة الرابطة التي تحدث عنها أمس في مائدة المنطق عند البصريين أنه كمثال — زيد في البيت — لا يمكن تصور البصري يستطيع أن يقول أن «في البيت» هو الخبر لكلمة زيد وأنه لابد أن يقول زيد موجود في البيت أو كائن في البيت أو مستقر في البيت . فشبه الجملة لابد أن يتعلق بشيء سموه محذوف خبر . نزعم بأن كثيرا جدا من هذه القضايا التحليلية للظاهرة اللغوية عند النحاة العرب صدر عن مواقف أنطولوجية وإبستيمولوجية ، بحيث يمكن أن نتلمسها حتَّى نضع الأشياء في إطارها السليم وأعتقد مثلا أن فكرة شبه الجملة بدلالته على المكان والزمان يمكن البحث عنها في فكرة «الحيز» عند المسلمين ، وأنه عند الكثير منهم أن الحيز عندهم ليس «خلاء» وأنه موضع «الأحداث» المعتزلة في بحث الصفات أشاروا إلى أن علم الله مثلا حادث ، قالوا حادث لا في محل ؛ واقتراح كلمة «لا في محل» هو نوع من التأكيد على ادراك القاعدة الأساسية بأن الحادث لابد أن يكون حادثا في «محل» أي في حيز .

ما أريد أن أركز عليه هو أن النحو العربي لا يمكن إدراكه أو فهمه أو مجرد التعامل معه من مجرد الأقوال العادية أو حتَّى يمكن أن نستعمل كلمة السطح التي جاءت عند النحاة — ولكن لابد أن نبحث عن الأسس الخلفية سواء كانت ابستمولوجية أو أنطولوجية وراء النحو العربي . النحو العربي اذن تكون في هذا الجو العام ، في هذا الفكر الاسلامي الشامل الكامل وتطور من داخله ، ونحن لا ننكر ما حدث من تأثيرات خارجية وأجنبية في العصر الحاضر — نحن كنا نتناقش بالأمس عن الحيوية العربية متَى توقفت مثلا إذا كان في القرن 3 أو 4 أو 5 للهجرة كل شيء لا يزال حيا ؛ أما حين تقرأ أي نحوي أو أي بلاغي من القرن الرابع أو القرن الخامس وهو يتحدث عن نحاة القرن الثاني أو علماء القرن الثاني كأنه يعيش معهم لأن المسألة حية جدا ومتطورة وهي موضع مناقشة كل لحظة

وفي كل حين على عكس ما نحن فيه الآن ، الفجوة اتسعت بيننا وبين هذا التراث الكبير الطويل التاريخ .

في العصر الحاضر بدأ علم اللغة الحديث مع أشياء كثيرة جدا من الخلط والاضطراب حين بدأنا نتصل بعلوم الغرب ، بالذات في مصر حين اتجه بعض الناس إلى دراسة علم اللغة الحديث ، وطبعا بعضهم يعلم جيدا أنه ما قبل فكرة Philology ، وحتّى فكرة الفيولوجية نفسها التي كانت منتشرة في الغرب في القرن الماضي ، دخولها إلى العالم العربي كان دخولا مضطربا وفيه أشياء كثيرة جدا من الخلط حين ترجم إلى كلمة فقه اللغة وما حدث من خلط في مسألتها .

لكن المهم حين جاء علم اللغة الحديث ـــ اتصل به بعض أساتذتنا في الغرب وحاولوا إدخاله في الدراسة الجامعية . كان الهدف الأساسي الذي قدمه دارسو علم اللغة الحديث أو دارسو Linguistics بشكله البنائي أو بشكله الوصفي المزعوم على رأي الأستاذ الفاسي كان الهدف الأساسي عندهم أنه مجرد نقد للنحو العربي أو ما يسمى بالنحو التقليدي أو هدم النحو العربي وأن هناك نظرية جديدة يمكن تطبيقها لكن في الواقع معظم الحركات التي تمت حتّى الآن لم تؤد إلى مواقف ايجابية بتقديم بديل حقيقي يمكن لمسه باليد ويمكن وضعه وتطبيقه بطريقة واضحة . النقد الذي تم حتّى اليوم يدور كله في فلك النقد الذي تم في أوربا للنحو التقليدي بأنه نحو أرسطي ونحو يبدأ بالمعنَى ونحو يبدأ بالتصورات العقلية .

وبعد ذلك عند السوسوريين بأن اللغة لابد أن تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها ولابد من الوصف المحض والتشريح الأفقي إلى كل الكلام الذي تعرفونه والذي تردد كثيرا .

القضية التي نوقشت أمس والتي نؤكد فيها جميعا أنه قيل فيها كلام كثير جدا لا تزال مرة أخرى في حاجة إلى تأكيد وهي محاولة ربط النحو العربي بأرسطو على وجه الخصوص ، نحن لا نرفض البحث في أي شيء إطلاقا ولا نحن ندافع عن النحو العربي بل بالعكس ، لابد أن يوضع كل شيء في اطاره الحقيقي .

قيل في يوم من الأيام بأن النحو العربي كله أرسطي تماما ، طبعا الاعتماد في هذا كان في الواقع على الكتب المتأخرة ، على الكتب التي جاءت بعد القرن الرابع ،

نحن نزعم أن فهم النحو العربي ينبغي أن يكون في المراحل المبكرة لأن كتاب سيبويه حقيقة هو الذي طبع النحو العربي كله تقريبا ، لأن كل الزيادات عبارة عن تفصيلات جزئية ، ليس هناك اختلاف في المنهج الحقيقي ومجرد دخول تأثيرات المنطق في التعريف أو في التعليل أو في غير ذلك لم تكن ادخال نظرية جديدة أو ادخال منهج جديد لكن في فترة سيبويه – تاريخيا – نحن لا نجزم بشيء من الناحية التاريخية ، ليست هناك مادة ملموسة يمكن أن نجزم بها عن فكرة أرسطية النحو العربي ، المادة العلمية الموجودة أمامنا تشير إلى الآتي :

المنطق الأرسطي مهتم بالقضية ، والقضية تعتمد في القياس على مقدمات ، والمقدمات قضايا ، والقضية أساسا جملة خبرية أي معها الحمل . وإذا كانت الجملة خبرية تبقَى الجمل الانشائية غير داخلة في عمل أرسطو إطلاقا أي أن نوعاً معيناً من أنواع الجمل غير داخل،يبقَى اذن الاكتفاء فقط بالجملة الخبرية،ولكن ليس أيضا كل أنماط الجملة الخبرية وانما الجملة الخبرية في نمط معين وهو وجود الاسم الذي هو عبارة عن موضوع أو كما نسميه في حالة الرفع ... كذلك أرسطو يؤكد بأن الاسم عنده هو الاسم المرفوع فقط . وأما الاسم المنصوب فليس اسما وانما هو حالات من الاسم .

وعلى هذا الاساس يصل إلى فكرة الفعل .. الفعل عنده لا يكون إلا الفعل الحاضر وأما الفعل الماضي أو غير الماضي فهو ليس فعلا وانما هو عبارة عن زمن الفعل .

فالتركيز الأرسطي تركيز محصور في نوع معين من البحث وهو فكرة الجملة الخبرية القائمة على فكرة الاسناد أو إسناد الحمل .

الشيء الثاني كان من القضايا الأساسية التي حتَّى الآن أخشى أن أقول انها قد دخلت فيما يمكن أن يسمى بالشائعات العلمية ، وللأسف نحن في عالمنا العربي بالضبط كما نخضع لكثير من الاشاعات في السياسة وفي الاجتماع وفي الاقتصاد أو غيره ، فعندنا أيضا نوع من الشائعات العلمية ، نجد عددا كبيرا من الشباب في أول بحث يكتبه ، نجد مجموعة قضايا وأحكام موجودة وهي كلها قائمة على أن فلانا قال قضية أو قال حكما معينا وهذا الحكم تُوورث بطريقة معينة دون البحث عن أسسه

وعن أسبابه وأصبحت من المسلمات ، ولكنها في الواقع تدخل في الشائعات العلمية . إذا اخضعت لمجرد الفحص العلمي يمكن للمسألة أن تحقق إذا كانت شائعة علمية أو حادثة (علمية) .

من هذا القبيل ربط فكرة الاسم والفعل والحرف بما يسمَى بالتقسيم الثلاثي للكلمة عند أرسطو . ان أرسطو قسم الكلمة تقسيما ثلاثيا إلى ذات وحدث ورابطة ، في الحقيقة حاولنا أن نسأل نحاتنا وأساتذتنا الذين قالوا هذا الكلام . كان المفهوم عندنا حقيقة أن معظم نحاتنا لم يدرسوا منطق أرسطو فعلا ، ليس هناك اتصال مباشر بالنصوص التي قالها أرسطو ، وفي المقابل نحن نزعم أيضا أن بعض المناطقة الذين قالوا بفكرة التأثر لم يكن لهم اتصال حقيقي بالنحو العربي يعني الحكم هنا فاقد في الواقع مبرراته لأنه يلزم أن يكون هناك نص موجود أو نصوص موجودة يمكن في مقابلها أن نحكم إذا كان هناك نص : هل هو تقسيم ثلاثي أم لا ؟

ونزعم أيضا أنه بمحاولة الرجوع إلى كثير من النصوص لم نجد أرسطو خصص موضوعا معينا في كتب المنطق لأقسام الكلمة ونترك كتاب الخطابة أو الشعر أو غيره لا نجده في كتب المنطق يقول إن الكلمة عبارة عن ذات وحدث ورابطة . انما هو تحدث في كتاب المنطق عن الجملة وعن الاسم وعن الفعل .

في كتب الشعر والبلاغة تحدث عن أنواع العبارة وتكلم عن أنواع معينة من الأدوات ، وذكر منها ستة أو سبعة أو ثمانية من بينها (syndesmoi) أو الرابطة ، ولا ندري لِمَ اختار بعض الناس كلمة الرابطة من بين هذه الأشياء الثلاثة لكي يضيفوها إلى الاسم أو للذات والحدث ويصير هذا التقسيم أرسطيا الا أن يكون فهمنا نحن لبعض النحاة المتأخرين ، حينما قالوا إن تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف هو تقسيم عقلي لا تخرج عنه لغة من اللغات ، نعم ان بعضا من النحاة المتأخرين ذكروا هذه العبارة على وجه اليقين أي أن هذا التقسيم تقسيم عقلي فنحن حكمنا على النحو العربي من خلال كثير جدا من القضايا التي قيلت في العصور المتأخرة .

ظل هذا النقد موجودا في هذه الفترة ، إلى أن جاء النحو التحويلي والتوليدي ، طبعا لا يزال يسير على استحياء معظم في جامعاتنا في المشرق وبحذر شديد وان كنا

نحذر دائما ألا يكون منهجنا هو أن نجلس وننتظر ما يأتي به الغرب ، ونحاول أن نطابق ما عند الغرب على شيء عندنا . يعني كأن العظمة العربية التي نفخر بماضيها هي أن ننتظر تشومسكي مثلا .

إلى آخر ما يحدث بفكرنا هذا بالضبط ببعض المسلمين الذين يقولون : عظيم جدا نحن عندنا القرآن وفيه كل شيء ولا يوجد علم ولا شيء ؛ العلم كل ما فيه موجود في القرآن ، وبعض شيوخنا في فترة من الفترات ظلوا يقولون نعم الأرض كروية كما ثبت أنها كروية عندنا في القرآن «كُوِّرَت» اذن هي كروية ، وبعض الناس يقول هي كالبيضة (والأرض بعد ذلك دحاها) الخ . هنا منهج غير علمي ، نحن لا نقبله اطلاقا ، لكن نقول وهو الذي كنت أحاول أن أبينه في المناقشة بالأمس ، ان تطور البحث اللغوي المعاصر يدفعنا إلى أن نقول بأنه إذا كان عندنا هذا التراث الطويل فاننا في حركتنا بالانقطاع عن تطور العالم نثبت أننا غير جديرين بالتراث لأننا مقصرون في التراث تقصيرا كبيرا جدا حين ننقطع عن العالم ولا أريد أن أتصور أنه إذا كان سيبويه يعيش الآن أو الخليل ابن أحمد أو المبرد ، أعتقد أنهم كانوا قابلوا تشومسكي هنا وجلسوا معه وبحثوا معه بل ربما كانوا سبقوه الخ .

إذا كان النحو التحويلي أو التوليدي يعيد إلى النحو القديم شيئا من مكانته بالعودة إلى العقل وإلى المعنَى وإلى النحو الشامل ، نحن لا نزعم أن النحو العربي فيه هذه الأشياء ، لكنني أريد فقط أن ألفت إلى أن تشومسكي بعد أن كتب كتابه الأول توجه فعلا إلى البحث عن اللغة عند الديكارتيين .

ومجرد التوجه إلى الديكارتيين كان من فترة قريبة جدا مرفوضا عند اللغويين المعاصرين عند البلومفلديين وغيرهم . مجرد الحديث عن فيلسوف أو عن منطقي هذا كان يبعد الانسان من ميدان علم اللغة ، لكن مجرد التوجه — أعني توجه تشومسكي — إلى دراسة اللغة أو المنظور اللغوي عند الديكارتيين ، هذا وحده يكفي لأن نقول إن الدعوة إلى فهم النحو العربي من اطاره الداخلي — من داخله من نظرية معرفية أنطولوجية عند المسلمين يمكن أن يساعدنا حقيقة على مواصلة البحث للحصول على نظرية كاملة في البحث اللغوي، وأعتقد أن مثل هذه المحاولة ليست محاولة انتظارية لأننا لا نيأس من شيء وإنما هي محاولة ضرورية جدا لأن نفهم وأن

ندرك وأن نواصل السير وأنا أحسب أن مثل هذه الندوة التي التقينا فيها وهي ندوة فريدة حقيقة في جامعاتنا العربية حين يلتقي الناس على هذا المستوَى من التفتح الذهني ومن النقاش ، أحسب أن مثل هذه الندوة ومثل هذا الجو الذي نلتقي فيه الآن كفيل أن يطور البحث اللغوي في العالم العربي على أساس التمثيل الغذائي الداخلي للانسان العربي ، وشكرا .

جورج بهــاس (*)

هل يمكن الحديث عن النبر في اللغة العربية الفصحَى ؟ (**)

ما ان نتطرق إلى موضع النبرة في العربية الفصحَى حتَّى نجد أنفسنا، في كتابات المستعربين، أمام الاعتراض التالي : «كيف يمكننا أن نتكلم عن النبرة... بينما لا نراها تقوم بأي دور مميز في اللغة ؛ وكل التراث النحوي العربي في فروعه المختلفة قد أهملها كليا وتركنا ازاء افتراضات شتَّى ؟» هذا ما قاله (Fleisch 1966) وقد سبق فقال : «ان سكوت هؤلاء الناس (يقصد النحاة العرب) الذين اجتهدوا ايما اجتهاد كل في اختصاصه ليس له إلا تفسير واحد : لا عمل للنبرة في النحو، في التجويد وفي العروض» (Fleisch, 1961)

موقف Fleisch يتلخص إذن في الأقوال الثلاثة الآتية :

1 — بما أن النبرة لا تقوم بأي دور مميز فانها لا أثر لها في التصريف وكذلك في العروض.

2 — انه لمن المستحيل ان تقوم النبرة بدور ما في تصريف العربية الفصحَى لأن النحاة العرب لم يتركوا للنبرة أي مكان في دراساتهم.

(*) جامعة باريس الثامنة.

(**) اعتمدت في كتابة هذا البحث على مقالات من انجازي الخاص ومقالات شاركني في انجازها الأستاذ جمال الدين كلغلي كما ساعدني في وضع المقال بالعربية الأستاذ جورج عوض، وإنني أشكرهما على مساهمتهما.

3 ــ في ما يخص النبرة في العربية الفصحَى ، من المتعذر علينا أن نتجاوز حدود الافتراضات إذ أنه لا متناول لنا للفصحَى إلا من خلال النصوص التي وصلتنا ومن خلال دراسات النحاة العرب . وبما أن النحاة العرب لم يخلفوا لنا أي نص يتناول مسألة النبرة فليس في حوزتنا أي مصدر ثقة نبني عليه تحليلا لواقع النبرة في العربية الفصحَى .

هذا رأي Fleisch ويشاركه في ذلك معظم الباحثين في هذا المجال بخلاف ما يقول Fleisch لا غرو أن كل نقطة مما ذكرنا هي موضوع نقاش ولنرد على ذلك فقرة فقرة :

1 ــ قد نتساءل ماذا يعني قوله : ان النبرة لا دور مميزا لها في العربية الفصحَى . بالرغم من أن Fleisch لا يبسط القول في هذا الدور فاننا أميل إلى الافتراض بانه يقصد ان العربية الفصحَى لا تتضمن ألفاظا متقابلة شبيه ما نجد في الانكليزية مثلا :

torment	torment
تعذيب	عذب

حيث «تميز» النبرة بين الفعل والاسم

قد أثبت داود عبده في كتابه :

On stress and arabic pnonoıogy, a generative approach

ان مثيل هذه الألفاظ المتقابلة يوجد في اللغة العربية كما هو الأمر في الانكليزية في الحقيقة ، ان التميز بين الألفاظ الآتية يعزَى إلى محل النبرة في الكلمة :

ومضت	(wa'madat)	ومضت	(wamadat)
من ومض		حرف عطف وفعل مضَى	
فصلت	(fa'salat)	فصلت	(fasa'lat)
من فصل		حرف عطف وفعل صلى / يصلي	
فعلت	(fa'salat)	فعلت	(Fasa'lat)
من فعل		حرف عطف وفعل علا / يعلو	

في ما يتعلق بالألفاظ المماثلة إلى يسار الخط لا شك أن حرف العطف والفعل

يكونان مجموعة نبرية (بعبارة أخرى : كلمة) واحدة إذ أن حرف العطف يلتصق بالفعل كما يحصل ذلك بين الفعل والضمير المتصل فيشكلان وحدة نبرية مستقلة . فالعنصر المميز إذن بين ومضت (فعل) وومضت (حرف عطف + فعل) انما هو النبرة [wámadat] ~ [wamáḍat] مع ذلك هب أن النبرة لا تقوم بأي دور مميز في اللغة الفصحَى ، فهذا لا يعني أنها مجردة عن أي دور على الاطلاق . فمثلا يقال أيضا إن النبرة لا تقوم بدور مميز في اللغة الفرنسية مع أن عدة لغويين قد أثبتوا انها تقوم بدور مهم في تصريف اللغة الفرنسية .

الشيء الأساسي في هذا المجال يعود إذن إلى ما يضع اللغوي نصب عينيه :

– إذا قصد إلى ابراز العناصر التمييزية في اللغة وترتيبها فلا يهتم بالنبرة في اللغة العربية الفصحَى .

– أما إذا أراد أن يصف جميع المتتابعات الصوتية السليمة التي تكوّن اللغة فلابد له أن يأخذ بالحسبان النبرة كأي ظاهرة لغوية .

2 – الا يذكر النحاة العرب النبرة لا يثبت شيئا . قال Leibriz وكرر بعده (Chomsky 1965) «ان في حوزتنا أشياء كثيرة لا علم لنا بها». ولنضرب لذلك بعض الأمثلة : ذكر Chomsky ان الصينيين ينطقون بأصوات فعندهم أساس الخط الأبجدي مع أنهم لم يكتشفوه قط . ذكر (Garde 1968) في كتابه L'accent ان المتكلم الفرنسي الذي لا يعي وجود النبرة في لغته ، يكتشفها عند تعلمه لغة أجنبية . أخيرا : من منا لم يلاحظ ان عددا كبيرا من الفرنسيين حتَّى المثقفين يميلون إلى القول بان النبرة لا وجود لها في الفرنسية ... فإذن «سكوت هؤلاء الناس (أي النحاة العرب) قد يجد له تفسيرا آخر، في ما يلي بسطه. قال (1965 Chomsky) «كل ناطق بلغة ما يملك في ذهنه نحوا توليديا حيث تتكون معرفته باللغة . لا يلزم من ذلك أن يكون واعيا قواعد النحو أو ان يكون قادرا على وعيه أو أن أقواله المتعلقة بمعرفته الحدسية للغة هي صحيحة بالضرورة ... بديهي ان أقوال الناطق المتعلقة بتصرفه اللغوي وبمقدرته اللغوية قد تكون خاطئة كليا» .

3 – اما النقطة الثالثة من موقف Fleisch فيبدو لنا انها تستحق نقاشا

متعمقا . انها تثير ، في الواقع ، قضية القدرة على ادراك اللغة العربية الفصحَى . لا غرو اننا نعتمد في ذلك على نصوص النحاة العرب والمعطيات التي تحويها،ولكن هذا ليس المنفذ الوحيد الذي نطل منه :

أولا : كما ذكره (Brame 1970) في أطروحته «لا نجد في التاريخ نقطة حاسمة تفصل بين الفصحَى القديمة وبين الفصحَى الحديثة .

ثانيا : يمكننا وضع استدلالات حول الفصحَى القديمة انطلاقا من اللهجات العصرية .

ثالثا : بمستطاعنا أن نستند إلى واقع لغوي ذكره النحاة العرب لنبني عليه حجة لواقع لغوي لم يذكروه .

هناك مستشرقون ولغويون قد قدموا مثل هذه الاستدلالات في ما يتعلق بالنبرة في العربية الفصحَى ويمكننا ان نلخص نتيجة ما وصلوا إليه في مذهبين :

الأول : لا تتعدَى النبرة المقطع الثالث بدءا من آخر الكلمة . فاستنادا إلى هذا الموقف تصل النبرة في كلمة المملكة إلى المقطع الثالث ، بدءاً من آخر الكلمة أي **(Al-mamlákatu)**

أما المذهب الثاني فيقول ما يلي : إذا تضمنت الكلمة ثلاثة مقاطع قصيرة بدءاً من آخرها انزلقت النبرة» إلى ما بعد المقطع القصير الثالث بدءاً من آخر الكلمة . فاستنادا إلى هذا الموقف تصل النبرة في كلمة المملكة إلى المقطع الأول أي **(Al-mamlákatu)**

نذكر في عداد أنصار المذهب الأول **Thomas Erpenius** في كتابه **Grammatica arabica** الذي نشر سنة ألف وستمائة وثلاث عشرة وهو أقدم مصدر أعرفه في هذا المجال .

في اطار النحو التوليدي نذكر داود عبده في كتابه **on stress and arabic phonology** وهو أول كتاب تناول اللغة العربية من خلال اطار هذه النظرية ثم **Brame** في أطروحته (1970 ، وفي مقال صدر في مجلة 1971 **Foudations of language,** وهو اعاد دراسة عبده وأعطَى

قواعدها صيغة أفضل). فان قاعدة وضع النبرة التي عرضها Brame هي :

$$V \rightarrow [+\ stress] / — C_o\ ((VC)\ V\ C_0^1) \neq$$

أستنادا إلى المصطلحات التي وضعها Chomsky et Halle ، 1968 يلخص هذا الشكل كما ينص عليه Brame القواعد الثلاث الآتية :

ا) $V \rightarrow [+\ stress] / — C_0\ VCVC_0^1 \neq$

ب) $V \rightarrow [+\ stress] / — C_0\ VC_0^1 \neq$

ج) $V \rightarrow [+\ stress] / — C_0 \neq$

ننوه ان C_0 في رموز Chomsky et Halle, 1968 تلخص متتابعة من ∅ (صفر) حتّى ما لا نهاية له من الصوامت . إذن C_0 يعني :

∅
C
CC
CCC
CCCC
CCCCC...

و C_0^1 متتابعة من ∅ أو صامت واحد أي ∅ أو C

ان استخدام هذا الرمز C_0^1 يسمح له بأن يعطي لكل من المقطعين CV و CVC قيمة واحدة في نهاية الكلمة . وهكذا ينبر بطريقة واحدة الكلمتين المملكة ومملكة أي [Al-mamlakatu] et [mamlakatun] وان اختلف شكلا المقطع الأخير

لنضرب لذلك أمثلة :

الكلمة كتب /kataba/ تطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة في فرعها الأول أي

/kataba ≠ / —CVCV∅ ≠

فإذن النبرة تنزلق إلى [kataba]

اما يفعل فيطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة في فرعها الثاني أي

/yafᶜal ≠ /
— CCVC ≠
— C_0 VC ≠

فإذن المقطع [yaf] هو المقطع المنبور [yáfɛal]

أخيرا بل /bal/ يطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة [Yafeal] في فرعها الثالث

أي
$$bal \neq$$
$$- C \neq$$
$$- C_0 \neq$$

وهكذا تقع النبرة عليه [bäl]

اما المذهب الثاني (وهو مذهب الذين يدّعون ان مملكة منبورة على مَم [ma'mlakatun] فمن انصاره القدامَى المستشرق الألماني (Brockelman 1970) ومن المحدثين ، اللغوي الامريكي (McCarthy 1979) الذي وقف صفحات من أطروحته ليبرهن على صحة هذا المذهب وتبعه في ذلك عدة لغويون امريكيون . لقد تناولت هذا الموقف بالنقد في مقال نشر في مجلة **Analyses Théorie** (العدد الأول لعام 1981) وشاركني في كتابة هذا المقال الأستاذ جمال الدين كلغلي . أوضحنا في هذا المقال أن استدلالات **McCarthy** التي تعتمد على اللهجات الحديثة باطلة (انظروا لمزيد من المعلومات المقال المذكور) وأوضحت في مقال آخر نشر أيضا في هذه المجلة وشاركني في تأليفه الأستاذ جورج عوض، ان استدلالات **McCarthy** القائمة على العروض باطلة أيضا .

وقد أبرز جمال الدين كلغلي في مقالنا حجة قد تكون قاطعة إذ أنها لا تعتمد على اللهجات الحديثة ولا على العروض بل على الواقع اللغوي كما نقله النحاة القدامَى . ان هذه الحجة تعتمد على فكرة بسيطة جدا وما أكثر ما تناقلها علماء الأصوات والتصريف وهي تقوم على ان المقاطع القصيرة المنبورة ليس لها نفس الخصائص الصوتية والتصريفية التي تختص بها المقاطع القصيرة غير المنبورة ، وان هذه المقاطع المنبورة هي أشد قوة من تلك ، الأمر الذي يكسبها خصائص صوتية وتصريفية تفتقر اليها المقاطع غير المنبورة .

إذا اثبتنا في تصريف العربية الفصحَى ان المتتابعة نفسها تحتمل تغييرا تصريفيا أو لم تحتمله حسب كون مقطع ما من هذه المتتابعة منبورا أو غير منبور سيسمح لنا هذا ان نحدد محل النبرة وان نبرهن على ان هذا المحل لا يتفق واستدلالات

بل يتفق واستدلالات عبده و Brame . McCarthy

لبكن الفعل المثال الذي فاؤه واو ووزنه فَعِلَ / يَفْعَلُ وكذلك الفعل المثال الواوي المزيد من وزن افتعل / يَفْتَعِلُ . فمن النوع الأول نذكر مثلا وَجِلَ يَوْجَلُ ووَتِغَ يَوْتَغُ (يعني تلف) وهو في مستواه الأصلي : /yawtağu/ كما هو في شكله الملفوظ : [yawtāğu] ومن النوع الثاني اتحد / يَتَّحِدُ وهو في مستواه الأصلي /yawtahidu/ فيظهر أن الفعلين في المستوَى الأصلي يحويان المتتابعة نفسها أي : /yawta/ في اللغة الفصحَى يبقَى الفعل يوتغ على حاله دون تغيير طرأ عليه فأصله : /yawtağu/ وشكله الملفوظ : [yawtagu]

اما /yawtahidu/ فعلى خلاف ذلك : ان شكله الملفوظ ليس يوتحد بل يتحد إذا قارنّا /yawtağu/ و/yawtahidu/ يتضح لنا أن ابدال yawta → yatta لا سبيل إلى ان نعزوه إلى طبيعة الحروف والحركات ولا إلى البنية المقطعية : فهما متماثلان في الفعلين ومع ذلك يوتغ يظل يوتغ ويوتحد يصبح يتحد .

فلنعد إلى المذهبين السابقين : عند Brockelman و McCarthy النبرة تنزلق في الفعلين إلى المقطع الأول :

yawtagu yawtahidu

al-mámlakatu ﻙ

فلا سبيل إلى تفسير الفرق بين /yawtahidu/ /yawtagu/

[yattahidu] [yawtağu]

إذ أن الفعلين متماثلان من حيث :

- تتابع الأحرف والحركات
- البنية المقطعية
- النبرة

بعكس ذلك عند عبده و Brame سبب هذا الفرق يصبح واضحا وتفسيره سهل إذ أن الفعلين يختلفان من حيث النبرة فيوتغ منبور على يو : /yawtağu/ بينما يوتحد منبور على تَـ : /yawtahidu/

اما /yáwtáǵu/ فالنبرة فيه تكسب المقطع الأول (أي يَو) قوة خاصة تجنبه عملية الابدال فيبقَى هكذا : يوتغ .

واما يوتحد /yawtahidu/ فالنبرة فيه على تَـ : /yawtahidu/ مما يغير علاقة القوَى بين المقطعين : المقطع تـَ هو منبور بعكس المقطع يَو فقوة المقطع تَـ تمكنه من اجتلاب الواو من المقطع الضعيف وجعله تاء : [yattahidu] فهذا المذهب الثاني وحده جدير بتفسير هذا الواقع اللغوي . وهكذا نقطع جازمين بان هذا المذهب هو المذهب الصحيح .

في ختام ذلك يمكن تحصيل النتائج التالية :

1 — قطعنا بين المذهبين بتغليب المذهب الثاني القائل ان النبرة لا تتعدّى المقطع الثالث بدءا من نهاية الكلمة .

2 — خلافا لما قال **Fleisch** يبدو أن النبرة تقوم بدور في تصريف اللغة الفصحَى ويمكننا الآن أن نتحدث عنه ونتحقق من صحة افتراضاتنا حوله .

المراجـع :

ABDO, D., 1969, **On stress and arabic phonology, a generative approach,** Beyrouth : Khayats.

AWAD, G. et BOHAS, G., 1981, **Note à propos des sur-lourdes en arabe classique, Analyses Théorie, 1.**

BOHAS, G. et KOULOUGHLI, D.E., 1981, **Processus accentuels en arabe (parlers du Caire, de Damas et arabe classique), Analyses Théorie, 1.**

BRAME, M.K., 1970, **Arabic Phonology : Implications for phonological théory and historical semitic,** Ph. D. Diss., MIT, inédit.

BRAME, M.K. 1971, **Stress in arabic and generative phonology, Foudations of language, 7.**

BROCKELMANN, C., 1907, **Grundriss der vergleichenden Grammatik der sem itischen Sprachen, I,** Hildesheim : Georgy Olm.

CHOMSKY, N., 1965, **Aspects of the theory of syntax,** Cambridge : The MIT Press.

CHOMSKY, N., et Halle, M., 1968, **The sound pattern of English,** New-York : Harper and Row.

ERPENIUS, T. 1656, **Grammatica Arabica,** Lugduni Batavorum 1ère édition : 1613).

FLEISCH, H., 1961, **Traité de philologie arabe,** Beyrouth : Imprimerie Catholique.

FLEISH, H., 1966, **Compte rendu de Blachère, 1964, Mélanges de l'Université** Saint-Joseph, 42.

GARDE, P., 1968, **L'accent,** Paris : P.U.F.

MCCARTHY, J., 1979, **Formal problems in semitic phonology and morphology,** Ph. D. Diss., MIT.

مناقشة الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة : الأستاذ أحمد الإدريسي (*)

الأستاذ الطريسي

أسفي على الوقت الذي حال دون اتمام الأستاذ كمال أبو ديب لعرضه حتَّى نستطيع تكوين صورة واضحة عن البحث أو المشروع .. وبهذا نكتفي بالنقاط التي تناولها حول عرضه وهي على شقين : الشق الأول يتعلق بالمستوى النظري والشق الثاني يتعلق بالمستوى التطبيقي .

أعتقد أنه بالنسبة للمستوى النظري ، المنهج المعروف عند كمال أبو ديب من خلال مقالاته وكتبه ، أعتقد أنه ما زال يفتقد الى أدوات كثيرة حتَّى يستوفي شروط المنهج وهو أيضا أشار الى أن هذا المنهج ما زالت فيه أشياء غامضة حين تحدث الأستاذ كمال عن اللغة الشعرية التي قال عنها انها تمتاز بالتنظيم بل بتوضيح هذا التنظيم الذي لا تمتاز به لغة النثر ، ثم حين يقول واللغة الشعرية تجسد بنية فكرية معينة ، ما هي هذه الفكرة المعينة ؟ هل هي في الزمان أو المكان أم فكرة معينة في لا زمان ولا مكان ؟.

ونريد هنا أن نربط هذه القضية بعالم المبدع وليس بعالم المتلقي ..

بالنسبة للتطبيقي ، ان الحديث عن الجمل الشعرية بحيث تحدث الأستاذ كمال عن الأدوات اللغوية مثلا ، عن أدوات الاستفهام ، الجملة الخبرية . السؤال هل هذه الأدوات — وهي كثيرة : أسماء الاشارة ، الجملة الخبرية. الاستفهام — يمكن النظر إليها من خلال الجمل الشعرية أم من خلال البنية العامة للقصيدة ؟ أعتقد أنه

(*) كلية الآداب — الرباط

إذا نظرنا فقط إلى الجملة الشعرية ستغيب عنا أشياء كثيرة ربما نكون أمام استفهام في الجملة الشعرية ولكن إذا نظرنا إليها من خلال البنية العامة للقصيدة سيصبح شيئا آخر. كذلك تحدث الأستاذ كمال عن قصيدة أدونيس وبيت لامرئ القيس وقصيدة السياب ، أعتقد أن قصيدة أدونيس ليست كاملة — هاته التي أمامنا الآن — كذلك حين نأخذ مثلا بيتا لامريء القيس ، من قصيدة،من عالم،من فضاء فحين نتحدث عن هذه الأدوات اللغوية نريد الوصول الى المعنَى الشعري من خلال بيت أو من خلال مقطع أو من خلال جملة شعرية وننسَى البنية العامة للقصيدة ؛ أعتقد أننا لا نستطيع النفاذ الى ذات المبدع ، كذلك بالنسبة لهذه الأدوات بصفة عامة ، (أدوات ، أسماء الإشارة ، الجمل الخبرية ، أدوات الاستفهام المجاز بمختلف أنواعه) ، يجب أن نتحدث عن علاقة هذه الأشياء بالمبدع بالدرجة الأولَى وليس بالمتلقي . لأن الشاعر في مرحلة الابداع أي في مرحلة الخلق أو الانشاء يعيش حالة تختلف عن كل الحالات بالنسبة الينا أي الناس العاديون .

إجابة الأستاذ كمال أبو ديب

شكرا على هذه الملاحظات العميقة التي تظهر عن ثقتي المبدئية بأن النقاش سيساعدني شخصيا على بلوة أفكار كانت غامضة في ذهني . سأحاول أن أجيب باختصار عن النقط التي تناولت المستوى النظري ، وتشير الى مبدأ التنظيم .

مبدأ التنظيم تقرر في الدراسات الحديثة ابتداء من الاشكاليين الروس ، وقد أكده ياكبسون بشكل خاص ، ودرس لوتمن مستويات التنظيم المتعددة ، لا يمكن مثلا أن نعتبر القافية الشعرية أحد مستويات التنظيم باعتبار أن القافية — حسب مستويات التنظيم — يمكن في ضوء الفرضية التي أقدمها أن يعاين باعتبار أنه يخلق فجوة أو مسافة توتر بين اللغة اللامقفاة وبين البنية اللغوية التي تعتمد على القافية . التنظيم يتغير تاريخيا — طبعا — ضمن شروط معينة . القصيدة العربية القديمة أكثر النماذج طغيانا ، تنظيم القافية يكون كما هو معلوم (ا ، ا ، ا .. إلى آخر القصيدة) في الموشح الأندلسي يتغير مستوَى التنظيم بالنسبة للقافية تغييرا عميقا جدا،في الشعر

الحديث يصبح هذا التنظيم أقرب إلى تنظيم «بين بين» بين أن يكون عائما حرا بشكل مطلق أحيانا وبين ألا يكون ، كما هو في قصيدة أدونيس هذه ، فهو تنظيم لا يقوم على تكرار القافية على الاطلاق، هناك قافية واحدة في القصيدة. يمكن أن نتناول التنظيم في دراسة الايقاع مثلا ، الايقاع ظاهرة ذهنية بالدرجة الأولَى بمعنًى أن كل الايقاعات المعروفة في العالم لا تقوم على ظاهرة واحدة تحاول بشكل عشوائي في القصيدة ، وإنما تخلق من الظاهرة الواحدة أو من الثنائية أو «الضدية» نظاما جديدا ، فيكون لدينا في الشعر الانجليزي مثلا المقطع المنبور والمقطع غير المنبور ، وفي الشعر العربي يكون لدينا ما أسميه في كتابي في البنية الايقاعية « Categorie » أو نواة اللغة الايقاعية توجد بشكل عائم كما في حالة النص النثري ، هي موجودة في كل تجسد لغوي على الاطلاق ولكن وجودها في النثر وجود عائم غير منظم أما وجودها في لغة الشعر فإنه يتبع مبدءا تنظيما واضحا فتكون بينها علاقات مكانية وزمانية محددة يمكن تناول التنظيم على صعيد ما أسماه ياكبسون « catégorie » أي الفصلات ، فنرَى مثلا أن التنظيم يتناول فصلات دقيقة مثلا ما نسميه بالعربية الفاعل أو الصفات أو المفعول .. الخ فنرى أن القصيدة في الواقع تخلق مستوًى من التنظيم لهذه الفصلات داخل النص ، ينبغي على النقد أن يحاول اكتناهه . ياكبسون لم يقم بالعمل ، وكان هذا أحد الاعتراضات الرئيسية على عمله في دراسات في الموضوع لكن مهمة النقد منتظرة هذه الخطوات الأساسية .

النقطة الثانية هي علاقة اللغة بالبنية الفكرية ، الموضوع كما أشرت اليه في عرضي قد يكون أكثر الأسئلة صعوبة حتَّى الآن ، ورغم محاولات — أشرت اليها — كمحاولات بورمن في مفهومه لرؤيا العالم ومحاولات المدارس الماركسية ومدارس التحليل النفسي ..الخ ما يزال السؤال في تصوري الشخصي غير مجاب عليه على الاطلاق ، كيف ننتقل من النص الى البنية الفكرية التي تقع خارج النص ؟ يتجه عملي حديثا الى محاولة للاجابة على هذا السؤال ، وهو مرتبط بما طرحته أمس في تعليقي على ورقة الأستاذ المتوكل ، متَى يسمح لنا عمليا بأن نقفز من « هل تستطيع أن تناولني الملح » باعتبارها جملة تعني سؤالا فعليا الى نفس الجملة باعتبارها تعني شيئا آخر ؟

القضية — في الواقع — جد صعبة ، وأنا شخصيا أتردد في قبول كل

الأطروحات التي قدمها النقاد الغربيون المعاصرون الآن ؛ لأننا لم نستكمل بعد الأدوات المنهجية الكافية لدراسة هاته النقطة ، سأمثل بشكل بسيط بأدونيس ، النص الثاني لأدونيس طائر باسط جناحيه نص كامل ، قلت في دراستي للنص أنه يطرح منذ البدء اشكالية البحث عن صيغة النهاية بأن الجملة الأولَى تظهر ذلك فالجملة : طائر باسط جناحيه هي جملة خبرية لكنها تتنوع بين أن تكون جملة نقرأها مثلا : الطائر طائر باسط جناحيه فنعتبر الجملة مؤلفة من مبتدأ محذوف وخبر، أو أن تكون ثمة طائر باسط جناحيه فتكون باسط هي المبتدأ. هذا الانشقاق في بنية الجملة يستمر عبر القصيدة بأكملها لأن أدوات الاستفهام تأتي لتظهر ذلك في النهاية ينتهي النص إلى متاهة ، لا يجيب على سؤال أساسي عن البحث، وإنما يصل الى متاهة ثانية ، الآن شخصيا أربط بين هذا النص وبين بنية الثقافة العربية المعاصرة وبنية تصور أدونيس للوجود في بنية ثقافية سمتها الأساسية القبول، يبدو لي أن النص يطرح بديلا جذريا هو البحث والتساؤل والاكتناه المستمر ، ويطرح هذه الرؤيا عن طريق النص بحد ذاته ، فبنية النص هي بنية تبحث عن جوانب أي تبحث عن صيغة تستقر عليها لكنها لا تفعل ولا تستقر، وانما تصل الى كلام سابح في متاهة ، كل الأسئلة التي طرحت في هذه الندوة عن علاقتنا بالتراث والحداثة ، كل الأسئلة التي يطرحها الشعر العربي الحديث والكتابة العربية المحدثة تتجسد في رؤيا أسميها « رؤيا مفارقية » تشرحها مفارقة ضدية أساسية هي أولا الانطلاق من نظرية ومن ضرورة البحث ، ثانيا الادراك المسبق لكون البحث في الثقافة العربية لا يؤدي الى جواب.القصيدة تبحث في ذاتها وفي صيغتها اللغوية عن استقرار عن قرار نهائي ، لكنها تصل الى متاهة ، والثقافة العربية المعاصرة تبحث — في تصوري — لكنها حتَّى الآن ما تزال في طريقها الى متاهة ، لكن ما الذي يسبب لي أن أقفز من النص الى بنية العالم ؟ هذا هو موضوع دراستي الحديثة الآن . كما قلت — في تصوري — إن النقد العالمي لم يستطع حتَّى الآن أن يطور منهجا نقديا قادرا . في جوابي الآن جزء من جوابي على سؤالك الثاني . النص هنا بنية كاملة وأنا حريص جدا على تناول النص في بنيته الكاملة — وفي دراساتي تعرف أن قصائد تبلغ خمسة أبيات مثلا ، أكتب خمسين صفحة دون تردد لأنني أصر على ذلك — اما اقتباسي البيت الأول من قصيدة أخرى لأدونيس، ذاهب أتفيأ والبيت الأول

لامرئ القيس فقد كان ذلك لأغراض محددة جدا، لذلك سمحت لنفسي باقتباس هذا البيت فقط ؛ لكنني حين أدرس اية ظاهرة في النص كظاهرة الاستفهام فأدرسها من خلال هذا الانقسام الحاد الذي يشرح البنية بأكملها ؛ ولذلك فانا على اتفاق مطلق معك في ضرورة البحث عن بنية باستمرار.

النقطة الأخيرة هي العلاقة بين النص وبين المبدع هذا بالضبط محور عملي ، وأنا لا أدرس العلاقة حتّى الآن بين النص وبين المتلقي على الاطلاق. شكرا

الأستاذ عبد القادر الفاسي

سأبدي بملاحظات قصيرة نظرا لضيق الوقت ، وسأناقش فيها الدكتور عبده الراجحي ؛ لأنني أجد نفسي -- هذه مفارقة -- الى جانب الدكتور كمال أبو ديب ؛ مع أن اللساني أو اللغوي يجد نفسه عادة الى جانب اللغوي لا إلى جانب الأديب. هذه المفارقة ترجع الى كون الدكتور كمال أبو ديب تحدث في إطار واضح وفي اطار منهج واضح نعرف معالمه ، واستعمل مفاهيم إجرائية من جملتها Syntagme. Paradigme. intertextualité إلى غير ذلك،وكذلك مفهوم L'ecart أو الفجوة ...وهاته المفاهيم -- ربما كانت مستوردة : إذا صح هذا التعبير. هذا المنهج البنيوي المطبق على الأدب منهج صالح لتناول المادة وأحسن دليل على هذا هو العرض الذي قدمه الأستاذ كمال أبو ديب . -- أقف هنا وأترك المجال للأدباء لمناقشته في التفاصيل -- بعد أن أشير إلى بعض القضايا المصطلحية مثلا ترجمتم Intertextualité بعبر النصية ونحن هنا نترجمها بالتناص، وترجمتم Paradigmatique بالمنسقي ونحن نترجمها بالمثالي ، وترجمتم Syntagmatique بالتراصفي ونحن عادة نترجمها بالمركبي نسبة إلى Syntagme المركب ؛ ويمكن أن نناقش في هاته المصطلحات فيما بعد بين العالمين.

بالنسبة للأستاذ عبده الراجحي أقول أولا على أن في بلدنا من يدرس التراث ومن لا يمسخ هذا التراث ؛ فليكن مطمئنا فالمشكل الذي طرحته البارحة -- وهو افتراض وموقف شخصي -- ليس هو مسألة الانتصار للتراث أو عدم الانتصار له

فقد قلت أن هذا السؤال غير وارد وغير مشروع ما دام لم يطرح في اطار واضح في اطار نظري أو منهجي. إذن لا يمكن أن أجيب عن هذا السؤال وبالتالي لم يكن لي موقف من التراث ولا يمكن أن يكون رغم التأويلات التي أعطيت لعرضي، فالمشكل الذي طرحت هو أن النحو العربي القديم هو شيء من قبيل التاريخ وحينما تقولون أن فهم النحو العربي لا يمكن أن يدرس بمعزل عن الفكر نحن متفقون ولهذا قلت ان النحو العربي يجب أن يدرس في اطار تاريخ الفكر ، وهذا لا يعني اننا نقول أي شيء في تاريخ الفكر ، فالكلام عن تاريخ الفكر يعني ايجاد نظرية لتاريخ الفكر ومناهج لهذا التاريخ أما حينما أريد أن أصف اللغة العربية هل سيطلب مني أن أعرف سيبويه أو أن أعرف المسبب . ضرورة اللغة مستقلة عن كل الكلام الذي يمكن أن يقال عنها ، النحو العربي هو تفكير حول لغة ، هذا التفكير نقبله أو لا نقبله ، نطعن فيه أو لا نطعن ، هذا شيء آخر . اما اللغة فهي موجودة في استقلال عن التفكير حولها وأظن أن هذا نبه اليه الأستاذ أبو ديب البارحة وأوكد عليه أن النحو ليس له علاقة مباشرة باللغة ، وفي أحسن الأحوال ، النحو يكون نظرية حول اللغة ، فكيف يمكن أن نطلب من شخص يريد أن يدرس الاستفهام في العربية ان يقرأ سيبويه وأن يقرأ غير سيبويه. فأنا أناقش في اطار واضح . هناك مشكلة تهمني وهو وصف الاستفهام في العربية ، لا أناقش الوصفيين تحدثت البارحة عن اخفاق الوصفيين ...الى غير ذلك لم أتحدث عن اخفاق الوصفيين لأنهم لم يفهموا النحو العربي أو لأنهم طعنوا في النحو العربي تحدثت عن اخفاق الوصفيين لأنهم أتوا ببرنامج بحث مخفق ، ولم يستطيعوا تقديم بديل لما قاله النحو العربي ، هذا هو سر اخفاق الوصفيين ، أما تحليلهم لاخفاق الوصفيين فأنا لا أتفق معه البتة ، كون الوصفيين فهموا أن النحاة العرب ربطوا كلامهم بالمنطق ، وأنهم طعنوا في كلام النحاة على هذا الأساس هذا شيء أظن أنه هامشي، المشكل الأساسي هو أن الوصفيين الذين ادعوا أولا أنهم وصفيون لم يكونوا وصفيين ، بمعنى أنهم لم يكونوا يصفون اللغة ولذلك — قلت البارحة — أنهم ينسبون الى نفسهم الوصفية ، وهذا فرق شاسع كونهم ينسبون الى نفسهم الوصفية وفي نفس الوقت لا يصفون اللغة ويرجعون الى كلام النحاة . وهذا الدوران في اطار كلام النحاة راجع — في نظري — الى عدم وجود المنهج والنظرية لأنه يجب أن نحدد المنهج والنظرية في

البداية وماذا نريد ثم بعد هذا نبدأ المناقشة ، بالنسبة الى المشكل ليس هو مشكل التراث أو عدم التراث هناك افتراضات واضحة وهناك معطيات وبعد هذا التقينا مع التراث أو لم نلتق اما في أصول أو في معطيات أو في مفاهيم وصفية ، أعتقد أن القضية ليست قضية فهم الفكر العربي بقدر ما هي قضية اشكال اللسانيات الوصفية يختلف عن اشكال تاريخ للفكر اللساني العربي . فلا اعتقد أن هناك من يفهم النحو القديم ومن لا يفهمه هناك من له فهم لفهم النحو القديم وهناك من له فهم آخر لفهمه ، فنحن لا نختلف في فهم النحو القديم بقدر ما نختلف في فهم الفهم.

الأستاذ المرسلي

لدي فقط بعض الأسئلة وملاحظات: فأسئلتي الأولَى سأوجهها للأستاذ كمال أبو ديب ــ مع الاشارة أنني لا أفهم شيئا في الأدب أو النقد الأدبي ، وبالتالي فالأسئلة لها بعد منهجي ايبستومولوجي بالدرجة الأولَى ، وان كنت لم أفهم شيئا في عرض الأستاذ فمع ذلك لي الحق أن أطرح هذه الأسئلة خاصة أن قضايا ومفاهيم منهجية وابستمولوجية ترددت في عرض الأستاذ ــ فأسئلتي سأوجزها بهذا الشكل المبسط والمختصر . ترى ما هي حدود الدراسة التحليلية للشعر في حالة استبعاد الأبعاد الميتافيزيقية من الشعر، على أساس أن «الشعر» الأولي والشعر الثانية خارج المزدوجتين ؟ سأعيد السؤال : ترى ما هي حدود الدراسة التحليلية للشعر في حالة استبعاد الأبعاد الأنطولوجية من الشعر ؟ السؤال الثاني وهو في شكل ملاحظات . دراسة اللغة كما تتمظهر في شيء اسمه الشعر ، وفي نظري ، لا تعتبر دراسة للشعر بلا دراسة للغة ، باعتبارها وسيلة لتبليغ شيء اصطلحنا على تسميته الشعر ، وبالتالي يظل الشعر كفعالية بشرية تتميز وتتخصص عن ظواهر أخرى من سيرة ، وأخيرا ألاحظ أن هناك بعدا هادفا إلى التناول الصوري لكل شيء ، هذا البعد يعتقد أن في إمكان الصورنة الرياضية للظواهر كيفما كانت هذه الظواهر يحل المشاكل الحاسمة في مجال التدريس ، لكن هذا البعد يتناسَى مسألة أساسية وهي أن للصورية حدوداً حتَّى في عقر دارها ، حتَّى في المجال الذي أفرز هذه الصورية هناك حدود لا يمكن للبحث الصوري أن يحسم فيها .

فيما يتعلق بالأستاذ الراجحي هناك ملاحظة أساسية أعتقد أنها تعود الى أن العرض لم يكن مسجلا بل هو فقط مجموعة من الأفكار العامة أو تأملات في العلاقة بين الدرس النحوي الحديث والنحو العربي القديم هذه التأملات أثارت من المشاكل الشيء الكثير ولذا سأقتصر على مسألتين اثنتين :

المسألة الأولَى وهي ما يقال حول النحو العربي والمنطق الأرسطي ، هناك مسألة تتردد كثيرا في كتب اللسانيين ، وأذكر أنني طالعت فصلا في كتابكم حول المنطق الأرسطي والنحو الحديث ، الشيء المدهش هو أن النحاة يتحدثون عن المنطق ولكنهم لا يستشهدون الا بما يقوله أرسطو حول الكلمة والفعل والاسم فكل شيء يقوله أرسطو هو بالنسبة لهم منطق أرسطو . لكن أرسطو حدد ما يعنيه من منطقه . المنطق بالنسبة له هو علم التحليل ، وليس الأورغانون ككل ، ليس هو منطق أرسطو فيه المنطقي وفيه تطبيق المنطق على أشياء أخرى . فينتج عن هذا مغالطات كثيرة بالنسبة للنحوي وهو يقارن ويوازن ويستنتج في حين كل ذلك الشيء البريئ من نسبته إلى الأورغانون أرسطو باعتباره المنطقي ، لذا ، أنبه إلى ضرورة تحديد مستويات الحديث عندما نتصدَّى للمقارنة بين حقل معرفي قائم وهو النحو وحقل معرفي آخر قائم هو المنطق .

المسألة الثانية هي مسألة التراث النحوي لقد وجدت نفسي في لقاء مباشر بطريقة مباشرة أوتوماتيكية مع الأستاذ الفاسي في ضرورة التمييز بين شيئين بين تاريخ النحو الذي يدخل في اطار شيء يمكن أن نسميه « العلم » وبين النحو الذي يريد أن يدرس ظاهرة معينة هي اللغة ، فمن هنا ماذا يحدث ؟ اننا نتحدث عن تاريخ النحو ونحن نعتقد أننا نتحدث عن النحو في هذه اللحظة الحالية ، فتحدث الالتباسات . من أين جاءت هذه الالتباسات ؟ هو أن التراث النحوي بالنسبة للنحاة دائما هو ذلك التراث الذي كتب في القرن الثاني أو الثالث أو في عصر الازدهار ، هناك مفارقة غريبة جدا وهي أن ما يسمى بعصر الانحطاط يتم دائما تجاهله باعتباره فقط شروحا على شروح وجمود ولكن العلاقة الموجودة بين النحو كدراسة لظاهرة لغوية وبين اللغة وخاصة بالنسبة للغة العربية ، تتبع عملية التطور من القرن الثاني حتَّى القرن التاسع عشر تجعلنا نلاحظ على أن المفاهيم النحوية في عصور الانحطاط لم يصبها ذلك الجمود أو التوقف أو الانحطاط الذي أصاب قضايا

أخرى كالكلام والفلسفة، فعصر الانحطاط عصر كتابة نحوية كتابة أصولية كتابة فقهية ، فعندما تتم القفزة لتجاوز عصر الانحطاط يحدث هناك خطأ تاريخي لعدم ادراك العلاقة الموجودة بين اللغة وبين النظرة التي تصف اللغة ، وخطأ منهجي هو الذي يؤدي الى ضرورة الفصل بين تاريخ النحو العربي والدرس النحوي العربي المعاصر من جهة ثانية . في هذا المستوى الأخير عندما يتم الفصل بين تاريخ النحو باعتباره ينتمي لتاريخ العلم وبين التصدي لدراسة اللغة كظاهرة . في هذه الحالة مشكلة التراث أو الأصالة في النحو تصبح لا مبرر لطرحها ، ما السبب ؟ هو أننا أمام ظاهرة وهي اللغة العربية ، هذه الظاهرة يجب أن تدرس ، فالدراسة العلمية هي التي توجد الآن أو العلم هو ما يوجد الآن . معنَى ذلك هناك مبحث اسمه اللسانيات ، سواء كان للغة س أو ص أو ع . لا يهمني ، المهم هناك مناهج ووسائل سأجد نفسي مضطرا لكي أعالج هذه الظاهرة ، اللغة العربية الآن . ما ينتج عن هذا التعامل مع هذه اللغة الآن وبواسطة هذه المناهج لا يطرح مشكلا أن تشومسكي استعمل مصطلح بنية سطحية أو بنية عميقة ليس هذا هو المشكل لأن هذه المفاهيم اجرائية أتصدى لدراستها بعلاقتها بالظاهرة المدروسة من هنا ، هذا العمل الذي يضع كموضوع له دراسة اللغة العربية سيفرز لا محالة نظرية، آنذاك يأتي مشكل علاقة هذه النظرية بماضي نظريات أخرى درست اللغة العربية، فيمكن أن نطرح آنذاك مشكل التراث والأصالة في البحث اللساني وما دامت لا توجد هذه النظرية فيكون هذا المشكل في غير محله وشكرا

الأستاذ أحمد الإدريسي

تبعا لما قيل في اطار محوري الاختيار والتراكب أودّ أن أثير الانتباه الى شيء أعمق من ذلك تنبه اليه الذين حاولوا أن يدرسوا الأسلوبية في اطار النظرية التوليدية التحويلية كطورْن وصمويل ليفين وهندريكس وجوليا كريستيفا وفنديك وبخاصة تورن، ذلك أنه يقول إنه قبل أن تتولد الكلمة وقبل الادماج المعجمي نكون أمام مجموعة من القواعد، قواعد مقولية ومقولية فرعية، سياقية صارمة وانتقائية، وفي هذا المستوَى من القواعد الانتقائية يكون الشاعر مختلفا مع كل من

يكتب في اطار النثر أو غيره ليوجد لغة أخرى في اطار خلق علاقات بين الموضوع والمحمول . بمعنَى أن الصفات التي لابد أن تكون متطابقة بين الفعل والفاعل والمفعول في اطار التراكب ثم ياتي الشاعر ليفجر كل ذلك ليقيم علاقات جديدة . هذه النواة الأولَى خاصة فيما يسمَّى في المقال الشهير لتورن : (الأسلوبية في النظرية التوليدية التحويلية) واستمر هذا حتَّى في دراسة النص عند الأساتذة جوليا كريستيفا فيما تطرحه من قضية جينو طكسط وفينوطكسك وأيضا فنديك في محاولته لتطبيق النظرية التوليدية على النصوص الشعرية . أرجو رأيكم في الموضوع والأسباب التي جعلتكم تقفون عند ياكبسون مع أن هنالك تجاوزا كبيرا عندما ينظر إلى القضية في إطار النحو التوليدي التحويلي رغم أن الأستاذ عبده لا يعجبه هذا التهافت على النحو التوليدي ، وشكرا .

الأستاذ محمد بنيس

أعتقد أن الأستاذ كمال ينطلق من محاولة لرصد بعض البنيات الجزئية في المرحلة الراهنة كما فعل سواء في تحليله لنص أدونيس كما أشار إليه من أجل — كما قال — استراتيجية البحث هو الوصول إلى ادراك بنية العلاقة بين بنية النص وبين الرؤيا للعالم ، ولكن هذه الاستراتيجية غير محددة لا زمانيا ولا مكانيا ولكنه مشروع تاريخي أكثر ما هو جواب آلي ، انما على المستوَى النظري — أظن — أن الحديث عن الشعرية ، وأنا أفضل ترجمة الشعرية على الشاعرية . فالشعرية كما يستوحيها من الاستعمال هي مطلقة بمعنَى أنها لا نسبية ولا تاريخية ، أعود لكي أوضح هذه الفكرة ان التركيز كان حول ما يمكن أن نسميه تجاوزا « بالصورة الشعرية » أو كما تسمَّى بالاستعارة الواسعة أو الدليل المعقد ، ومن الناحية الاجرائية استعملت مصطلحين ولست أدري لماذا مصطلحان وليس مصطلحا واحدا وهما الفجوة ومسافة التوتر فالسؤال الأساسي اذن ، هل هناك قوانين لهذه الفجوة أولا ؟ ثانيا هل هذه القوانين نسبية أم مطلقة ؟ إذا عدنا الى نص أدونيس ، وإذا عدنا الى تاريخ الشعر أو الى الشعر بصفة عامة لأنه معرفة نجد أنه نسبي ،وكان بودي أن يكون الانطلاق

من الحديث عن شعرية أدونيس أكثر من الشعرية . بمعنَى أن نتعامل مع نص أدونيس في مستوى أول كتعامل ليفي ستراوس مع الأسطورة كنموذج أولي الذي يمكن أن ننتقل منه الى نماذج متعددة . لماذا ؟ لأنه على مستوى البنية الشعرية يمكن أن نأخذ نموذجا بسيطا جدا ، وقد تحدثت عن جانب منه ، تحدثت عن الشعر الصوفي ، ولكن أقول بأن هناك فرقا بين الشعر الصوفي وبين الكتابة الصوفية وهذه مسألة طويلة جدا — إذا اردنا أن نتحدث عن النص الشعري والكتابة الشعرية والفرق ما بين الخطابة والكتابة في تاريخ الشعر ، ولكل منهما قوانينهما وظروفهما التاريخية .

هناك من يعزز رأيي في اطار-أيضا-عند الجرجاني وهو أن الجرجاني يتحدث عن مفهومين : أولا الغرابة والامتداد والانطلاق من الغرابة ثم الوصول الى الامتداد وما هي القوانين الاجتماعية اللغوية الثقافية التي تتحكم في هذا الانتقال ثم الفرق بين التخييل والاستعارة والفصل الأساسي بين التخييل والاستعارة ، الفرق يعبر عنه وما لا يمكن أن يعبر عنه ، بمعنَى أن هناك تعدد قوانين الشعرية ، وقد قام في دراسته « الثابت والمتحول » بمحاولة البحث عن التنظير العام لهذه الثنائية الضدية في الشعر العربي ولكن ربما — وهذا رأي شخصي — أراد أن ينفي الثابت الشعري من خلال الثابت الشعري بمعنَى أن يأتي بأبي نواس وأبي تمام لينفي بهما السابقين لأن حتَّى النوع يلعب دورا كبيرا — على ما أظن — في تحديد مفهوم الشعر على المستوى العربي . لأننا لا نعتبره شعرا الا ما اعتبر شعرا ، وهذه مسألة خطيرة جدا لأنها ستصلنا بالنص القرآني ، والنص القرآني هنا سيطرح مشاكل متعددة ، اذن ما هي هذه الفجوة عند أدونيس ؟ وما هي قوانينها ؟ بمعنَى آخر ، تحدثت عن الأسطورة كجزء منفصل عن البنيات الأخرى التي تحاول أن تؤطر من خلالها المسألة النحوية ، مثلا الاستفهام ما هي علاقة الاستفهام بالأسطورة داخل النص ؟ وما هي علاقة الأسطورة كأسطورة ونص أدونيس كأسطورة نفسه اعادة خلق الأسطورة و (الاستعارة) هي بطبيعة الحال أسطورة . اذن هنا هل يمكن البحث في هذه القوانين دون تحديد العلائق بين الايقاع والدلالة والنحو والنص الغائب ؟ شخصيا اعتبر أن الأسطورة لا يمكن أن نتحدث عنها الا بنص غائب ، ولكن النص الغائب له قوانين متعددة للقراءة ، وهنا اتفق مع الأستاذ الادريسي بما قبل

المعجمية لأن المعجم لا يكون بعد قد وجد لأن هذه القواعد متحكمة قبل الادماج المعجمي .

فهل يمكن من خلال هذا أن نقوم ببحث متكامل حول العلاقة بين الايقاع والدلالة والنحو والنص الغائب ، ونخرج بنتيجة وهي تقريبا نتيجة مغايرة لما اعتبر وهو أن أدونيس ليس (بحث عن صيغة) وإنما فهوم لهذه الصيغة بمعنَى الاصرار على رفض هذه الصيغة .

الأستاذ محمد عابد الجابري

اعتقد أن الاشكالية الرئيسية التي تهيمن على فكر الدكتور الراجحي ، وعلى فكرنا جميعا ، هي التالي : كيف يمكن توظيف اللسانيات المعاصرة في تطوير النحو العربي ؟

منذ البداية انطلق الدكتور الراجحي من اختيار : وهو أن النحو العربي يجب أن يطور من الداخل لا من الخارج . وطوال العرض الذي استمعنا له كنت أتساءل : ماذا يقصد الدكتور الراجحي بـ «داخل النحو العربي» ويأتي الجواب في النهاية واضحا حينما قال : ان ما يقصده بداخل النحو العربي هو الثقافة العربية . هو النص العربي .

إذا أخذنا بفكرة العالم الرياضي السويسري «كونزيت» الذي يقول : « المنطق هو فيزياء موضوع ما » أمكن القول أن المنطق اليوناني ، مثلا . هو فيزياء النص اليوناني ، وان النحو العربي — بالمقابل— هو فيزياء النص العربي . واذن : فتطوير النحو العربي هو تطوير فيزياء النص العربي ، أي قوانينه الداخلية ، القوانين التي تحكمه .

كيف ؟

هناك مثلا ، وجهة نظر ابن مضاء القرطبي ، وقد تبناها بعضهم حديثا ، وتدعو الى حذف نظرية العامل من النحو العربي ، وأنا اعتقد أن هذا اذا تم سيؤدي الى انهيار النحو العربي بأكمله . ذلك لأن موقع نظرية العامل في النحو العربي يماثل

تماما موقع فكرة الحتمية في الفيزياء. فإذا سحبنا فكرة الحتمية من الفيزياء تماما. وأيضا: إذا سحبنا نظرية العامل من النحو العربي، انهار النحو العربي كذلك.

يعرف الجرجاني الفصاحة بأنها «توخي معاني النحو واحكامه» وهو يعلقها على «النظم» والنظم عنده هو «تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض». فهو، إذن، يركز على العلاقات، وينظر الى العلاقات من زاوية السببية، وهذا كله تضبطه نظرية العامل في النحو العربي، وهي تقوم في النص العربي مقام مبدأ الحتمية في الفيزياء.

قد تفيد هذه المقارنة في ابراز أهمية النحو العربي بالنسبة للنص العربي، وبالتالي للثقافة العربية والفكر العربي..غير أن ما أريد الخلوص اليه هو شيء آخر، يتعلق بدور اللسانيات المعاصرة في تطوير النحو العربي، وهو موضوع عرض الدكتور الراجحي، وهو دور قد ينكره فريق من اللسانيين بدعوى ان اللسانيات علم وصفي، أي ان مُهِمَّتَهَا ان تصف اللغة لا ان تعمل على اصلاحها.. ولا أن تبحث في أسباب هذا الجانب أو ذاك من جوانبها وأنا أريد أن أضع هذه الدعوى في إطارها التاريخي. انها جزء من سياق عام، أو من اتجاه عام، في الفكر الأوروبي. الاتجاه الوضعي. ان الدعوى السابقة تربطها خيوط بارزة بالمدرسة السلوكية وبالنزعة الوضعية الدركايمية، وبالنزعة الوضعية الجديدة التي هيمنت في المجال الابستمولوجي، وهي ترفض البحث عن الأسباب التي تقف وراء الظواهر وتكتفي بـ «مراقبة» الظواهر...

هذه النزعة الوَضْعِيَّة التي تعرفها اللسانيات اليوم هي، اذن، جزء من سياق عام في الفكر الأوربي، ويجب أن نضعها في مكانها من تطور الفكر الأوروبي، حتَّى ننظر اليها في نسبيتها وحتَّى لا نتمسك بها بوصفها تحمل الينا الحقيقة «المطلقة»..أو العلم «المطلق».

هناك نظريات أخرى تعارضها داخل اللسانيات ذاتها، كما كانت — ولا زالت — هناك نظريات لا وضعية في الميادين الأخرى.

وإذن، فأنا أقبل، مبدئيا، توظيف اللسانيات المعاصرة في تطوير النحو العربي، إذا امكن مثل هذا التوظيف، ولا أريد أن تقف الدعوى الوضعية حائلا

دوننا ودون هذا التوظيف. ولكن الذي يجب أن نتجنبه، حقيقة، هو اسقاط القواعد والنظريات اللسانية المستخلصة من اللغات الأوروبية على اللغة العربية. فيجب أن لا نفرض على اللغة العربية «قواعد» من خارجها، كما يجب أن لا نبحث تماثلات بين نظريات اللسانيين العرب القدامى واللسانيين المعاصرين لنقول في النهاية لقد سبقناهم الى كذا وكذا ...في مجال اللسانيات أيضا ...هذا ليس تطويراً. ولا أعده إنجازا ..بل هو افساد للروح العلمية وللفضول العلمي الحق. وأنا اعتقد أن أحسن طريقة لتوظيف اللسانيات المعاصرة في تطوير النحو العربي من الداخل هو البدء بفهم تاريخيتها، والتعامل معها على هذا الأساس، علّنا نستطيع أن نخلق لأنفسنا ما قد يكون «لسانيات عربية معاصرة»، لسانيات عربية قد تكون متوازية مع اللسانيات الغربية أو مندمجة معها أو متميزة عنها نوعا من التميز حسب ما تفرضه خصوصية اللغة العربية. ان عملا مثل هذا سيكون عملا أصيلا فعلا. لأن الأصالة الحقة هي الابداع داخل دائرتنا بتوظيف ما يمكن توظيفه من قضايا او من مناهج أو من أفكار قد تأتينا من مناحي أخرى.

الأستاذ حليلي

لن أطيل حتّى أحاول أن أبدأ من حيث انتهى الأستاذ الراجحي، الهدف هو محاولة فهم الفكر النحوي العربي القديم نظرية وأسس النظرية — وأنا شخصيا — أتفق مع الأستاذ عندما يقول بضرورة فهمه في اطاره الثقافي العام — هذا لا جدال فيه — ولكن فهم النظرية النحوية العربية تتم من خلال دراسة اللغة كذلك، ودراسة اللغة أولا هناك الدراسة التي قام بها اللغويون العرب القدماء، وهناك دراسة يجب أن نقوم بها حاليا وهي في طور الانجاز، هي دراسة اللغة العربية المعاصرة من ناحية ثم من ناحية أخرى دراسة اللهجات العربية أي بنات العربية نظرا لانعدام دراسة كافية للغة السامية التي تعتبر أصل اللغة العربية، فان دراسة اللهجات الغربية ودراسة المراحل المتطورة للغة العربية الفصحية تمكن من فهم طبيعة نظام اللغة التي وصفها النحاة العرب المتقدمون، لذلك فانني أعتبر أنه من الضروري لفهم النظام الذي وصفه العرب المتقدمون محاولة وصف وفهم نظام

اللهجات العربية المعاصرة من ناحية ونظام العربية الفصحَى المتطورة من ناحية أخرى. وهنا ألتقي مع رأي الأستاذ الجابري الذي طرحه البارحة، والذي يقول بوجوب اعادة التدوين والتأليف من جديد، اعادة احياء تأليف المعاجم العربية. وكذلك كتب النحو العربي المعاصر.

النقطة الثانية هي مشكلة المنهج، المنهج هو وسيلة للمعرفة وللفهم، والمهم بالنسبة للدارس هو المنهج الذي يمكنه من فهم تام نسبيا بوسائل مرنة وبطرق سهلة أن نختار المنهج القديم أو المنهج الحديث، وفي اطار المناهج الحديثة اللغوية كالمنهج التوليدي أو المنهج الوصفي الوظيفي أو المنهج التحويلي اعتبر أن هذا يعود أساسا الى درجة فعالية المنهج، إلى أي حد يمكننا من الوصول إلى معرفة ما نصفه، ولذلك فانني لا أتفق كل الاتفاق مع الأستاذ الفاسي عندما يقول «ان المنهج الوصفي قد أساء الى النحو العربي» ان الذين حاولوا استعمال المنهج الوصفي هم الذين أساؤوا الى النحو العربي أما المنهج الوصفي في حد ذاته فاعتبر أنه محايد.

الأستاذ المدلاوي

كلمتي تنحصر في ما أشار اليه من استشهاد برجوع تشومسكي الى النحو. النحو الاضافي أو الانتقائي كمحاولة لتبرير المشروعية مثلا وهذه رؤيا ينفرد بها بمن يحاول بعد ان كان هناك ربط كامل وقار للمناهج بمختلف أنواعها،كان هناك اعتقاد الى أن هذا المشروع على يد تشومسكي وبخصوص التوليدية التحويلية، حينئذ تم هنالك قفز إلى المقدمة للدراسات النحوية أو اللغوية العامة لمحاولة ردّ الاعتبار للدراسات اللغوية العربية الاسلامية.

أولا فيما يتعلق «بعودة» تشومسكي الى نحو ليست محاولة لرد الاعتبار لنوع من الدراسات اللغوية وليست كذلك محاولة بحث لتبرير منهج علمي لغوي خاص بتشومسكي، وانما هي استثمار لمعطى من المعطيات العلمية التي كانت قد قلصت بسبب رد الفعل البنيوي ازاء الدراسات اللغوية التقليدية التي امتازت باختلاط

المقاييس أو تعددها من معنويات إلى شكليات .

وامتازت كذلك بطغيان التفكير التجريبي .. الخ «فعودة» تشومسكي إلى هذه المعطيات العلمية ليست محاولة لتبرير فرضياته وليست محاولة كذلك لرد الاعتبار إلى هذا المنهج نفسه ، وإنما استغلال لمعطيات علمية ، اذن من هذا المنطق والمشكل الذي تطرحه اللغة العربية المعاصرة ما بين المناهج اللسنية الحديثة ـ كما يعلم الجميع ـ المستوردة من الغرب أو تصلنا بها عن طريق الغرب ، وما بين الدراسات اللغوية العربية القديمة ، أنا أتفق مع الأستاذ الفاسي بأن الأمر ليس خيارا بين هذا وذلك وتفضيلا لهذا على ذاك ، لأن النحو العربي لنرجع إليه من أين ؟ لأن ما يسمَّى بالعودة هو عندنا يصطدم المنهج بالموضوع ، نحن الآن لم نكوِّن بعد نظرية عن اللغة سواء اللغة العربية كاللغة الخاصة أو اللغة الانسانية البشرية كدرجة عامة ، نحن منقسمون ما بين الوصفيين والتوليديين وما بين السيميائيين، فنحن الآن لم تتكون لدينا بعد نظرية تصطدم بموضوعها وتجد صعوبات ومحاولة الاستفادة أو البحث عن حلول . لأن تشومسكي لما عاد إلى القديم فقد استثمر تلك المعلومات ، حين طرحت المشاكل اصطدمت فيها البنيوية بموضوعها ، البنيوية لم تستطع أن تحل مجموعة من المشاكل مثل مسألة المكون المتصل والمنفصل، وقضية اللبس لم يستطع أن ينميه وكذلك الوصل .

حتَّى المنهج التوليدي لم يلغ المنهج البنيوي وانما تجاوز المحدود ، والمنهج التحويلي لم يتجاوز المنهج التوليدي وانما طوره وبفضله استطاع أن يحل بعض المشاكل . فنحن الآن بدعوتنا الى عودة النحو ، ولكن انطلاقا من ماذا ؟ من أي مشكل ؟ لم أطرح بعد المشاكل المنهجية إذا عدنا اليه من منطلق تشومسكي ، فيجب ألا نعود بطرح المسألة على أنها التزام قومي وانما نتيجة لضرورة منهجية . ويجب أن نصوغ الضرورة المنهجية وان تبرز هذه الضرورة ، فحينئذ يمكن أن نتجه بهذا النحو او ذاك .

فلماذا تطرح مسألة التراث بالنسبة للنحو ولا تطرح بالنسبة لعلم النفس وحتَّى بالنسبة للأصوات ؟ لماذا يتقبل الكل الآن بأن المعاصرة ، أنه من السخافة أن يدعي البعض بأنه يجب أن نكتفي بما قاله ابن جني ومدرسته ، وأن نعتبر الكل بأنه دخيل

لماذا ؟ فسألة طرح قضية التراث بالنسبة للنحو أو بالنسبة للعلوم الأخرى كالعلوم الانسانية كما يقال ...أود ألا يكون للأمر علاقة بارتباط البحث العلمي بالوظيفة في مجتمع ما ، في جامعة مثلا باعتبار أن الجامعة مجموعة وظائف مجموعة من العناصر .

الأستاذ البكدوري

أولا هذا التدخل المتواضع هو فقط وجهة النظر ، ربما تخرج بهذا الحوار عن ما قد يظنه بعض السادة الحاضرين خروجا بالحوار الى غير مستواه العلمي ولكن أنا شخصيا لا أفرق بين هاته المستويات المختلفة ، ما بين العلمي وغير العلمي في السلوك الانساني .

تدخلي يتناول هذه النقط التالية

فهم وضعية النحو العربي من خلال جوه العام ، أعتقد أنها قضية غير ملحة إلى هذه الدرجة يعني ما هو الحل ؟ ان نعود إلى التراث ، أن نترك التراث المنسي وأن نقع في معطيات حديثة .... إلى غير ذلك .

النقطة الثانية أعتقد أن النحو العربي تطور وقبل تطوره منذ الفترة التي حددوها بفترة الاستشهاد النحاة حددوا فترة من الفترات في نهاية القرن الثاني الهجري ، بأنها نهاية فترة الاستشهاد ، معنَى ذلك أن النحو العربي بدأ يتطور منذ ذلك الحين الى الآن ، فاذن النحو العربي تطور واللغة العربية تطورت ولا أدل على ذلك مما نراه الآن في المستوى الاعلامي بصفة عامة الذي لغته هي اللغة العربية فهل تطور النحو العربي مع تطور اللغة العربية أم لم يتطور ؟ في الواقع الجواب على هذا السؤال واضح ، وهو أن النحو العربي لم يتطور كما تطورت اللغة العربية ، الى درجة أن النحاة أنفسهم المتأخرين يستعملون لغة قد لا تقبلها قواعدهم التي توارثوها وتداولوها ، في كتبهم الشخصية .

ــ النقطة الثالثة وهي مظاهر مشكلة النحو عندنا تتجلّى فيما يلي :

على المستَوى التربوي ــ انحطاط ــ أركز على هذه الكلمة مستَوى تعليم اللغة العربية عندنا ، وذلك له آثار خطيرة من الناحية الثقافية ومن الناحية الاعلامية

وأقصد كل النواحي ، أي أن الطالب الضعيف في التعبير اللغوي سيظهر أثر هذا الضعف بدون شك في نتائج الامتحانات وغير ذلك .

ـ سيطرة العقلية التجارية على نشر الكتاب المدرسي وتعتبر مشكلة من المشاكل الذي يعاني منها تعليم اللغة العربية .

ـ انزواء الأبحاث الجادة والأكاديمية على الرفوف المحفوظة (المجلة) اللغوية العربية تصدر كثيرا من الأبحاث التي تعتبر ذات قيمة علمية مهمة ، ولكن هذه الأبحاث العلمية المهمة ، تطبع من مجلات المجامع وتبقَى على الرفوف ولا يطلع عليهاالشعب العربي أو الطالب العربي الذي يعاني من اللغة العربية .

ـ نزوع الطلاب الذين نريد أن نعلمهم هذه اللغة الواضح الى التجديد لا الى اعطاء البديل في تعليم هذه اللغة.

ـ انعدام « ارادة قومية » واضحة للتجديد .

على المستوى الفكري هناك ردود فعل لمشكلة النحو متباينة على ما وصفناه في المستوى التربوي تتجلّى في الدعوات الى العامية أحيانا أو اللهجات وأحيانا أخرى تتجلّى في الدعوات الى التقوقع و « الأصالة ».

ما العمل ؟ أعتقد أن الهدف الأساسي للبحث في النحو العربي وهل نجدده أم لا نجدده هو كيف نعالج مشكلة اللغة عندنا في المجتمع العربي ، وأهم علاج هو تعليم اللغة ، أما نحن كمتخصصين ، الجماعة الذين يتداولون الأبحاث اللغوية في الجامعة ، فهم يمكن أن نسميهم متخصصين وهذا شيء آخر ، ولكن إذا بقي البحث في النحو في اطار المتخصصين فلن تكون هناك نتيجة لما تنتهي اليه هذه الأبحاث الجامعية وأقترح أن نبحث عن وسيلة ضغط لفرض الارادة العامة النازعة إلى التجديد عن طريق الاتصال بين الجامعات المهتمة بهذا الميدان وتكثيف الجهود لفرض هذه الارادة .

لتوفير أدنَى الشروط الضرورية لاستثمار البحث العلمي الذي سيخرج بنتيجة سواء عن طريق المزج بين الحديث والقديم أو عن طريق التخلي عن القديم أو عن أية طريقة لبلورة اجماع عربي تنتج عنه هذه الارادة التي ننشدها أما تنفيذ ما

ينتهي اليه البحث العلمي ويستجيب للارادة العامة في التجديد فليس على المال والطاقات العربية بعزيز. وشكرا

الأستاذ أنور مرتجي

مؤسف حقا أن النقاش تحول من منطلقاته الأولى أي من عرض الدكتور الراجحي الى أن يكون نقاش انطباعات ليس نقاشا علميا.

أولا : السؤال : النحو العربي واللسانيات الحديثة، كيف نصل الى فهم الدكتور الراجحي باللسانيات الحديثة ؟ نستنتج أو نستقصي من خلال تحليله اشارات إلى فردنان دي سوسير في مفهومه للغة، وإشارة كذلك إلى النحو التوليدي وخاصة عمل تشومسكي في اعتماده على النحو.

هذا هو التصور البسيط الذي قدمه الدكتور الراجحي للسانيات، هذا التقديم للمعطيات الخاطئ أدى الى نقاش — طبعا يكون نقاش الصم — يمثله الأستاذ الفهري وهو على حق من الناحية اللسنية ويمثله الجانب الثاني الدكتور الجابري وهو على حق من الناحية الابستمولوجية والمنطقية، أما الأستاذ الراجحي فليس على حق، لماذا ؟ لأنه تبنى منطق الدكتور الجابري، ولهذا أعتبر أن نقاش النحو العربي من منطلقات الابستمولوجية كما فعل الدكتور الراجحي يقتضي ماهي المنطلقات الابستمولوجية التي اعتمد عليها الدكتور الراجحي في تفسيره.

أولا طبيعة الكتابة النحوية العربية ويمثلها الدكتور الراجحي تعتمد على منطلقين أساسيين :

المنطلق التكراري : اعادة النحو العربي، وهنالك المنطلق التربوي واعتبر هذا دعوات. أو ما أسميه « بالسلفية الجديدة » بمعنى الأستاذ الجابري سقط في هذا الاتجاه السلفي وخير من يمثله على المستوى اللسني هو الدكتور تمام حسان في قراءاته للنحو التوليدي من خلال منطلق النحو القديم أي قراءة معرفية قديمة في اطار ابستيمولوجي مختلف لقراءة ابستيمولوجية ومعرفية جديدة مختلفة. وهنالك قطيعة — بمفهوم اللغة وليس الباشلاري — قطيعة ما بين هذين العالمين اللذين لا يتلتقيان

اذن هذا المنطلق خاطيء وأعتبر أن المنطلق التربوي الذي يمثل قمته في الابداع وهو الدكتور تمام احسان ، يعتمد على البحث — وهي قراءة سلفية لماذا ؟ لأنه يقرأ التراث العربي كما فعل الدكتور الجابري — عن طريق الاعتماد على بعض المقولات الغربية ، لماذا اخترت النزعة الظاهرية للقرطبي ؟ هنالك بعضهم يرى في النحو الكوفي على أنه نحو شكلي ، وبما أن اللسانيات الحديثة هي لسانيات شكلية فبالتالي أنا أتبنى — حتَّى ولو أسمَى بوصفي — ذلك المنطلق ، هذا يسقط في النزعة التكرارية والقراءات ، ليست سوى قراءة بصرة وكوفة ونفس الصراع التقليدي يعاد فما العمل ؟ وما هو الحل ؟ أعتقد أنه مبرر اجرائي للاستماع الى الخلفية الإبستيمولوجية التي قدمها دارس ، تقبل من دارس مثل الجابري ، لكنها لا تقبل من لسني .

والسؤال الذي طرح الجابري على الأستاذ الفهري ، وهو ماهي تاريخية اللسانيات المعاصرة هذا هو الدور المساعد الذي يقدمه الابستيمولوجي للسني ، وليس من الضروري أن يجيب لسنيٌّ على هذه الأسئلة ، اللسني يجيب مقدار صحة نظرية معينة في تطبيقها على لغة ، كذلك النزعة السلفية الجديدة تظهر في أنه في اعتقاد وجود نظرية لغوية عند العرب المفهوم النظري مفهوم خاطيء ، والمنطلق الأساسي — في اعتقادي — باختصار هو أن فرد نان دي سوسير يجيب على هذا الاشكال النظري المطروح الآن ، بالأساس يقول ان النظرية هي التي تخلق الموضوع ، وليس الموضوع هو الذي يخلق النظرية ، انطلاقا من تصور واجراء منهجي لسني يجعلني أختار بعض الظواهر المعينة التي أراها في تلك اللغة ، عدم وجود هذا الاجراء المنهجي عند الدكتور الراجحي —مع الاحترام— هو أنه جعل ماهية الاشكالية بالنسبة للسني أن يكون هنالك تأثيرٌ أرسطيٌّ في النحو العربي أو أن يكون العكس ، أو حتَّى هندي ماهو الاشكال كذلك التي نبحث عن أثار العلوم الفقهية في تأثير الدراسات النحوية الخطر في هذه الدعوة السلفية ، التي أرى — متفقا الى حد ما مع الأستاذ الفاسي الفهري — أننا لا يجب أن تكون قطيعه ليست هنالك سوى نظرية كونية تبحث عن كليات كونية ، والسؤال هو هل هذه الكليات الكونية موجودة في اللغة العربية مسألة الخصوصية الأصالة ؟ هو من نوع من الهراء الذي لا طائل تحته ، هذا الموضوع وخاصة الدراسات الشرقية لأن الأصالة لا توجد في الدراسات المغربية ، وهي اختيارات منهجية ، السلفية بمنطلقات ابستيمولوجية معينة تبحث عن شيء

اسمه الأصالة ، لا أعتقد أنه حتَّى وان كانت موجودة هذه الأصالة انها ستضرب إذا طبقنا نحوا توليديا أو نحوا علميا على دراسة اللغة العربية ، هذا الاشكال الأساسي وعدم وجود اجراءات علمية أدى الى كثير من الفضفاضية في اطلاق بعض الأحكام في البحث عن الأصالة وكذلك القول بما يسمَّى بعلم النحو ، هذا السؤال فقط يطرح بالعربية أنه يوجد علم النحو والذي يوجد سوى نظرية علمية لسنية معينة يمكن أن تطبق والدور المساعد يبقَى للابستيمولوجي أن يتساءل عن خلفيتها. وشكرا

الأستاذ الأوراغي

سأحاول أن أركز في هذا التدخل ، كنت أنتظر من الأستاذ الراجحي أن يضع الحدود بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة ، ماهي هذه الحدود ؟ حتَّى إذا استطعنا أن نتبين هذه الحدود عندما نقول هل من الممكن أو هل هناك امكانية للتخطي بين هذين النموذجين ؟ شخصيا أرى ان النحو العربي واللسانيات المعاصرة تقع في نوعين من المنطق هناك يعرف الباحثون في نظرية المعرفة والباحثون في فلسفة العلوم يعرفون أنه يوجد نوعان من المنطق منطق ما يكون ومنطق ما يجب أن يكون أرى أن الدرس اللغوي العربي القديم يقع في أحد هذين المنطقين،فلكي يكون البحث جديا ويتلافى الكثير من النقاش كان من الممكن أن نسير في هذا الاتجاه . ابراز الخصائص أو نوع المنطق الذي يقع فيه ، فالدرس اللغوي العربي بصفة عامة يتبين لي من خلال قراءاته أنه يقع في منطق ما يجب أن يكون ولهذا نجد النحوي لا يحلل العلاقات بين الوظائف النحوية أو المركبية بقدر ما يحلل محتوى الجملة لماذا ؟ لأن هذا النحو مأخوذ أساسا جرد كقواعد من محتوى هذه الجمل،فاكتساب القواعد النحوية ليست قبلية كما نجد بالنسبة الى منطق ما يمكن أن يكون الموجود في مذهب أو الذي ولد الرياضيات والبحث عن الحقيقة في العوالم الممكنة وولد الفيزياء النظرية بخلاف ما نجد في منطق ما يجب أن يكون المنطق الذي تمثله الأرسطية ويمثله النحو العربي ، فلهذا النظر من المنطق العربي إلى اللسانيات المعاصرة لهذا نجد هذا التباعد بين شيئين . النظر من النحو العربي إلى الدرس اللغوي الحديث . يظهر هذا الأخير على أنه شيء لا ينسجم تماما كما أن النظر من الدرس اللغوي

الحديث إلى الدرس العربي القديم يبدو هذا الأخير باهتا ، ولا يمكن أن يدخل إلا في التاريخ — كما سمعت — كتاريخ الفكر أو النحو فقط ، لماذا ؟ وهذا ما يمكن أن يسمَّى «بالعائق الإبستمولوجي» عندما يتكون ذهن شخص ما في منطق ما لا يستطيع أن ينظر من هذا المنطق إلى المنطق الآخر ، هذا ما يمكن أن يعبر عنه بالعائق الابستيمولوجي في نظري . وشكرا .

الأستاذ عبد القادر الفهري (تعقيب)

لي تعقيب على كلام الأستاذ الجابري. أعتقد أن المناقشة سارت في اطار العموميات ، وأعتقد أن الملاحظات التي أتى بها الأستاذ أن المرسلي وأنور وبعض الملاحظات التي أتيت بها شخصيا ، سواء في مناقشة اليوم أو في عرض البارحة لم تؤخذ بعين الاعتبار في حديث الأستاذ الجابري . أما قضية التاريخية أو عدم التاريخية أو اللاتاريخية وقضية تصورنا للعلم ، وقضية كذلك ايماننا بالتقدم العلمي أو بالقطيعة العلمية ، الى غير ذلك كل هذا يجرنا الى مناقشة قد نختلف في كل شيء فيها . مثلا قد نختلف في مفهوم التاريخية والايمان بأن هناك تقدما علميا ، فما دمنا قد نختلف في كل شيء ، اقترحت في عرضي البارحة أن نفرق بين شيء اسميته بتاريخ الفكر وشيء أسميته بالظواهر وهذا سر عنوان العرض الذي أتيت به ، وهو لسانيات الظواهر . أعتقد أن المشكل المطروح يرجع أساسا الى نوعين من الخطاب ، ما دام الأستاذ الجابري يؤمن بأننا نختلف في اللغة ، فنرجع هذا الى قضية الاختلاف في الخطاب ،لا أريد أن أتحدث عن خطاب علمي وخطاب خطابي ،أعتقد ان هناك خطابا ينبني على افتراضات واضحة ويرجع الى المعطيات ، وخطاب لا ينبني على هذه الافتراضات الواضحة ، ولا يرجع إلى المعطيات ، وليست له أية تنبؤات بالنسبة للتجربة ، هذا هو الفرق بين هذين الخطابين . بطبيعة الحال هناك خلفيات كثيرة ايديولوجية وغير ايديولوجية يمكن أن نناقشها ، ولكن بصفة عامة أظن أن المشكل يرجع أساسا الى هذا الخلاف ، ماهو هذا الخطاب الذي يمكن أن يرقى الى المستوى العلمي ؟ هل نؤمن بشيء يسمَّى العلم ، هل نؤمن بالتقدم العلمي ؟ هل نؤمن بالقطيعة العلمية ؟ وبأشياء أخرى كثيرة اجرائية وغير اجرائية فقد نختلف كثيرا.

وشكرا

الجواب على التدخلات

الأستاذ كمال أبو ديب

أود أن أعبر عن سعادتي العميقة لهذا المستوى من النقاش وهذا الفيض من الأسئلة ، والحقيقة أنني قلما وجدت شخصيا جمهورا على هذه الدرجة من السفسطة الفكرية وعمق الاهتمام والقدرة على التكهن بالأسئلة التي تثيرها دراسة تقرأ شفويا بصورة سريعة.

سأحاول أن أوجز من أجل أن أتيح الوقت للدكتور الراجحي للاجابة دون ان ننهار جميعا إعياء.

الملاحظة الأولى من الأستاذ الفاسي الفهري تتعلق بالمصطلحات ، الحقيقة أن الأمر يثير اشكالية فعلية بين لغة المشرقيين ولغة المغاربة . في اختياري للمصطلحات أحاول أن أوفر للمصطلح صفتين : الأولى وهو أنه قادر على تجسيد المصطلح الاوربي الأصلي ، والثانية أنه غير قابل للاختلاط بمصطلحات أخرى ، ومن هنا اسمحوا لي أن أعترض على ترجمتكم Paradigmatique بالمثالي ، لأننا في هذه الحالة نقع في اشكال ترجمة Ideal واعتراضي على ترجمة Syntagmatique بالسياقي أو المركبي لأن كل منهما ذو دلالة متخصصة .

النقاط التي أثارها الأستاذ المرسلي ، في الحقيقة تتطلب حديثا أوسع لكنني سأقاوم رغبتي في الحديث .

النقطة الأولى عن ابتعاد هذا النمط من الدراسات للأبعاد المعرفية والحضارية في الشعر أنا شخصيا لا أتجنب الأبعاد المعرفية والحضارية في الشعر بل أن الغرض النهائي من دراساتي كما أتصورها هو أن أصل عبر الشعر وعبر تطوير منهج نقدي متماسك الى اثارة الاشكالات المتعلقة بالأبعاد المعرفية والحضارية ، لكنني حتى الآن لم أحاول فعل ذلك الا في لمحة قصيرة جدا تتعلق بالشعر الجاهلي بشكل خاص ، لأنني لا أومن بأننا استطعنا بعد أن نطور المناهج الكافية لأن نقوم بهذه المغامرة ، وأنا بطبعي ناقد حذر ، أحاول أن أجيب على الأسئلة التي أطرحها على نفسي بأقصى درجة ممكنة من الدقة دون أن أقفز الى الأبعاد لم أطرحها على نفسي بدءا . أما عن دراسة اللغة ودراسة الشعر ، فقد بدأت ورقتي بالقول أن الشعرية خصيصة نصية لا

ميتافيزيقية ومن هنا فليس هناك من وجود للشعر أو الشعرية باعتبارهما نشاطا خارج اللغة .

النقطة الثالثة كون الصوريين ، وأظن أن الأستاذ المرسلي يقصد بذلك Formeles أن الصورية تواجه في عقر دارها مشكلات وحدودا ، أنا شخصيا لا يهمني كثيرا أو قليلا أن تكون الصورية أو البنيوية تواجه في عقر دارها مشكلة . لأنني لا أنقل أو أحاول ان أنقل مذاهب عن ثقافة أخرى ، ما أقوم به هو ممارسة للفعل النقدي بشعور عادي جدا ، بأنني أعايش أبناء جيلي في العالم ، فمهمتي كناقد انطلقت من هذا النمط من الدراسات — هي أن أحاول أن أصل بالمنهج الى ما يمكن الوصول به اليه سواء وقف الآخرون أم لم يقفوا ، ومبررا السؤال في الواقع — يعتمد على نوع من التصور الذي أرجو أن تستطيع الثقافة أن تتجاوزها وهو أننا ننقل صورة الغرب الى العالم العربي ، ولذلك إذا وقع الغرب في اشكالية فيجب أن نقف عما كنا نمارسه وإذا استطاع أن يتابع مسيرته فليتابع ، هذا الفصل بين الثقافات ، بين الانسان ، أنا شخصيا لا أرى مبررا له .

النقاط التي أثارها الأستاذ الادريسي ، أود أن أشير منها الى النقطة الأساسية وهي أنني لا أقف عند ياكبسون ، ولا أتجاهل أعمال الدارسين الذين ذكرهم وفي قسم ثان من دراستي أتناول مفهوم الخرق باعتباره أحد المفاهيم الأساسية في النقد ، والتي قلت فيها أن مفهوم الفجوة ومسافة التوتر يمكن له أن يعيد تفسيرها . فأحاول اعادة تفسير مفهوم الخرق باعتباره أحد هذه المفاهيم أنا شخصيا لا أقبل مفهوم الخرق بصفة مطلقة ، لأن اللغة الشعرية تصطدم ببنية من القواعد وهذا صحيح الا أنها في خصائصها الأساسية ليست خرقا للبنى القائمة، الشاعر يمارس الخرق فيكون لذلك دلالة نصية لا في بنية النص ، ولا يمارس الخرق فيكون لذلك دلالة أيضا ، ولذلك فمعرفتي بما يحدث ، أنا لا أتبنَى المفهوم وأحاول أن أعيد تفسيره ضمن الاطار الكلي الذي اقترحته .

النقاط التي أثارها الأستاذ بنيس متعددة، وتظهر هذه القدرة على التكهن بالأسئلة،سأبدأ بنقطتين، كون هذه الدراسة رصداً لبعض البنيات الجزئية، هو في الواقع جزء أساسي من منهجي ، فأنا — كما قلت سابقا — أتحرك ببطء ولا أريد القفز

من شيء الى شيء الا حين أمتلك الأدوات وأشعر بثقة بأنني أمتلك الأدوات التي تتيح لي هذا القفز.

النقطة الثانية عن نسبية المفهوم الذي قدمته ولا تاريخيته ، أود أن أوكد للأستاذ بنيس هذا الحدس العميق الذي يمتلكه ، وأوكد أنني أعالج ذلك في فصل متخصص عنوانه « مسافة التوتر الشرط المطلق والنسبي » ولا مجال لمعالجته الآن. عن كون المفهوم ينبع من الصورة الشعرية بشكل أساسي سأطبع هذه الجملة التي تقوم على دراسة أنماط من شكسبير لا على دراسات الشعر العربي ، والتي تبدأ بالقول بنني تحليل الأمثلة السابقة وهما قد يكون تشكل في لحظة ما من نمو الدراسة وهو أن مفهوم الفجوة مسافة التوتر محصور بالصورة الشعرية التي تربط بين مكونين ، والتكهين بالأسئلة على ذكائه يمكن الاجابة عليه من خلال الدراسة ــ استخدم مصطلحين لا واحداً يقوم على حدس بسيط بأن كلمة الفجوة العربية ليست على قدر طيب من الجمالية الشكلية باعتبارها مفهوما، ولقد بحثت لأشهر عن كلمة أفضل فلم أجد ولذلك ــ وهذا سبب جزئي ــ أضفت اليها كلمة « مسافة التوتر بالاضافة الى ذلك مسافة التوتر تستطيع أن تخصص مفهوم الفجوة بما أرمي اليه.

النقاط الأخرى كثيرة وتستحق نقاشا ، المرتبطة بالتصوف وأدونيس ، لكنني أعتذر عن محاولة الاجابة عليها الآن لكي لا أشغل أكثر من الوقت المتاح لي.

تدخل الطلبة واجابة الأستاذ كمال أبو ديب

كمال أبو ديب :

لدي ثلاثة أسئلة من الطلبة ، ويدهشني ــ فعلا ــ أن يكون هذا المستوى من الوعي النقدي قائما لدى طلبتكم أيضا.

سؤال : البنيوية من أحسن المناهج في تحليل الشعر والنثر ولكن الملاحظ هو أن جل المحللين البنيويين العرب ، وأرى منهم شخصكم ينهالون على استيراد المصطلحات الغربية كأن لغتنا وفكرنا ضعيفان امام المسايرة. كيف تفسرون هذه الظاهرة ؟

كمال أبو ديب

الظاهرة في الواقع يجاب عليها بأنني شخصيا لا أرى من اشكالية في الأمر على الاطلاق كوننا ننهال أو لا ننهال على مصطلحات الدراسات الغربية شيء ينضم الى ما نحاول أن نفعله في العالم ، أين نحن من العالم وأين نقف وماهي المواقف التي نتخذها ؟

أنا شخصيا – كما قلت – أشعر بمعاصرة لأبناء جيلي في الوجود ، وقد يكون ذلك عائدا الى دراستي في أوربا لسنوات طويلة جدا ، بحيث أني لم أعد أعاني شخصيا مما يبدو لي أن مثل هذا السؤال في الثقافة المعاصرة وكثير من النقاش الذي يوضحه وهو عقدة نقص ثقافية أمام ثقافات متفوقة. وفي تصوري أننا لن نتجاوز مشكلة التراث والأصالة والمعاصرة الا إذا استطعنا أن نتجاوز هذا الحس بعقدة النقص ، الفرنسي الذي يقرأ تشومسكي لا يشعر بأنه يستورد شيئا حين يكتب دراسة تستند الى دراسات تشومسكي فلماذا أشعر أنا العربي بذلك ، التراث العربي كما هو ملك الفرنسي وسواه .

سؤال : بعد أن اتضح أن تطبيق المنهج البنيوي على بعض شعرائنا القدامى ، أعطى فهما جديدا للدعائم الشعرية فهل سيمكن تطبيق هذا المنهج على القرآن ، وهل سيمكن من الخروج بفهم جديد له ؟

كمال أبو ديب :

في الواقع حتّى الآن قمت بدراسة سورتين من النص القرآني ، سورة مريم ، وسورة يوسف ، مخضعا اياهما للتحليل الذي أمارسه ، والنتائج الأولية للبحث تكاد تبدو لي مدهشة ، النتيجة النهائية لدراستي لسورة مريم لا تثير أسئلة ذات طبيعة دينية وانما ذات طبيعة لغوية وأدبية ... بيد أن شيئا واحدا يبدو لي معقولا على صعيد التصور الكلي للسورة ، وهو وحدة العقل الخالق الذي أبدع الصورة ، والأسئلة الميتافيزيقية التي ترتبط بذلك لا تعنيني في كثير أو قليل .

سؤال : هل يعتقد الأستاذ أن المجتمع العربي مهيأ للحداثة وبعد ، فهل الحداثة

تعني بالضرورة الاتجاه نحو الغرب بل ما هي نوعية العلاقة التي يجب أن نكون عليه مع هذا الغرب ؟

كمال أبو ديب

السؤال طويل جدا ولا أستطيع أن أجيب عليه بدقة ، لا أعتقد أن المجتمع العربي يعيش الآن ما يمكن تسميته «الحداثة» وهل هو مهيأ أو غير مهيأ ؟ ذلك في علم الغيب ، أما عن الحداثة انها تعني بالضرورة الاتجاه نحو الغرب ، ففي تصوري ، نعم بشكل بسيط .

سؤال : تضاعف الشعرية هي اقتراب من الأدب كواقعة مجردة وباطنية في الوقت ذاته انطلاقا من هذه المقولة التي لا نأخذها كمسلمة ، ولكن كمحاولة فرضت نفسها نلاحظ أن الشعرية (كمال أبو ديب) من خلال مثال أدونيس الوحيد مع كل الأسف وهذا الأسف ناتج عن كون سؤالي تبلور من خلال مثال واحد ، تسقط فيما يمكن تسميته بالرمزية الباطنية ، وهنا أتساءل عن مكان توضع الشاعرية (كمال أبو ديب) في الأشياء (الجانب النظري).

كمال أبو ديب

في الحقيقة أنا لم أفهم السؤال بشكل دقيق وكنت أتمنَى لو استطيع أن أجيب على ما أفهم منه بشكل مفصل ، ما أفهمه من السؤال ، يبدو معترضا عليه بكلمة ، أن المقولة تسقط فيما يمكن تسميته « الرمزية الباطنية » هل نستعمل كلمة تسقط » هنا بوصفها تقييما للمقولة أم نستخدمها بمعنَى حركي من الأعلَى الى الأسفل باعتبار الباطنية داخله ؟ إذا كنا نستخدمها بالطريقة الأولَى ، فيؤسفني أنني لا أستطيع الاجابة على السؤال أي لا أدخل في تقييم العملية النقدية بهذه الطريقة وإذا كنا نقصد الثانية فالجواب نعم ، هذه المقولة تحاول تكتنيها العملية الشعرية من الداخل بما في ذلك الشعر الباطني أو الصوفي ، وتموضع الشاعرية في الأشياء يبدو لي شخصيا أنني لا أستطيع تحديدها .

جواب الأستاذ عبده الراجحي

أولا أرجو أن تسمحوا لي لأن يكون كلامي مختصرا جدا لسبب بسيط أومن به ، هو أن مثل هذه الجلسات لا أتصور علميا ومن موقف منهجي أيضا أنه مجرد أن نلتقي لكي يكون هناك موضوع وسؤال واجابة ولابد لأن يكون لكل سؤال جواب كموقف المناظرة .

لكن أحب أولا أن أوكد أنني أتفق مع كثير مما قيل على اختلاف ما قيل أيضا لأن المقصود فيما أتصور نبه اليه الدكتور الجابري ، من فكرة حفز الهمة ، قد تكون هذه المسألة غير جيدة مع هذا الجمهور أو غير مطلوبة وتبشيرية الى حد ما، لكن الواقع أن المقصود من مثل هذه العروض هو نوع من الحفز للبحث عن منهج أو كما قال الأخ اننا لم نستطع حتّى الآن أن نصل الى صياغة نظرية ، فنحن محتاجون الى المعرفة . فالنقاش الذي تم حتّى الآن ، والملاحظات الغنية التي قيلت أرجو أولا من الأمانة أن أقرأ بعض الملاحظات التي قالها زملاؤنا الطلاب وهي أيضا على مستواها العالي بها تتم الصورة .

أسئلة الطلبة وإجابة الأستاذ عبده . الراجحي

سؤال : الملاحظ أن عرض الراجحي لم يخرج عن اطار كتابه « النحو العربي والدرس الحديث » الذي ركز فيه على منهجين ، الوصفي والتحويلي ، وحاول ايجاد نوع من الالتقاء بينهما وبين النحو العربي ، والملاحظ أن هذا النوع من الدراسة يخلو من الرؤية النقدية ليس للنحو العربي فقط ، وانما أيضا للمناهج الحديثة التي يقف أمامها منبهرا . ومنشغلا بعقد المقابلات البسيطة بين الظواهر مما ينتج عملا سطحيا يخلو من كل اشكالية من شأنها أن تدفع بالنحو العربي الى تفاعل مع النظريات الجديدة بهدف ايجاد نماذج نظرية لوصف العربية والطموح الى وصف اللغات الطبيعية أيضا .

سؤال : إذا لم يكن الهدف من نشأة النحو العربي هو محاولة النحو وفهم اعجاز

القرآن فما هو الهدف من نشأته وبالتالي ما هو هذا التطور الداخلي للنحو الذي تدعو له ؟.

سؤال : في اطار دراستنا للنحو غالبا ما ندخل في مسألة الاحتراز وهل الاحتراز في النحو يعني وبشكل ميكانيكي احترازا في الفكر الذي نما في اطاره ؟

الأستاذ عبده الراجحي :

المهم أن المناقشات التي تمت ليست بالضرورة مناقضة لما يريده العارض بل هي في الواقع موضحة لكثير جدا مما يقصد أن يقوله ، ومن المسائل الأساسية عنده أن النحو غير اللغة وأن هناك تاريخا وأن هناك شيئا واقعا وأن هناك أيضا فهماً وفهما للفهم ، وان يكن لا يستبعد ماتم من دراسة التعليق من أنها تمت أيضا من كتاب نحوي قديم ، وأنه يدرك أن دي سوسير كان مع في البداية ، ثم بعد ذلك قدم طريقته ومنهجه في البحث وأن تشومسكي كان بلو مفيلديا وأن هذا لا يعني بالقطع مجرد الظن بان هناك دعوة الى قطعية العلم أو التاريخ ...الخ وكل هذا وضح بالأفكار الرئيسية التي يمكن أن تنتج عن الندوة الغنية . أيضا أنني مؤمن ايمانا كاملا أن دراسة اللهجات ، أي دراسة الواقع اللغوي ضرورية جدا لفهم النظام النحوي القديم وأؤمن أيضا أن دعوة تشومسكي الى الديكارتية أو ذاتها ـ نحن الآن ـ الى المناطقة وغيرهم ليس ردا للاعتبار وانما هو استثمار للمعطيات العلمية ، ارجو ألا يكون هناك ان شاء الله أي نوع من العائق الابستيمولوجي ونرجو أن نتخطاه في المستقبل ، كل الذي أريد أن أقوله الآن أن العالم العربي عالم متسع والأبحاث العلمية فيه تخلفت تخلفا شديدا ربما تكونون أنتم الأكثر الناس تقدما ما في الموضوع ، ونحن نحاول في مناطق قد لا تدرون عنها أو عما يحدث فيها الآن وخاصة في الدراسات اللغوية ، وان هذه الدعوة الى النظرة الشاملة والى الدراسة المتكاملة للتاريخ ، قد تكون ان شاء الله في الوصول الى نظرية لغوية شاملة .

سعيـد علـوش (*)

وظيفة الشاهد الأدبي

1.1 — **إضاءة** : يعتبر الشاهد من بين المرتكزات الأساسية في كتاباتنا وقراءاتنا وأقوالنا .

ا) على مستوَى الكتابة : ابداعية أم استدلالية كانت ينذر الانفلات من قبضة القوسين والعارضتين أو التضمينات . ان لسانا ثانيا يكبر فوق لساننا كلما أردنا ترجمة التعبير إلى علامة ، إذ تنفذ أقلام أخرى من بين أصابعنا لتسويد مخزونات ذاكرة تتدفق بتخيلات تخترق جميع مساماتنا ، لتحتضن الآخرين .

ب) على مستوَى القراءة : ينبجس الصوت بين شفتي المجود أو المغني أو القارئ العادي ليعلم بالترداد أو الوقف أو الخط على مقاطع دون أخرى . وحين يمنع في المكتبات العمومية أي تعليم على الكتب المعارة ؛ فإن بعض ردود فعل القراء الذين يقومون ببتر الصفحات ، أو اختلاس الكتب بكاملها يعني أن حق ملكية الكتابة هو الحد الفاصل بين العمومي والخاص في الشاهد بصفة عامة .

جـ) على مستوَى الأقوال : كثيرا ما يقسم محدثنا باليمين ، واقعا تحت تأثيرات الوظيفة اللّغوية (fonction fatique) التي لا تترك مكانا لفراغ ، قد يؤدي الافراط في الوقوف تحت طائلها إلى هدر ثرثرة فوق الاشياء ، وحولها ، حيث يقع القول تحت وطأة القوالب الجاهزة والكلام المعاد .

(*) كلية الآداب الرباط

– لماذا يسكننا الشاهد؟ وكيف وبمن نستشهد؟
– هل الشاهد جنة الاكاديميين وحدهم؟
– أيملك المستشهد معارف زائدة أم سلطة وهمية؟
– هل يوجد فينا من لم يستشهد ولو مرة واحدة في حياته؟
– أخيرا، من منا يتحدث فقط باسمه ولحسابه الخاص؟

2.1 – يكون المجموع (corpus) السابق لحمة موضوعنا، الذي يعتمد مواقع الشاهد الأدبي، الذي اتخذ في تكونه التاريخي مسارات متعددة؛ نعتبر (الرواية) أحد أقدمها، إذ تنتهي مرحلتها الأولى مع بداية (عصر التدوين)، ثم لا تلبث أن تتخذ لها قنوات معرفية أخرى، نميز من بينها؛ قناة (التاليف) بالنسبة للمكتوب. وقناة (الاجازة) بالنسبة للشفوي. ولاستمرارية البث الروائي عبر القناتين خطورته القصوَى في الخطاب الأدبي العربي، وعلى الخصوص في الفترة التي نطلق عليها اجحافا (عصر الانحطاط) أو (العصور الوسطَى العربية). ان امتزاج البنيات الثقافية بالديني والسياسي والتاريخي طوال فترات النشاط الأدبي العربي لظاهرة عسيرة التحليل على المؤرخ الأدبي أو السيميائي، لأن تداخل الحقول يتطلب تعددا في تكوين الباحث الذي يفترض في نفسه خصوصية المعالجة الأدبية لا غير.

3.1 – وإذا انطلقنا من منطق اعتبار النصوص الأدبية العربية من كونها تمثل الشعر أو النثر، فإن الحد الفاصل بين الاثنين يمكن أن نفترضه في اشكالية حفظ (النموذج) داخل شكلين أساسيين هما (القصيدة العمودية) و(فن الترسل) لأن «المثل السائر في كلام العرب كثير نظما ونثرا».

ليس بغريب اذن – فيما يخص الشكل الأول – ان تترسخ بعض الأعراف، لتتخذ صبغة قانون شعري لأن (الشاعر المطبوع) في الأدب العربي القديم مثلا هو الشاعر الذي يفضل أصحابه (برواية الشعر) و(معرفة الأخبار) و(التلمذة بمن فوقه) كدلالة على سهولة الكلام واتساع المذاهب عند (الشاعر الراوية). وهذا وحده ما يفسر هذا الرابط في السلسلة التالية:
– الفرزدق راوية الحطيئة
– الحطيئة راوية زهير
– زهير راوية أوس بن حجر

4.1 — يلاحظ في رابط السلسلة السابقة كيف لا تقتصر الراوية على حفظ الشعر من الضياع والتأريخ له كما قد نتوهم ، ولكنها تصبح وظيفية ، تقوم بتفتيق ملكة الشعر والجودة فيه . لهذا يستعصي ابداع الشاعر في غياب القرين (أو المروي له) لأن القانون الشعري هو قانون توليدي بتداعياته ، حتّى وان ناظم الاشعار يصبح راويا لحسابه الخاص . وهو بذلك لا يعلن قطيعته مع نموذج (القصيدة العمودية)، بل يعزز ادوار من أجازوه ، ما دام الشعر يأتي في الدرجة الأولى بعد الكلام الاعجازي والنبوي عند العرب .

وهل بامكاننا اهمال ان الشعراء أربعة : الخنذيذ والمفلق والشعرور والشاعر فقط . والتمييز يقوم أساسا على من يجمع إلى شعره رواية اشعار غيره أو عدمها .

ان كتاب سيبويه يروي (1050) من الأبيات الشعرية ، بينما لا يأتي بسوَى (300) آية قرآنية ، لم تتخذ في معظمها مصدرا لدراسته ، مما يؤكد سلطة موقع الشاهد الشعري على الشاهد الديني .

1.2 — الشكل الثاني هو (فن الترسل)، الذي يقال عنه دائما بانه «ابتدأ بابن المقفع وانتهَى بعبد الحميد الكاتب»، وهي قولة تستهدف أساسا المزايدة بخصوص تجربة من النثر السجعي ، الذي أصبح غيابه علامة على استبدال شاهد نغمي بشاهد دلالي ، يستوجب منا اثارة اشكالية العبور من (الرواية) إلى (تدوين الرواية)، التي ترتبط بخلفيات ايديولوجية تيولوجية تصبغ على مفهوم العبور مواضعات يتقاسمها النص القرآني والنص الحديثي ، باعتبارهما خطابا أدبيا وطرفا موضوعيا فيه . إذ ليس علينا هنا سوَى أن نستحضر فترة ما يطلق عليها بـ (الأدب الاسلامي) لكي تستقيم لنا الصورة التي ارتبطت بها جميع الممارسات الفنية بالدين . بل وأكثر من هذا الأولوية التي اعطيت للنص القرآني في ذاكرة الاطفال في العالم الإسلامي حيث أضحَى **شاهد** الاعجاز سلطة وجودية مطلقة ، لا يفسرها سوَى تحرج عمر بن الخطاب من كتابة السنن ، لأنه لم يكن — بتعبيره — : «يريد أن يلبس كتاب الله بشيء أبدا» ولأن خبر الكتاب قاطع ، وتكون هذه الحادثة هي فاتحة ما اطلق عليه (التحرز الديني)، أي المبرر الاعتقادي في ابعاد الشاهد القرآني ، على اختلاف قراءاته لأن توقيفية لغته من لوازم تقديسه .

2.2 — نفس الاشكال يقع فيه النص الحديثي بتقاليده المعقدة الرواية ، منذ اعلان عبد الكريم بن أبي العرجاء — المنعوت بالزندقة — عن وضعه لـ(4000) حديث يحرم فيها الحلال ويحرم الحرام ، مما عرضه للقتل ، وفتح الباب على ضوابط الرواية — من تواتر ، احاد ، مرسل ، منقطع ، مجهول الناقل ، سماع ، زعم ، قراءة ، اجازة ، مكاتبة ، وجادة — في تأليف المجاميع التي بلغت قمة ضبط الشاهد مع كتب الأئمة — البخاري ، مسلم ، أبو داود ، السجستاني ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجة — .

3.2 — مع كل هذه الجهود فقد كان النحاة العرب يتحرجون من سوق شاهد النص الحديثي ، إلى أن أعاد ابن مالك وابن هشام وأبو علي الشلوبين النظر في ذلك . ويفسر الانصراف والعودة إلى شاهد الحديث بالاختلافات في جواز النقل بالمعنَى أو بالألفاظ المختلفة ، مما سمح أكثر بالميل نحو شاهد النص القصير والغريب بدعوَى غلبة الظن ، لا بيقين عدم تغيير الحديث .

4.2 — على مستوَى النظام السياسي نجد أن شاهد (الخلافة الاسلامية) استقر على استمرارية السابق في اللاحق ، فالخلفاء الراشدون ، مرحلة تتميز في وعي المؤرخين بشاهد الرشد ، بينما الخلافة الأموية والعباسية والفاطمية ، وكل الأنظمة الوراثية بشاهد الشجرة ، حيث «أن أقوَى دليل على اجبار التكرار بشكل عضوي يوجد في ظاهرة الوراثة ، وفي علم الاجنة ، حيث تلجأ جرثومة الحيوان الحي إلى تكرار (ولو في صورة موجزة) كافة الاشكال التي نشأت منها بدلا من أن تتجه بسرعة إلى الشكل النهائي ، وبنفس الطريقة تستعيض بعض الحيوانات الدنيا والعليا العضو الذي تفقده بعضو جديد يشبهه ... لأن غرائز المحافظة ترغم على التكرار ... وتتجه نحو إحياء حالة سابقة ... حيث تصبح الغرائز الجنسية هي غرائز الحياة ، وهي التي تعترض غاية الغرائز الأخرى ... الموت»[1] وهذا يفسر كتابات المسعودي والمؤرخين الذين يندرجون في خط التاريخ للبشرية منذ آدم إلى عصورهم .

1.3 — ان الصعوبات المنهجية في دراسة استراتيجية الشاهد الأدبي في الكلاسيكيات العربية لتكمن في استحالة فرزه عن باقي الثقافات الأخرى على مستوَى

(1) فرويد — مبدأ اللذة — الترجمة العربية ص : 56

البنيات الفكرية أو الذاكرة الشعبية ، بالرغم من موقعه داخل جماعات سوسيو– سيميائية بتعبير غريماس . إذ بالرغم من استقلالها فهي تعمل ضمن ضوابط قوانين التكرار للمقول ، طبق مواضعات معرفية .

2.3 – فحين يعلم ابن جني في (الخصائص) على (باب في صدق النقلة ، وثقة الرواة والحملة) على علي والاصمعي وأبو علي القالي ، فهو يشير بذلك إلى انتاج يستولي على شهادة بواسطة اخضاعها لنقلات مكانية ، تتحول ملكيتها إلى وسطاء– ثقافيين كان أهمهم :

– أبو عمر الشيباني راوية أكثر من (80) قبيلة
– أبو مسحل الاعرابي راوية (40.000) شاهد على النحو
– محمد بن القاسم الأنباري راوية (300.000) بيت من الشعر
– الاصمعي راوية (16.000) أرجوزة

وأغلب الرواة تعاملوا مع قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة والطائيين وما عدا هذه القبائل فلم تكن توليها البصرة والكوفة –عاصمتي الرواة– أية أهمية .

3.3 – يتبين اذن اختيارنا للرواية كاختيار لتكرار الخبرة المؤلمة في الشاهد الأدبي العربي ، لأن الراوي بهذه الطريقة يسيطر على الشاهد منفعلا كالاطفال تماما حيث .«كل تكرار جديد يقوي سيطرة الطفل على الخبرة المؤلمة . وكذلك ، فإن الأطفال لا يشبعون من تكرار خبراتهم اللذيذة بكل دقة ، لكن هذه الميزة تختفي من بعد ، مثلما يختفي أثر النكتة كلما أعيد سماعها ، والمسرحية لا تترك الأثر العميق الذي تركته أول مرة ، ومن الصعب أن تغري بالغا باعادة قراءة كتاب استمتع به فور القراءة الأولى ، فالتجديد شرط لازم للاستمتاع»[2]

4.3 – ان لذة التكرار في الشاهد عامة لتعمل كمقياس معرفي لادراك صلاحية ومراقبة التعبير ، ضمن جهاز تنظيمي ، بل وتنظيم –ذاتي للمخزون المعرفي ، كاحتياط ومقول سابق ، هو إما جيد يتأهل ليتخذ مكانه بالنص– مرجع ، احالة– شاهد– أو غير جيد ، لا يتأهل ، ويعامل في النص –كشاذ ، ساقط– مولد ، أي ما لا تحتج به العرب . وما لا تحتج به العرب هو كذلك كلام

(2) السابق ص : 54

الحمقَى والمغفلين والمجانين ، باستثناء مجنون ليلى ، لأنه مجنون بشقه الثاني ، بالآخر ، بشاهد الأنثَى ، على عكس غيره من الذين يجنون بذواتهم ، لا بذوات غيرهم ، ونلاحظ هنا تدخل الشرط الاجتماعي في الشاهد الأدبي ، لأن أي (نحل) هو نزوع إلى احداث الخلل في الأمكنة المسكونة بأهلها ، ونسبتها إلى غير ساكنيها اذ على كل ساكن أن يشيد بيته الشعري ، متقيدا في ذلك بضوابط اجرائية ، تجعل من الدقة في توزيع الأمكنة الشعرية هدفها الأساسي.

5.3 — من هو مالك الشاهد والموقع أسفله والشاهد على شاهده؟ وهذه القضية تطرح موقع المتكلم من كلامه ، ففي نموذج لابن قتيبة نلاحظ تعلما على المتحدث كاسم شخصي يفي باقناع فضول السائل.

يقول ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) :

«حدثنا سهل بن محمد ،
حدثنا الأصمعي
حدثنا كردين بن مسمع
قال :
جاء فتيان إلى أبي ضمضم بعد العشاء
فقال لهم
ما جاء بكم يا خبثاء !
فقالوا : جئناك نتحدث
قال
كذبتم ولكن قلتم كبر الشيخ فلنتعبه عسَى أن نأخذ عليه سقطةً !
فانشدهم لمائة شاعر
وقال مرة أخرى. لثمانين شاعر، كلهم اسمه عمرو
قال الأصمعي: فعددت انا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثمانين
فهذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن بأروَى الناس»[3] .

في هذا التقسيم المتعمد نلاحظ سندية تركز على هوية الاسم الشخصي كعلامة فاصلة بين الخلل والنظام الاجتماعي الذي يلعب فيه التعريف دورا خاصا تجد تفسيره

(3) ابن قتيبة. الشعر والشعراء ص : 8 — 9

في كتاب الصناعتين حيث «قيل للشعبي :

— إنا إذا سمعنا الحديث منك نسمعه بخلاف ما نسمعه من غيرك !

— فقال :

— إني أجده عاريا فاكسوه ...»[4]

فالاسم الشخصي كساء ، واستعارة الكساء ، ذات دلالة على ما خاض فيه العرب طويلا واطلقوا عليه (تناقض الروايات) بالزيادة أو النقص المشروعين ، وهذا يثير قضية ما يروَى بنصه — وهو تقديسي — وما يروى بعبرته وعمدته .

1.4 — ان وعي ابن رشيق بهذه الوظيفة الاحالية هي التي دفعت به إلى تأليف (العمدة)، لأنه كما يقول : «وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرَى أن تقبل شهادته وتمتثل ارادته ... فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه ليكون (العمدة في محاسن الشعر وآدابه)...»[5] .

والمقياس الذي يحتكم إليه ابن رشيق في شاهده هو قاعدة التوحد بالنص ، لأن الجزء المنتخب يتحول بدوره إلى نص ، إذ ليس هو فقط القطعة المنتقاة أو العضو المبتور ، ولكنه عضو وضع رهن الاحتياط .

وبما أن قراءاتنا ليست روتينية فهي إذن مفجرة ومفككة وناشرة للنص ، ومتمحورة داخل عملية أولية للنهب والتملك لموضوع يوضع تحت تصرف الذكريات والمحاكاة ، مما يجعل رتبة الشاهد عند أبي هلال العسكري جنسا ، لأن «... هذا الجنس في كلام القدماء والمحدثين ، هو أحسن ما يتعاطَى من أجناس صنعة الشعر ، ومجراه مجرَى التذييل لتوليد المعنَى ، وهو أن تأتي بمعنًى ثم تؤكده بمعنًى آخر يجري مجرَى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته...»[6] فلا غرابة ان تظهر حركة تأليف في (ايضاح شواهد الايضاح) و(تخليص الشواهد) و(الشواهد الكبرَى) و(شرح شواهد المغني) .

2.4 — وهذه الحركة لم تنفلت قط من قبضة مفهومي العقل والنقل كمكانين

(4) أبو هلال العسكري — كتاب الصناعتين — ص : 235

(5) ابن رشيق القيرواني — العمدة — المقدمة

(6) أبو هلال العسكري — السابق ص : 434

للاقناع بالتاريخ في النقل والتحول الجدلي في العقل ، وهو صراع بين الثابت والمتحول ، وهو كذلك ما تعكسه القراءة الجديدة والكتابة الجديدة والثقافة الجديدة ... في سلسلة التحديثات المعرفية الحالية .

والملاحظ هو أن كل هذه الكتابات التي تدعي تكسير اللغة ، الغير قادرة على التعبير عن خلجات أصحابها ، لا تتخلى عن توليد شواهدها كعناصر متميزة للتكييف ، كأمكنة متميزة للتعرف ومعالم للقراءة ، وهذا بدون شك هو السبب في أن أي نص مهما كان ادعاؤه للتدمير لا يتخلى عن أي شكل من أشكال الاستشهاد .

3.4 — من خلال ما سبق نستشف انه لا يوجد عمل فردي . فـ(وحيد عصره) و(واسطة العقد) كما نصادف في تراجم الكتاب العرب تسقط في لغويات لأن كل عمل فرد ما هو أشبه بعقدة تتكون داخل غشاء ثقافي ، يمثل الفرد داخلها لحظة مشعة للعمل الجماعي يجري — بحسب الجرجاني — «مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة ، مجرَى الادلة التي تستنبطها العقلاء ، والفوائد التي تثيرها الحكماء ، ولذلك تجد أكثر هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبي وكلام الصحابة ... ومنقولا من آثار السلف ... أو ترَى له أصلا في الأمثال القديمة والحكم المأثورة عن القدماء»[7] .

4.4 — ويصبح المأثور شاهدا ، لأن الشاهد عمل جماعي ، زمنه الماضي ، حتَّى ونحن نستشهد بمعاصرينا ، لأننا لا نفعل ذلك إلا بالنسبة لماضيهم ويبقَى المصدر هو كل قديم راسخ في الذاكرة ، لأن الماضي هو وحده الذي يحتمل اقبار الاستشهادات داخله ، ويصبح الاقبار فرصة للتصرف في تأويله واسقاط ذواتنا على ذوات الاجداد كتراكم لتكرار مشروع ، لا يقبل احتجاج الموتَى ، مادمنا نحييهم بطريقتنا ونمنحهم السلام الذي نبتغيه لأرواحهم ، حيث لا نتعامل معهم كأشباح ولكن كأطياف ، أي كشاهد يمنح السلطة الرمزية الكافية للاحياء ، دون مناوشة .

1.5 — والطرح السابق هو الذي جعل باختين يعتبر الشاهد نوعا من الكتابة «... التي تضع على الخشبة حشدا من الأموات — شخصيات ، عقليات ،

(7) الجرجاني — أسرار البلاغة — ص 125

جوائز ... – إذ تلعب الكتابة دورا طقوسيا للدفن ، انها تعزيم على الموت باقحامه في الخطاب ، ومن جهة أخرى نجد لها وظيفة رمزية ، إذ تسمح لمجتمع ما أن يتموضع بمنح نفسه ماضيا داخل اللغة ، كما تفتح للحاضر فضاءا خاصا . ان التعلم من هنا على الماضي لهو فسح مجال للموتَى ، وتوزيع للفضاء من جديد»[8]

2.5 – من هذا المنظور تطرح علينا مشكلة معالجة مفهوم القدماء والمحدثين فهل علينا أن نقول مع بورجس بأن (كل شيء قيل !) وكل ما قيل يلغينا ويحولنا إلى ببغاوات تردد المقول ، لأن النفس الانسانية يوجد بها حقا (إجبار على التكرار) إذ تبلغ النزعة التقريرية حدودها القصوَى عند أبي هلال العسكري الذي يرَى ان «ليس لأحد من أصناف القائلين غنًى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يسكبوها ألفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويزيدوا في حسن تأليفها وجودة تركيبها ... فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها ...»[9] .

3.5 – ان طرح علاقة عالم الاشياء بعالم الرموز ليفضح هنا نمطية ثقافية في الكتابة العربية ، حيث تسيطر نمذجة ، لأن ما يتردد عند عنترة «هل غادر الشعراء من متردّم» هو ما يتردد عند علي «لولا أن الكلام يعاد لنفذ» ، وهو أيضا ما ينشده أبو تمام «يقول من تقرع اسماعه : كم ترك الأول للآخر» ، ليلخص كل ذلك ابن رشيق «مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين : ابتدأ هذا بناء فاحكمه واتقنه ، ثم أتَى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن»[10] .

4.5 – وقد يصبح التضمين وسيلة غير مباشرة للاشارة إلى القدماء دون ذكر اسمائهم . وهو تقليد سائد في اشعار العرب ، يقع بواسطته التحايل على بنية نصية ، نظّرَ المؤرخ الأدبي لتجاوز حدودها في عديد من المصطلحات هي الاصطراف ، الاجتلاب ، الانتحال ، الاهتدام ، الاغارة ، المرافدة ، الاستلحاق ، السرقة .

(8) Mikhail Bakhtine, Le marxisme et la philosophie du langage, p. 117

(9) أبو هلال العسكري السابق . ص 202

(10) ابن رشيق القيرواني – السابق . ص 92

السلخ ، النظر ، الملاحظة ، الالمام ، الموازنة ، العكس ، الالتقاط ، التلفيق ، الاجتلاب ، التركيب ، الغصب ، الاختلاس ، المبتذل ، المشترك ، المختص .

وهذه المصطلحات هي كشافات السقوط الحرفي في كلام الآخر ، دون منحه صفة الشاهد ، بتجاوزه المكاني والزماني .

1.6 — وما ظهور الموازنات والسرقات في الأدب العربي الا ذلك الوجه من ضرورة تأويل مفاهيم المِلْكية الأدبية وعلاقة المحاكاة التي خصها ابن حازم القرطاجني بفصول كاملة ، كوعي بمخاطر المماثلة .

— لماذا يوقف القدماء حق ابداع الصورة عليهم ؟

— هل يلغي السابق اللاحق ، أم ان اللاحق ما هو إلا تكرار للسابق ؟

— هل «كل الناس الذين يستعيدون سطرا من شكسبير هم وليام شكسبير» حسب بورجس ؟

— كيف نبرر تعرف موريس بلانشو على نفسه في جورج موروجويس ولوترياًمون ورامبو ؟

2.6 — من خلال التعرف على قيمة الاستشهاد كعملية اقتصادية تبنين قواعد التبادل والملكية الأدبية تمكن هيجل في (مبادئ فلسفة القانون) من أن يؤكد بان العبارة التي يقولها أو يكتبها هي في ملكيته . ولهذا فمن الضروري أن يخضع تداول العبارات في السوق إلى رقابة ، ولعل هذا ما يبرر في عصرنا وجود جمعيات ومكاتب ونقابات حقوق التأليف والطبع والتوزيع وكذا لجان القراءة ولجان تحرير البيانات ، فلا غرابة ان أصبحنا نجد عبارة (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) بأول صفحة كتاب ما ، لأن رقابة الانتاج النصي هي تنظيم لتوزيع الشاهد في مجتمع من المجتمعات . ولأن النصوص ما هي الا أجساد غريبة لا يمتلكها غير أصحابها ، ولا يمكن لاحد أن يدعيها لنفسه ، سواء بالاحتواء أو التطعيم لأنها ترفض كل غريب عن غريبها ، ولم توجد جدلية الشاهد إلا لتنظيم الانتقالات والبتر الذي يتم على جسد نصي لصالح آخر .

ان اعلانات التبرع بالدم لا تتم إلا بموجب العلامة الدموية التي ينتمي اليها النص ، لأن زرع القلب هو متعة الجراحة ، ومتعة توظيف معرفي علمي في جسد

الاخر — النص — الذي يخضع الشاهد فيه — الأثر — إلى تجميلات طبية — البلاغة — تُوقِّعُ على جسد الاخر هذه المهارة.

3.6 — وكل مهارة تحتاج إلى تأويل ، لأن «التأويل يتميز بانتاج العلاقة بين مكان معرفي وخارجه ، داخل خطابه المزدوج . فالخطاب في عملية الاستشهاد يحول المستشهد به إلى امكانية مصدرية وإلى معجم معرفي ، وفي نفس الوقت يضع القارئ في موقف المستشهد به ، إذ يقحمه داخل علاقة المعرفة واللامعرفة»(١١) .

ان الكاتب ليصبح من هنا منمقا — حرفيا أكثر منه مهندسا ، لأنه يتعامل مع قوة فعلية وسلطة رمزية وسحرية للكلام داخل عمليات الاستئصال والتعليم والتكييف والتوسل ، باعتبار الخطاب — الشاهد ، خطاب في خطاب وخطاب فوق خطاب ، خاصة وأن الوثيقة التي ينتزع منها الشاهد لاتني عن التذكير بنزوعاتها الاجتماعية الثابتة ، برغم طابعها الفردي ، لأن جوهر الفهم والتقدير في الوثيقة — الشاهد يحمل دلالات ايديولوجية للموقع الذي يتكلم منه مالك الكلمة .

4.6 — لقد تم اختراع القوسين من طرف كيوم في القرن 17 ، إذ قبل هذا كانت العبارة الاعتراضية — قال فلان — تلعب تقريبا نفس الوظيفة التي تسيج الشاهد كعلامة على اعطاء الكلمة للآخر ، بعد أن يتنازل عنها الكاتب لصالحه . لأن استراتيجية العملية اخلاقيا وعرفيا ونمطيا تكمن في هذا الارتباط بقيم تحويلية ونقلية وتأثيرية واقناعية ، هي مجمل بلاغة الكاتب ، التي تفترض حدسا بالغا للتواصل مع مالك الكلمة بالفعل .

أخيرا نتساءل من يقنع ؟ ومن يحتاج إلى الاقناع في الشاهد ؟

ان استراتيجية الشاهد لتستهدف كل الذين يتوجه إليهم النص الجديد ، كنص ممتع بايهامه المتنامي ، حيث لا أحد يتكلم ، ولكن وحدها الأحداث تحكي نفسها بنفسها ، وتكمن محاولة الاقناع كطرف في استراتيجية الشاهد في محاولة البحث عمن يتقاسم معنا فكرة أو حكما أو ذوقا ، ولهذه الغاية تبرز ضرورة التركيز على الحوافز الفاعلة في المتلقي وتقريب شقة الخلاف بين الأنا والآخر الاجتماعي كشرط أساسي .

(11) Michel de Certeau, l'écriture de l'histoire p. 113.

الأخضر بوجمعة (*)

مفهوم «اللغة» في البحث اللساني العربي المعاصر

نظرا للالتباس الذي يحيط بكلمة «لغة» فإني أود في بداية هذا العرض أن أشير إلى أني أضع مفهوم «اللغة» جانب مفهومي «الكلام» و«اللسان» فإذا كان «الكلام» هو الاستعمال الحقيقي للغة انسانية ما ، فان «اللغة» هي البنية التي ينبثق عنها «الكلام» ، على أن «اللسان» هو البنية التي تنتظم في اطارها كل اللغات الانسانية. هذا ويلزم التنبيه إلى أني أنطلق في عملي هذا من الفرضيات الآتية :

1 ــ ان الطابع العلمي للسانيات مرتبط باشكالية موضوع البحث.

2 ــ ان موضوع دراسة اللسانيات هو اللغة الواحدة.

3 ــ ان البحث اللساني العربي على غرار معظم البحوث اللسانية الأخرى ، عليه أن يُعنى بدراسة اللغة الأقرب اليه ، أي اللغة العربية.

انطلاقا من هذا ، ارتأيت تقصي مفهوم «اللغة» في البحث اللساني العربي المعاصر حتّى تتأتى معرفة مدَى هذا البحث وابعاده ، ولكن قبل هذا سأقوم بطرح اشكالية البحث اللساني بهدف الاستئناس بالمشكل المطروح.

ا) اشكالية البحث اللساني :

من الافكار المتداولة بشأن لسانيات القرن العشرين انها تختلف عن لسانيات القرن التاسع عشر بكونها بحثا تزامنيا أي سنكرونيا ، وعن ممارسات الاقدمين بانها

(*) كلية الآداب ــ الرباط

بحث وصفي لا معياري ، وبالتالي علمي . غير أن هذه الطريقة المقتضبة في التعريف تجعلنا ننسَى أن القطيعة الواقعة بين لسانيات القرن العشرين والمحاولات التي سبقتها لا تكمن في الأخذ بوجهة نظر تزامنية ووصفية ، بل في الاهتمام البالغ باشكالية موضوع البحث . وهذا ما يشير إليه «بنفنيست» في احدَى كتاباته حيث نقرأ: «ان التغيير الذي عرفته اللسانيات يرجع بالتدقيق إلى ما يلي : لقد أُقرّ بان اللسان يجب أن يوصف بكونه بنية صورية بيد أن هذا الوصف يتطلب قبل كل شيء تحديد طرق ومعايير ذات كفاية ، وبمعنًى آخر فان واقع الموضوع غير منفصل عن المنهج المستخدم لتحديده»[1] .

وهكذا يظهر ان لسانيات القرن العشرين تختلف عن البحوث التي سبقتها باقرارها ان موضوع بحثها ، أي اللسان ، ليس شيئا مسلما به ، وانما هو تركيب . فالباحث يعلم ان موضوع دراسته ، وان كان يتراءى له في شكل أصوات وكلمات وجمل ، فهو يبقَى أبدا ذا طابع صوري ، تجريدي . واذا كان مفهوم «الحقيقة» قد ينصرف إلى معنيين : الحقيقة كتطابق مع الواقع ، والحقيقة كوحدة داخلية متماسكة ومنسجمة ، فان الباحث يهدف إلى الوصول إلى هذا النوع الأخير من الحقيقة . فهو وان كان يصبو إلى ان يكون وصفه لموضوعه مطابقا قدر الامكان للواقع ، فهو يهدف أولا وقبل كل شيء إلى أن يكون وصفه منسجما ومتماسكا ، علما منه بان الواقع لا يظهر في شكل ما إلا انطلاقا من منظور ما . فالموضوع لا تحدد معالمه إلا انطلاقا من ممارسة تقص ما . وحيث أن الاحاطة الشاملة والكاملة بكل تلك المعالم مستحيلة التحقيق فإن كل موضوع يصبح مشروعا[2] ومعنًى هذا أن الحقائق التي يتوصل إليها الباحث ليست ثابتة بل متغيرة ، فهي تختلف حسب النظريات .

وحتَّى يتسنَّى للباحث أن يعطي وصفا علميا لموضوعه عليه في هذه الحالة ان يحدد منطلق تقصيه ، والنظرية التي يبني عليها جهازه الواصف ، وكذا المنهج المتبع للوصول إلى الوصف الذي يقترحه لموضوع بحثه . هذا وتجدر الاشارة إلى ان الباحث يمكنه الأخذ بالمنهج الاستقرائي أو المنهج الاستنباطي . بيد انه لا يستطيع الالتزام باحد هذين المنهجين دون الآخر . فهو ، وان كان يعطي الاسبقية للمنهج الاستنباطي

---

(1) (F. Benveniste « Problèmes de Linguistique Générale » (I) Ed. Gallimard 1966, p. 119)
(2) (G. Bachelard « Nouvel Esprit Scientifique » 13è Ed. P.U.F. 1975 p. 15).

ايمانا منه بان موضوع دراسته تركيب لا شيء مسلم به ، فهو لا ينسَى ان على جهازه الواصف أن يستمد صلاحيته من التعليمات اللغوية الملاحظة .

استنادا إلى ما سبق ، يمكن القول بصفة مجملة ان الباحث يعتبر أن عمله يتحدد حسب ثلاث مراحل : 1) المرحلة القبنظرية (أي ما قبل النظرية) 2) المرحلة النظرية 3) مرحلة الوصف . هذا وان كان الباحث في مرحلة التنظير يهتم بكفالة النظرية وبساطتها ووضوحها وتماسكها ، فهو في المرحلة الأولى يعمد إلى تحديد هدف تقصيه وآفاق ما يعتبره موضوع دراسته ، وذلك بضبط المبادئ التي تؤسس بحثه . تمشيا مع هذا ، يجد الباحث نفسه أمام عدة اختيارات إذ بإمكانه أن يوجه عمله نحو دراسة لغة واحدة أو نحو دراسة عدة لغات . كما يمكنه توجيه دراسته حسب وجهة نظر تزامنية أو تعاقبية . ثم ، حتَّى لو اختار دراسة لغة واحدة في إطار تزامني فهو يبقَى ملزما بتبيان موقفه من علاقة اللغة المدروسة من جهة واللغات الأخرى من جهة ثانية ، علاقة اللغة المدروسة من جهة والمجتمع والفرد من جهة أخرى .

لقد حاول معظم لسانيي القرن العشرين تحديد موقفهم من هذه الأسئلة واختار معظم البنيويين والتوليديين التفريق بين :

1 — موضوع اللسانيات الخاص : أي دراسة اللسان أو اللغات ككل . وموضوع الدراسة ، أي اللغة الواحدة باعتبارها صورة للغات الأخرى .

2 — الهدف البعيد وهو اظهار بنية اللسان ، والهدف القريب وهو اظهار بنية لغة معينة .

3 — المنظور التعاقبي والمنظور التزامني ، مع تفضيل هذا الأخير لأن كل تعاقب يتضمن عدة «تزامنات» .

4 — المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي مع اعطاء الأسبقية لهذا الأخير وذلك بسبب طبيعة موضوع الدراسة الذي يبقَى أبدا اشكاليا .

هذا وقد آثر الكثير من اللسانيين الغربيين عدم الاهتمام مؤقتا بدراسة اللغة في ابعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية حتَّى تتسنَّى لهم دراسة اللغة بوصفها بنية

صورية ، الشيء الذي مكنهم من تطوير أجهزة واصفة متعددة ، وهذا ما جعل اللسانيات تلعب دورا طليعيا بالنسبة للعلوم الانسانية الأخرى .

انطلاقا من هذا ، يمكن استخلاص النتائج التالية :

1 — ان اللسانيات ما كان لها أن تطمح إلى أن تكون علما لو لم تعتبر موضوعها اشكاليا .

2 — ان موضوع دراستها الأول هو اللغة الواحدة ، وذلك لأسباب منهجية وعملية .

3 — ان الصورة التي تظهر فيها اللغة من خلال وصف الباحث تجد كفايتها في انسجامها مع المعطيات الملاحظة ولكن هذه الصورة هي أولا وقبل كل شيء وليدة نظرية ومنهج ومبادئ .

وهكذا ، تكون اللغة في مرحلة قبنظرية تعريفا مؤقتا وتقريبيا ، وفي مرحلة نظرية بنية صورية ، وفي مرحلة الوصف مجموعة مصطلحات وقواعد واصفة . أما على مستوَى الملاحظة فلا يمكن التحدث إلا عن وجود معطيات لغوية يشترط فيها أن تكون منسجمة ومتكاملة وأن تمثل موضوع الدراسة أحسن تمثيل .

والآن ، وبعد أن تبيَّنت العلاقة الوثيقة بين طموح اللسانيات للعلمية وأهمية اشكالية الموضوع من جهة ، ومكانة مفهوم اللغة أي موضوع دراسة اللسانيات من جهة أخرى ، سأحاول ضبط موقف الدارسين العرب المعاصرين من هذا المفهوم ، الشيء الذي سيتيح الفرصة لمعرفة مدَى مواكبة الممارسة اللسانية العربية المعاصرة للمشاكل المطروحة .

ب) الدارسون العرب المعاصرون ومفهوم «اللغة»

لقد مضَى على أول محاولة لتعريف القارئ العربي باللسانيات بمفهومها الغربي ما يناهز المائة سنة ، ولكن هل يمكن اليوم الاقرار بوجود بحث لساني عربي ؟ ذاك ما سأحاول تقصيه متعمدا تركيز اهتمامي على هذه الممارسة كمحاولة عامة ، تاركا الاشارة المباشرة إلى أعمال هذا الدارس أو ذاك .

إن الكتابات اللسانية المعاصرة تنقسم حسب رأيي إلى ثلاثة أصناف :

1 — تلك التي تهدف إلى إعادة قراءة الدرس اللساني العربي القديم مثل معظم كتابات مازن المبارك ، كمال محمد بشر ، عبده الراجحي ومحمد عبده . هذا وسوف لن أتعرض لهذا النوع من الكتابات لما تطرحه من اشكالية خاصة.

2 — تلك التي تدخل في اطار تعاقبي ، وهي كتابات على عبد الواحد وافي ، ابراهيم أنيس ، صبحي الصالح ، محمد المبارك ، ابراهيم السمرائي ، محمد الأنطاكي ومحمود فهمي حجازي .

3 — تلك التي تدخل في اطار وصفي تزامني مثل كتابات محمود السعران ، ريمون طحان ، أنيس فريحة ، تمام حسان ، كذلك بعض كتابات كمال محمد بشر. هذا وسينصب اهتمامي على هذا النوع الأخير من الكتابات .

ان معظم الدارسين العرب الذين انكبوا على الأعمال اللسانية التاريخية والمقارنة ، اهتموا بالدرس اللساني الغربي على مستوَى النتائج لا على مستوَى الجهاز النظري . وهكذا عمدوا في أغلب الأحيان إلى نقل ما يتداول في الغرب بشأن اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة ، ناسين المشاكل النظرية والابستيمولوجية التي تحيط بهذا النوع من البحث . خصوصا وأن كتابات هؤلاء الدارسين العرب صدرت بعد الاربعينات ، أي في وقت كانت فيه أطروحات لسانيات القرن التاسع عشر قد راجعها وصححها الكثير من الباحثين الغربيين . وهكذا نجد هؤلاء الدارسين ، دون اتخاذ موقف واضح من موضوع دراستهم ، يتحدثون عن تطور اللغة العربية واصفين الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ساعدت على تطورها . أضف إلى ذلك ، أنه يمكن على مستوَى التطبيق ان نلاحظ تناقضا عند الكثير من هؤلاء الدارسين . فهم مثلا يؤكدون على مبدأ تطور اللغات ، ولكنهم عند دراستهم للغة العربية يولون اهتمامهم لتطور هذه اللغة ابتداء مما يعتبرونه تاريخ نشأتها حتَّى فجر الاسلام . اما ما عرفته هذه اللغة من تغير وتطور منذ ذلك العصر حتَّى يومنا هذا ، فلا يتعدَّى في أغلب الأحيان الاشارة إلى الفرق الشاسع الواقع بين اللهجات العربية الحالية واللغة العربية الفصحَى ، أو إلى تبيان ما تبقي من اللغة الفصحَى في اللهجات العامية الحالية . وخلاصة القول فان هؤلاء الباحثين ، زيادة على غياب

الجهاز النظري لديهم وعدم مواكبتهم لما يجدّ في ميدان اهتمامهم فهم على مستوَى التطبيق لم يكونوا أوفياء حتّى إلى المبدأ الذي يؤسس بحثهم ، ألا وهو مبدأ تطور اللغات .

لئن كان الحال على هذا الشكل عند اللسانيين المؤرخين العرب فما الذي يمكن قوله بشأن اعمال الواصفين في اطار تزامني ؟

ان معظم هؤلاء الباحثين يعتبرون ان اللسانيات تهدف إلى وصف اللغة وصفا علميا . اما المنهج الذي يحبذون اتباعه فهو المنهج الاستقرائي ، ذلك ان على الواصف ان يكتفي بملاحظة المعطيات اللغوية في حياد تام . اما اللسانيون الغربيون الذين يعتمدون عليهم بكثرة فهم بلومفيلد ، ادوارد سابير ، دنيال جونس وفيرث وخاصة هذا الأخير . ومن جهة أخرى ، تجدر الاشارة إلى أن معظم هذا النوع من الكتابات اهتم بالدرجة الأولى بتعميم بعض المفاهيم اللسانية المتداولة بالغرب قبل الخمسينات . بيد أننا نجد كتابات ، وهي قليلة ، تجاوزت مرحلة التعميم وهدفت إلى وصف اللغة العربية . لكن ، هل توصل الباحثون العرب إلى تحديد اللغة العربية على مستوَى الملاحظة وانتاج أجهزة واصفة ؟ هل يمكن القول بان هناك جهازا نظريا مستقيما ، متكاملا ومتماسكا ؟ هل استطاع البحث اللساني العربي اقامة نماذج وصفية ونظرية تمكنه من اغناء البحوث الأخرى بتجربته ؟

لقد رأينا ان البحث اللساني لم يتمكن من أن يتوق إلى العلمية الا بتحديد موضوعه وذلك بايضاح المنطلق والنظرية والوصف . وهكذا ، ولاسباب منهجية ، انكب معظم الباحثين على دراسة لغة واحدة مطورين نماذج وصفية ونظرية وما وراء نظرية وهذا ما اتاح لهم تدقيق معنَى اللسانيات واتجاهها كبحث علمي . اعتمادا على هذا يمكن رسم ابعاد البحث اللساني العربي المعاصر وذلك بالنظر إلى موقف الواصفين العرب المعاصرين من موضوع دراستهم ، أي اللغة العربية .

ج) استنتاجات

من الملاحظ في كتابات الواصفين العرب المعاصرين ان اشكالية البحث اللساني تكاد تكون منعدمة الوجود . فهم لا يحددون أبعاد وجهة النظر التي يؤسسون

تقصّيهم انطلاقا منها . لذا نجدهم يتبنون أطروحات بعض الباحثين الغربيين دون تعليل اختيارهم لها ، فضلا عن أن الكثير منهم يستلهم مادته في أغلب الأحيان من المدرسة الفيرثية موهما قارئه بأن أطروحات هذه المدرسة هي أطروحات البحث اللساني عموما .

ونظرا لغموض وجهة النظر فان النظرية التي قد يتبناها هذا الباحث أو ذاك يغلب عليها طابع التلفيقية وعدم الانسجام ، وهذا ما يؤدي طبعا إلى ارتكاب أخطاء عدة على مستوَى الوصف . وهكذا نجد من بين هؤلاء الدارسين من يعتبر الخفض والرفع وحدتين صوتيتين بيد أنهما علامتا اعراب . وآخر يصف الصوائت العربية تاركا القارئ في آخر المطاف في حلّ من أن يعتبر أن هناك ثلاث أو ست وحدات ، وآخر يحكم على اللغة العربية بالقصور حين لا يجد على مستوَى المعطيات مقابلا لقواعده . أما الأمثلة التي يعطيها هؤلاء الباحثون لاثبات وصفهم فهي في أغلب الأحيان مستمدة من تزامنات مختلفة ومن مستويات لغوية متنوعة ، حتّى لنتساءل أحيانا عن اللغة التي هم بصدد وصفها .

هذه الفوضَى نابعة ، في نظري ، من غياب موقف واضح مما يسمَى باللغة العربية ، وبالتالي من موضوع البحث اللساني العربي كمحاولة ذات أبعاد خاصة وعامة : فلئن كان الباحث العربي يعتبر أن موضوع دراسته هو اللغة العربية ، فانه على مستوَى الملاحظة لا ينطلق من معطيات لغوية معينة . أما على المستوَى الابستيمولوجي فانه يعتبر ان موضوعه لا يطرح أي اشكال . فاللغة العربية موجودة بوصفها وحدة محسوسة ، وليس على الباحث الا أن ينكب على وصفها معتمدا في ذلك على الملاحظة الحيادية التي تضمن علمية الوصف . وهكذا نجَد في كتابات هؤلاء الباحثين كلمات : علم ، وصف ولغة ، تستعمل وكأن ما تعنيه شيء قار لا يقبل أي جدال . حقا ، ان هؤلاء الباحثين يقومون أحيانا باعطاء تعريفات لبعض هذه المفاهيم ولكن تلك التعريفات تظل أبدا قبنظرية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعتبر تعريفات ثابتة . فعلى الباحث اذن أن يقدمها كمفاهيم تتدقق بتقدم البحث بدءا بالمرحلة القبنظرية إلى مرحلة الوصف والتمحيص . اما وان ينطلق الباحث من فرضيات لا تقدم كذلك ، ثم يعمد انطلاقا منها إلى وصف ظواهر

لغوية تُجمع مصادفة فإن موقفا اسقاطيا كهذا هو موقف ايديولوجي أكثر من أن يكون موقفا علميا . ذلك أن الموقف العلمي يستدعي الاقرار بأن الباحث ينطلق من فرضيات يختارها لأنها تمكنه من الوصول إلى انجاز نموذج وصفي يستمد صلاحيته انطلاقا من شروط تمكن من تقويم مدَى كفاية الوصف المقترح لموضوع دراسة البحث . فالبحث العلمي لا يهدف إلى الوصول إلى حقائق ثابتة بقدر ما يسعَى إلى تحديد مناهجه وتطويرها وتعليلها حتَّى يظهر موضوعه كما هو ، أي اشكاليا .

وخلاصة القول فان البحث اللساني العربي المعاصر في مجمله ، علاوة على انه لم يتمكن من تحديد المعطيات اللغوية الملاحظة ، لم يستطع تطوير أي جهاز واصف أو نظري . وهكذا ، وانطلاقا من وجهة نظر توليدية يمكنْ القول بأن هذا البحث لم يصل حتَّى إلى كفاية الملاحظة ؛ الشيء الذي يضعه في مرحلة قبنظرية . فاللغة العربية ، في اطار هذا البحث ، تظهر بوصفها مجموعة معطيات لغوية غير محددة ، وموضوعا موصوفا غير واضح ، ونموذجا نظريا ، أقل ما يمكن أن يقال في حقه أنه مبتور ومستعار . ان ما أقول بصدد هذه الممارسة ليس أحكاما بل استنتاجات توصلت إليها انطلاقا من فرضيات شرحتها وعلَّلتها . هذه الاستنتاجات تهدف أولا وقبل كل شيء إلى الاعداد لارضية المناقشة ، وتبادل الرأي لا إلى التأسيس للبحث اللساني العربي ، فحتَّى إذا قصد أحد إلى هذا فان طموحه يبقَى وليد أحلام وهذيان . ذلك ان البحث العلمي عمل جماعي وليس مغامرة فردية لذلك فهو يستلزم الاستفادة من تجارب الجميع وتضافر جهود الجميع .

مناقشة الجلسة السادسة

رئيس الجلسة : الأستاذ محمد أبو طالب (*)

الأستاذ أحمد الادريسي

بالنسبة للأستاذ الأخضر أود أن أثير في هذه الندوة المسألة التي أثارها الأستاذ علي أومليل في السنة الماضية ، وهي حماس شبابنا في اعطاء أحكام قيمة والى جعل ما تعلموه وانبهروا به عملا ناسفا لكثير من الجهود المضنية التي قام بها علماؤنا العرب المحدثون . فقد قسم الأستاذ الأخضر اللسانيين العرب المحدثين ثلاثة أقسام : قسما صنف داخله دارسي الفكر اللغوي العربي القديم ، وقسما أدرج فيه المختصين في اللسانيات المقارنة وقسما ثالثا سمي أصحابه بالوصفيين التزامنيين . وقرر تقويم التفكير اللغوي لهذا القسم الأخير وبخاصة التفكير اللغوي للدكتور تمام في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) فرأى أن هذا الباحث اللساني حاول أن يطبق المنهج الوصفي في وصف اللغة العربية ولكنه لم يستطع الالتزام بمقومات الوصف ، لأنه طبق منهجا لا يستند الى أساس نظري . وقد اتسم نقدُ الأستاذ الأخضر بحماس ملحوظ واهتداء في كل ذلك بالنقد الذي وجهه تشومسكي للوصفيين الأمريكيين والأوروبيين ، مع الاستناد إلى نفس الاحتجاجات التي قدمها تشومسكي . والأستاذ الأخضر يعرف أن تشومسكي نفسه وان أخذ على الوصفيين البنيويين ان منهجهم لا يستند الى أساس نظري ، فانه لم يقل بتحقق هذا الأساس النظري . ولكنه افترض فقط فرأى أن النظرية اللسانية لا ترقى الى مستوى الكفاية التفسيرية الا إذا كانت مصوغة بحيث تختار النحو الأكفَى وصفيا من بين الأنحاء الموضوعة لحصيلة لغوية واحدة . أي تقوى على بناء نموذج اكتساب اللغة . وقد رأى تشومسكي سنة 1965 — وهذا

(*) كلية الآداب — الرباط

معروف ومتداول ــ ان بناء نموذج اكتساب اللغة يفترض أن الطفل القادر على تعلم اللغة يجب أن يتوفر على ما يأتي :

1 ــ تقنية لتمثيل الاشارات الداخلة .

2 ــ أسلوب لوصف اعلام بنيوي لهذه الاشارات .

3 ــ تحديد أولي لصنف من الفرضيات الممكنة لبنية اللغة .

4 ــ منهج لتحديد ما تقتضيه كل فرضية من الفرضيات السابقة بالقياس الى كل جملة .

5 ــ منهج لاختيار احدى الفرضيات التي يسمح بها التحديد الأولي لفرضيات بنية اللغة.

وقد ذهب تشومسكي تأسيسا على ذلك الى أن نظرية البنية اللسانية التي تطمح الى الوصول الى مستوى الكفاية التفسيرية يجب أن تتوفر على :

1 ــ نظرية صوتية كلية لتحديد مفهوم الجملة الممكنة .

2 ــ تحديد للوصف البنيوي .

3 ــ تحديد للنحو التوليدي.

4 ــ منهج لتعيين الوصف البنيوي لجملة ما في حالة نحو معطى .

5 ــ منهج لتقويم الأنحاء المقترحة بالتناوب.

كما رأى تشومسكي أن النظرية التي تطمح الى الوصول الى الكفاية التفسيرية يجب أن تستند الى الكليات اللغوية ، وتسند للطفل معرفة مضمرة بهذه الكليات . ورأى أيضا ان البحث اللساني المعاصر لم يصل الى مستوى التفسير الا في محاولات جاكبسون صياغة القوانين الصوتية الكلية . وهذا يعني ان تشومسكي يتواضع فيعترف بعدم وصول الدرس اللغوي الى مستوى التفسير . وقد كنت نبهت الأستاذ الأخضر الى ضرورة عدم الاندفاع في نقد اللسانيين العرب المعاصرين ومحاولة التريث قبل اصدار مثل هذه الاحكام القاسية وشكرا .

جواب الأستاذ الأخضر بوجمعة

إذا كنت قد فهمت جيدا تدخل الأستاذ الادريسي فان تدخله يتمحور حول نقطتين: أولا الوصف الذي أعطاه تمام حسان للغة العربية في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» والنقطة الثانية وهي أنني قلت بأن البحث اللساني العربي لم يتوصل الى كفاية الملاحظة ولا الى كفاية الوصف ولا إلى كفاية التفسير، بيد أن النظرية التوليدية في حد ذاتها ، ان كانت قد استطاعت التوصل الى كفاية الملاحظة فان مشكل الكفاية النظرية مازال موضوع نقاش . أما كفاية التفسير فهو هدف بعيد يبتغى . فاذن أنا أسقطت وحكمت على الممارسة اللسانية العربية بيد أن هذا قد يصدق حتّى على البحث اللساني الأوربي .

سأجيب على هذه النقطة بعد أن أتعرض الى الملاحظة المتعلقة بالأستاذ تمام حسان وكتابه « اللغة العربية معناها ومبناها ». ان فيرث قد اهتم في بحوثه ودراساته بالجانب الفونولوجي والجانب الدلالي في اللغة ، وكتب عدة كتابات أقر معظم الذين وجهوا دراساتهم اليها بأنها تحتوي على أطروحات مختلطة ومختلفة وهناك من أظهر بأن النظرية الدلالية السياقية الثقافية التي حاول فيرث أن يطورها كانت كمحاولة، تريد أن تجيب على ذلك الاتجاه الصوراني Formalisme الذي كانت قد اتسمت به معظم المدارس الأوربية والأمريكية . على كل فان فيرث لم يطور نموذجا واصفا للغة ما ، وانما اهتم بمستويين في الوصف . انطلاقا من معطيات فيرث ارتأى الأستاذ تمام حسان ان يعطي وصفا شاملا ، كاملا للغة العربية وذلك بالتمييز بين أربعة مستويات : المستوى الصوتي والمستوى المورفولوجي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي المعجمي . وهو في كل هاته المستويات أراد أن يجد مقابلا لمفهومي : الشكل Forme والمعنَى Sens ، وهكذا أخذ الأستاذ تمام حسان يدرس اللغة العربية . ولكن اللغة العربية التي درسها ، أية لغة هي؟ فهو مثلا عندما يدرس الجانب الصوتي يعكف على دراسة طريقة النطق في القرآن للقراء المصريين . فاذن في المستوى الصوتي عندما يريد أن يصف أصوات اللغة العربية يعمد الى النص القرآني ، يعمد الى طريقة نطق القارئين للنص القرآني ، وهذه القراءة للنص القرآني ليست طريقة للنطق باللغة . وعندما يتحدث في المستوى الدلالي فهو يجمع أمثلة من

القرآن ، امثلة من الشعر ، أمثلة من الأمثال ، أمثلة من العامية، حتّى اننا في آخر المطاف عندما ننتهي من قراءة الكتاب لا أظن بأننا نجد صورة متكاملة وواضحة للغة العربية ، اذن يبقَى ان هذا الوصف ... (قاطعه الأستاذ الادريسي قائلا بان الانطباع الذي يمكن أن يخرج به المستمع من محاضرتك هو أن هنالك وصفين وصفا للغويين العرب ووصفا للبنيويين ، بنيويين كانوا أو وظيفيين ... فأجابه الأستاذ الأخضر بأنه سيتعرض لذلك في النقطة الثانية وانتقل توا إلى النقطة الثانية) .

أما فيما يخص النقطة الثانية فأشير الى أن هناك تحديدات يجب أن نتفق عليها . ففي اطار البنيوية هناك أربع مستويات للتقصي . مستوى المعطيات اللغوية وهو في نظر البنيويين خارج عن الدرس اللساني extra-linguistique بعد ذلك يأتي مستوى الوصف . وتقابله اللغة الواصفة Langage descriptif وفي المستوى الثاني نجد اللغة النظرية Langage théorique وفي المستوى الثالث نجد اللغة الابستيمولوجية Langage epistemologique أما فيما يخص التوليديين فإنهم حين يتكلمون عن كفاية الوصف . فانما يتحدثون عن كفاية وصف النظرية، وهكذا يفرقون بين كفاية الملاحظة والكفاية النظرية وكفاية التفسير ، فعندما كنت أتحدث عن عدم وصول البحث اللساني العربي إلى كفاية الملاحظة ، كنت أقصد بهذا ما ذكرته وشكرا .

الأستاذ الراجحي

اسمحوا لي بأن أبدي بملاحظة قد تكون خارج الموضوع ، باعتبار أن هذه أول مرة أسعد بالحضور في ندوة بهذه الجامعة العظيمة، وفي الحقيقة ان دارس اللغة في المشرق العربي يفاجأ بهذا المجتمع الممتاز الذي يحضر كلاما عن اللغة ، وفي كثير جدا من الأماكن تكون هناك صعوبة للناس لمتابعة هذه المسائل أو حتّى للاستجابة لها.

هناك سعادة كاملة ، لكني أرجو أن تتغير طبيعة النقاش الى حد ما في هذه الندوات العلمية حتّى يكون العمل علميا ، لذلك أدخل مباشرة الى عرض الأستاذ الأخضر وتعليقي هو أنني أولا . أشكر الأستاذ . لأنه استطاع أن يقدم رصدا طيبا لأعمال لغويين معاصرين . أضع بين قوسين استخدام اللسانيين طالما أنه فرق في عرضه متبعا تفريق سوسيري في الكلام واللغة واللسان .

وفي بداية الكلام قال الأستاذ بأنه سيكون قاسيا وأنا لا أجد فما قاله أي نوع من القسوة بل هي محاولة تصنيف،واستطاع أن يقدم صورة واضحة عن أعمال اللغويين المعاصرين .

أنا أحسب أن ماقاله فيه كثير جدا من الحذر ، لكن هذا الحذر في حاجة الى شيء من الاضافة لكي يكون أكثر وضوحا فأنا لا أبطل ما قاله ولكن أريد أن أضيف الى ماقاله بعض ما قد يكون تركه نظرا لطبيعة الندوة كاختصار الوقت أو ما قد لا يكون تحديده لظروف بعد المكان أو لاستحالة الوصول الى بعض التعابير. النقطة الأولَى التي أريد أن أضيفها أنه لا ينبغي أن يحكم على شيء مطلقا علميا من خارج الاطار ، هذه المسألة ماتزال مسألة منهجية ويبدو بينها شيء من الخلاف ، ولكن نحن نعتقد أن الحكم الصحيح على الشيء ينبغي أن يكون في اطاره وعلى هذا الأساس — اعتقد أن محاولة فهم أعمال اللغويين المعاصرين ينبغي أن تفهم في اطارها التاريخي الحقيقي.والنقطة التي يمكن أن تكون غائبة الى حد ما أننا نلفت النظر الى أن اللغويين المعاصرين كانت لهم ظروف تاريخية ومعرفية معينة لابد من معرفتها حتَّى يمكن أن نضع كل شيء في نصابه الصحيح ، وأبسط مثال على ذلك أن الأستاذ الأخضر قال إننا اتصلنا بعلوم اللغة عند الغربيين أو بدراسة اللغة عند الغربيين منذ مائة سنة فالكلمة الى حد ما غير مفهومة بالنسبة لي ، لكن الوضع كما هو موجود في المشرق العربي هو كالآتي ، في مصر بدأت الحركة عند افتتاح الجامعة المصرية الأهلية ، هذه الجامعة حين بدأت لم يكن هناك أساتذة الا عدد قليل من المصريين فاستجلبت عددا من الأساتذة حيث يوجد اساتذة وبالخصوص من الغرب ، ادخلوا لأول مرة طريقة الفيلولوجيين في معالجة اللغة العربية ، وانتهَى الأمر الى الاتصال في العصر الحديث في العقد الرابع من هذا القرن ، واول العقد الخامس حين ذهبت البعثات الى أوربا وخاصة المدرسة..

التصنيف الذي قدمه الأستاذ الأخضر ، أنا شخصيا أوافقه على كثير مما جاء فيه وأضيف إلى أن عمل الدكتور السعران من أفضل الأعمال التي قدمت في تقديم مفهوم علم اللغة الفرثي في كتابه «علم اللغة مقدمة إلى القارئ العربي». لكنه لم يطبق في كتابه اللغة والمجتمع بعض الأشياء لا بأس بها . فكرة التناقض التي أثارها الأستاذ الأخضر عن أن الوصفيين يعترفون بتطور اللغة ولا يفعلون ذلك ، أقول له ان معظم الذين كتبوا حتَّى الآن يحاولون ان يمهدوا الطريق وفي تمهيد الطريق محاولة

لبيان مسائل مجلوبة من الغرب ، لكن ما يحدث الآن في الجامعات المصرية على الخصوص ، هي ابحاث الماجستير والدكتوراة بالذات ، الأستاذ الأخضر لم يطلع عليها لكن كثير منها يتصل بدراسة نصوص لغوية من فترات زمنية متعاقبة وسأعطي بعض الامثلة السريعة . مثلا هناك خطة الآن لأبحاث موضوعات في جامعات القاهرة والاسكندرية على الخصوص بالتعاون بينهما وان البحث اللغوي لا يتم عن طريق فرد ولكن لابد من عمل جماعي. وإذا كانت الانتفاضة الأولَى لهذه الندوة العظيمة فلابد من العمل الجماعي ، ففي جامعات القاهرة والاسكندرية الآن تعاون في وضع خطط للأبحاث اللغوية ومن هذه الأبحاث فحص النصوص اللغوية الأدبية التي جاءت في القرون المختلفة والمستويات اللغوية المختلفة لمحاولة وصف هذه اللغة وصفا تعاقبيا بحيث يمكن أن ندرك أو نضع أيدينا على التطور الحقيقي للغة من هذه الأبحاث التي تتم وتمت بعضها محاولة لوضع المعجم التاريخي مثلا دراسة الألفاظ السياسية لكتاب القرن الخامس ، دراسة الألفاظ الاجتماعية في كتب الرحلات ، دراسة الألفاظ والتراكيب في بيئة البخلاء ، دراسة الألفاظ والتراكيب عند الحمق والاغبياء الذين وردوا في موضوع الشاهد ...وهنالك من الأبحاث التي ترتكز على نصوص لغوية محددة في فترة زمنية معينة أو في بيئة لغوية معينة يمكن أن تفيد في النهاية لنصل الى تصور حقيقي لها ، بهذا الشكل يكون نوع من الاضافة الى فترة الموضوع . وأن نصوص العرب المعاصرين لا يمكن أن نطالبهم بالكلمة التي لم يكن من الممكن قولها ولا فكرة قبل نظرية والنظرية والعصر. شكرا.

جواب الأستاذ الأخضر

فيما يخص ماقاله الأستاذ عبده الراجحي ، اني اوافقه على ان كتاب محمود السعران «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي» والذي صدر عام 1962 هو من أحسن الكتب التي كتبت لتوجيه القارئ العربي إلى علم اللسانيات، وما أظن أن هناك من استفاد من تلك المحاولة لكي يطورها ويخبر القارئ العربي بما يجد في حقل البحث اللساني الغربي .

أما فيما يخص تحديد الاطار لكل حكم ، فأنا شخصيا في أول هذا العرض قلت انني انطلق من فرضيات ، وحددت تلك الفرضيات وبعد ذلك شرحتها وفي الأخير وصلت الى نتائج ، تلك النتائج تبقَى موضوع نقاش ، كما أن الفرضيات التي

طرحتها ومشروعيتها تبقَى موضوع نقاش . أما فيما يخص تطور اللغة فانني في عملي هذا اعتمدت أولا وقبل كل شيء على الكتب المتداولة طبعا . هناك محاولات عدة فلقد قابلت منذ سنتين أو ثلاث الدكتور محمود فهمي حجازي وأخبرني بأنه يعمل مع مجموعة من الأساتذة والطلبة لرصد تاريخ تطور اللغة العربية ، وان كنت غير متفق معه على هذا المشروع.

حقا ان الباحثين العرب المعاصرين يجدون أنفسهم في كثير من الأحيان أمام مشكل عويص . وهو أن البحث اللساني الغربي يقر بأن اللغة يمكن أن تظهر في صورة ماهو مكتوب أو في صورة منطوقة . ويفضلون دراسة اللغة على المستوى المنطوق لا على مستوى المكتوب . وعندما يريد العرب المعاصرون وصف اللغة العربية فهم لا يجدون اللغة العربية كلغة مستعملة في الحياة العادية . لذلك يعمدون مثلا الى بعض النصوص كقراءة القرآن أو نطق بعض المتخصصين في اللغة لوصف مثلا الجانب الصوتي في اللغة . أظن أن الفرق بين المنطوق والمكتوب في اطار التجربة الغربية نفسها هو تفريق منهجي محض ، فاللسانيون الغربيون عندما يدرسون لغة معينة فان الأمثلة التي يعكفون على دراستها هي عادة أمثلة مكتوبة ، معنَى هذا أننا في العالم العربي يمكننا بكل سهولة أن نتخذ نصوصا مكتوبة اليوم أو كتبت من قبل وان نعتبرها مماثلة للغة العربية ونعمد الى وصفها .

الأستاذ الغازي علال

عندي تعليقان بسيطان وقصيران أولها على الأستاذ الأخضر والثاني على الأستاذ علوش أظن أن كليهما يرتبطان بأزمة المصطلح.

بالنسبة للأستاذ الأخضر ألاحظ عليه استعماله لبعض المصطلحات استعمالا غير محدد مثل المعطيات،الاشكالية النظرية ، فمثلا بالنسبة للمعطيات كما ورد في عرضه لا تعني ما نعرفه في الفلسفة من المسلمات خصوصا عندما يربطها تارة بالملاحظة مما يعطيني اشكالية ولم تقل اعطاءات وهي أوسع فالمعطيات الملاحظة والمعطيات الملاحظة بالنسبة للغويين لست أدري ما دلالتها ؟ أيضا بالنسبة للاشكالية خصوصا عندما تتبع الحاضرون . الاستعمال المتفاوت بين اشكالية اللغوي واشكالية الأديب أي اشكالية الأخضر واشكالية الأستاذ سعيد علوش . بالنسبة للنظرية يقول في نهاية الحديث الأستاذ الأخضر– بأن يتحدثوا عن نظريات بما يفهم منه حديثا عن محاولة

عن تيار أو عن رأي يؤكد هذا ما قاله هو نفسه عندما قال بأنها تمتاز بالتفكك ونوعا من اللبس إذن ليست نظرية، نحن نقول نظرية إذا كانت تستجيب للتحديد الاصطلاحي المعجمي المعروف وهناك مشكل بسيط قد أريد حديث للأستاذ الأخضر وهو انعدام وجود بحث لساني عربي لا يعني انعدام وجود باحث لساني عربي والا فسنضرب عرض الحائط بالأستاذ الأخضر والادريسي وعبده الراجحي . فأظن أن وجود الباحث اللساني العربي موجود وهذا الوجود موجود ولكن انعدام وجود بحث لساني عربي هو الذي يثير التساؤل لماذا نقر بوجود باحث ولا نقر بوجود بحث ؟ أظن أننا ندخل مستوى آخر من النقاش وهو ما ارتبط فيه مع الأستاذ علوش « أزمة التوثيق » فأزمة التوثيق تغزو من حيث معارفنا اليوم دون شك أنكم قد استمعتم سواء على مستوى الشاهد أو على مستوى بعض الآراء اللغوية انا لا نقول كلمة الا إذا اتكأنا على الغرب . على تشومسكي على ...هل يعني التوثيق واستمرار للتوثيق أم أن التوثيق مرحلي ؟ التوثيق مرحلي ومنهجيا يجب أن يوظف فالتوثيق وسيلة ومرحلة ماذا بعد الوسيلة ؟ وماذا بعد المرحلة أنا أثق في وجود باحث لساني عربي وباحثين لسانيين عرب ولكني لا أتفق مع الاستمرار في هذه السلبيات .

بالنسبة للأستاذ علوش ألاحظ عليه ببساطة بطبيعة الموضوع الواسع ، افتقار العرض الى معنَى الشاهد لأننا في العرض وجدنا أنفسنا أمام اطلاق عام للشاهد يضم القديم والحديث يضم الشاهد على كل المستويات، الشاهد على مستوى النص . المادة ، موظف الشاهد لست أدري لماذا لم يقم بهذا الأستاذ علوش . كل ما أريد أن أؤكد عليه هو أن الشاهد يمر بمرحلتين أو للشاهد هو موضعان الشاهد الأصل في مادته ، والشاهد في العملية الكيميائية التي يقوم بها الموظف لهذا الشاهد . فالأسطورة في الميتولوجية لا تعني نفس الأسطورة عندما تنطق في بنية الخطاب الشعري . ثم نتساءل ماهي قيمة الشاهد بعد توظيفه ؟ هذه العملية الثلاثية كنت أريد من الأستاذ علوش أن يقف عندها وشكرا

جواب الأستاذ علوش

أعتقد أنني لن أقيد نفسي باجابة حاسمة ، لأن الاجابة غير ممكنة حاليا في اعتقادي ولكن العمل الذي قمت به ماهو الا محاولة أولية لحصر بعض المرتكزات

الأساسية داخل اطار يمكن ان نطلق عليه مؤقتا نظرية الأدب أي ما موقع الشاهد من نظرية الأدب، هذا الموقع هو موقع هذه الثنائية في كتاباتنا وفي أحاديثنا. كيف يمكن أن نفسر المقروء والمكتوب انطلاقا من هذين المستويين؟ أعتقد أن الاحالة ضرورية إذا أمكن أن يستجيب هذا لرغبة الأستاذ الغازي. فأنا أحيله على مقال لعبد الفتاح كليطو l'auteur de paille وأحيله كذلك على كتاب La seconde main, ou le travail de la citation d'Antoin Compagnon في العملين اجابة نسبية باعتبار أن الدافع لكتابة الغربي وكتابة كليطو ترتبط بنوع من التقليد الذي لم يوجد بعد بالنسبة للنظرية أو لبحث في نظرية أدبية عربية أي أننا نتعامل مع هذه النظرية من مستويات تجزيئية أو من مستويات انطباعية دون ان نحاول تخصيص موقع الشاهد باعتباره حركية داخل كتابه وداخل كل قراءة. لأن الشاهد في نهاية الأمر يقدم نفسه كنوع من التكرار، فهذا التكرار الذي أشرت اليه أو لم أركز عليه بشكل قوي، ولكنني كما قلت أشرت بشكل أولي ثم اضافة الى أن هذا العرض ماهو الا بداية لمشروع فيما يخص دراسة الاستشهاد بالنسبة للعالم العربي.

فيما يخص قضية المصطلح، اعتقد أن المصطلح لا يرتبط ببداية الكاتب ولكنه يتكون مع ممارسات معينة، هذه المفارقة التي نفرق فيها بين ما يسمّى بنظرية الأدب وتطبيق الأدب ان مناقشة ميشيل فوكو ودلوز تجيب بشكل حاسم على هذا التوزيع أو على عادتنا في التفريق أو التمييز بين النظري والتطبيقي باعتبار أن المصطلح هو هذه الممارسات،كذلك أي ان الذين يؤلفون في مصطلح الأدب أو النقد أو أي شيء آخر يؤلفون ويكتبون انطلاقا من ممارسات ومعطيات وأظن أن حديث مائدة البارحة كان شافيا حول مصطلح واحد احتل نصيب ربما أكثر من اللازم. هل هذا يدفع الى الحديث عن أزمة المصطلح، انني ضد الأزمات لأن الحديث عن أزمة لا يزيد الا تأزما أي أنه لا يحل شيئا من هذه الأزمة.

جواب الأستاذ الأخضر

سأوجز الجواب حتّى تنتهي هذه الجلسة،ولكن أريد أن أقرأ سؤالا جاء مكتوبا يقول تمام حسان في مقدمة الكتاب «اللغة العربية» بان كتابه يعتبر محاولة لاعادة ترتيب أفكار النحويين ترتيبا يبتعد عن التناقض ومن هنا يتضح بأن عمل حسان لم

يكن وصفا للعربية بقدر ماكان وصفا للعربية كما وضعت في كتب النحاة ومن هنا فهو عندما اعتمد عصر القراءات في مجال الأصوات ، اعتمدها كنصوص متواترة بعيدة عن التأثير اللهجي ، والا فكيف سنعرف الأصوات اللغوية كما كان ينطقها العرب القدماء .؟

أريد أن أنبه الى أن الدكتور تمام حسان في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» لم يقصد ترتيب أقوال النحاة العرب وانما أراد ان يستعين بالجهاز النظري الغربي الفرثي وبعض معطيات الدرس اللساني العربي القديم لوصف اللغة العربية ، لذلك كان عليه أن يختار اللغة العربية في مرحلة ما من تطورها وأن يصفها ، فإذا كان يعتمد على اللغة التي كانت تستعمل في فجر الاسلام كان بامكانه اذن ان يعتمد على النص القرآني لوصف الأصوات العربية . ولكن كان عليه في نفس الوقت أن يعتمد على هذا النص في وصف المستويات اللغوية الأخرى .

فيما يخص ما قاله الأستاذ الغازي علال ، أظن أننا لا نتكلم نفس اللغة فلذلك أشير اولا الى أنني لم أتكلم عن المعطيات اللغوية الملاحِظة فهذا سيكون لحنا في اللغة العربية لأنه لا يمكن أن أقول بأن هناك كرسيا ملاحِظا ولا معطيات ملاحِظة أنا لم أقل هذا وان كنت قد قلته فربما كان فلتة لسان ، تكلمت عن المعطيات اللغوية الملاحظة وقد أردت بذلك ترجمة تقريبية لما يمكن أن يسمى Corpus .

أما فيما يخص كيف أنني أتكلم في نفس الوقت عن وجود باحثين لسانيين عرب وأرفض وجود بحث لساني عربي ، أشير هنا الى أن كلمة بحث بالعربية وحتَّى كلمة Recherche بالفرنسية قد تنصرف الى معنيين : البحث كجهاز متكامل منسجم والبحث كممارسة .

انطلاقا من هذا يتضح أنه بالامكان أن نتكلم عن وجود بحث لساني عربي وباحثين عرب كممارسين لهذا البحث،ويمكن أن نقول في نفس الوقت بأنه ليس هناك بحث لساني عربي متكامل نظرا لعدم وجود لا النظرية ولا الجهاز الواصف ولا تحديد المعطيات التي يجب أن يتخذها الدارس كموضوع لدراسة بحثه .

الموائد المستديرة

الموضوع : النحو العربي ومنطق أرسطو «المشتقات والمقولات»

المقرر : الأستاذ محمد عابد الجابري

نـص التقريـر

موضوع هذه المائدة هو في الحقيقة نقطة فرعية من العرض العام الذي قدمت ملخصه في الجلسة العامة من هذا الصباح والذي كان بعنوان : العلاقة بين اللغة والفكر في الثقافة العربية وأذكر السادة الحاضرين بالمسطرة التي قررت اللجنة المشرفة على الندوة اتباعها ، لقد تقدم كل مقرر بورقة عمل حول اشكالية محددة. والاشكالية التي أطرحها هنا ، ولو كفرضية للعمل ، تتعلق بالعلاقة بين النحو العربي ومنطق أرسطو كما طرحها السيرافي في مناظرته الشهيرة مع متّى. وقد اعددت تقريرا موجزا في الموضوع وزع على السادة الأساتذة قبل أيام. ولذلك سأبدأ باعطاء الكلمة للذين سبق لهم ان اطلعوا على التقرير وسجلوا اسماءهم في لائحة المتدخلين على أن أعود لاعطاء الكلمة لبقية الزملاء الراغبين في التدخل.

وقبل هذا لا بد من التذكير بالعناصر الأساسية في التقرير. (ندرج فيما يلي نص التقرير الذي قدمه الأستاذ الجابري إلى المائدة).

في المناظرة المشهورة التي جرت سنة 326 هـ بين أبي بشر متّى بن يونس المنطقي وأبي سعيد السيرافي رافع هذا الأخير ضد «كونية» المنطق الأرسطي ــ التي دافع

عنها متّى -- معتبرا منطق أرسطو مرتبطا باللغة اليونانية، ارتباط النحو العربي باللغة العربية. لقد لخص السيرافي رأيه في الجملة التالية : «النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية ، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة » (هو نحو للغة اليونانية يمكن فهمه باللغة العربية) . ومن هنا كان استعمال المنطق الأرسطي — مصطلحاته . مفاهيمه . مقتضياته — في اللغة العربية ، وبعبارة أخرى تطبيقه فيها أو عليها ، بمثابة « أحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها » حسب تعبير السيرافي . (راجع نص المناظرة في الليلة الثامنة من الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي).

ورغم أن النص الذي سجله أبو حيان التوحيدي عن المناظرة المذكورة لا يسعفنا بما يكفي من الأمثلة التي تبرز التعارض بين النحو العربي (منطق اللغة العربية) والمنطق الأرسطي (« نحو » اللغة اليونانية)، فان في مقارنة « مقولات أرسطو » بـ « الأسماء المشتقة من الأفعال » عند النحاة العرب ما يفسح المجال لابراز عدد من الملاحظات قد لا تخلو من الأهمية .

معروف أن من خصائص اللغة العربية (أو اللغات السامية عموما) ان الجملة فيها تبدأ بالفعل اولا ثم تأتي بقية عناصرها بعد ذلك ، وهذا على العكس تماما عما عليه الحال في اللغات الهندو أوروبية — ومنها اليونانية — التي تبدأ الجمل فيها بالاسم ثم تأتي المحمولات بعد ذلك. (الجملة الاسمية في اللغة العربية ليست أصلا بل هي «فرع» يمكن ارجاعه دوما إلى أصله ، أي إلى جملة فعلية) .

إذا نحن انطلقنا من هذه الملاحظة أمكن القول ، مع كثير من الباحثينَ ، ان ابتداء الجملة في اللغة اليونانية بالاسم قد وجّه الى حدّ كبير مبحث المقولات لدى أرسطو. لقد اعتبر الاسم — أو « المشار اليه » حسب تعبير الفارابي — موضوعا تحمل عليه بقية عناصر الجملة ، وسماه « جوهرا ».

وبالمثل يمكن القول ان ابتداء الجملة العربية بالفعل هو الذي وجه عمل النحاة العرب في صياغتهم للاسماء المشتقة وحصرهم لعددها (الأسماء المشتقة من الأفعال ، على اعتبار أن الفعل هو الأصل كما يقول الكوفيون لا المصدر كما يقول البصريون). والأسماء المشتقة هذه هي : المصدر ، اسم المرة ، اسم الهيأة، اسم المكان ، اسم الزمان ، اسم الآلة ، اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعل التفضيل .

أمثلة المبالغة . وإذا وضعنا هذه المشتقات في جدول للمقارنة مع مقولات أرسطو — كما هو مبين ادناه — امكن تسجيل ملاحظات قد لا تخلو من « طرافة » :

عند أرسطو	عند النحاة العرب
الجوهر	........................الفعل
الكم	........................اسم المرة أمثلة المبالغة.
الكيف	........................اسم الهيأة الصفة المشبهة أفعل التفضيل
الاضافة	....
المكان	........................اسم المكان
الزمان	........................اسم الزمان
الوضع	....
الملكية	....
الفعل	........................اسم الفاعل
الانفعال	........................اسم المفعول ....المصدر ....اسم الآلة

من تأمل هذا الجدول نسجل الملاحظات التالية :

1 — ان مشكلة الأسماء الجامدة محلولة تماما إذا أخذنا بعين الاعتبار ان معظمها مشتق من أسماء مشتقة من الأفعال. فالسماء من السمو مصدر سما . والسهل من السهولة مصدر سهل ، والقلب من التقلب مصدر تقلب والعادة من العود مصدر عاد ...وهكذا .

وإذن فالتسمية (وبالتالي الأسماء) في العربية تؤخذ من صفات الشيء أو مما يتعلق به تعلق الصفة كالوظيفة مثلا . ومن هنا كان التعريف في العربية يكون بالرسم

(بيان الصفة أو الصفات) لا بالماهية (الحد) . ومن هنا أيضا يمكن أن نلمس جانبا من اسباب المناقشات الكلامية حول العلاقة بين الذات والصفات بالنسبة لله . هل الصفات هي عين الذات أم أنها زائدة عليها ؟

2 — ان خلو لائحة المشتقات (مقولات النحاة) من مقولات الاضافة والوضع والملكية يمكن تفسيره بكونها لا تتعلق بالفعل ولا يمكن تعلقها به ، وبالتالي فهي لا معنًى لها الا إذا وضعنا الاسم (الجوهر) كمعطى أول .

3 — ان خلو مقولات أرسطو مما يقابل المصدر واسم الآلة في لائحة المشتقات مفهوم ، لأنهما مرتبطان بالفعل : فاسم الآلة يدل على آلة الفعل ، والمصدر يدل على الفعل بدون زمان ..وبالتالي فربطهما بالاسم (الجوهر) لا معنًى له .

4 — يمكن أن نذهب الى أبعد فنقول : ان هناك ارتباطا بين اسبقية **الفعل** في الجملة العربية وبين فكرة **الخلق** (من عدم) في الفكر العربي الديني ، وبالمثل هناك ارتباط بين اسبقية الاسم (الجوهر) في اللغة اليونانية وبين فكرة قدم العالم (لا شيء من لاشيء). هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يمكن أن نلاحظ ان أهم القضايا الميتافيزيقية التي كانت موضوع نزاع بين المتكلمين والفلاسفة لها علاقة بغياب مقولات الاضافة والوضع والملكية في المشتقات العربية . (تطرح هذه المقولات الثلاث عدة اشكالات عند تطبيقها على الذات الالهية).

5 — ان اشتقاق اسم الزمان واسم المكان من الفعل يشير الى ارتباطها به . فالزمان هو زمن الفعل ، والمكان هو مكان وقوع الفعل . وبالتالي فهما يقومان —كالفعل تماما — على الانفصال ، لا على الاتصال . ولذلك لا يقبل الفكر العربي الديني تصور زمان قبل الخلق ...فالزمن يبدأ مع الفعل . **وهو مدة الفعل** .

6 — ان غياب الرابطة « الوجودية » (فعل الكينونة Etre) في اللغة العربية يمكن تبريره في هذا السياق بكون هذه الرابطة « الوجودية » لا تكون ضرورية الا حيث تكون الجملة اسمية ، أي مكونة من موضوع ومحمول ، إذ يجب في هذه الحالة اثبات الوجود للموضوع قبل الحمل عليه . اما في العربية ، حيث الجملة في الأصل فعلية فلا معنًى لمثل هذه الرابطة ، فالفعل هو نفسه شاهد على وجوده .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ان تسمية النحاة العرب لجزئي الجملة الاسمية مبتدأ وخبرا له دلالته . فالأمر لا يتعلق بحمل معنًى على موضوع أي باصدار حكم ، بل يتعلق فقط بالاخبار عن اسم هو في الأصل فاعل : صدر منه الفعل أو قام به . وبعبارة أخرى أن الأمر يتعلق **باصدار بيان لا باصدار حكم** . ومن هنا كان المنطق العربي منطق بيان (بلاغة) لا منطق برهان . وهذه دعوى يمكن تأييدها من مجال آخر (مجال الدرس البلاغي العربي).

المناقشة

الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري

التقرير يطرح عدة اشكالات منها ماهو حاضر ومنها ماهو غائب لان الإشكال الغائب له دلالة كذلك بغيابه . لفتح باب المناقشة ولإتاحة فرصة لنقاش جاد ، سأجد نفسي بجانب أبي سعيد في هذا النقاش ولذلك سأبدي بعض الملاحظات من وجهة نظرِ اللغوي وليس من وجهة نظرِ المنطقي بطبيعة الحال .

أريد أن ألاحظ أن مشكل البنية التركيبية للغات سواء اللغات التي ترتب بشكل فاعل فعل مفعول كالانجليزية وعدد من اللغات اللاتينية كالفرنسية أو اللغات التي ترتب فعل فاعل مفعول كاللغة العربية القديمة والحالية ، على أن مشكل الرتبة في اللغات السامية مطروح أصل الرتبة في اللغات السامية ويمكن أن نقول بأن الرتبة في اللغات السامية كانت منذ البداية هي فعل فاعل مفعول . هذا المشكل لا يرتبط بالمشكل الذي طرحه الأخ الجابري في البداية وهو مشكل صرفي ، مشكل أولية المصدر أو اولية الفعل ، النقاش الدائر بين البصرة والكوفة لم يكن في الاطار الذي طرحه الأخ الجابري ، ولكن أعتقد أنه كان مشكلا يتعلق بالمادة الصرفية ، ما هو الأول ؟

الجانب الآخر وهو الموجود في بداية التقرير والذي أريد كذلك أن أثير إليه الانتباه،هو ما يسمَّى بالمقولات النحوية أو ما كان يسمَّى بآجزاء الكلام واتصال هذا المشكل بمشكل المنطقية.كذلك يطرح إشكالا متميزا عن هذه الاشكالات التي

طرحناها، مشكل الرتبة أو مشكل الاشتقاق الصرفي ، ان صح التعبير هو مشكل علاقة المقولات المنطقية بأجزاء الكلام أعتقد أنها يجب أن تتناول في استقلال نسبي عن بعضها البعض . كذلك أريد أن أشير الى تطور النقاش في الدرس اللغوي الحديث حول المقولات التركيبية وحول هاته الأشياء المذكورة هنا والتي سأسميها بالمقولات المعجمية مؤقتا اسم المرة ... إلى غير ذلك .

إذن هذا يطرح نقاش ما يمكن أن يسمَّى بالصفات المقولية الأولى ، تطور هذا النقاش فيما يخص أجزاء الكلام من وحدات لا يمكن تحديدها : الاسم ، الفعل ، الحرف ووحدات أخرى ، الى نقاش حول وحدات أصغر من هاته الأجزاء والتي يمكن اشتقاق هاته المقولات منها، يعني أن هاته المقولات ليست أولى وانما هي متفرعة عن الصفات المقولية من ضمنها صفة الاسمية وصفة الفعلية ، الا أن المشكل بالنسبة الي كلغوي مطروح على مستوى مخالف للمشكل كما يطرحه الفلاسفة . اللغوي يمكن أن يقف عند حد معين ويقول هاته الصفات أولى وانتهَى النقاش ومن حسن الحظ أنه يمكن أن يقف عند مستوى معين ويقول هذه أولى أفترض أنها أولى وسأشتق منها غيرها .

أما الفيلسوف فيذهب إلى أبعد من هذا وهذا هو السر في وجود على ما أعتقد هذه المائدة .

أعتقد أنني سأقف عند هذا الحد لاتاحة الفرصة للاخوان ، وربما سأعود لاعطاء بعض التوضيحات فيما بعد .

الأستاذ أحمد الادريسي

قبل أن أبدأ النقاش أريد أن أطرح نقطة نظام تتعلق بأدوات النقاش أي المصطلحات .

الملاحظة أن هنالك كثيرا من المصطلحات المستعملة في الاشكال من شأنها أن تثير خلافا في النقاش وسوء فهم أيضا .

من ذلك مصطلح (الكونية) وهناك مصطلح (المنطق الأرسطي و اللغة

العربية) و (النحو العربي و اللغة العربية) هناك أيضا مصطلح (الرتبة) هناك أيضا مصطلح (المقولات)، ماذا نقصد بالمقولات ؟ هناك أيضا مصطلحا (الحد والرسم) ، هناك أيضا بعض المصطلحات الفلسفية خاصة (فكرة الخلق من عدم في الفكر العربي الديني)، (مصطلح الرابطة) وفي النهاية (المنطق البرهاني والمنطق البياني).

فيما يتعلق (بالكونية) أظن أن الأستاذ الجابري قصد بها (الكلية) فان كان الأمر كذلك فيمكن ان نبدأ النقاش فيها. بماذا قصدت (بالكلية) ؟

انطلاقا من هذا نلاحظ ان النقاش الذي دار بين السيرافي وبين متّى بن يونس كان نقاشا في مستويات النظرية بمعنَى أن التنظير النحوي لابد أن يلتقي في مستويات متعددة يبدأ من المستوى الذي يصف المعطيات اللغوية فتكون النظرية في مستوى الملاحظة ، ثم ينتقل من هذا المستوى الى مستوى ثان تكون فيه النظرية قد تجاوزت هذا المستوى، مستوى المعطيات المشخصة الى مستوى أكثر تجريدا وهو الحدس اللغوي للمتكلم ، فتكون النظرية في مستوى الوصف ثم تحاول النظرية أن تطرح إشكال اكتساب اللغة وإشكال التفسير فتكون النظرية في مستوى التفسير وتسمَّى بذلك « نظرية » ثم نرتقي الى مستوى آخر وما يسمَّى « ما وراء النظرية » أو مستوى قبل النظرية . فالمنطلق الخاطىء يؤدي دائما الى نتائج خاطئة ، فالنقاش بين السيرافي ومتى بن يونس كان نقاشا في مستويين مختلفين ، ان السيرافي يقول ان نحونا « نحو اللغة العربية » هو نحو واصف لهذه اللغة أي نحو خاص بها بينما المنطق اليوناني هو نحو عام يستطيع أن يصف هذه اللغات كلها ولاشك أن هنالك فروقا بين المستوى الذي تكون فيه النظرية في مستوَى الكليات لتصف اللغات كلها. لماذا ؟ لأن هنالك مستويات تتفق فيها اللغات ، والمعروف عند اللسانيين أنها المستويات العميقة ، بينما تختلف البنيات السطحية بين لغة وأخرى . فاذن إذا كان النحو العربي نحوا صادقا على اللغة العربية عاكسا لها فذلك لأنه جاء مطابقا في المستويين لهذه اللغة المشخصة وهي اللغة العربية ، المستوى الأول وهو مستوى الملاحظة أي اتصال الباحثين اللغويين بالعرب المتكلمين الفرطيين ومحاولة استخلاص قواعد ثم الاتجاه رأسا الى الحدث اللغوي للمتكلمين لتبيان أهذه الجمل صحيحة أم مخطئة وهو المستوى الوصفي ولا علاقة له أيضا بهذه النظرية، ومعنَى هذا حين كان يقول ابن جني

فصل في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما أردناه لها كان يريد بذلك أن يقول اننا نحاول بنحونا هذا أن نصل الى هذا المستوى، يعني المستوى الوصفي فكان يسأل الاعرابي فيقول له ماذا تقول في : (ضربني أخوك) فيقول له . (هل أقول أخاك) فيقول له الاعرابي لا أقول أخاك بل أقول أخوك . لا أقول أخاك أبدا وانما أقول أخوك . فيقول له الآخر وان قلت ضربت أخاك فلماذا أقول أخاك بدل أخوك فيقول له : (ايش هذا اختلفت جهتا الكلام .)

ويعلق ابن جني على هذا بقوله : ان قول الأعرابي اختلفت جهتا الكلام كقولنا نحن النحاة ان اخوك فاعل . وأخاك مفعول به وهو المستوى الحدسي للمتكلم .

يبقَى المستوى النظري . أرسطو في نحوه لم يكن يصوغ نحوا للغة اليونانية . نعم قد تكون اللغة اليونانية هي اللغة التي كانت في مستوى المعطيات أي اللغة موضوع الدرس، ولكنه انتقل منها ليصوغ نحوا عاما وان اختلاف هذا النحو بعدم مطابقته المطابقة التامة لهذا النحو الخاص الذي هو نحو اللغة العربية لا يقدح في شيء في هذا المنطق الأرسطي، وانما يضعه موضع النقاش أي موضع ما يسمَّى الآن في اللسانيات الحديثة . أو في ميدان المعرفة بصفة عامة بمبدأ الدحض ؛ بمعنَى أنه يمكن أن تدحض التنظير الأرسطي من خلال المعطيات اللغوية النحوية وهذا موضوع النقاش أيضا .

ما يتعلق بالرتبة : الأستاذ الجابري كنا نتمنَّى أن يكون العمل جماعيا ومادام هذا العمل فرديا فكان لابد من أن نناقش خصائص اللغات . نفهم أن هناك سمات سطحية تجعل اللغات تختلف فيما بينها في مستوى التعبير المشخص الملموس ، فيلاحظ أن بعض اللغات تكون فيها بعض البنيات مسيطرة ولا نقول ان البنية اللغوية العربية هي بنية فعل + فاعل + مفعول بقدر ما نقول ان البنية الغالبة على اللغة العربية هي : V.S.O. أي فعل . فاعل ، مفعول ، نقول : ان البنية المسيطرة أو المهيمنة في اللغة الانجليزية مثلا أو غيرها في اللغة اليونانية هي : S.V.O. أي فاعل فعل مفعول، ولكن لا يعني هذا أن هذه البنيات السطحية المهيمنة هي التي تقول لنا ان الرتبة الأساسية في اللغة الفلانية هي رتبة كذا، وقد أشار الأستاذ باخ في كتابه النظرية التركيبية الى ان فكرة أو مبدأ البنيات المهيمنة مبدأ مدحوض ، ذلك

أن الذين درسوا اللغات المختلفة كالفرنسية والانجليزية والألمانية واليابانية تبين لهم أنه كثيرا ما تكون البنية مهيمنة . فتكون بنية الانطلاق مختلفة . وقد اكتشف مجموعة من اللغويين الأمريكان على أنه إذا كانت البنية المهيمنة للغة الانجليزية هي : .S.V.O أي فاعل . فعل . مفعول فبنية الانطلاق أو بنية القاعدة هي : .V.S.O أي فعل . فاعل . مفعول إذن هذا يؤكد أن النظر الى سطح اللغة يؤدي الى كثير من الاشكالات .

فيما يتعلق بالمصدر والفعل الأصل ، حقيقة وقع نقاش بين البصرة والكوفة في موضوع الأصل المشتق منه . فذهب البصريون الى أن المصدر هو الأصل وذهب الكوفيون الى أن الفعل هو الأصل ، ولكن هنالك اتجاها كان سائدا أيضا لم يعتبر لا المصدر ولا الفعل أصلين أولين وانما اعتبر المادة الأصلية الثلاثة التي تتألف منها الكلمة،ففي مثل كتب وكتابة لا الفعل كتب هو الأصل ولا الكتابة هي الأصل،وانما المادة الثلاثية التي تتكون من الكاف والتاء والباء ، معنَى هذا ان الانطلاق من هذا الافتراض : أن الفعل هو الأصل يؤدي الى نتائج ربما قد لا نتفق حولها .

المقولات : فيما يتعلق بالمقولات وما دام الانطلاق كان بهذا الشكل فكان لابد للأستاذ الجابري أن يؤدي الينا المقولات بهذا الشكل فيجعل الفعل مقابلا للجوهر . والأصل أن هذه المقولات استغلت أيضا في الفكر العربي اللغوي،ولكنها لم تستغل في اطار المقولات،وانما استغلت في اطار أهم وهو اطار التنظير النحوي ، ففي اطار مقولة الجوهر كان يستغل ماسماه القدماء بالأصل،بمعنَى أننا حين نقول في فعل قال وسار، فاننا نقول ان قال أصلها قول ونقول : ان سار أصلها سير فالجوهر هو الأصل .

كذلك أدى الانطلاق من مقولات الجوهر إلى أصلية الجمل ، أهي فعلية أم اسمية ؟ وإذا كان هذا الأصل فما هي النتائج ؟ مقولة الكم استغلت في اللغويات فعلا ولكنها استغلت فيما يسمَّى عند أصحاب الدراسات الصوتية بالمدة والكم. كما استغلت في الدراسات الصرفية في موضوع ما يسمَّى بزيادة المبنَى الذي يدل على زيادة المعنَى وكان هذا استغلالا واعيا من لدن النحاة العرب. وكان يؤدي بهم إلى كثير من النتائج .

وكذا الشأن في كلّ المقولات. ولا أريد أن أطيل، لأنني أريد أن أترك الكلام للاخوان، وبالنسبة للمقابلات، نلاحظ أن الأستاذ الجابري يجعل أمثلة المبالغة في مقابل الكم أي في اسم المرة، نعم، ان اسم الفاعل إذا دل على الكثرة كان اسم مرة مبالغة، ولكنها كثرة في الصفة فتلحق بالصفة التي هي اسم الفاعل، وذلك بالنسبة للكيف، هذا مقبول ولكن الصفة المشبهة واسم التفضيل يجب أن يلحقا انطلاقا من اطروحتكم باسم الفاعل، ويكفي أن يكون النحاة قد كانوا واعين حين قالوا الصفة المشبهة باسم الفاعل، فالصفة ليست كيفا، فحين تقول: « رجل كاذب » وتقول « رجل حسن » فهذه صفة وهذه صفة والفرق هو أن تلك صفة لازمة والأخرى صفة منتقلة، هذا باختصار. ويمكن مناقشة هذه النقطة إذا أتيح مجال المناقشة فيما بعد.

ثم تأتي النتائج المترتبة: وأولى هذه النتائج قضية الأسماء الجامدة المشتقة، يقول الأستاذ الجابري ان مشكلة الأسماء الجامدة محلولة تماما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن معظمها مشتق من الأسماء المشتقة من الأفعال. الحقيقة أن الأسماء الجامدة نوعان: هناك أسماء جامدة، ويمكن أن يقال أسماء منقولة وأسماء مرتجلة قد يصدق طرحكم على الأسماء المنقولة، وهي التي أتيتم بها مثل السهل، فكلمة « السهل » صفة مشبهة كانت سهل الشيء فهو سهل ثم سمي بها المكان فهو انتقال، فهو نوع من استعارة معنَى الكلمة الأول الى معنًى ثانٍ في اطار تطور لغوي.

والقلب من التقلب أيضا، وإذا أخذنا المثل سنصل الى نتائج خارقة للعادة وسيصبح كل شيء مشتقا. فما سنشتق كلمة (أسد) هل سنشتقها من استأسد والعكس هو الصحيح. فأنت تشتق من المصدر على لغة البصريين أو من الفعل على لغة الكوفيين ولكنك أيضا تشتق من الجامد، فالجامد مشتق منه.

الأستاذ محمد عزيز الحبابي

حديثي ليس تعليقا وإنما يرتكز على تأملات عنوان هذا الملتقَى، وهو الفكر واللغة، فلأن يحصل الزواج الشرعي بين الفكر واللغة شيء طبيعي، ولكن الذي اعتدى على انتباهي هو ذاك الواو، الواو جاء في نظري لقيطا داخل هذا الزواج.

لأنه لا أعرف لماذا يعطف فكر على لغة سواء كان هناك ترتيب أو لم يكن، ولكن العطف في حد ذاته غير طبيعي ، لأنني لا أعرف كيف يمكن أن تكون لغة منعزلة عن تفكير أو أن يكون تفكير بدون لغة فالعطف في نظري غير وارد . اللغوي هو قبل كل شيء من يقدم نموذجا عاما عن اللسان الذي يستخرج منه قواعد وأسس للوصف ، لكنه لا يدرس اللغة كلغة ، فاللغة لا تتجاوز درجة اللغو الا إذا توفر مستوى ما من الثقافة. فعندها يحصل خلل بين اللغة والثقافة ، ماذا يحصل؟ يبدأ الاجترار ، وبالاجترار تنعدم القدرة على التكيف الثقافي ، إذاك تظهر امارات وأعراض الخلل ويقف الفكر عن حركاته المبدعة ، معنَى هذا أنه بقدر ما يتمركز واو العطف بين فكر وبين لغة بقدر ما ينحط المستوى الثقافي، انه تواز ملحوظ في تاريخ الفكر الاسلامي منذ ان أغلق باب الاجتهاد في البحوث الدينية بالفقه بافريقيا على العموم . بقدر ما انحطَّ اللسان العربي وجند الابداع بكل أنواع المعرفية والأدبية والتنظيمية عند التنظير وعند التطبيق وأصبح المعلم عند الحرفيين هو من يتقن النقل هو من يقلد ويلقن التقليد ثم مختلف النقش على الخشب أو على أي نوع آخر .

إذن أصبحنا جامدين لغويا وبالتالي غير قادرين على الخلق حتَّى في الأشياء اليومية ، حتَّى في هذه الفنون اليدوية ، لأن التفكير توقف بتوقف اللغة لأنه حرم الاجتهاد في اللغة والعكس هو أيضا صحيح . إذا جاز للصناعة التقليدية رغم ذلك أن تحافظ على أشكالها وفي نفس الوقت على جمالها ، رغم الزمان فاللغة لا تعيش بالنقل وحده لأن امتزاجها بالفكر يحطها لحركية مسترسلة، فجمود اللغة جمود للفكر والعكس هو أيضا صحيح . لذلك لابد من أن ننطلق دائما من مسلمات ، فعندما يتكلم أي متحدث لابد انه يفكر في تطبيق القواعد في احترام الشفرة المتفق عليها والّا نزل بالكلام الى مستوى اللغو. اذن الفكر حاضر لتنظيم الكلام وحينما يبدأ التنظيم يبدأ التفكير أيضا ، فأنا لا أرى فراغا بينهما أو افتراقا . اذن عندما يتكلم متحدث يكون لكل جملة منطوقة معنَى مقام ومعنَى مستلزم حاصل عند المتكلم، وقد يحصل هو نفسه عند السامع أو القارئ أو قد لا يحصل، فهناك اذن دائما فرق بين مايتم في ذهن وتفكير الناطق بالكلام وعند السامع، والفكر دائما يتحرك في المسافات ، هذه المسافات الزمانية لها عامل قوي هو الذي يفصل بين بعث الرسالة ، النطق بالكلام

وكتابته وبين وصوله لسامع او قارئ،فالكلام يتأقلم ويتزمن عند كل قراءة،فالفكر يلعب اذن في تلك المسافات وفي ما يعتري الكلام من تغيير في كثافته،حيث ان المقصود ليس هو دائما بالضبط ما يستقر بذهن السامع القارئ.

كذلك تولد اللغة،ما يصدر عن الفكر من منطوق أو مكتوب واذاك تنمي أو تحرك الفكر عند الآخرين عند السامعين أو القارئين. وعملية التوليد تلك لا تحصل على نمط واحد،فسوء الفهم وسوء التفاهم هما كذلك يؤثران في الفكر ويبعثان على تفكير غالط أو صائب، ولكن كما يقول باشلار الفكر القوي يتقدم دائما بتهميشات هم يشطبون،لأن هناك دائما شيء يحصل أو لا يحصل بين ما يقال وبين ما يفهم فاذن الفكر ملازم دائما بتكييف السمع ما يسمع أو ما يقرأ مع أوضاع السامع. أردنا أو لم نرد شيئا من ذات السامع القارئ تدخل في الجملة. اذن هناك لابد للفكر أن يلعب دوره في التنظيم.

قلت ليس دائما المقصود هو أن يحصل التفاهم الكامل ولكن المهم هو أن يحصل تواصل حركي ، وهذا التواصل الحركي هو فعال وخلاق.فاذن سوء الفهم هو أيضا مخصب ، فقلما يجد مؤلف أن ما يقوله النقاد والقراء عن كتابه مطابق كما اراده.المهم هو ما يحصل من احتكاك بين عقول،فالتناقض هو أيضا مخصب وان رفضه المنطق وهذه مفارقة.

إن كل ما سمعناه صباحا من اللغويين المتوكل والفاسي ومن الفيلسوف الجابري كان تفكيرا في اللغة باللغة بل يمكننا أن نقول انه كان لغة تفكر وكان تفكيرا يلغو يتحدث لأنه لا نستطيع أن نفرق بينهما فالأعمَى يمكن أن يصل والتاريخ يحدثنا أنه وصل الى أعلى درجة في التفكير وفي اللغة مثل أبي العلاء المعري أو في الأدب كطه حسين لكن لم يثبت التاريخ أن هناك أديبا ما ولد أو نشأ أبكم.

لذلك فاللغة ملازمة للتفكير فالذي لا يمكن أن يتحدث لا يستطيع أن يفكر وبالتالي لا يترك أثرا ، بخلاف الاعمَى والمشلول وغير ذلك من العاهات كلها لا تعود عن التفكير.

أردت أن أقول من كل هذا أن اللغة والتفكير شيء واحد.

الأستاذ أحمد المتوكل

بالنسبة لتدخلي في هذه المائدة لن أطيل كي أدع فرصة الحديث للاخوان الآخرين

ــ الانطباع الذي خرجت به بعد قراءتي للاشكالية كما طرحها الأستاذ الجابري هو أن ما طرحه الأستاذ الجابري في الحقيقة مجموعة من الإشكالات يبدو لي شخصيا أنها لا تنتظم تحت اشكالية واحدة.

عندي ملاحظات كثيرة ولكنني سأركز على بعضها أو على بعض ما يبدو لي منها واردا.

الملاحظة الأولى تتعلق بارتباط النحو العربي بالمنطق الأرسطي أو ما يسميه الأستاذ الجابري بنحو اللغة اليونانية، هذا الاشكال معروف وطرح في مجالات مختلفة. يعني المفارقة الأرسطية التي تكمن في أن أرسطو ذهب إلى أن نحو اللغة اليونانية هو في الحقيقة منطق. كنت أود لو قام الأستاذ الجابري بعد طرح هذا المشكل بتأويل له. التأويل الممكن لهذا المشكل هو وضعه في اطار اشكال الفرق أو العلاقة بين المنطق الصوري أي منطق اللغات الصورية وبين المنطق الطبيعي أي منطق اللغات الطبيعية، ما هي العلاقة بينها؟ وهناك تساؤلات كثيرة تطرح في هذا الصدد منها مثلا: هل الأدوات التي يتوفر عليها المنطق الصوري يمكن أن تسعف في وصف التفكير التآوي خلف كل لغة من اللغات الطبيعية، يعني هل يمكن أن نتوسل بالمنطق الصوري وأدواته لوصف اللغات الطبيعية؟.

مشكل ثان: هذه الاشكالية المتعلقة بالفرق بين المنطق الصوري ومنطق اللغات الطبيعية هو أنني شخصيا لا أرى تعارضا كبيرا وقطعيا بين المنطق الذي وضعه أرسطو للغة اليونانية وبين النحو العربي. لماذا؟ لأن اللغات على اختلافها تتآسَرُ على مستوى كليات أو خصائص مشتركة بينها، فالتعارض غير تام وانما يكون هذا التعارض على مستوى معين وهو مستوى الخصائص الايديو سنكريزية بالنسبة لكل لغة.

الاشكال الثاني متعلق بالرتبة في العربية وبالرتبة في اللغات الطبيعية بصفة

عامة ، يندهش القارئ عندما يرى مثلا بالنسبة لهذه النقطة أن الأستاذ الجابري يشرع فيقول ان من خصائص اللغة العربية او اللغات السامية عموما أن الجملة فيها تبدأ بالفعل أولا ثم تأتي بقية عناصرها بعد ذلك ، الاشكال لا يمكن أن يطرح بهذه البساطة لان مشكلة الرتبة يمكن أن نميز داخله بين مستويين :

بين مستوى امبريقي وتجريبي وبين مستوى نظري ، فإذا طرحنا مشكل الرتبة على مستوى امبريقي صرف فما هي المعايير التي يجب اعتمادها في الجزم بأن الرتبة في لغة طبيعية . ما هي الرتبة س أو رتبة ص إلى غير ذلك ؟ .

إذا انتقلنا الى المستوى التالي وهو المستوى النظري ليس هناك مانع من أن توضع مسلمة كلية بمقتضاها تكون جميع اللغات على اختلاف بنياتها آوية الى بنية أصل واحدة . وتختار لا لصفاتها الأمبريقية بل لاجرائيتها ، مثلا قيم بافتراضات مختلفة في اطار النظرية التوليدية التحويلية كما ذكر الأستاذ الادريسي ، من بينها افتراض أن اللغات الطبيعية كلها آوية أو راجعة الى بنية واحدة وهي بنية VSO

فإذن مشكلة الرتبة لا يمكن أن يبث فيه بهذه السرعة وبهذه البساطة. ملاحظة ثالثة ــ وأترك الكلمة للآخرين متعلقة دائما باشكال الرتبة . يبرز الأستاذ الجابري بأن الرتبة في الجملة العربية الأصل ، وهنا تساؤل آخر ما هو الأصل ؟ متَى نقول بأن هذه البنية أصل، ومتَى نقول أنها مشتقة ؟ فهذا اشكال «أنبه إليه» وكذلك ، يبرر الأستاذ الجابري الرتبة في اللغة العربية (فعل فاعل مفعول) يبرر هذه الرتبة أو هذا الافتراض اشتقاقيا . فياترَى ما هي العلاقة بين أن يكون الفعل أصل الاشتقاق أو أصلا للأسماء المشتقة وبين أن يكون مقدَّماً في الجملة ؟ أظن أن القضيتين مختلفتين ولا يمكن أن تبرر أولاهما بالثانية .

وملاحظة أخيرة كذلك تتعلق ببعض الاستنتاجات التي خرج بها الأستاذ الجابري ومن بين هذه الاستنتاجات يقول ، إنه يمكن أن نذهب إلى أبعد فنقول : ان هناك ارتباطا بين أسبقية الفعل في الجملة العربية وبين فكرة الخلق من عدم في الفكر العربي الديني ، فالسؤال هنا الذي يتبادر إلى الدهن أوتوماتيكيا : هل كانت اللغة العربية واللغات السامية في نشأتها تخضع كذلك لهذا الفكر العربي الديني ؟ فالرتبة مستقلة عن الفكر الديني .

الأستاذ الفاسي

أريد أن أنبه في البداية الى أنني أعتقد أن النقاش سار في مستوى وفي مسار كنت أتمنّى ألا يسير فيه ، لأننا لسنا في هذه المائدة بصدد فحص كل الأخطاء سواء منها الاملائية أو غير الاملائية التي وردت في تقرير الأستاذ الجابري بقدر ما نحن هنا في مناظرة بين لغويين ومناطقة أو فلاسفة . وكنت أتمنّى أن يسير النقاش في اتجاه طرح عناصر موجبة تغني النقاش وتقدمه،وكان أساس تدخلي في البداية هو التقريب بين اللغويين وبين الفلاسفة من جهة ، حتّى نفرق بين ما يمكن أن يقوله اللغوي وبين ما يمكن أن يقوله الفيلسوف .

أعتقد أن مشكل اللغوي بالنسبة الي واضح ، وما أريد أن أعرف في هاته المائدة هو مشكل الفيلسوف ، لهذا أريد فقط أن أنبه الى بعض الأشياء التي وردت في النقاش والتي طرحها بعض الاخوان،وهي أن مشكل الكليات اللغوية لا ترتبط ، إذا استثنينا الدلالة وعلى الأخص الصورة المنطقية للجمل ، كل ما يتصل بالكليات اللغوية لا علاقة له اطلاقا بالمنطق . هذا يجب أن يكون واضحا في مناقشتنا ومعنَى هذا أن منطق أرسطو لا يمكن بتاتا ان يتّصل بالمقولات التركيبية،ولا أعرف أي لغوي ، إذا استثنينا الدلالة التوليدية التي ذهب بها الدهر ، يقول بهذا . ومن هنا أتت أطروحة تشومسكي التي يسميها بـ autonomie de syntaxe أي استقلال التركيب عن الدلالة من جهة ، وعن المنطق من جهة أخرى .

النقطة الثانية التي أريد أن أثيرها وأترك الكلمة هي قضية الرتبة . قضية الرتبة كذلك لم يكن في فكر تشومسكي ولا فكرة غيره من اللغويين في وقت ما أن هناك رتبة تنتظم فيها جميع اللغات ، رتبة عميقة تصلح لجميع اللغات ، هذا لم يقل به أحد . فاذن لا يمكن بالنسبة للغوي أن يفرق بين رتبة منطقية ورتبة غير منطقية بالنسبة للغوي ماهو وارد هو ما نسميه بالرتبة العميقة والرتبة السطحية ، والرتبة العميقة لا علاقة لها بما يمكن أن نسميه بالرتبة الكلية ، لأنني لا أعرف أحدا ادعى أن الرتبة يمكن ان تكون كلية بالمعنَى الذي وردت به في المناقشة.

ولهذا قلت في البداية أنا في موقف السيرافي ومكان السيرافي . لماذا ؟ لأن

السيرافي لم يكن يرى ماهو الدور الذي يمكن أن يرجع للمنطق عند اللغويين . وهذا ما أريد أن أقوله اليوم . هل تقدمنا في هذه النقطة إذا استثنينا ما يسمَّى بالصورة المنطقية عند اللغويين ؟ بالنسبة للغوي حتَّى الوحدات الدلالية الأولى ، على الرغم من أنه يتبادر الى الذهن أنها منطقية ، الا أنه لا يعتبرها منطقية.

الأستاذ أحمد الادريسي

فيما يتعلق بقضية طبيعة النقاش :

حقيقة كان من الممكن أن نثير نقاشا حول اشكالية ثم تعميقها أولا، ولكن الامر تعلق بطرح مجموعة من القضايا وجدنا أنفسنا مضطرين أمامها الى مناقشة كل جزء على حدة . هذا هو الذي جرنا الى هذا النوع من النقاش .

أما فيما يتعلق بقول الأستاذ الفاسي انه ليست هناك كليات ، فلقد تأكد عند النحاة وأعني النحاة المحدثين بدءا من التوليديين أن هنالك ما يسمَّى بالمظهر الكلي للقاعدة ، أعني كلية القاعدة ، ويكفي أن تكون الدلالة التوليدية قد جعلت النحو عبارة عن جهاز يولد بنيتين بنية منطقية وبنية لغوية .

البنية المنطقية في العمق تعطينا : (محمولا + موضوعات). وبنية سطحية وهنا تدخل مشكلة الرتبة ، ولا أريد التفصيل ويمكن أن نعمق هذا في ندوة الغد .

الأستاذ محمد الحبابي

تناسينا في كل ما قيل دور التصور في الادراك عندما نتكلم عن الفكر وعن اللغة ، فهل يمكن أن نفكر أو أن نتكلم دون أن نأخذ بعين الاعتبار تدخل التخيل ؟ فإذن لا ادراك الا بعد أن يقع التصور .

الأستاذ الأخضر بوجمعة

انني شخصيا أشارك الاخوان الذين قالوا بأنه علينا أن نوجه الحديث لا إلى انتقاد الجزئيات التي جاءت في ورقة العمل وانما إلى الحوار الذي يمكن أن يكون بين اللِّساني والفيلسوف ، لذلك شخصيا ، لا أتعرض لمحتوَى الورقة بالتدقيق ، وانما أهتم فقط بالأطروحة ، كما فهمتها ، الأساسية من هاته الورقة وهي أن هناك علاقة

ضيقة بين بنية اللغة والمنطق الذي تطور عند الاغريق أو عند العرب، فإذا كانت اللغة الاغريقية تبتدئ بالاسم واللغة العربية تبتدىء بالفعل ، فهاته النظرة الى بنية الجملة وجهت البحث اللساني الاغريقي الى جهة والبحث اللساني العربي الى جهة أخرى . المشكل يستحق كثيرا من النقاش، ولكن كما قلت الذي يهمنا هو الاستفادة من موقف المنطقي من اللغة انطلاقا من أن اللساني يهتم باللغة — فأرى شخصيا أن المنطقي واللساني ، أراهما مختلفين في موضوع دراستهما ؛ لذلك على مستوى الما قبل نظري ، التقاء المنظورين لا يهمنا بالدرجة الأولى بل الذي يهمنا هو التقاء معطيات اللغوي ومعطيات اللساني على المستوى النظري؛أي أنه إذا أردنا أن نصف بنية لغة ما ، هل يمكن للساني أن يستفيد من معطيات المنطقي ؟ وهل يمكن للمنطقي أن يستفيد من ابحاث اللساني ؟ وهنا ذكر الأستاذ الفاسي الفهري بأن هناك قطيعة بين المنطقي واللساني، وهنا كان يشير طبعا الى النموذج التوليدي التشومسكياني

ولكنني أضيف ، ان المشكل الذي يجب أن يطرح هو. هل يمكن أن نستفيد من الأطروحات الفلسفية ؟ هل يمكن أن يستفيد اللساني من المقولات المنطقية وذلك حتّى يتأتى له تحديد وصفه للغات الطبيعية ؟ وشكرا

الأستاذ كمال أبو ديب

سأبدأ بملاحظة أساسية في تصوري هي ان معظم مادار في هذه المائدة ذو قيمة فعلية، لكننا مانزال بحاجة الى العودة الى القضية المحورية في هذا النقاش وهي ما يفترض عنوان الورقة : اللغة والفكر، والعنوان الفعلي لها: النحو العربي ومنطق أرسطو ، ليس هناك من شك في أننا بحاجة ماسة الى دراسة اللغة وعلاقتها بالفكر ، بالرغم من أحد الاعتراضات التي تقدمت ، لكنني أتصور أننا ما نزال في بداية الطريق ، لا أعرف شخصيا مناهج الدراسات العالمية استطاعت حتّى الآن أن تحدد الآلية التي نستطيع بها أن ندرس العلاقة بين اللغة والفكر بدرجة من الحتمية والحسمية تسمح لنا باقتراح ورقة كالورقة المقدمة للنقاش باعتبارها تقدم نتائج حاسمة في الموضوع . نحن اذن في بداية الطريق والحاجة الماسة الى تأسيس المنهج والمناهج لأن العلاقة بين اللغة والفكر لا ترتبط بميدان واحد من ميادين الدراسة وانما تشعب

لتمس ميادين كثيرة، وليس هناك من امكانية لتفريغ منهج واحد حتّى الآن - فيما أعرف - يسمح في النهاية باضاءة هذه العلاقة اضاءة نهائية. لمن هذه المحاولة التي ينبغي أن يقاوم بها ؟ في تصوري أن التعلق بالظواهر اللغوية المعزولة ليس أفضل السبل لتطوير هذا المنهج، وان العلاقة بين اللغة والفكر إذا كانت تتجلّى بشكل ملموس قابل للدراسة فانها تتجلّى في التراكيب أو في البنى اللغوية لا في الجزئيات أو في المقولات، منطقية كانت أو لغوية ولا في المشتقات، التركيز اذن يجب أن يكون على بنية اللغة بأشكالها الفرعية والكلية وما هي الآلية التي تجسد بها هذه البنية ، ما نفترض أنه بنية للفكر معزولة عن هذه البنية اللغوية ، وتعقد السؤال يبدو الآن في عبارة التي تفترض أنها معزولة لأن وراء هذه المحاولة للدراسة افتراضا واضحا هو أن بنية الفكر جوهر من جديد يمكن أن يحدد في أطر معزولة ، ويمكن بالمقابل أن تحدد بنى اللغة ثم أن يتم قياس الأول على الآخر أو تتم دراسة الأول في الآخر، ومثل هذه الصياغة في تصوري تناقض جميع كل ما أعرفه في دراسات علم النفس اللغوي المعاصر على الأقل ان لم تكن في دراسات اللغة، بالاشارة الى الورقة ذاتها يبدو لي أن الورقة تقوم على شيء من خلل في التصور ، هناك ظاهرتان ينبغي ان يظل الفصل بينهما قائما، في تصوري في مثل هذه الدراسة الظاهرة الأولَى هي اللغة والظاهرة الثانية هي عمل النحوي على اللغة أو وصف النحوي للغة ، ويبدو لي أن الورقة لا تفصل على الاطلاق بين المستويين، فالنتائج التي تصل اليها نتائج تشير في بعضها الى خصائص اللغة ، مثلا أن الجملة اللغوية في العربية تبدأ بالفعل وتشير بعد ذلك في معظمها الى الظاهرة الثانية ، وهي عمل النحوي أو اللغوي على اللغة في اشارتها مثلا الى المشتقات ودلالة أن تكون لائحة المشتقات لا تخلو من مقولات الاضافة والوضع والملكية ، من الخطورة بمكان في رأيي أن نحاول تفسير هذه الظاهرة باعتبارها تفسيرا لبنية الفكر .

إذا كان هناك من تجسيد للفكر فانه يتجسد في بنية اللغة لا في بنية عمل النحوي على هذه اللغة، وإذا كنا نستطيع أن نصف بنية مستقلة للفكر النحوي فان هذا موضوع آخر للدراسة ، لذلك يبدو لي أن النتائج كما هي موضوعة هنا بعمل النحاة على اللغة أو قد يكون هذا هو المسؤول فعلا عن عدد من النقاط السريعة التي قررت هنا ، مثلا وصف الجملة في اللغة العربية بانها تبدأ بالفعل أولا ثم تأتي

بقية عناصرها . يبدو لي أن المشكلة صيغت بطريقة تحتاج الى دقة ، ما هو مطروح أصلا للنقاش ليس بدأ الجملة بالفعل وانما بدأ الجملة العربية التي تحاول تجسيد علاقة الفعل بالفاعل بالفعل . العربية تحتوي على نمطي الجملة : الجملة الفعلية والجملة الاسمية،وفي ورقة الأستاذ الجابري في الواقع باستقراء سريع نرى أن كل الجمل هي جمل اسمية في بداية مقاطع ، ليس هناك من جملة واحدة يمكن أن توصف بالفعلية وهذا ليس مصادفة على الاطلاق لأن الخلل الأساسي هو في وصف الجمل العربية بأنها جمل فعلية .

القضية التي ينبغي أن تطرح للنقاش هي : ما الذي يتجسد من تصورات لبنية الجملة الفعلية العربية في مقابل الجملة الفعلية الأوربية إذا كنا نستطيع ان نعتبر الجملة هي دائما فعلية في الجملة العربية : ذهب الرجل يتضمن الفعل أصلا مفهوما للفاعل ، الفعل ذهب في صيغته الماضية في كل فعل في سوى صيغته الماضية الفاعل موجود بشكل صريح متمثل في الضمير يذهب نذهب تذهب .

في اللغات الأوربية هذا الكلام طبعا ليس على هذه الصورة فالفعل منفصل عن الفاعل وله استقلاليته الخاصة ولذلك فان المشكلة المطروحة ليست على الاطلاق هي لماذا تبدأ الجمل العربية بالفعل ولماذا تبدأ الجمل في اللغات الأوربية بالاسم ، ما هو موضع للدراسة فعلا هو : ماهي الدلالات التي تنبع من كون علاقة الفعل بالفاعل في الجملة العربية متجسدة بالشكل الذي تتجسد فيه وكونها متجسدة بشكل آخر في اللغات الأوربية .

* * *

تعقيب الأستاذ الجابري

أشكر جميع الزملاء المتدخلين فقد أسهموا بجد في اغناء الموضوع ولكنني أبدأ بتوضيح بعض النقاط التي اعتقد أنها كانت مثارا لسوء تفاهم .

لابد من التأكيد هنا على أن الأمر يتعلق بطرح اشكالية العلاقة بين النحو العربي ومنطق أرسطو انطلاقا من مناظرة السيرافي مع متَى ، وبعبارة أخرى إننا نريد أن

نستعيد هنا الاشكالية التي طرحتها تلك المناظرة ، لقد رافع السيرافي ضد متى في قضية أساسية وهي أن المنطق الذي كان يدعو اليه متى — كما أشار الى ذلك السيرافي — مرتبط باللغة اليونانية ولذلك فاحكامه لا تنسحب الا على أهل تلك اللغة . أما نحن متكلمي اللغة العربية يقول السيرافي فالنحو هو منطقنا ، يقصد المنطق المستخرج من لغتنا كما استخرج منطق اليونان من لغتهم ، واذن فانت — يامتى — حينما تدعونا الى تعلم منطق أرسطو انما تدعونا الى تعلم منطق هذه اللغة . فأنت اذن كمن يريد أن يحدث لغة في لغة مقررة بين أهلها .

وإذن فالاشكالية التي نقترح التفكير فيها هي التالية : إذا سلمنا مع السيرافي أن منطق أرسطو مستخرج من اللغة اليونانية (فهو لا يخص الا اليونان) وان العرب بالتالي لهم منطقهم وهو النحو المستخرج من لغتهم ، إذا سلمنا بهذا الرأي فما هي النتائج أو الملاحظات التي يمكن الخروج بها من مقارنة مقولات أرسطو بمشتقات النحاة . اذن فالمسألة أساسا ، مسألة فرضية للعمل ...للتفكير .

انطلقت اذن من التفكير في هذه الاشكالية الفرضية من زاوية محاولة تدعيمها . لقد انطلقت من مقارنة جدول المقولات الأرسطية بجدول المشتقات النحوية العربية ، وهذا مجرد اختيار ، واعتقد أنه مبرر ، بل ان النتائج التي حاولنا استخلاصها منه تبرره .

أثيرت اعتراضات حول قضية الرتبة في اللغة اليونانية الآرية واللغة العربية — السامية . ان النظرية السائدة منذ زمان هي ان الجملة العربية (والسامية عموما) تبدأ بالفعل في حين تبدأ في اللغة اليونانية (وفي اللغات الآرية عموما) بالاسم ، نعم هناك من يناقش أو يعترض على هذه النظرية ولكن ليس هناك من يقول بالعكس بل ليس هناك من يفندها تفنيدا حاسما، ومهما يكن فأنا لا أرى مانعا من اتخاذها فرضية للعمل أي مجرد منطلق للتأمل والاستنباط . أما مسألة أيهما أصل في الجملة العربية الفعل (كما يقول الكوفيون) أو الاسم (كما يقول البصريون) فبالاضافة الى أن الرأي السائد الآن يرجح كفة الكوفيين ، فان الأمر بالنسبة لموضوعنا ثانوي تماما ذلك لأن المصدر في تعريف النحاة هو (ما دل على حدث مجرد عن الزمان) أي أنه فعل لم يعين زمانه واذن فالأصل في الجملة ، أو في

الاشتقاق في اللغة العربية هو (الحدث) وهو فعل، إذا تعين زمانه، أو مصدر إذا لم يتعين، وعلى كل حال فالمصدر ليس هو الاسم ولا في معنَى الاسم، بالاصطلاح المنطقي، ولقد سبق بعض النحاة القدماء أن لاحظوا الفرق بين الاسم في كلام العرب والاسم عند المنطقيين يقول الزجاجي في كتابه (الايضاح في علل النحو) (تحقيق مازن المبارك ص 48 ط 1) يقول : «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به»واذن فالاسم (فاعل أو مفعول به) مسبوق دوما بفعل ، أسبقية منطقية على الأقل ، حسب هذا التعريف . ويضيف الزجاجي قائلا : (هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه وليس يخرج عنه اسم البتة ولا يدخل فيه ما ليس باسم) ويمكن أن نقرأ هنا عبارة (مقاييس النحو) على أنها (بنية اللغة) واذن : ففي بنية اللغة العربية الاسم هو دائما فاعل أو مفعول به أو واقعا في حيزهما .. الشيء الذي يعني أنه مسبوق دوما بفعل ...وبالتالي فبنية هذه اللغة — العربية — تقتضي أسبقية الفعل على الاسم . وإذا سلمنا بأن اللغة تعكس بنية الفكر أو أن بينهما علاقة تبادل التأثير جاز بل وجب القول أن منطق التفكير في العقل العربي هو الفعل . وهذا ما سماه ولْفنسون بـ (العقلية الفعلية) أو بعبارة أخرى سيادة الذهنية الفعلية على العقلية السامية وهذا بطبيعة الحال بالمقارنة مع اللغات الآرية وبنيتها .

لنترك هذا الآن ولنتابع الزجاجي الذي يضيف إلى ما سبق قوله : (وانما قلنا في (كلام العرب) لأننا له نقصد وعليه نتكلم، ولأن المنطقيين وبعض النحويين حددوه حدا خارجا عن أوضاع النحو فقالوا الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنًى غير مقرون بزمان، وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم وانما هو من كلام المنطقيين . وان كان قد تعلق به جماعة من النحويين.وهو صحيح على أوضاع المنطقيين ومذهبهم لأن غرضنا غير غرضهم ومغزاهم غير مغزانا ، وهو عندنا على اوضاع النحو غير صحيح لأنه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء لأن من الحروف ما يدل على معنًى دلالة غير مقرونة بزمان ، نحو ان ولكن وما أشبه) يرفض الزجاجي التعريف المنطقي للاسم ، أي التعريف الذي قال به أرسطو ، تماما مثلما رفض السيرافي منطق أرسطو جملة وتفصيلا مدعيا أنه خاص باللغة اليونانية وان النحو العربي هو منطق اللغة العربية .

أعتقد أن هذه هي أكثر النقاط التي دارت حولها المناقشة في هذه الجلسة . تبقى بعد ذلك النتائج التي رتبناها على المقارنة بين جدول مقولات أرسطو ومشتقات النحاة . وأنا أعتقد أنها نتائج مبررة ، على صعيد التأمل الفلسفي ، إذا نحن سلمنا بالقضية السابقة ، ذلك لأن أسبقية الفعل في الجملة العربية ، وبالتالي بناء الكلام العربي ، وبالتالي التفكير العربي ، على الفعل يتوافق تماما مع ذلك الثابت البنيوي في الفكر الديني العربي بل السامي ، نقصده فكرة الخلق : في البدء كانت «الكلمة».. أي الفعل لا (الجوهر) أو لا الاسم . وإذن فإن فكرة الخلق من عدم مرتبطة بأولوية الفعل في الجملة العربية السامية مثلما ان فكرة (لا شيء من لا شيء) مرتبطة بأولوية الاسم ــ الجوهر في الجملة اليونانية ــ ولا يهمنا الآن الفصل فيما إذا كانت اللغة تعكس الفكر أو إن الفكر مقيد باللغة ، فالواقع انها ، كما أشار الأستاذ الحبابي متلازمان فلا تفكير بدون لغة ، ولا لغة بدون تفكير .

وإذا قبلنا هذا الاستنتاج سهل تبرير الاستنتاجات الأخرى التي وردت في التقرير والتي تتعلق بقضايا كلامية أخرى بل بمفاهيم أخرى مثل مفهوم الزمن الخ ...

والخلاصة التي أريد أن أنتهي إليها هي أنه إذا انطلقنا من الفرضية المنصوص عليها في مناظرة السيرافي ــ (المنطق نحو اللغة اليونانية والنحو منطق اللغة العربية) ــ وفكرنا في هذه الفرضية داخل الحقل الفلسفي الميتافيزيقي العربي الاسلامي فإننا نستطيع أن نقرأ بعض المشاكل الكلامية والفلسفية المطروحة في هذا الحقل على أساس أن لها علاقة مع هذه الاشكالية .

بقيت اشارة خفيفة الى بعض الاعتراضات . مثلا يقول الأخ الادريسي : اننا إذا انطلقنا من هذه الفرضية وهي خاطئة في نظره انتهينا الى نتائج خاطئة . وأنا أنبه الى أنه في المنطق يقع التأكيد على أن خطأ المقدمات لا يستلزم الخطأ في النتائج . وتاريخ العلوم يؤكد هذا ، فمقدمات الفلك البابلي مثلا كانت خاطئة وكثير منها متصل بالسحر أو بالنظرة السحرية ولكن كثيرا من النتائج التي أقرها الفلك البابلي صحيحة ولازالت صحيحة . اما تساؤله : لماذا وضعت الصفة المشبهة مع الكيف وليس مع اسم الفاعل أي مع الفعل ، كما يقترح فهذا واضح فيما أعتقد . أن تعريف الصفة المشبهة هو كما يعلم : (اسم مصوغ لمن قام به الفعل لا على وجه

الحدوث) واذن فالمقصود هو كونها صفة لا كونها تدل على حدث (أي حدوث)..فعندما نقول رجل حكيم فالمقصود هو أنه متصف بالحكمة لا انه فعل الحكمة ..واذن فالصفة المشبهة يجب وضعها مع مقولة الكيف لا مع مقولة الفعل .

على كل حال يمكن اعادة التصنيف ، ويمكن تصحيح الأخطاء .. المهم هو أن نحاول ، والمهم كذلك هو أن نخطىء ونعي بالخطأ ..فنحن لا نتقدم الا من خلال تصحيح الأخطاء .

الموضوع : الوظائف النحوية في النماذج اللغوية

المقرر : **الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري**

1 - نـص التقرير :

ليس الهدف من المائدة تناول أي جانب من جوانب التحليل اللغوي عند الدارسين الذين ينتسبون إلى التيارات الوظيفية المختلفة . الأساس الأول لتحديد اطار الموضوع يقتضي التفريق بين **وظيفية لغوية** ، تعتبر أن تصورنا للغة ولدراستها يجب أن يرتبط بوظائفها وفي طليعتها وظيفة التواصل والربط بين أفراد المجموعة اللسانية (انظر هاليداي ، ومدرسة براغ ، وديك ، وكونو ....) ، **ووظيفية نحوية** ، لا علاقة لها بالأولى ، تقر بأن الوصف الكافي للغات الطبيعية يستوجب تمثيل العلائق النحوية من فاعل ومفعول ... الخ ، في مستوًى قائم الذات مستقل عن المستويات الأخرى (انظر بوسطال وبرلمتر وبريزنان وبريم ...) .

الأساس الثاني هو أن الوظائف أو العلائق النحوية تكاد تكون موجودة في كل نحو أو نموذج لغوي منذ بانيني ، مرورا بسيبويه ، فالانحاء الغربية الكلاسيكية ، ولن تتسع المائدة لمناقشة مظاهر وجود العلائق النحوية عند أي لغوي ، قديم أو حديث . ضيق الوقت يفرض علينا الاهتمام بالمسائل النظرية قبل غيرها ، كتحديد دور العلائق النحوية في النماذج اللغوية ، وطبيعتها ، وما هي العلائق النحوية الممكنة ، والكفاية التجريبية للانحاء العلاقية . ويمكن النظر في التطبيقات على اللغات الوطنية ، وقيمتها الاستدلالية والاجرائية ، كما يمكن النظر في العلائق النحوية عند النحاة العرب .

لن أقوم هنا باستعراض وتحليل جميع هذه المسائل العامة ، وإنما اكتفي

بالتمثيل ، لا الاستقصاء ، لما يمكن أن يدور حوله النقاش ، وبوسع المتدخلين أن يقدموا أوراق عمل إضافية في القضايا المذكورة في هذا التقديم أو في المسائل التي أوردها تحته .

2 – العلائق النحوية بين البنية المركبية والبنية المحمولية :

على كل نظرية لغوية ان تحدد كيف يتم الربط بين مستوَى العلائق الدلالية المحمولية (predicate argument relationships) من عامل (Agent) وموضوع (theme) وهدف (goal) ومصدر (source) ... وبين المكونات التي تنتظم في البنية الشجرية السطحية (surface constituent structure) في رتبة معينة ، وخصائص صرفية معينة .

جل المدارس اللغوية تقر بأن هذه العلاقة غير مباشرة وأن مستوَى العلائق النحوية يتوسط بين المستوَى المحمولي وبين مستوَى العلاقات البنيوية الشجرية (انظر النظرية المعيار ، والنحو العلاقي ، والنحو المعجمي الوظيفي ، والنحو الواقعي ...) .

في مقابل هذه الفرضية **غير المباشرة** ، نجد موقفا آخر ينكر للعلائق النحوية أي دور في التحليل . ويدعو إلى ربط البنية المحمولية بالبنية المركبية ربطا مباشرا (انظر فيلمور وكارتر واوستلر مثلا) .

نمثل للفرضيتين المباشرة وغير المباشرة كما يلي :

1) البنية المركبية (والصرفية) ←— العلائق النحوية ←— الادوار الدلالية

semantic roles → grammatical relations → constituent structure

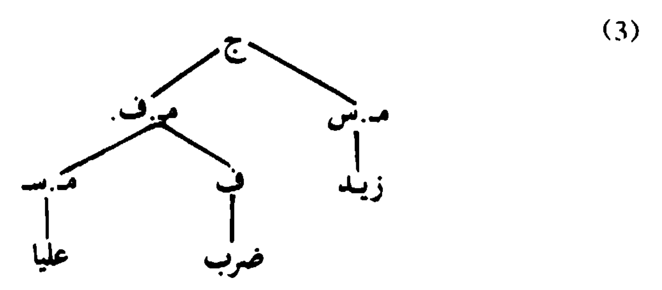
2) البنية المركبية ←— الأدوار الدلالية

3 – استخلاص العلائق من البنية الشجرية . العلائق أولى أم مشتقة ؟

على الرغم من أن تشومسكي يقول بالفرضية غير المباشرة ، الا أن موقفه يحد من دور الوظائف النحوية ، ولا يعترف لها بالاستقلال . يعتقد تشومسكي أن العلائق النحوية يمكن استخلاصها من البنية الشجرية العميقة ، ولا نحتاج إلى التمثيل لها في مستوَى قائم الذات . فالفاعل مثلا هو المركب الاسمي الذي تعلوه ج (جملة) مباشرة ، والمفعول هو المركب الاسمي الذي يعلوه المركب الفعلي مباشرة ،

كما يظهر ذلك في الرسم التالي :

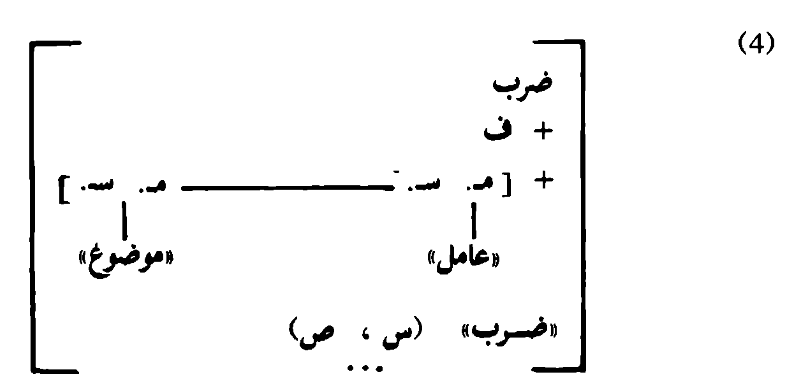
(3)



(لاحظوا أن هذه التعاريف غير صالحة للعربية إذا اعتبرنا أن الرتبة الأولى في العربية هي : فعل - فاعل - مفعول . وان العربية ليس لها مركبات فعلية) .

كل التعميات حول الوظائف إذن يمكن صياغتها . حسب تشومسكي بواسطة المعلومات البنيوية . المدخل المعجمي لفعل مثل «ضرب» (to hit) في الانجليزية يكون كالتالي :

(4)



العلائق الواردة بالنسبة لوصف اللغات الطبيعية هي العلائق العميقة التي تحدد العلائق أو الادوار الدلالية ، ولا نحتاج إلى العلائق السطحية للتأويل الدلالي .

كلام تشومسكي هذا لا يصلح إلا للغات التي تلعب فيها البنية الشجرية الدور الأساسي في التعريف بالعلائق النحوية ، والتي توجد فيها مكونات الجملة في رتبة قارة . هناك لغات غير شجرية (non configurational) ولها رتبة «حرة» (free order) ، أو حرة نسبيا ، لا تزود الرتبة ولا البنية الشجرية فيها بالمعلومات

الضرورية لمعرفة العلائق النحوية . أواخر الكلم أو الخصائص النبرية للكلمات هي التي تمكن من استخلاص الوظائف .

اللغات تختلف إذن في تصوير العلائق النحوية ، تركيبيا وصرفيا وصوتيا . هناك لغات تمثل لهذه العلائق عن طريق البنية التركيبية أساسا ، ولغات أخرى يلعب فيها الصرف الدور الأول ، ولغات بين بين (انظر العربية)... وإذن لا يمكن القول بتطابق العلائق النحوية والعلائق البنيوية .

كذلك من الصعب أن نزعم أن العلائق النحوية السطحية لا تلعب دورا في وصف اللغات الطبيعية ولا في التأويل الدلالي : القضايا الاحالية (anaphora) تدل على عكس ذلك .

4 - بعض معالم الموقف الوظيفي :

الموقف الوظيفي (أو العلاقي) يقر بأن هناك ظواهر لغوية لا يمكن وصفها الا عن طريق العلائق النحوية ، وان المستوَى العلاقي في التحليل اللغوي مستقل عن المستويات الأخرى ، سواء تعلق الأمر باللغات الشجرية أو اللغات غير الشجرية .

يمكن تضييق طبقة الانحاء الممكنة بتحديد **الكليات العلاقية** . من هذه الكليات ابجدية العلائق (فاعل ، مفعول ، بؤرة ...). هذه الأبجدية أولى أو أصلية (primitive) كما أن الأبجدية المقولية أولى (م. س ، م. ف، م. ح، ج، ف، س ،...). هناك كذلك مبادئ وقوانين تتحكم في العلائق الممكنة . سنكتفي هنا بالاشارة العابرة إلى أمثلة في النحو العلاقي (relational grammar) والنحو المعجمي الوظيفي (lexical functional grammar)

مبدأ الصعود : 2 ⟵ 1

(* 1 ⟵ 2)

«مبدأ البطالة» : {1 ، 2} ⟵ «عاطل»

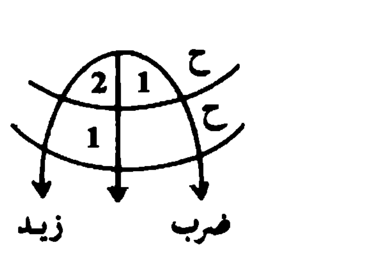
قاعدة البناء للمجهول :

فاعل ⟵ 0

مفعول ⟵ فاعل

يمكن تمثيل الشبكة العلاقية للجملة **ضرب زيد** (بضم الضاد وكسر الراء) في النحو العلاقي كما يلي :

(5)



ح = المحمول . 1 = فاعل . 2 = مفعول . اح = احداثية (أي المستوَى الذي يحمل فيه «زيد» العلاقة 1 أو 2 إلى الفعل) .

5 - مشكل الاسقاط :

نتناول في هذه النقطة الطبيعة النفسية للمفاهيم العلاقية واكتساب الطفل للعلائق النحوية . لابد من التعرض طبعا لوجهة نظر من ينكر تعلم الطفل للعلائق النحوية (في استقلال عن العلائق الدلالية) في أي مستوَى من مستويات ارتقاء اللغة عنده . في هذا التصور ينتقل المتكلم مباشرة من العلائق الدلالية إلى التمثيل البنيوي أو الصرفي لهذه العلائق في السلسلة الصوتية . فالطفل يتعلم ما هو «العامل» أو «المعمول» ثم يتعلم أن «العامل» يأتي هو الأول في الجملة ، أو أن المعمول يأتي مباشرة بعد الفعل (انظر Schlesinger مثلا) .

هناك وجهة نظر ثانية لا تنفي أن هناك ربطا مباشرا بين الدلالة والوسائل السطحية في مرحلة أولى . الا أن الطفل ابتداء من الخامسة يدخل مرحلة الوعي بالعلائق النحوية حين يشعر مثلا ان ادوارا دلالية مختلفة لها نفس الرتبة («عامل» و«موضوع» مثلا) أو نفس الخصائص الصرفية («العامل» و«المعمول» مرفوع ...) انظر في هذا الصدد باورمان (Bowerman)

المناقشة

الأستاذ الفاسي الفهري :

هذه المائدة ، كما هو واضح من خلال التقرير ، ستخصص لمناقشة مشكل العلائق النحوية ، والتمثيل لها في النماذج النحوية المختلفة . ما يهمنا (أو على الأقل هذا ما طرحتُه في التقرير ، ربما لكم وجهات نظرٍ أخرى) هو مناقشة الأبعاد التجريبية والمنهجية والنفسية للقواعد المقترحة . بطبيعة الحال ، سنتساءل عن علاقة العلائق النحوية ، من جهة ، بالبنية الصرفية والتركيبية ، ومن جهة أخرى ، عن علاقتها بالبنية التي أسميناها «البنية المحمولية» أو «البنية الدلالية» ، ولكني فضلت الحديث عن البنية المحمولية حتّى لا ندخل في نقاش آخر .

هناك من اللغويين من ينكر ضرورة التمثيل للعلائق النحوية في النماذج اللغوية ، وهذا الموقف له ما يقابله في البحث في علم النفس اللغوي . سأكتفي بهذا التوضيح القصير ، لأترك الكلمة للاخوان المشاركين أو الذين سجلوا أنفسهم كمشاركين أو كمتدخلين في هذه المائدة ، على أن يتدخل الاخوان الآخرون إذا أرادوا بعد اللائحة المسجلة .

الأستاذ الأخضر بوجمعة

بما أني لست متخصصا في المادة ، فإن ما سأقوله لن يكون سوَى ارتسامات ، فانطلاقا من الورقة التي وزعت علينا ، يظهر أن الأستاذ ينطلق من التأكيد على أن تبيان العلائق النحوية عن طريق البنية التركيبية لا يصلح لكثير من اللغات الطبيعية ، وانطلاقا من هذا يرَى أنه في الامكان الأخذ بالموقف الوظيفي ، أي العلاقي ، الذي يعتبر انطلاقا من منظور ما هو ان العلائق الوظيفية مستقلة في التحليل اللغوي . فالمقولة الأولى يمكن أن نقول بأنها منحصرة على مستوَى الملاحظة ، أما المقولة الثانية تبقَى موضع نقاش . فهل أثبت أن الأخذ بهذا الموقف يكمن في وصف كل الجمل التي تمثل لغة ما ؟ أرَى أن النقاش لا يمكنه اذن أن يكون على مستوَى حدسي ، وانما على مستوَى نظري ، أي في إطار النماذج اللغوية ، ومعنَى هذا أنه يمكننا أن نطرح عدة أسئلة أو أن نوجه الحديث إلى عدة

نقاط منها : مثلا : كفاية نموذج يقر ويدخل العلائق النحوية ، كفاية نموذج لا يقر بادخال العلائق النحوية .

أما النقطة الثالثة التي أود أن يتركز عليها الحديث وهو التفكير فيما إذا كان الأخذ بنظرية استقلال أو أهمية الوظائف النحوية تستطيع أن تساهم في وصف اللغة العربية وصفا ذا كفاية بالنسبة للأوصاف الأخرى ، أي الأوصاف القديمة لأنه في الحاضر ليس هناك أي وصف للغة العربية . وشكرا

الأستاذ أحمد الادريسي

لقد طرح الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري اشكالية تعتبر من أهم الاشكاليات في البحث اللساني المعاصر ، وأيضا تعتبر من أحدث الاشكاليات ، ذلك أنها في أمريكا بالذات مازالت موضوع نقاش ، فالنحو العلاقي مازال في بداية الطريق ، رغم أنه ينبئ بأن قدرته الوصفية وكفايته الوصفية ستكون لا محالة أقوَى من كفاية النموذج الذي يقول باشتقاقية الوظائف .

وخلاصة ما تطرحه الاشكالية كما يبدو : أن الوظائف في النحو الشومسكياني وظائف ثانية ، وظائف مشتقة أي أن ما هو أولي هو المقولات ، وترتيب المقولات في الشجرة هو الذي تشتق منه هذه الوظائف . المركب الاسمي الذي يتفرع مباشرة عن ج هو موضوع أو فاعل الجملة ، بينما المركب الفعلي المتفرع مباشرة عن ج هو محمول الجملة ، والفعل المتفرع مباشرة عن المركب الفعلي هو الفعل الرئيسي والمركب الاسمي هو المفعول المباشر . لكن النحو الوظيفي يطرح القضية من جهة أخرَى فيقول : ان ما هو موجود أولا بالدرجة الأولى هو الوظيفة أي أن الوظيفة أولى وليست ثانية .

إذا افترضنا أن النحو العربي يمكن اعتباره نموذجا لغويا تبين لنا أنه كان يرهص ارهاصات كثيرة في هذا المجال بل ان الوظيفة والعلاقة النحوية تبدو مستأثرة باهتمام النحاة العرب أكثر من استئثار المقولات والرتب التي تظهر في السلسلة الكلامية . فهنالك نصوص كثيرة تؤيد هذا الطرح الذي يؤكد ارهاص النحو العربي في هذا المجال . اقتطف من كتاب «الايضاح في علل النحو» للزجاجي قوله في تعريف الاسم

ـ والقضية قرئت أمس من لدن الأستاذ الجابري ـ «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول». بعبارة أوضح ، التعريف هنا ينطلق من أنه قبل ان يكون اسما كان فاعلا . إن قراءة النص تجعلنا نتوسع في مفهوم الوظيفة في النحو العربي ، وفي البحث عن تأسيس نحو وظيفي عربي استنادا إلى المنطلقات التأسيسية عند النحاة العرب . «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول ، هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه وليس يخرج عن الاسم البتة ولا يدخل فيه ما يسمى باسم وانما قلنا في كلام العرب لا في نحو العرب لأنا له نقصد وعليه نتكلم» . ثم يرد على المناطقة ، وينتهي إلى القول : «وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح لأنه يلزم منه أن يكون كثير الحروف اسماء لأن من الحروف ما يدل على معنًى دلالة غير مقرونة بزمان نحو إنَّ ولكن وما أشبه ذلك» .

فالزجاجي إذن يطرح المشكلة على مستوَى المنهج ، وليس على مستوَى جدوى العلم كما طرح السيرافي نفس الاشكال في مناقشته مع متَّى بن يونس .

فالزجاجي يريد أن يعرف الاسم تعريفا يعتمد دوره في الكلام ، لا ما يمكن أن يفيده من معنى ، فالأساس إذن ظاهرة موضوعية لأنها ملموسة يهدف إليها الكلام بدون تأويل .

نقرأ نصا آخر من عصر متأخر نسبيا ، إذ يقول الجرجاني في كتاب «دلائل الاعجاز» ما يفيد بأن هناك ارهاصا آخر يجعل الوظيفة النحوية التي تشير إلى هذه العلاقة أولى غير مشتقة . يقول الجرجاني في تعريفه لفكرة النظم : «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتَّى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك» ثم يقول : «وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم ، فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين ، فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا ، أو تتوخَّى في كلام هو لاثبات معنًى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا ، فتدخل عليه

الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنًى ذلك الحرف وعلى هذا القياس» .

ومرة أخرى أؤكد تقديري للأستاذ الفاسي الذي طرح هذه الاشكالية التي يمكن أن نخرج منها بمحاولة كتابة جديدة للنحو العربي . وشكرا

الأستاذ المرسلي :

بخصوص قضايا تصحح اللسان أطرح بعض التساؤلات بصدد الورقة . ألا يوجد هناك خطأ في الصفحة الأولى رقم 2 السطر الثاني (predicate argument relationships) أي مستوَى العلائق الدلالية المحمولية . أليس هناك خط صغير يربط بين predicate و argument ؟ (ليس هناك ربط إذ أكد الأستاذ الفاسي عدم وجوده وقال ان كليهما وصف لـ relationships) ألا يوجد هناك خطأ قد يؤدي إلى قراءتها بالشكل الآتي : العلاقات الحملية في علاقتها بشيء آخر هو argument ؟ نعلم أن لدينا محمول ، ولدينا ما يسبب مشكلا في الترجمة وهو argument وهو ما يتوقف عليه المحمول . ثم في الصفحة 2 السطر الأول : في البنية الشجرية السطحية في الترجمة كذلك لا تبرز فيه كلمة الشجرية وانما كما أعدت ترجمتها في نفس الصفحة بالبنية المركبية . وعملية التنبيه هاته لها علاقة بشيء نعاني منه هو أزمة المصطلح في اللغة العربية ؛ لكن هناك مبدأ يمكن الاتفاق عليه وهو **مبدأ الاتساق** في عملية الترجمة ، عندما نتبنى مصطلحا نحاول أن نحافظ على تكرارية استخدامه في نفس الاطار . ولم هذه الملاحظة بالذات ؟ هو استقراء بسيط إن عددا كبيرا من الذين ليسوا على الاتصال المباشر عندما قرأوا هذه الورقة ، ومن بينهم أنا شخصيا ، لم أفهم شيئا . لماذا ؟ لأن الترجمة للمصطلح في شعبة علماء اللسان شيء ، وفي شعبة أخرى شيء . إذن هنا أخرج بملاحظة أساسية وهي أهمية وضرورة تحديد المصطلح .

الأستاذ الفاسي الفهري

لم أفهم الملاحظة الأولى

الأستاذ المرسلي

عندما نتحدث عن البنية المنطقية للجملة بصفة عامة نوظف لفظة محمول كمواز لـ predicatte ونوظف تجاوزا كلمة موضوع كمقابل argument . فالجملة ذات المحمول الأحادي أي التي تدخل في إطار العلاقة الحملية بالمعنَى التقليدي يأتي فيها argument موضوع 1 . هذا هو سبب تساؤلي عن ترجمة predicate argument relationships ، لأنني قد أزعم بأنها العلاقات الممكن وجودها بين مكونين من مكونات الجملة وهما predicate من جهة و argument من جهة ثانية .

الأستاذ الفاسي الفهري

هذا يجرنا إلى نقاش ربما ليس من اختصاصي ولكن أريد أن أشير إلى أن مشكل الترجمة هنا راجع إلى مشكل اختلاف المناطقة أولا واختلاف اللغويين الذين أخذوا عن المناطقة ثانيا . في الحديث عن العلاقات المحمولية حينما تقول ان argument يترجم عادة بموضوع ، ممكن أن نترجمه بموضوع ، أو بمحل أحيانا ، وهناك كذلك من يترجمه بمحمول ، وفي هاته الحالة نتحدث عن حمل ومحمول ، حمل عليه عدة محمولات . وهذا الاشكال الموجود في الترجمة العربية موجود أيضا في الاصطلاح عند المناطقة وعند اللسانيين الغربيين . هناك من يتحدث عن argument وهناك من يتحدث عن predicate argument عوض ذلك .... الخ .

هذا هو السبب الذي جعلني أنقل predicate argument relationship إلى العربية بعبارة العلائق المحمولة ، ولم أتحدث عن العلائق المحمولية الموضوعية . أو شيئا من هذا القبيل .

الأستاذ المرسلي

لأن العلائق الدلالية المحمولية مشكل في اللغة العربية ، بمعنَى وجه الدلالة على

مستوَى التحليل المحمولي للسان. ليست العلائق الدلالية المحمولية هي العلائق المحمولية.

الأستاذ الفاسي الفهري

استعملت الدلالة فقط للتقريب، للتقريب للقارئ العربي، لأن العلائق المحمولية هي جزء من الدلالة. أنا أتحدث عن العلائق المحمولية التي تهمنا، ولا أتحدث عن العلائق المحمولية التي تهم المناطقة.

الأستاذ المرسلي

قراءة موضوع يجب أن يتحدد فيه المصطلح، في هذا الإطار طرحت السؤال، الكلمة توظف كوسيلة للتفاهم.

الأستاذ المتوكل

في ورقة العمل هذه طرح الأستاذ الفاسي اشكالية مهمة جدا وَحلَّل هذه الاشكالية إلى العناصر الآتية: العنصر الأول هو اشكال العلائق النحوية بين البنية التركيبية والبنية المحمولية. العنصر الثاني هو التساؤل عن هذه العلائق أهي أولى أم مشتقة. والعنصر الثالث هو المتعلق بمشكل الاسقاط، أي المتعلق باكتساب الطفل للوظائف النحوية أو العلائق النحوية.

سيكون تدخلي الأول - ربما سأتدخل بعد ذلك - محصورا في عرض، أي سيكون هذا التدخل تدخلا اخباريا. سيكون عرضا لنموذج من النماذج اللغوية التي اهتمت باشكال العلائق النحوية. وهو نموذج سيمون ديك الذي نجده في كتابه المعنون بـ Functional Grammar والصادر في سنة 1978. سأتبع في عرضي هذا النموذج الخطة الآتية (وهي خطة مستوحاة من عناصر الاشكالية كما طرحها الأستاذ الفاسي).

في نموذج سيمون ديك عندنا أولا البنية المحمولية، وهنا تتاح لي الفرصة للجواب عن السؤال الذي طرحه الأستاذ المرسلي. بالنسبة لسيمون ديك يميز داخل البنية المحمولية ككل - بوجه عام - بين المحمول وموضوعاته، المحمول كثابت والموضوعات كمتغيرات، وثانيا بين الأدوار الدلالية أو الوظائف الدلالية التي تُلحق

بهذه الموضوعات في البنية المحمولية ، إذن عندنا المستوَى الأول وهو المستوَى المحمولي ، (محمول ثم موضوعات) هذه المحمولات يصنفها صاحبنا إلى محمولات أولى أصلية ؛ كالاسم والفعل والصفة . ومحمولات مشتقة وتشتق هذه عن طريق قواعد تكوين المحمولات (Predicate Formation Rules) . هذه المحمولات تحدد معجميا أولا على مستوَى اطارها المحمولي :

تحدد إذن في المعجم بالنسبة للمحمولات المقولة التركيبية التي تنتمي إليها ، ثم عدد الموضوعات التي يأخذها المحمول ، ثم قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على الموضوعات التي تتوارده أو تساوقه ، ثم بعد ذلك تأتي داخل البنية المحمولية الوظائف الدلالية ، لننتقل من المستوَى المحمولي الصرف إلى المستوَى الدلالي .

في المستوَى الدلالي عندنا مجموعة من الأدوار الدلالية كدور العامل agent أو المنفذ ، دور الهدف goal ، دور المتقبل ، إلى غير ذلك . في هذا المستوَى الأول أي البنية المحمولية تلحق هذه الأدوار بالموضوعات التي تتساوق مع المحمول .

بعد هذه البنية المحمولية تأتينا في النموذج بنية العلائق التركيبية . هنا أنص على أن الانتقالات من البنية المحمولية إلى بنية العلائق النحوية أو التركيبية لا يتم عن طريق التحويلات . فالتحويلات بالنسبة لسيمون ديك غير واردة ، يعني أن النحو الذي يقترحه نحو لا تحويلي ، هذه القواعد التي تلحق الوظائف التركيبية من فاعل ومفعول إلى غير ذلك بعناصر البنية المحمولية ، والتي أسميناها بالقواعد الالحاقية ، لها شروط . وتتلخص هذه الشروط في كونها مقيدة بسلمية الوظائف الدلالية وهذا موجود عند فيلمور Fillmore . هناك سلمية للعلاقات الدلالية كالعامل والمتقبل والهدف إلى غير ذلك . بالنسبة لديك يقيد هذه القواعد الالحاقية بنفس السلمية مع اختلاف في نوع الأدوار الدلالية ومع اختلاف في السلمية نفسها .

ثم تأتي بعد ذلك قواعد أخرى ، بعد قواعد الحاق الوظائف النحوية ، تأتي قواعد الحاق الوظائف التداولية التي تتعلق خاصة بالدور الاخباري لمكونات الجملة في مقام تواصلي معين (كالمحدث عنه ، والمحور ، والبؤرة ... إلى آخره) .

ثم بعد ذلك تأتينا ما أسميه بقواعد التعبير expression rules التي تحدد البنية المركبية الفعلية للعبارات اللغوية .

مثلا عندنا رتبة المكونات ، وعندنا قاعدة المطابقة بالنسبة للفعل ، وعندنا كذلك قواعد النبر والتنغيم وهذا كله يعطينا الجملة المحققة أو الجملة الفعلية . هذا بالنسبة للنموذج . وأرجع الآن إلى العلائق النحوية لأركز عليها ولأجيب أو لأتحدث عن الاجابة التي يعطيها سيمون ديك لهذه العناصر الاشكالية التي طرحها الأستاذ الفاسي .

فبالنسبة للاشكالية الأولى أي العلاقة بين البنية المركبية والبنية المحمولية ، يذهب ديك إلى أن الربط بين البنية المحمولية الدلالية والبنية المكونية غير مباشر ، إذ يتوسط هذين المستويين (مستوَى البنية المحمولية ومستوَى البنية المركبية) مستوى معين وهو مستوَى العلائق النحوية بالنسبة للاشكالية الثانية : وهي اشكالية التساؤل عما إذا كانت هذه العلائق النحوية أولى أو مشتقة فهذه العلائق النحوية علائق أولى وليست مشتقة ، وهنا يلتقي ديك بالنحو العلاقي كما حدده جونسون ومجموعة من اللغويين .

الأستاذ الفاسي

ورقة العمل التي أتى بها الأستاذ المتوكل تضيف نموذجا جديدا إلى النموذجين اللذين تحدثت عنهما قليلا في هاته الورقة ، وهما نموذج النحو العلاقي الذي وضعه Postal و Perlmutter أساسا . وكذلك Johnson ، والنموذج الوظيفي المعجمي الذي وضعته أساسا Bresnan وكذلك Kaplan . وقد أشرت اشارة طفيفة إلى نموذج Brame الذي يسمى بالنحو الواقعي . وهاته النماذج ، بالاضافة إلى نماذج أخرى . تتفق في هاته النقطة التي أشرنا إليها ، وهي أن العلائق النحوية أولى ، بمعنَى أنها لا يمكن أن تشتق ، لا من الدلالة من جهة ، ولا من البنية التركيبية أو الصرفية من جهة أخرى . تدخل الأستاذ الادريسي كان في إطار التعريف بجزء مما قاله النحاة العرب عن الوظائف ، وكذلك في إطار تأصيل البحث عن الوظائف ، والتحليل الوظيفي للظواهر العربية .

لا أدري هل هناك تدخلات أخرى إضافة إلى هاته عن النماذج النظرية . لا أدري هل هناك تدخلات فيما أسميناه بالبعد التجريبي للعلائق النحوية . أشرت في هاته الورقة إلى مشكل الفرق بين اللغات الشجرية ، كما أسميناها ، واللغات التي

ليست شجرية ، وهناك ، بطبيعة الحال ، لغات بين بين ، ليست شجرية تماما ، وليست غير شجرية تماما . من جهة نجد مثلا ، في جانب ، الانجليزية والفرنسية ولغات أخرى ، ومن جهة أخرى ، نجد في الحد الآخر لغات كالهندية وبعض اللغات الاسترالية والصينية . هاته اللغات ما تمتاز به ، خلافا للغات التي نسميها بالشجرية ، هو أن الرتبة فيها تكاد تكون حرة بصفة مطلقة ، يعني أن الرتبة لا تلعب فيها أي دور في تحديد الوظائف النحوية. لنأخذ مثالا : إذا قلنا ضرب عيسَى موسَى ، بماذا نعرف من هو الضارب ومن هو المضروب إذا كان الفعل يتنقل والمركبات الاسمية تتنقل كما تشاء داخل الجملة ؟ بماذا نعرف ؟ هناك وسيلتان أساسا : الوسيلة الأولى **صرفية** ، هناك لاصقة أو هناك علاقة نسميها بالنسبة للعربية العلاقة الاعرابية . ولكن اللغات الأخرى لا يمكن أن نتحدث فيها عن علامة اعرابية أو لاصقة تحدد الوظيفة الذي يلعبها المركب الاسمي داخل الجملة : وسائل **نبرية** في بعض اللغات نستطيع بواسطتها التفريق بين وظائف مختلفة . إذن هاته اللغات صنفناها في اللغات غير الشجرية ، وبطبيعة الحال هاته اللغات لا يمكن أن تنطبق عليها التعاريف التي كان قد اقترحها تشومسكي للوظائف اللغوية ، أي كما سبق لتشومسكي أن بين في كتابه Aspects de la théorie syntaxique من أننا لا نحتاج إلى تمثيل الوظائف اللغوية مادامت ممثلة في الشجرة .

بخصوص البعد التجريبي للنقاش . أشرت إلى العربية اشارة عابرة فيما يخص الرتبة الأولى فيها . لا أعتبر أن الرتبة **الغالبة** في العربية هي V.S.O (فعل ، فاعل ، مفعول) ، وانما أعتبر أن الرتبة الأولى **العميقة** في العربية هي V.S.O (فعل ، فاعل ، مفعول) . اذن إذا كانت اللغة العربية لها رتبة بهذا الشكل فلا يمكن أن نعتبرها شجرية تماما ، ولا يمكن أن نفرق في الشجرة بين الفاعل والمفعول ، أو بين المركب الاسمي الفاعل والمركب الاسمي المفعول ، اعتبارا للتعاريف التي قدمها تشومسكي للفاعل والمفعول به . اللغة العربية ، كما هو معلوم ، لها وسائل صرفية . من جملة هذه الوسائل الصرفية الاعراب . الاعراب يلعب دورا ، وعلينا أن نحدد ما هو هذا الدور في معرفة الوظائف ، ولكن لا يلعب الدور الوحيد في تحديد الوظائف . فإذن اللغة العربية يمكن أن نعتبرها من بين هاته اللغات التي هي بين بين . . وهاته اللغات التي ليست شجرية وليست غير شجرية تكون عادة في مرحلة

انتقالية ، تنتقل فيها من البنية الصرفية التي يلعب فيها الصرف الدور الأول والوحيد إلى بنية ينعدم فيها الاعراب أو اللواصق شيئا فشيئا ، إلى أن تسقط علامات الاعراب فتنتقل بالضرورة إلى حكم اللغة الشجرية ، وتصير البنية الشجرية تلعب فيها الدور الأول والأخير في تحديد الوظائف النحوية . وهذا الانتقال الذي ربما لم أتعرض إليه في هاته الورقة هو انتقال من الصرف إلى التركيب ، ومن التركيب إلى الصرف . وهو مهم جدا بالنسبة للنظرية اللغوية وبالنسبة للنظرية النحوية ونظرية الوظائف النحوية ، لأن هناك نزعة إلى فقدان الاعراب أو اللواصق في مرحلة ، ثم هناك لغات تنتقل في مرحلة من هاته البنية الشجرية لتعود إلى بنية تعتمد على اللواصق وعلى الصرف ، وهذا كذلك ممكن أن يدور حوله النقاش . فإذن لو سمحتم ننتقل من هذا الجزء النظري المحض الذي تحدثنا عنه إلى الجزء الذي يمكن أن نسميه بالجزء التجريبي .

الأستاذ العلوي

أشكر الأستاذ الفاسي على إثارته لهذا الموضوع ، وأريد أن أتدخل في إطار النقط التي أشار إليها آنفا ، ونقطة العلاقة النحوية عند النحاة العرب . وأشير أيضا إلى ما نبه إليه في خصوص ابتعاد اللغة العربية عن البنية الشجرية ، عن البنية الترتيبية ، أو كما تقولون هنا عن البنية المركبية .

بالنسبة للعلائق النحوية أضيف إلى ما قاله الأستاذ الادريسي ، مؤكدا ، بالاعتماد على سيبويه على الخصوص ، سبق العلاقات العاملية التي تؤسس العلاقات الوظيفية في النحو العربي . فالعلاقات الوظيفية في النحو العربي علاقات تابعة للعلاقات العاملية المرتبطة بتصور عام للنحو العربي باعتباره دخلا للتغيرات . فالنحو العربي نحو وضع في إطار جو عقلي معين هو درس للتغيرات اللغوية ، وفي هذا الاطار اعتمد على ما يسمى بالنظرية العاملية أو النموذج العاملي للابتكار أو لصياغة الوظائف النحوية . وكما يعلم الجميع بالنسبة إلى سيبويه وكذلك المتقدمون ، وان أغفلوا قضية التمكن وعدم التمكن ، الأساس في المسألة هو التفريق في الجمل بين ما هو متمكن وبين ما ليس متمكنا .

إنطلاقا من فكرة التمكن وعدم التمكن التي تؤسس النموذج العاملي أمكن اتباع

هذه المسألة بالوظائف النحوية . فأنا شخصيا لست متفقا مع الأستاذ الادريسي في سبق الوظائف النحوية لهذا المستوَى العاملي الذي لا أجد له مقابلا فيما أرَى عند النحاة المعاصرين لارتباطه كما قلت بنحو عقلي خاص .

بالنسبة للنقطة الثانية وهي نقطة استعصاء اخضاع اللغة العربية إلى ما يسمَى بالنموذج التركيبي أو المركبي يظهر أنه في الامكان العثور على حل دون أن أتعرض للنظرية الوظيفية بشيء . فقط أريد أن أعتذر إلى هؤلاء الذين يرون أن العلائق الوظيفية هي علائق ثانية ، وليست علائق أولى ، فالجملة العربية زيد ضرب عليا أو ضرب زيد عليا ، هذه الترتيبات التي يعتمدونها في أوصافهم في إطار النحو التوليدي ترتيبات خضعوا فيها دون أن يشعروا – في نظري على الأقل – إلى ما يقضي به النحو العربي القديم ، وهو نحو خطأ كل الخطأ فيما أعتقد وسأبين لماذا . خطأ في خصوص الحديث عن الجملة الاسمية والجملة الفعلية في إطار نظرية التمكن ، لا يعرف العرب الجملة الاسمية والجملة الفعلية كجملة . الجملة هي مجموع ألفاظ عند النحاة العرب . لم يعرفوا معنًى proposition ولا معنًى phrase الجملة هي جملة ألفاظ ، فالتي يتقدم فيها الاسم هي جملة اضطروا إلى تسميتها بالجملة الاسمية لعدم تقدم العامل ، والجملة التي يتأخر فيها الاسم سميت هنا فعلية لتقدم العامل الذي هو الفعل .

فالتمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية عند النحاة العرب القدماء هو تمييز راجع إلى النظرية العاملية ، لكن هناك امكانية للنظر في مثل هذه الجمل من جانب آخر ، انني في خلال ترجمتي لبعض النصوص التوليدية وتغيير الأمثلة العربية في خصوص المستوَى المركبي (syntagmatique) وجدت صعوبة هائلة جدا في اخضاع المثال العربي للمثال الفرنسي أو الانجليزي بشكل فظيع ، بحيث اضطررت إلى تغيير شكل الكتاب . لكن كممثل ينجي البنية المركبية في اللغة العربية ولا يحتاج إلى إضافة هذه البنية الوظائفية وتقديمها على البنية المركبية فقط انه من الممكن اعتبار مسألة أسبقية الترتيب فعل ، فاعل ، مفعول ، أو فاعل – فعل – مفعول . ان هذه المشكلة هي مشكلة زائفة لأن المعطى الأول في العربية هو المعطى الذي يمكن أن يسمى في العربية بمعطى الرابطة الفعلية . فضرب هي الجملة وليس محمد ضرب ولا

ضرب محمد . هذه أمور لاحقة بضرب ، فأسبقية ما يسمى الجملة الاسمية أو أسبقية ما يسمى الجملة الفعلية هي مشكلة ينبغي الغاؤها باعتبار أن المعطى الأول النظمي أو التركيبي هو الرابطة الفعلية وادخال الجمل مثل زيد ضرب محمدا بطريقة تحويلات حشوية . فبهذه الطريقة أمكنني إلى حد ما أن أرضي النموذج المركبي بالنسبة للغة العربية . من ناحية أخرى قضية الوسائل الصرفية كما سماها الأستاذ الفاسي أي الاعرابات التي تعد في النحو العربي القديم مرة أخرى كتغييرات لاصقة بأصول سابقة ، قضية الاعرابات أيضا في اطار هذا التخطيط الذي اشرت إليه أمكن اضافتها عن طريق تحويلات معينة . بلغة أخرى نحو للعربية يكون فيه ما يتعلق بالبنية المركبية ممثلا 10٪ من النحو والبقية ممكن الحصول عليها عن طريق تحويلات معينة .

الأستاذ أحمد الادريسي

توضيح : أريد أن أقدم توضيحا بسيطا للأستاذ العلوي فيما ذكرته . إنني حين تحدثت عن الوظائف والعلاقات قلت ان الوظائف أولى باعتبارها علاقات ، فكونها أولى وكونها ليست مشتقة هو الخلاف المنهجي والنظري ما بين النحو العلاقي والنحو التوليدي ونموذج تشومسكي يعني النموذج الذي بدأ سنة 1957 إلى الآن . لماذا ؟ لأن تشومسكي يقول ان الفاعل هو المركب الاسمي التابع مباشرة للجملة وظيفته فاعل الجملة . فالوظيفة إذن مشتقة هنا ، والمركب الفعلي هو محمول الجملة . وهكذا يكون المفعول هو المركب الاسمي التابع مباشرة للمركب الفعلي وليس للجملة بمعنًى أن رتبة أو أسبقية الوظيفة ليست أسبقية على العلاقات ؛ والا فهي علاقة أسبقيتها على ما يسمى بموقع المركبات داخل الشجرة . المسألة فيها خلاف ؛ والا فلأمر ما سمي الموقف الوظيفي علاقيا . فكيف يمكن أن يسمى الموقف الوظيفي علاقيا ويكون هناك رتبة بين العلاقة والوظيفة مع أن العلاقة والوظيفة شيء واحد في هذا النموذج ؟ Postal وجماعته حين فكروا في هذا، فكروا في هذا الاطار. لماذا يكون الترتيب هو الأول وتكون الوظيفة هي الثانية أي هي المشتقة؛ والأستاذ الفاسي حين أخذ يعمق في مشروعه وفي الاشكالية التي طرحها، كان ينبه حقيقة إلى شيء مهم جدا يريد أن ننتبه إليه وهو موضوع تطور اللغات. فكون اللغة

العربية توجد في هذا الوضع ، الوضع الاعرابي أو الوضع بين بين هو وضع توجد فيه اللغة العربية في فترة معينة ، فلو نظرنا إلى العربية القديمة ونظرنا في نفس الوقت إلى العربية المعاصرة فسنلاحظ أن القضية التي يطرحها بعمق الأستاذ الفاسي قضية الاعراب تكون قضية ثانوية ، وقد تنعدم وتصبح الرتبة شيئا أساسيا فقد أخذنا نسمع الآن ونقرأ في الكتابات الصحفية ، وفي المقالات وحتَّى في بعض الكتابات الابداعية هذه الجمل التي تهيمن على الكتابة وهي «الوزير جاء من كذا» ؛ «محمد خرج من كذا» ودائما نجد أن المركب الاسمي يتقدم المركب الفعلي ، أي أن الرتبة تلعب دورا كبيرا . وهذا ما أشار إليه الأستاذ كمال أبو ديب أمس حينما قرأ ورقة الأستاذ الجابري ولاحظ أنها تشكل لغة أبعد ما تكون من اللغة العربية في مرحلتها البين بين ، أي المرحلة الاعرابية التي كان يمثل فيها الاعراب ـ كما قال الأستاذ الفاسي ـ دورا معينا ، ولكن ليس دورا كاملا ، لأن هنالك أدوارا أخرى تلعبها أشياء أخرى كالنبر والصرف إلى غير ذلك ، والقرائن اللفظية والمعنوية تلعب دورا ، ويلعب الاعراب دورا من بين هذه الأدوار .

الأستاذ حليلي

على اثر الحديث الذي يدور حول الرتبة والاعراب أريد أن أنبه إلى أن جل اللغات الانسانية تشترك في أنها تحدد القيم النحوية للواحدات اعتمادا على ثلاثة أشياء أولا : الرتبة ، ثانيا : الاعراب ، ثالثا : طبيعة الوحدة الصرفية أو طبيعة الكلمة وبالتالي فالاقتصار على الاعراب فقط ، أو الرتبة فقط أو طبيعة الوحدة اللغوية فقط ، اعتبر أنه لا يكفي للتحديد .

الأستاذ الادريسي

يبدو أن الأستاذ الفاسي كان يتحدث عن الوظائف والعلاقات في اطار النحو العلاقي وليس في إطار كلام عام ، بمعنَى أنه من الممكن أن يأتي أي متدخل فيعطي انطباعه ورأيه حول الرتبة والاعراب والصرف وقرائن أخرى كالنظم والنغمة والتضاد إلى غير ذلك من القرائن وهذا كلام عام ولكن كلامنا محصور في اطار نموذج معين نناقشه ونمحصه هنا وهو نموذج النحو العلاقي .

الأستاذ الفاسي

أريد فقط أن أوضح شيئا يتعلق باستعمال مفهوم الأولية . جل اللغويين فيما أعتقد يقر بوجود ثلاث مجموعات من العناصر ، صفات مقولية وصفات صوتية وصفات دلالية . أعتقد أنه ليس هناك من اللسانيين من يشكك في هذا . ما نحن بصدده هو إضافة مجموعة أخرى وهاته المجموعة هي مجموعة العلائق .

بالنسبة لتدخل الأستاذ العلوي، وهو يتعلق بالعامل ، ويتساءل فيه هل بالامكان أن نستغني اما عن الوظائف اما أن نشتقها من شيء يمكن أن نسميه بالعامل أو العوامل التي أتى بها النحاة العرب . أنبه فقط في هذا الصدد إلى أن تشومسكي في أعماله الأخيرة ، ربما تحت ضغط العلاقيين . أدخل مكونا جديدا في النحو أو عنصرا جديدا في النحو وهو ما يسميه بـ Case component وهذا المكون لا يتحدث فيه تشومسكي عن الاعراب الصرفي الموجود في اللغة . وانما يتحدث عن اعراب مجرد . هذا الاعراب ليس هو الاعراب الذي كان يتحدث عنه Fillmore ، ويعطيه معنًى دلاليا ، وليس هو الاعراب السطحي . فإذن ممكن أن تكون هذه النقطة أيضا داخلة ولها أهميتها في النقاش .

حينما تحدثت عن الأشياء التي تتعلق باللغة العربية وغيرها من اللغات ، كنت أتحدث عن البعد التجريبي فيما أعتقد . ربما للأستاذ الادريسي بوشعيب تأويل آخر للمشكل التجريبي . أنا أقصد empirical وليس experimental

الأستاذ المدلاوي

لدي سؤال فيما أشار إليه الأستاذ الفاسي من اعتبار اللغة العربية في مرحلة بين بين ، ما بين اللغات ذات الطابع الصرفي الاعرابي واللغات التي يغلب عليها الطابع التركيبي الشجري. وقد قال إن اللغة العربية في مرحلة انتقالية . السؤال هو : فعلا هناك ملاحظة وهو أن في كثير من اللغات المعروفة مثل اللغات التي تفرعت عن اللاتينية واللغات التي تفرعت عن الأصل السامي وحتَّى اللهجات الدارجة التي تفرعت عن اللغة العربية، هناك ميل دائما إلى الطابع التركيبي الشجري أو إلى

الطابع الصرفي ، والسؤال هو : هذا الانتقال هل تحكمه قوانين من صميم طبيعة اللغة أم أنه عبارة عن تطور عشوائي استقرأناه فقط ، يعني لاحظناه فقط ، يعني أهو عبارة عن ظاهرة استقرائية أم هناك شيء آخر؟ الأستاذ أشار إلى أن هناك من اللغات ما يعود من الطابع الصرفي إلى الطابع التركيبي. إذن هل المسألة مسألة دورية ، أم أن الاتجاه هو اتجاه من الصرفية الاعرابية إلى التركيبية الشجرية ؟

الأستاذ السغروشني

أريد اثارة مشكلة البنية التي تقوم فقط على الضمير. مثلا مشكلة الاعراب تقع فيما يتعلق بالغائب أو فيما يتعلق بالاسم. أما عندما تكون البنية مع الضمير مثلا عندما أقول : ضربته ، مشكلة الاعراب لا تبرز بكيفية واضحة كما تبرز في الاسم. وتثير هذه البنية – بنية الضمير– اشكالات منها الرتبة بالنسبة للفاعل الذي يأتي على صورة ضمير ، وكلمة ضمير غير موفية للمراد لأن ضمير معناه خفي ، أما ما أراه موفيا هو pronom أي محل الاسم. قالوا ضمير بارز وهذا متناف. هو ضمير وهو بارز أي هو مخفي وهو ظاهر في نفس الوقت. ثم هذه الانعكاسات في هذه البنية نجدها عندما نظروا في بعض البنيات كإذا الشمس كورت فعادوا إلى هذه البنية ، بنية الضمير.

الأستاذ الادريسي

أيضا من بين الاشكاليات التي يمكن طرحها قضية البنية التي يكون فيها المفعول الذي لم يسم فاعله والمقارنة بين بنية اللغات الشجرية التي تتعامل مع هذه البنية باعتبارين ، باعتبار الحذف من جهة ، وباعتبار تحويل النقل من جهة أخرى استنادا إلى النسق التشومسكياني. أما بالنسبة للنحو الوظيفي وكما نبه الأستاذ الفاسي فبدأ الصعود ومبدأ البطالة والفاعل العاطل شيء آخر تطرح في هذه القضية هذه المشكلة : لماذا يتعامل النحو العربي مع البنية التي يكون فيها المفعول الذي لم يسم فاعله ، أي نائب الفاعل ، فيحذف الفاعل ليحل محله المفعول في الوقت الذي نَرَى فيه اللغات الشجرية هاته تتعامل مع هاته البنية تعاملا مزدوجا فهي مرة تحذف ومرة تذكر الفاعل العاطل ، تذكره متأخرا لتحل محله ، يعني مفعولا بدأ يشتغل كما

نقول في العربية ضرب زيد ، ولا نقول في العربية ضرب زيد من قبل محمد ، وقد اتصلنا ببعض الذين يهتمون بهذا الموضوع كالأستاذ محمد أبو طالب الذي تتبع في القرآن جميع الجمل التي تشتمل على الفعل المبني للمجهول ولاحظ أن هذه البنية يكون فيها الفاعل محذوفا فيحل محله المفعول . يبقى هنالك تغيير آخر وهو أن الفعل يبني للمجهول . بعبارة أخرى أدخل هذا التعريف ، فنائب الفاعل بهذا الاعتبار هو ذلك الاسم الذي هو في الأصل مفعول به ، أو شيء آخر كالمصدر والظرف إلى غير ذلك ، يحل محل الفاعل فيحذف الفاعل . في اللغات الأجنبية لا يحصل هذا ، تقول بالفرنسية محمد مضروب وتقول محمد مضروب من لدن أو من قبل محمد . أطرح السؤال خاصة وأننا لاحظنا أن الأستاذ الفاسي قد طرح هذه الاشكالية . فمن الممكن أن يفيد في هذا الباب اغناء لهذا النقاش وانتقالا إلى المستوَى التجريبي ، وأرجو أن يشاركنا الأستاذ محمد أبوطالب في هذا الموضوع .

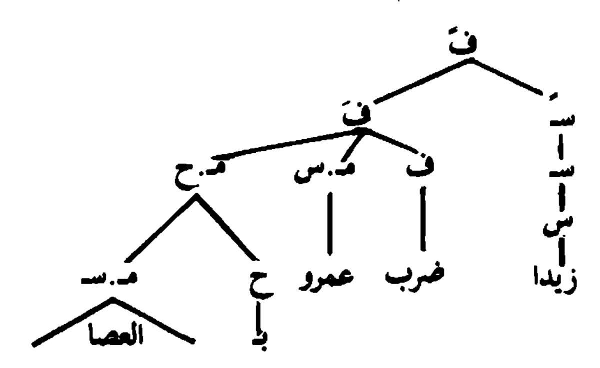
الأستاذ السغروشني

ما أقصده بسؤالي هو أن هناك في الجملة ، عندما يأتي محل الاسم الضمير ضربته ، عند ذلك الفاعل هو التاء . فالتاء كفاعل لا تبرز مشكلة الاعراب معها . إذن هذه البنية الاعرابية لا يبرز فيها إلا عندما يكون محل الفاعل محتلا من لدن اسم. عند ذلك نَرَى الاعراب. الاعراب لا يكون كما نجده في اللاتينية حتَّى إذا جاء الضمير يأخذ شارة الاعراب. هنا الضمير لا يأخذ شارة الاعراب بل يأتي ببنية جامدة نسميه مبنيا بحيث تُ تبقَى تُ دائما. هناك اشكال، ثم هناك البنية التي يأتي فيها الفاعل على شكل حركة ، عندما أقول ضَرَبَ تختلف عن ضَرَبْ بدون حركة التي ترتبط بـ«ت». أما ضَرَبَ فهي حاملة لشارة مخالفة لضَرَبْ التي سترتبط بـ«ت». هذه اشكالية طرحتها .

الأستاذ الفاسي

أريد أن أعطي بعض الايضاحات حول الأسئلة التي طرحت من الأساتذة المدلاوي والعلوي والادريسي والسغروشني . فيما يتعلق بمساواة الفعل للجملة .الذي طرحه الاستاذ العلوي ، أنا أتفق معه أن المهم في كل مركب هو ظهور ما يمكن أن

نسميه بـ«رأس المركب» . بالنسبة للجملة ، إذا اعتبرنا أنها مركب فعلي ، يمكن وبسهولة أن نبين لماذا يظهر الفعل وحده في العربية . لأنه هو الرأس ، وقد تكون له فضلات هي المركب الاسمي الفاعل والمركب الاسمي المفعول والمركب الحرفي وهكذا ، كما يبين ذلك الرسم التالي :



إذن في هذا اتفق معه وهذا هو التحليل الذي تبنيته في القواعد التي وضعتها للعربية .

بالنسبة للسؤال الذي يتعلق بالانتقالية ، ان العربية في مرحلة انتقالية ، هذه الملاحظة مبنية بطبيعة الحال على الاستقراء ، واستقراء تاريخ اللغات . عموما اللغات التي ترتب في شكل فعل فاعل مفعول ، إما تفقد العلامات الاعرابية فتصير S.V.O ، كما هو الحال الآن بالنسبة للمغربية الدارجة وكل اللهجات العربية ، إذ فقدت العلامات الاعرابية . غالبا ما يكون هذا مسار التطور لأن V.S.O تنتقل إلى S.V.O ، وهذا يفرق بين الفاعل والمفعول . فن هنا ننتقل إلى البنية الشجرية لأن V.O هو V.P أو المركب الفعلي الذي لا يوجد في اللغات V.S.O

بالنسبة لسؤال الأستاذ الادريسي حول قضية نائب الفاعل وقضية العاطل ، لماذا لا يظهر في العربية بينما يظهر في اللغات الأخرى ، أعتقد أنه حتّى بالنسبة للغات الأخرى لا يظهر دائما مثلا نقول : Jean a été tué

هناك فرق بطبيعة الحال مع اللغات الأخرى التي قد يظهر فيها وقد لا يظهر . اما بالنسبة للغة العربية فمن الأحسن ألا يظهر ، وهذه الجملة (من الأحسن ألا يظهر) ليس لي أي جواب فيما يخصها .

بالنسبة للنقطة الأخيرة التي طرحها الأستاذ السغروشني وهي قضية الضمير ، وأنه لا تظهر معه العلامة الاعرابية أقول : الاختلاف الصرفي قد يدخل فيه الاعراب كما يدخل فيه البناء . مثلا عندما نقول «ضربت» لا يمكن أن تفيد «ت» المفعول . فإذن هذا الفرق نمثل له في المعجم . «ت» مثلا يمثل لها بخصائصها الصوتية والتركيبية والدلالية .

هذه من الأشياء التي هي في صالح ادخال العلائق داخل المعجم . من جملة القيود التي توجد على بعض الضمائر انها [+ فاعل] ، لأن من خصائصها ألا تكون الا فاعلا . وهذا شيء يجب أن يتعلمه الطفل . ولا يمكن أن نستخلصه من التركيب ، فإذن هو شيء في المعجم ونمثل له فيه .

الأستاذ السغروشني

المشكل بالنسبة لي هو انه عندما آخذ جملة في اللاتينية ما يلتحق بالاسم يلتحق بالضمير . عندما يأخذ الضمير وظيفة . يأخذ شارة وظيفة، فإذن إذا تكلمنا عن الاعراب أو الحالات هي منسحبة سواء على الاسم أو على الضمير ، ثم نجد مثلا بالنسبة للغة العربية ان الضمير يأتي ولكنه في حالة بناء . ألا يكون هذا نوعا من بداية عدم التطور في اللغة ، أو نفترض أن هناك مرحلة قبلية كان الاعراب شاملا فيها ، كما هو موجود وشامل في اللغات الاعرابية ؟

الأستاذ الفاسي

أعتقد أن هذه النقطة مهمة . السؤال هو لماذا نجد أن اللغات في كثير من الأحيان تتطور لتستغني عن العلامات الاعرابية ؟ وهذا لا يوجد فقط في الضمائر ، ولكن يوجد في عموم الأسماء . كل شيء مبني . وكما تعلمون في النحو العربي دائما من يريد أن ينتصر للرتبة يقول إن ضرب عيسَى موسَى لا يمكن أن تفيد أن عيسَى هو المضروب . لماذا ؟ لأن الاعراب لا يُرى في هاته الحالة . وأظن أنه بالنسبة لأسماء الأعلام وبالنسبة لأشياء أخرى مبنية هذا أهم منه بالنسبة للضمائر . لا أفرق بين «ت» وبين طاولة أو موسَى لأن «ت» وضعت لتدل على الفاعل دائما ، أما بالنسبة لموسَى فوضعت لتدل على الفاعل والمفعول ، لا توجد فيها الوظيفة ممثلة ، بينما في

«ت» توجد الوظيفة ممثلة . فأعتقد أن هذا البدء في فقدان العلامات الاعرابية يرجع أساسا إلى عدم وجود هاته العلامات الاعرابية في بعض الأسماء ، وهذه العلامات الاعرابية كونها لا تظهر في بعض الأسماء تضطرنا إلى أن نأخذ بوسيلة غير الاعراب . في اللغة العربية ، بما أنه ليست هناك وسيلة نبرية ، ليس هناك إلا وسيلتان : وسيلة رتبية ووسيلة اعرابية . إذن نحتاج إلى الرتبة ، وهذا من الأشياء التي بدأت فيها العربية تتطور ، وهناك أشياء أخرى كثيرة تجعل اللغة تتطور نحو فقدان الاعراب .

سـؤال مكتـوب :

بالرغم من أنني لست متخصصا في علم اللسان ، لاحظت من خلال تدخل الأستاذ الفهري حين قسم اللغات إلى شجرية وأخرى غير شجرية وثالثة بين بين ، لاحظت أن هناك طغيانا للنموذج اللساني الغربي ، فادامت فكرة التشجير التي أتى بها اللسانيون الغربيون مستقاة أساسا من دراستهم للغات الأوربية فلماذا نريد اخضاع اللغات الأخرى إلى هذا التشجير وبالتالي تصنيفها من خلال ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لهذا التشجير ؟

الأستاذ الفاسي :

المهم في نظري هو محاولة تقصي حالات ووظائف اللغة العربية لايجاد أساس آخر غير التشجير ينطبق عليها . وهذا الوضع الفكري ، سيطرة النموذج الغربي ، ليس وقفا على ميدان اللسانيات وحده ، بل هو متمظهر في جل مناحي الفكر العربي الاسلامي بصفة عامة . بالنسبة لي لا أجد أي مركب في التعامل مع الغرب أو استيراد أفكار الغرب ولا أعتبر هذا مشكلا . المشكل هو محاولة حل المشاكل سواء بالطرق الغربية أو غير الغربية .

الأستاذ كمال أبو ديب

أنا آسف في الحقيقة لأنه فاتني جزء كبير مما دار في الندوة وإذا كان فيما سأقوله أشياء وردت سابقا فأرجو أن أعذر . يبدو لي أننا نجازف إلى حد ما باحتمال الوقوع في أزمة فعلية نخلقها نحن ، في محاولتنا لتصور مفهوم تشومسكي التشجيري باعتباره شيئا جاهزا ونهائيا . ما أحاول أن أقوله هو أن التقسيم الحاد جدا إلى فصلات

أحدها اللغات التشجيرية والآخر اللغات التي لا يمكن أن توصف بالتشجيرية قد يكون خلقا لمشكلة تبدو صعبة بالطريقة التي نخلقها بها ، لكنها قابلة للتجاوز نهائيا إذا أعدنا تصور العلاقة بين النحو وبين اللغة .

في عمل تشومسكي واضح أن التشجير وسيلة لتفسير العلاقات الأساسية التي يعتبرها تشومسكي مكونة للجملة الطبيعية في لغة طبيعية . هذه العلاقة ليست علاقة ثابتة على الاطلاق ، لأن تشومسكي حين يصف الجملة المبنية للمجهول مثلا لا يتردد على الاطلاق في قلب مواقعها .

لذلك يبدو لي أن تصورنا يبدأ الآن بالميل للتجمع على صيغة واحدة وهي أن عجزنا عن وصف جملة عربية من نمط ضرب زيد عمرا مثلا عن طريق المخطط التشجيري بنقل أو بعكس المخطط التشجيري مباشرة على الجملة يخلق مشكلة . في الواقع أنا شخصيا لا مشكل لي على الاطلاق . يعني ما هو مطروح هو جملة عربية طبيعية ، والمنهج أو الطريقة التشجيرية قادرة على وصفها بشكل بسيط جدا لا باستخدام الصيغة التشجيرية لدى تشومسكي في صيغتها الأولى رقم 1 وانما بطريقة يمكن ترقيمها بثلاثة 3 مثلا ، وهي استمرار للصورة النابعة من وصف للجملة المبنية للمجهول ، بحيث يمكن أن تقلب العلاقات . هذه مشكلة جزئية لأن الجملة العربية ليست جامدة بشكل نهائي على الفعل والفاعل والمفعول به ، كما حاولت وحاول غيري أمس أن نحتج أن تكون الجملة عادة فيها الفعل سابقا للفاعل في العربية ، لأسباب كثيرة بعدها الرئيسي بعد sémantique سيمانتيكي تركيبي ينتمي إلى syntaxe ، ولا ينتمي بالطريقة التي نبالغ في تصورها فيما أعتقد إلى النحو فقط . وعلاقة الفعل بالفاعل تظهر تصورا وجوديا في الثقافة العربية لا يمكن أن نتصور الفعل إلا في تلاحم وجودي بالفاعل لحظة حدوث الفعل .

ومن هنا تجسد اللحظة الزمنية التي يمارس الفاعل فيها الفعل .

أما في اللغات الأوربية فان الفعل في استقلاليته غير مرتبط بفاعل معين ، لأنه قائم بذاته يمكن أن ينفصل وهو منفصل في الواقع عن الفاعل باستمرار . وحين يوصف الحدث فهو يوصف من خلال الفصل بين مكونين .

في الغربية هذه خصيصة جوهرية . ووظيفة نحو جديد للعربية في تصوري هي

أن يستطيع أن يرصد هذه الوظيفة الجوهرية وأن يستطيع أن يرصدها بطريقة تشجيرية . فالمشكلة لا تتجاوز بأن نقول إن التشجير ينطبق على العربية ، ولذلك فان لدينا مشكلات صعبة ينبغي أن نحلها ، وأن نستخدم التشجير باعتباره وسيلة في الأداء ، وسيلة تجسيد ، يمكن عن طريقها أن نخلق نحوا للغة قادرا على أن يولد جميع جمل اللغة فقط . فقد نكون في الواقع نعقد الأمور بتصور أقرب إلى الحرفية بمفاهيم أساسية .

الأستاذ الادريسي

بالنسبة للأستاذ كمال أبو ديب ، يبدو لي أنه أسقط على الفعل العربي ليس المستوَى الأول ، مستوَى اكتساب اللغة ، وانما الأستاذ كمال أبو ديب وهو يتحدث معنا سنة 1981 ، وليس كمال أبو ديب الذي كان يكتسب اللغة وهو طفل .

أنت تسقط عليها الحمولة العلمية الثقافية والخلفيات كلها لتستنتج أن الفعل لا ينفصل على الفاعل . استنادا إلى قول النحاة كل فعل لابد له من فاعل وبعد فعل فاعل ، ولكن الأمر مختلف في إطار النحو العلاقي .

أما فيما يتعلق بالتشجير فقد كانت هناك محاولة واضحة جدا وتجووزت وهي محاولة الدلالة التوليدية التي قالت ان النحو يولد زوجين زوج عميق منطقي وزوج سطحي انجازي ، الزوج العميق المنطقي فيه فرعان للشجرة : محمول وليكن فعلا أو ما يقوم مقام الفعل ، وموضوعات «ن» في المثال الشهير الذي يأتي به الدكتور عادل فاخوري في كتابه المنطق الرياضي في اطار منطق المحمولات يقول اشترت أمريكا من روسيا ألاسكا بكذا ...، فينقل الفعل اشترَى للأول . ولو كان في أي مكان ليكون محمولا يربطه بالمركبات الحرفية (اشترت من ب) امريكا روسيا ألاسكا بـ 500000 دولار) الخ . فنلاحظ اذن في هذا الاطار أن التشجير ممكن ، ولكن الاشكالية التي يطرحها الأستاذ الفاسي أعمق من هذا . انها تثير اشكالية أولية الوظائف النحوية في النماذج اللغوية تجاوزا لتشومسكي الذي كان يشتق هذه الوظائف من العلاقات داخل الشجرة أي أن المركب الاسمي الأول المرتبط مباشرة بالجملة له وظيفة فاعل الجملة والمركب الفعلي المرتبط مباشرة بـ ج محمول الجملة والفعل المرتبط بالمركب

الفعلي فعل رئيسي والمفعول المباشر هو المركب الاسمي التابع مباشرة للمركب الفعلي .

فالمسألة ليست مسألة تشجير ، التشجير له امكانيات وقواعد ولكن المسألة مطروحة في إطار الوظائف ، وليس في اطار الفعل وعلاقته بالفاعل .

الأستاذ الفاسي

أريد أن أوضح للأستاذ كمال أبو ديب الذي لم يحضر معنا في البداية أننا لم ننطلق في هذه الجلسة لمناقشة تشومسكي ولا غير تشومسكي . كانت هذه أمثلة ليكون النقاش مفيدا ، ولم نقتصر على تشومسكي بل عرضنا لغيره ، وكانت المائدة مفتوحة لجميع النماذج الممكنة التي يمكن أن يناقشها المناقشون ، ولكن الاشكال كان اشكال الوظائف .

فالاشكال هو : هل يجب أن نمثل للوظائف ؟ أم يمكن أن نستغني عنها في الأنحاء ؟ وإذا كان الجواب بالايجاب ، فكيف نمثل لهذه الوظائف ؟

الموضوع : الدلاليات والتداوليات «أشكال الحدود»

المقرر : الأستاذ أحمد المتوكل

نـص التقرير :

يعتبر أشكال الحدود بين الدلاليات والتداوليات ونوع العلاقات الممكن اقامتها بينهما في إطار «تنظيم نحو شامل»، من الاشكاليات المستأثرة باهتمام المفكرين (فلاسفة ومناطقة ولغويين) الذين يُعنَوْن بقضايا اللغات الطبيعية ومشاكل وصفها، في السنوات الأخيرة.

وقد طرح علماء اللغة العرب القدماء ما يقارب هذا الاشكال (مع اختلاف في الطرح مردّها خصائص التنظير في الفكر اللغوي العربي القديم) حين ناقشوا (في اطار علم البلاغة) موضوع علم المعاني وعلاقته بباقي «علوم اللغة».

وتتلخص عناصر الاشكال – في نظرنا – إذا ما ردَّ إلى جوهره، فيما يأتي :

ا) إذا ما ترك جانبا مشكل «التركيب» والنقاش الذي يدور حول علاقته بمستويي الدلالة والتداول (استقلال مطلق / استقلال نسبي / تداخل) وسلّم بأن الخصائص الصورية للغات الطبيعية تُشكِّلُ مجالا متميزا تضطلع «التركيبيات» بوصفه فإنه يبقَى على النظرية اللغوية (في اطار مهمة «تنظيم النحو» أن تعدّ للتمثيل للمجال المتبقّى، أي للخصائص والعلاقات التي تكون حيّز «المعني» (بالمفهوم الواسع).

ب) يمكن أن يُميز ، حدساً ، أي في المستوى ماقبل النظري ، بين صنفين اثنين من الخصائص والعلاقات « المعنوية ».

1 — الخصائص والعلاقات المستقلة عن « المقام »،

2 — الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمقام ، أي التي تُحدِّد بمقتضَى « سياق التواصل ».

ج) حين ننتقل الى مستوى التنظير ، نجدنَا أمام اتجاهين رئيسيين اثنين.

1 — الاتجاه المتمثل في اعتبار الصنف الثاني من الخصائص والعلاقات (نعني المرتبطة بالمقام) ظواهر « انجاز »،

2 — والاتجاه المنطلق من فرضية ان هذه الخصائص والعلاقات تشكل جزءا من « قدرة » المتكلم اللغوية.

ويترتب عن هذا الاختلاف في فرضيات الانطلاق اختلاف في صوغ النظرية اللغوية وبنائها :

1 — إذا أخذ بفرضية الاتجاه الأول فانه يصبح من الضروري وضع نظريتين منفصلتين تضطلع أولاهما بوصف الخصائص والعلاقات الدلالية الصرف (إلى جانب الخصائص والعلاقات التركيبية) وثانيتهما بوصف الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمقام ، باعتبار النظرية الأولى نظرية « قدرة » والثانية نظرية « انجاز ».

2 — اما إذا انْطلق من فرضية الاتجاه الثاني ، فانه يصبح من مهام النظرية اللغوية — باعتبارها ، حسب هذا المنظور ، نظرية تستهدف وصف وتفسير « القدرة اللغوية» بوجه عام — أن تقوم بتنظيم النحو على الشكل الذي يجعله يسع وصف الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمعنَى سواء منها ما هو مستقل عن سياق التواصل أو ما هو خاضع لمقتضياته.

د) وقد قدمت اقتراحات مختلفة ، خلال السنوات الأخيرة ، داخل الاتجاه الثاني الذي أصبح — تدريجيا — الاتجاه الغالب (حتَّى بالنسبة لبعض متزعمي الاتجاه الأول).

ويمكن ارجاع هذه الاقتراحات إلى اقتراحين أساسيين اثنين :

1 – الاقتراح الأول

ينطلق أصحاب هذا الاقتراح من تصوّر – أصبح كلاسيكيا – لبنية جهاز وصف اللغات الطبيعية (تصور شارل موريس ومن استوحاه من الفلاسفة واللغويين) يرتكز الوصف بمقتضاه على مكونات ثلاثة : مكون تركيبي ومكون دلالي ، ومكون تداولي .

2 – الاقتراح الثاني

يتميز هذا الاقتراح عن الاقتراح السابق بكونه يختزل مكونات الجهاز الواصف . ويمكن أن نميز داخل هذا النوع في الاقتراحات بين اتجاهين :

1) تذهب طائفة من الفلاسفة واللغويين (بعض متزعمي ما يسمَّى «بالدلالة التوليدية» ، على سبيل المثال) إلى أنه من الممكن ، بل من الأفضل ، منهجيا ، أن تُدْمَج التداوليات في الدلاليات ، أي أن يصبح ما كان في حيز المكون التداولي (حسب النموذج الثلاثي التكوين) من مجال الدلالة ، شريطة أن يغني جهاز الدلاليات بكيفية تمكنه من التمثيل للمفاهيم المرتبطة بالظواهر المعتاد اسناد وصفها للتداوليات .

2) وتناقش طائفة أخرى أسس ورود مكون دلالي مستقل الموضوع مشككة في وجود ظواهر دلالية صرف ، أي ظواهر معنوية لا ترتبط بسياق التواصل ، فتقترح ، على نقيض الطائفة الأولى ، أن يقلص مجالا الدلاليات والتداوليات إلى مجال واحد يشملُ كلّ ظواهر «المعنَى» (بالمفهوم الواسع) وتضطلع التداوليات بوصفه ، باعتبار هذه الظواهر جميعها مرتبطة ، بكيفية أو أخرى ، بسياق التواصل .

هـ) مازال ، لحد الآن ، ورغم كل ما بذل من مجهود في اطار الاتجاهات السابق ذكرها ، مشكل الحدود بين الدلاليات والتداوليات مطروحا ، مترتبا عنه ، على مستوى المنهج ، مشكل صياغة الجهاز الواصف الملائم .

وسيظل حلّ هذا المشكل وما يترتب عنه ، رهينا ، في نظرنا ، بايجاد الجواب الكافي لمجموعة من الأسئلة نورد منها ما نراه أساسيا :

1 ــ هل هناك ، فعلا ، امكانية للتمييز بين ما هو «دلالي» صرف وما هو «تداولي» ؟

2 ــ إذا سلمنا بامكانية هذا التمييز وبورود معيار الارتباط بالمقام منطلقا له ، فما هي ، بالضبط ، الخصائص والعلاقات الدلالية الصرفية في مقابل الخصائص والعلاقات التداولية ، أو ، بعبارة أخرى ، ما هي الظواهر التي تشكل ، بالضبط ، حيز كل من الدلاليات والتداوليات ؟

3 ــ هل هناك ظواهر معينة تشكل موضوع كلٍّ من الدلاليات والتداوليات أم هل يتقاسم المجالان نفس الظواهر باعتبار أن لكل ظاهرة جوانب دلالية وأخرى تداولية ؟

4 ــ بغض النظر عن التمييز الممكن في المستوَى ما قبل النظري ، بين ما هو دلالي وما هو تداولي (بين ظواهر المعنَى المستقلة عن السياق التواصلي والمرتبطة به)، أي الامكانات النمذجية الثلاثة الآتية أنجع في وصف الظواهر المعنية بالأمر.

1) تقسيم مجال «المعنَى» إلى قسمين واعتبار أحدهما حيزا للدلاليات والثاني حيزا للتداوليات .

2) اسناد وصف الظواهر التي تكون مجال «المعنَى» بوجه عام إلى الدلاليات وحدها .

3) أم الاستغناء عن الدلاليات بجعل جهاز التداوليات يضطلع ، وحده ، بوصف مجال المعنَى كله ؟ .

4) في الحالة الأولَى ، ما هو نوع العلاقة التي من الأورد اقامتها بين المكونين ، بل بين المكونات الثلاثة (دلاليات / تداوليات / تركيبات) ؟

5) وفي الحالتين الاخريين ما هي المفاهيم والآليات التي يجب توفرها في جهاز الدلاليات أو جهاز التداوليات لوصف مجال «المعنَى» برمَّته ؟

ونقترح أن يتناول الاشكال الذي حاولنا رسم أهم خطوطه العامة انطلاقا من بعض الظواهر التي ما تزال طبيعتها (دلالة/تداول/دلالة باعتبار وتداول باعتبار) وبالتالي امكانيات وصفها موضوع بحث ونقاش : الفعل اللغوي ، الاقتضاء ، العبارات الاحالية ، الاستلزام الحواري ، الروابط المنطقية ...الخ.

المناقشة

الأستاذ أحمد المتوكل :

نبدأ باسم الله الرحمان الرحيم هذه الجلسة التي سيكون موضوع النقاش فيها اشكال الدلاليات والتداوليات من حيث الحدود الفاصلة بين الدلالة والتداول.

أمام جميع الاخوان المشاركين ورقة العمل التي حاولت أن ألخص فيها الإشكال. وأريد في البداية – كمدخل – ان أقوم بتعليق بسيط على هذه الورقة كي أمكن الاخوان المشاركين الذين لا يتوفرون عليها أن يعرفوا ماهو موضوع هذه الجلسة.

تاريخيا، يمكن ان نقول ان الاشكال بين الدلاليات أو التداوليات يرجع تاريخه الى طرح وجود ما يسمَّى بوظائف اللغة. إذا اعتبرنا أن اللغة ليست بنية فقط بل بنية وأداة للتواصل داخل المجتمعات. يطرح أوتوماتيكيا مشكل استعمال هذه اللغة في مواقف تواصلية معينة. هذا الاشكال – اشكال استعمال اللغة كأداة للتواصل – يطرح مجموعة من المشاكل التي يمكن أن نصنفها صنفين:

– مشاكل تجريبية ومشاكل نظرية أو منهجية. بالنسبة للصنف الثاني من المشاكل، أي المشاكل المنهجية يُناقش داخل كل من اطار فلسفة اللغة العادية واللغويات اشكال التمثيل لهذه العلاقات التي يخلقها استعمال اللغة كأداة التواصل. فَاقْتُرِحَ لحل هذا الاشكال بالذات تحليلات متعددة ومختلفة نذكر منها بالنسبة للغويات او اللسانيات الاقتراح الذي يقول بأن العلاقات المعنوية أو علاقات المعنَى المرتبطة بالمقام هي ظَوَاهِرُ «إِنْجَاز» وليست ظواهر «قدرة»، وإلى هذا يذهب مثلا كاتز في كتابه 1977، إلى جانب هذا الاقتراح ثَمَّة اقتراح آخر يقول ان استعمال جمل اللغات الطبيعية بربطها بالمقامات التي تستعمل فيها، يُكَوِّن أو يشكل جزءا من قدرة المتكلم اللغوية أي بالنسبة لهذا الاقتراح الثاني تُطْرَحُ مجموعة من الاشكالات المنهجية وأساسا اشكال التمثيل لهذه العلاقات داخل النموذج أو داخل الوصف اللغوي المقترح. في هذا الاتجاه اقْتُرِحَ أن يميز بين الدلالة وبين التداول كمكونين منفصلين واقترح كذلك أن يمثل لجميع العلاقات المعنوية داخل مكون

واحد وهو المكون الدلالي . والى هذا مثلا ذهب أصحاب ما كان يسمَّى بالدلالة التوليدية .

وذُهِبَ من جهة أخرى الى أن العلاقات المعنوية بكاملها سواء كانت مرتبطة بالمقام أو غير مرتبطة بالمقام يجب أن يمثل لها داخل مكون واحد وهو المكون التداولي .

هذه الاقتراحات النظرية ترجع في العمق الى اشكال التجريد وهو الذي يتمثل في السؤال . الآتي : هل هناك علاقات معنوية مستقلة عن سياق التواصل وأخرى مرتبطة بسياق التواصل أم أن جميع الظواهر المعنوية مرتبطة بالمقام باعتبار وغير مرتبطة بالمقام باعتبار آخر ؟ .

لكي لا أطيل وَلِأَدَعَ فرصة التدخل للاخوان المشاركين ، حاولت أن الخص هذا الاشكال في مجموعة من التساؤلات (تظهر في الصفحة الثالثة من التقرير) وهي :

أولا : هل هناك امكانية للتمييز بين ماهو دلالي صرف وماهو تداولي

ثانيا : إذا سلمنا بامكانية هذا التميز وبورود معيار الارتباط بالمقام منطلقا له فما هي بالضبط الخصائص والعلاقات الدلالية الصرف في مقابل الخصائص والعلاقات التداولية ، أو بعبارة أخرى ماهي الظواهر التي تشكل بالضبط حيز كل من الدلاليات والتداوليات ؟

ثالثا : هل هناك ظواهر معينة تشكل موضوع كل من الدلاليات والتداوليات أم هل يتقاسم المجالان نفس الظواهر باعتبار أن لكل ظاهرة جوانب دلالية وأخرى تداولية .

رابعا : هناك اشكالات أخرى تجدونها أمامكم وأقترح أن تتمحور التدخلات حول ظواهر معنوية ، مازالت في نظرنا لحد الآن تثير النقاش أولا من حيث طبيعتها : أهي دلالية أم تداولية ؟ وثانياً من حيث امكانيات وصفها وهي ظاهرة الفعل اللغوي «l'acte de langage» بشقيه ، الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر. وهناك تقسيمات أخرى . هناك الفعل اللغوي غير المباشر الحرفي والفعل اللغوي المباشر غير الحرفي إلى غير ذلك من التقسيمات الممكنة ثم ظاهرة الاقتضاء

Présupposition ثم العبارات الاحالية ثم هناك ظاهرة الاستلزام الحواري الذي حاولت في عرض البارحة أن أتبين بعض معالمها وهي مرتبطة بمفهوم الفعل اللغوي غير المباشر ثم الروابط المنطقية وهذه ترجمة أخذتها عن الأستاذ طه لـ «connecteurs logiques»

فاذن نفتتح الجلسة وللمشاركين أن يتدخلوا في النقاط التي وردت في ورقة العمل .

قائمة المتدخلين : جلال نور الدين — عبد القادر الفاسي الفهري — أحمد بوكوس — أحمد الادريسي .

الأستاذ أحمد الادريسي

في تدخلي أريد أن أطرح قضيتين :

القضية الأولَى هي محاولة الاتفاق على كلمة « معنَى » أساسا قبل أن ندخل في حوار حول المكون الدلالي اللغوي والاقتضاء والعبارة الاحالية والاستلزام الحواري والروابط المنطقية . لماذا ؟ لأن كلمة « معنَى » من الالتباس بحيث يمكن أن نقع في سوء تفاهم من حيث النقاش ونحن نعلم سلفا ماكان قد عدده من المعاني أوجدين وريتشاردز في كتابه معني المعنَى وبلومفيلد حين حاول أن يقصي كل ذلك معللا انه للوصول الى المعنَى يجب أن نستند الى الفيزياء والكيمياء أيضا فنقول بالنسبة لكلمة ماء مثلا هي بنية تتألف من هيدروجين 2 أوكسجين 1 ومعنَى هذا ان هنالك مشكلا هو مشكل المعنَى . هذا هو المستوى الأول « تحديد المعنَى » ونظرا لتدخل كثير من الاخوان لغويين ومتأدبين وفلاسفة وغيرهم فان الذي يلاحظ في اطار تصنيف مؤقت يقترحه ليتش في كتابه (الدلالة) فهو يقسم المعنَى الى ثلاثة أقسام :

فهنالك مفهوم للمعنَى : المعنَى التصوري أو المفهومي ويكون فيه المعنَى محصورا في المضمون المنطقي أو المعرفي أو المعنَى الأصلي ومعنَى تجميعي أو تداعوي ان صح التعبير ولست أدري ان كان من الممكن أن تكون ترجمة لـ : Associative (Asociativo) تجميعية أو تداعوية نسبة الى التداعي .

في هذه الحالة يدخل ما يسمَّى بمعنَى أو المعنَى المواكب والمدلول الأسلوبي أو ما يوصل حول الظروف الاجتماعية لاستعمال اللغة والمدلول العاطفي أو ما يوصل حول عواطف ومواقف من يتكلم ويكتب . والمدلول الانعكاسي أو ما يوصل بفضل تجميعه وتداعيه مع المعنَى الآخر بنفس التعبير والمدلول الحال - لست أدري فهو ترجمة Collocatif (coulocativo) ترجمتها مؤقتا بالحال أي يحل محل - الأستاذ المتوكل اشتقاقي كبير يستطيع أن يسعفنا في هذا المجال .

ويوصل بفضل تجميعه مع الكلمات التي تظهر عادة في مجال كلمة أخرى . ثم المدلول التيمي thême (tématívo) أي المدلول المحوري الموضوعي وهو ما يوصل عادة بواسطة الصورة التي تنظم بها الرسالة أو البلاغ بالنسبة للرتبة والتأكيد والتفخيم والاهتمام الى غير ذلك .

فاذن هناك ثلاثة أصناف : المعنَى التصوري والمعنَى التجميعي والمعنَى الموضوعي . لتعميق النقاش يجب أن نفصح أو أن نتفق على أي شيء سنتذاكر ونتحدث فيما يتعلق الأمر بالمعنَى . فإذا كان من الممكن - في اطار نقطة نظام - ان نبدأ بهذه النقطة لأنها جزء أساسي في الاشكالية ، لأن تحديد المفاهيم قد يكون وسيلة أساسية للحديث الذي يتلو هذا التحديد .

وعندي بعد ذلك في المستوى الثاني وهو : التحليل عند السكاكي انطلاقا من الاشكالية التي طرحها الأستاذ المتوكل ، وأقترح أن أتوقف لحظة ثم أشرح في اثارة هذا الموضوع بعد أن يتدخل الزملاء الآخرون

الأستاذ الأخضر بوجمعة

انطلاقا من ورقة العمل التي وضعت أمامنا يمكن القول بأنه لا يوجد أي تعريف نظري دقيق لما هو تداولي وماهو دلالي أي أنه يستحيل التفريق بين ماهو تداولي وماهو دلالي ولذلك يقول الأستاذ بأننا سنعتبر في مرحلة ما قبل نظرية بأن هناك تفريقا بين ماهو تداولي وماهو دلالي ويضع أمامنا كموضوعا للدرس بعض الظواهر وهذه الظواهر عموما اهتم بدراستها في أغلب الأحيان الفلاسفة وخصوصا

المناطقة . وأنا في تدخلي هذا أريد أن نميز بين امكانية وجود نوعين من الجمل . أولا – تلك التي لا توجد فيها مثل هذه الظواهر ، وفي هذه الحالة قد يكون بالامكان الاستغناء عن المكون التداولي، وهناك نوع آخر من الجمل التي توجد فيها مثل هذه الظواهر وفي هذه الحالة، وحسب التجربة ظهر أنه لا يمكن للساني أن يستغني عن المعطيات التداولية للتمكن من اعطاء وصف شامل للجملة، فأرى أن نميز بين امكانية وجود هذين النوعين من الجمل وشكرا.

الأستاذ أحمد الادريسي

كنت طرحت مشكلة تتعلق – قبل البدء في النقاش – بمدلول كلمة معنَى لأنه إذا اتفقنا على هذا المدلول يمكن بذلك أن ندخل أحيانا حتَّى المكون التركيبي الذي قد يتناول فيه جانب المعنَى . فالمسألة إذن لست أدري ؟ كيف يمكن أن يدور النقاش ولكن المسألة مطروحة بحدة تحديد المفهوم أو تحديد المفاهيم : مفهوم تركيب مفهوم معنَى مفهوم تداول يتضح لي ، إذا كان الأمر يتعلق بالاخوان : الأستاذ الفاسي ويمكن للأستاذ طه أيضا أن يفيدنا كثيرا في هذا المجال . فينبغي أن نخرج من هذه المقدمة .

الأستاذ الأخضر بوجمعة

أظن أننا سنتوصل الى تعريف دقيق لكلمة المعنَى وإذا ما رجع الأستاذ الى كتاب ليتش ففي هذا الكتاب يعرض ليتش مجموعة تعريفات لكلمة المعنَى وبعد ذلك يقوم باختيار ، يختار التمييز بين ما يسمَّى أولا بالمعنَى المعرفي والأنواع الأخرى من المعاني.

الأستاذ أحمد الادريسي

معنَى هذا أن الأستاذ الأخضر يقترح أن ننطلق من اختيار ليتش ولكن هل الأساتذة المحترمون متفقون على هذا ؟ إذا كان اقتراح ليتش مقبولاً في النقاش يمكن أن نستمر .

الأستاذ المتوكل :

أظن أنه إذا ما انطلقنا من تحديد المعنَى ، فسيحل الاشكال فيجب أن نصل إلى تحديد المعنَى لا أن ننطلق منه ، يمكن أن نقوم بتحديد عام وهو أن لجُمَلِ اللغات الطبيعية بنية صورية يضطلع بوصفها التركيب كفرضية .

الأستاذ أحمد الإدريسي :

حسب طرحكم للاشكالية يبدو أن التركيب يكاد يكون محايدا أو يكاد يكون مستقلا لأنه في عرضكم وفي طرحكم للاشكالية تشكيكا في قدرة التركيب على أن يكون له دور في المعنَى ، في هذا الحال يبقَى المشكل مطروحا لأن الغرض ألا يكون التركيب داخل نفس الاشكالية .بالنسبة إلي ،يمكن أن ننطلق من تصور ليتش ، الذي ينتهي إلى القول بأنه من الخطأ أن نعرف المعنَى باختصاره إلى مفاهيم العلوم الأخرى التي تنتمي إلى اللغة بالاستناد مثلا إلى علم النفس وإلى الكيمياء . هذا هو الاقتراح الأول ، أما الاقتراح الثاني فيقول بأن أحسن طريقة لدرس المعنَى هي اعتباره ظاهرة لغوية وليس شيئا خارج اللغة وهذا يعني أنه ينبغي أن نبحث دلاليا ما المقصود بمعرفة اللغة ؟ أي معرفة ما يحمله معه مثلا التقاط العلاقات الدلالية من الجمل وما هي الجمل التي لها معنَى والجمل التي لا معنَى لها ، وكذلك يقتضي كما يقول ليتش ما تقرر في الفقرة الثانية التفرقة بين معرفة اللغة ومعرفة العالم الواقعي الخارجي، هذه هي النتيجة . ولكن أمن هذا التحديد للمعنَى يمكن أن ننطلق للنقاش أم لا ؟ .

الأستاذ أحمد المتوكل :

أنا اقترحت أن ننطلق في النقاش من مجموعة من الظواهر وسردت بعض هذه الظواهر التي تشكل الآن في مجال البحث الفلسفي واللغوي اشكالات تتعلق بطبيعتها أولا وتتعلق بالتمثيل لها داخل النظرية اللغوية.أما أن ننطلق من شيء أعم وهو تحديد المعنَى فلن نصل ــ أظن ــ إلى شيء .

الأستاذ الفاسي الفهري :

لي ملاحظة أولى على هذا التقرير، لا أريد منها التنقيص من جهد الأستاذ المتوكل، هي ملاحظة تتعلق بالاشكالية المطروحة والطريقة التي طرحت بها. ولكي يتقدم النقاش كنت أود أن يحتفظ الأستاذ المتوكل بالعنوان العام، الذي هو اشكال الحدود بين الدلاليات والتداوليات وأن يطرح الاشكال في التقرير من خلال بعض القضايا ، حتَّى ندخل مباشرة في الموضوع والنقاش ، وحتَّى يتسنَّى للمشاركين أن يكوِّنوا فكرة ، وأن يقرأوا في هاته القضية بالذات وأن يناقشوا فيها .

ربما الأستاذ المتوكل لم يتخذ موقفا من كل هذه الاشكالات العامة التي طرحها على أساس أنه يترك الحرية للمتدخلين والمشاركين في اتخاذ المواقف . وبما أنه ترك لنا هاته الحرية فسنأخذها ، وربما سأبدي في بداية هذا النقاش ببعض الملاحظات التي قد تقودنا إلى أن ندخل في نقاش يقترب من أن يكون أفيد .

أعتقد أن هاته الاشكالات التي طرحها الأستاذ المتوكل في التقرير طرحت في إطار نقاش دار في إطار مدرسة واحدة على الأخص وهي المدرسة التوليدية بفروعها المختلفة ، وان كان هذا النقاش موجوداً عند الفلاسفة وأنه بالنسبة للغوي هذا النقاش طعم خصوصا بما أتَى به أصحاب مدرسة «أوكسفورد». اذن مادمنا سنناقش في إطار هاتين المدرستين على الأخص واحدة لغوية والأخرى فلسفية ؛ سأبدي بعض الملاحظات بالنسبة للمدرسة اللغوية وسأبدأ بالحديث عن التاريخ ، وهذا التاريخ لحسن الحظ ليس بعيدا ، ويبدأ بادخال المكون الدلالي في النحو التوليدي التحويلي بدءا من عمل كاتز وفودور، وادخال هذا المكون اتسم بشيء — ان كنت أذكره — وهو أن فودور هجر كاتز لأنه اعتبر بعد سنة أو سنتين أن العمل الذي هو برنامج للبحث الذي اقترحه كاتز كان على حد تعبيره Ill-Conceived لم يكن تصور هذا البرنامج تصورا سليما . إذن هذا التذكير بالتاريخ يدلنا على أنه منذ البداية ، محاولة ادخال المكون الدلالي في النموذج التحويلي التوليدي ، منذ البداية كان فيه خلاف على مستوَى التصور المنهجي للقضية .

كاتز بطبيعة الحال في عدة سنوات سار يدافع عن موقفه بارجاع هذا المكون

الدلالي إلى النحو التوليدي بالشكل الذي كان يتصوره ومن هنا جاءت مقالاته المتعددة وكتبه في الدفاع عن l'intentionalité ومن هنا جاء هذا النقاش الطويل حول l'intensionalisme و l'extensionnalisme من جهة أخرى في الدلالة .

أعتقد أن المناطقة الحاضرين معنا هنا هم أولَى بهذا النقاش إلا أنني ربما سأعود إلى هذا ، ما يهمني بالدرجة الأولَى هو هذا التصور أو هذا الهروب بالنسبة لفودور وهروب تشومسكي بالدرجة الأولَى من المعنَى وعلى الأخص من تصور المكون الدلالي كما اقترحه كاتز .

إذن أعتقد أنني سأقف عند هاته النقطة وأعود بعد هذا ربما إلى موقف تشومسكي الحالي من قضية المعنَى . ولكن قبل هذا أريد أن ألاحظ أن هاته الاشكالات المطروحة بالنسبة إليَّ ما دمنا بصدد الدلالة،أقول أن هاته الاشكالات لا تأخذ دلالة إلا في إطار اشكالية مطروحة في إطار علم من العلوم . ممكن أن نتصور أن الدلالة بكل بساطة هي جزء من الرياضيات وممكن أن نتصور أن الدلالة بكل بساطة هي جزء من علم النفس إلى غير ذلك . إذن ما يهمنا كلغويين ليس مشكل الدلالة كما تطرح عند الرياضيين أو عند علماء النفس،ربما هناك اتصال بين هاته الأشياء ولكن ما يهمنا بالدرجة الأولَى هو الموقف اللغوي من مشكل الدلالة .

الأستاذ عبد الرحمان طه :

اخواني ، يؤسفني كثيرا أني لم أشارك في هذه الندوة التي تميزت وسوف تتميز بعروض جد قيمة ، ولكن أسبابا صحية حالت دون مشاركتي في هذا المرسوم العلمي المثيل ، ولكن لما استشعرت شيئا من القوة ، واستشعرت أيضا علما نافعا بالنسبة لي ، حاولت المجيء والمشاركة مع اخواني وزملائي .

فالنقطة الأولى التي أريد الاشارة إليها والتأكيد عليها باعتباري منطقيا وفيلسوفا هي أن الدراسات اللغوية وأقصد الدراسات اللغوية المضبوطة التي تساير الركب العلمي الدقيق كما عليه هذا الركب ، في مجموع الدول المتقدمة شرقية وغربية ، أريد أن أبين أهمية هذه الدراسات بالنسبة للفيلسوف ، لأن الفيلسوف تعود ويتعود إلى الآن وفي كليتنا هذه تعميات هوجاء جوفاء ، لا سند لها من الواقع أو لا بينات

واضحة تدعمها من التجربة العلمية . ويؤسفني أني اطلعت على بعض الملخصات فوجدت فيها مظاهر من الشتات والفوضَى الفكرية ولكني وجدت في مقابلها ملخصات تتميز وتمتاز بالروح العلمية والدقة ، رغم ما سوف يجده القارئ حين مطالعة هذه الملخصات من صعوبة لفهمها وامتحان كبير لاستيعاب ما تنص عليه .

وأما النقطة الثانية التي أريد أن أشير إليها ، وهو أني شاركت في القديم وإلى الآن في ابراز الوعي بدور الدراسات اللغوية في تنبيه الفيلسوف من الغفلة الفلسفية الفضفاضة ، ومنذ سنوات وأنا أفعل هذا ، ومن جملة ما فعلت أني وضعت مصطلحات كثيرة تبناها زملائي عن رضًى وعن اقتناع علمي ، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم وهو **التداول** ، فإني وضعت هذا المصطلح منذ سنة 1970 في مقابل Pragmatique التي صادفتها آنذاك في اهتماماتي بالتمييز بين **التركيب والدلالة والتداول** على المستوَى المنطقي ، ولا أريد أن أقدم كل التبريرات العلمية المضبوطة التي تدعم اصطلاحي على هذا اللفظ ، وهي أن **التداول** أفضل كلمة يمكن استعمالها لمقابلة لفظة pragmatique ولو أن تشومسكي وغيره وان لم يكن تداوليا ، ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضولها على لفظة pragmatisme لسبب واحد وهو أنها لا توفي بالمقصود من علم التداول كما سوف نرَى ، فلفظة **التداول** تفيد في العلم الحديث **الممارسة** ونعبر عنها بـ La Praxis تفيد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التاريخي ، وتفيد أيضا التفاعل فى التخاطب — في عملية الخطاب تفيد التفاعل — ثم بالاضافة إلى ذلك انها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة من حيث المادة نفسها،فإذن هذا هو التبرير العلمي الأولي لمصطلح التداول . وأرجو من اخواني المشارقة الموجودين هنا أن يتبنوا أيضا هذا المصطلح مادام اخواننا المغاربة قد اجتهدوا في وضعه فلا داعي لوضع مصطلح آخر وأنا أرفض كلمة pragmatique لسبب أنها لا تؤدي ذلك أو لأنها قد تختلط مع pragmatisme وهي الدرائعية ثم ثانيا أن pragmatique في أصلها اليوناني تفيد الشيء المستعمل فقط ولا تفيد التفاعل ، بينما التداول نجد فيه المعنَى التفاعلي ونجد فيه أيضا معنًى الممارسة .

ليسمح لي بعض الاخوان لأنني أطلت الحديث ، ولكن لابد من توضيح بعض النقاط واعطاء المشاركين نصيبهم في هذا الاجتهاد العلمي .

النقطة الثالثة التي أريد أن أتعرض إليها ، سمعت بأن التداول ، وسمعتها مرارا وتكرارا وفي هذا المجلس الكريم ، سمعت بأن التداول هو من وضع ومن خلق فلاسفة اللغة العادية ، هذا كلام لا أقول يُجانب الحقيقة وإنما يحرفها فقط ؛ وهو أن القضايا التي أحسن الأستاذ المتوكل في وضعها وسردها في الملخص ، وذلك كما قال ، لتوجيه النقاش لئلا نقع في فوضى وفي تعميمات لا قِبَل لنا بها . سمعت هذا وأقول بأن هناك قضايا كثيرة لم يضعها فلاسفة اللغة العادية ، فمثلا لا أتفق مع الأستاذ المتوكل الذي استعمل لفظة الإستلزام لما أقصد ، وان كان قد وضع أو أشار إلى المصطلح الآخر المناسب وهو لفظة «المفهوم» بعضكم يقول «المفهوم» لا يفيد هذا المعنَى المهم إني أستعمل لفظة «مفهوم» كترجمة implicature لماذا ؟ لأني أولا وجدت عند الأصوليين والأصوليون يفرقون بين **منطوق** الجملة **ومفهومها** ومنطوقها هو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من السماع لهذه الجملة ، ومفهومها ما تستعمل له هذه العبارة بطريقة غير مباشرة وقالوا **مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة** ويفيد تماما ما يقصده غرايس (Grice)

وأقول بأني بصدد بحث مفصل في هذا الموضوع . فإذن المفهوم التخاطبي ترجمة لـ implicature conversationnel التي هي من وضع Grice هو ليس فيلسوف اللغة العادية ، وكذلك pragmatique تكلم فيها إلى جانب Stalnaker, Grice الذي هو منطقي وضع أساسها و Thomason منطقي ، فهم ليسوا بفلاسفة اللغة العادية ، أمَّا « La presupposition »لا ينكر أن جانبا منها والجانب الغير التداولي منها قد وضعه strawson وربما آخذ مثالا على ذلك لتطبيق ما قاله الأستاذ المتوكل حول التقيد ببعض القضايا ، وإنما القضايا التي وضعها فلاسفة اللغة وأسهموا في وضع أسسها وتأثر بهم الكثيرون هي ما يعرف بالأقوال الانشائية أو actes de langage وهي من وضع Austin وتلاه فيما بعد مجموعة Searle وغيرهم كثير ، وهنا مجال للفلاسفة لكي يعودوا أذهانهم على قلة التعميمات الهوجاء .

النقطة الرابعة : سمعت هنا أن لا فرق بين الدلالة والتداول لا وجود لهذه التفرقة ، ولا أريد أن أدخل مع الأستاذ إلا في مناقشات التقويم العلمي ، ولكن يؤسفني أن يصدر هذا الحكم . اعتمادا على مؤلف لا يعتبر رأيه قولا فصلا حتَّى في

الدلاليات وهو Leech . فأقول إن التفرقة بين الدلالة والتداول والتركيب، هذه التفرقة هي أولا بسيطة ، تفرقة اجرائية ، حينما أستعمل اجرائية أعني أن الباحث يقوم بعزل بعض الظواهر دون أخرى للتركيز على وضعها بأدوات وضعها خصيصا لمثل هذه الظواهر المعزولة ، يعني مثلا آخذ على مستوَى الدلالة والتداول نفس الظاهرة ، ولكني على مستوَى الدلالة أختار معالجتها بأدوات معينة وأعزل منها بعض العوامل التي أتركها إلى مستوَى آخر وهو مستوَى التداول ، بمعنَى آخر التمييز هو اجرائي فقط ، ومن الممكن أن أدرس على مستوَى التركيب الدلالة والتداول ، وقد قام فعلا كثير من اللغويين أذكر منهم G. Lakoff و R. Lakoff هذان حاولا أن يردا التداول إلى التركيب نفسه لا فقط إلى الدلالة ؛ بمعنَى أن اختيارهما كان اختيارا اجرائيا فقط وليس تمييزا واقعيا ، فحينما اخذ جملة فقد أعالجها بذكر العناصر التي تتصف بالتداول . وقد أعالجها فقط بالعناصر التي اكتفي بها على مستوَى الدلالة ، وقد أعالجها أيضا على مستوَى التركيب بعناصر دون العناصر التي اعتمدها على مستوَى الدلالة والتداول . الأمر بسيط جدا كالتمييز بين علم الاجتماع وعلم النفس ، فعلم النفس يقتضي معالجة ما يسمَّى بالآليات النفسانية وبينما علم الاجتماع يضيف بعدا آخر وهو بعد المجتمع فيركز عليه ويعالجه ، فمعنَى هذا أن علم الاجتماع يمتص ويستوعب علم النفس وكذلك التداول بالنسبة للدلالة بمثابة علم الاجتماع بالنسبة لعلم النفس .

كيف نحدد التداول : التداول قد أشير إلى هذا التحديد دون تفصيل مادامت هي ورقة عمل الأستاذ المتوكل فقال **المقام وسياق التواصل** وإن كنت أفضل **سياق التبليغ** .

فالمهم أنه قال السياق هو العنصر الذي يفرق بين الدلالة والتداول ، فنأخذ مثالا بالنسبة للذين لم يستأنسوا بعد بهذه المصطلحات التي ربما قد تنفرهم ؛ فلو أخذنا جملة معينة مثلا : الشجرة طويلة فهذه الجملة من حيث الدلالة يمكن أن أكتفي بمعنَى الشجرة وأكتفي بمعنَى الطويل وأربط بينهما في علاقة منطقية وأنتهي إلى معنًى معين أو أراعي السياق .

فما هو السياق : هذا السؤال، بحثت في كثير من المقالات التي تعرضت لـ

Pragmatique فأردت أن أجد بعض التعريفات للسياق فلم أجد منها تعريفا محددا ولكني أقترح الآن تعريفا للسياق ، أو تحديدا لبعض خصائص هذا السياق ، فأقول بأن السياق يقتضي عناصر مختلفة ، أولا عنصر ذاتي ، فما هو هذا العنصر الذاتي الذي يدخل في السياق وفي مقامات الكلام ، العنصر الذاتي هو معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقدات ، وأيضا مقاصد المتكلم فهو حينما يتكلم يقصد شيئا ، وكذلك اهتمامات المتكلم فقد تكون له أهداف فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية ، ثم ينبغي أيضا أن نراعي في هذا العنصر رغبات المتكلم ، فاذن هناك الاهتمامات والرغبات والمقاصد والمعتقدات كلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق . فالجملة إذا نطقت بها ينبغي أن أعرف كل هذه العناصر الذاتية ، أولا ، عنك ، لكي أتمكن من تحديد المعنَى الذي تنقله إليك . ثم العنصر الثاني أُسَمِّيه «عنصر موضوعي» ما هو هذا العنصر الموضوعي هو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول، يعني الظروف الزمانية والمكانية يعني أن هذه العوامل أيضا تدخل في تحديد السياق ، ثم العنصر الذي أسميه العنصر الذواتي ، يعني ما بين ذوات المتخاطبين ، وأقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين فهناك معرفة لتسمها اجتماعية أو ثقافية أو تراثية أو ما تريد،هي معرفة مشتركة بين المتخاطبين وقد تكتسب أثناء التخاطب،مثلا إذا تقدمت في التخاطب مرحلة معينة فما تلقيته منك أو سمعته منك قبل مرحلة ب يعتبر مرحلة مكتسبة أو مشتركة بيننا لاستمرار الحديث ويدخل في تحديد هذه المعرفة المشتركة تسليم المتخاطبين بالاعتقاد في قضايا معينة وتسليمهم بأن الآخرين يعتقدون فيها أيضا بل وتسليمهم بأن الآخرين يعتقدون بأنهم هم الذين يعتقدون فيها ، فهذه المعرفة المشتركة هي معرفة معقدة التركيب ، ولا أريد الدخول في التفصيل،ولكن إذا أراد الاخوان بعد الانتهاء من المناقشة فإنه عندي بعض التعريفات التي يمكن أن تعطي تعريفا لتمييز الدلالة تمييزا تاما عن التداول .

الأستاذ محمد المرسلي

لن أطيل كثيرا ، أشكر الأستاذ طه على العرض القيم الذي حسم فيه فيما يتعلق بالعناصر الثلاث المكونة لكل دراسة ما ورائية للغة ، تركيب الدلالة والتداول ، من هذا المنطلق نسجل الملاحظة الآتية بصدد ورقة العمل ، ورقة العمل طرحت العلاقة

بين الدلالة والتداول، وأرادت من المتداولين داخل هذه الجلسة أن يصلوا إلى بعض النتائج فيما يتعلق بهذا المشكل، ولكن ما هو هذا المشكل لو نظرنا إليه بعين أخرى ، مادام التركيب والدلالة والتداول تقع على المستوَى الماورائي للتصدي لدراسة اللغة سواء كانت هذه اللغة صورية أو عادية فمعنَى ذلك أنه الدلالة ان كانت هي المعنَى وكان مشكل تحديد المعنَى هو الذي طرح منذ البداية يجب أن نتفق على معنَى المعنَى ، وإذا ما اتفقنا كذلك كتعريف بسيط فقط لكلمة الدلالة لا باعتبارها ذلك المبحث الذي يدرس ، لا . بل باعتبارها المعنَى ، ببساطة ، بالنسبة لي ما تحمله السلسلة المكونة من رموز وأطلق عليها لغة خاضعة لقواعد معينة ما تحمله هذه اللغة ، معناه ما تتحدث عنه هذه اللغة سواء كان ذلك داخل النسق اللغوي أو كان هو العالم ، معنَى ذلك اتساع مجال الدلالات التي تتحدث عنها اللغة ، ما التداول؟هو كل العناصر التي يمكنها في مستوَى من المستويات أن تلقي الأضواء على تحديد الدلالة ، معنَى ذلك أننا في نهاية المطاف لا نطرح مشكلا دقيقا للمناقشة وإنما نطرح مشكلا عاما وعاما جدا لا يمكن نهائيا الحسم فيه ، لأنه مشكل نظرية المعرفة في نهاية المطاف والعلاقة بين المعنَى كمعنَى وبين ما ليس بمعنَى ويتحكم في المعنَى أي العلاقة بين الذاتي والموضوعي ، أي العلاقة بين العالم كعالم والفكر كفكر، والمشكل هنا مشكل ميتافيزيقي مع احترامي للمنطلق الذي تم فيه تصور وضع المشكل في حد ذاته ، لا أنني نهائيا أنه مشكل قائم يعترض البحث سواء فيما يتعلق بدراسة اللغة أو فيما يتعلق بالنسبة للفلسفة بصفة عامة . وقبل أن أنتهي لذي سؤالا أريد من الأستاذ طه عبد الرحمن أن يجيبني عنه فيما يتعلق بالمحاور الثلاثة ، للتركيب والدلالة والتداول ، إذا كانت هذه الأقسام الثلاثة لدراسة ما ورائية اللغة ، فمادمت قد أشرت إلى أن هذه اللغة يمكن أن تكون لغة صورية ويمكن أن تكون لغة عادية فما مقام التداول ؟ وهنا لا أستعمل مقام معنَى الذي ورد في الورقة،لا . يعني وظيفة التداول ، هل يمكن أن نتحدث عن تداول بالنسبة للغة الصورية وأخصص هنا اللغة الصورية التي طبقها منطق القضايا ؟ أمام هذا المشكل اضطررت في السنة الماضية إلى حذف التداول على أساس أن أتعامل مع اللغة الصورية القضوية تعاملا تركيبيا ودلاليا .

الأستاذ أحمد المتوكل

أريد أن أنبه إلى أننا هنا لا نطرح مشاكل ميتافيزيقية ولا مشاكل موغلة في العموم فقط نطرح مشاكل وصف بعض القضايا أو بعض الظواهر اللغوية المعينة ومنها ما ذكرته في ختام الورقة ، كظاهرة الفعل اللغوي ، ظاهرة الاقتضاء . هذه الظواهر في حقل أو في مجال وصف اللغات الطبيعية تطرح مشاكل ، فهنالك من يذهب إلى أنه من الأنجع اجرائيا كما يقول الأستاذ طه أن نصف هذه الظواهر داخل جهاز دلالي شريطة أن نغنيه بالآليات التي يقتضيها ، ومنهم من يقول انه من الأنجع دائماً إجرائياً أن نصف هذه الظواهر في جهاز تداولي أو في مكون تداولي . فنحن لسنا بصدد البحث عن معنَى المعنَى ولا بصدد البحث عن مشكل الخلق للمعنَى ، نحن بصدد التناظر في ظواهر لغوية معينة طرحت في مجال معين وهو مجال اللغويات التوليدية والتحويلية أو اللغويات التداولية،فهذا هو المشكل ولسنا بحاجة للتعميم وقد نبهت في أول هذه الجلسة إلى أننا لن نعمم كي لا نقع في المحذور.

الأستاذ الادريسي

تعقيب بسيط ثم أتدخل بطريقة عملية استنادا إلى اقتراحات الورقة ، ليسمح لي الأستاذ طه أن أؤكد له أنني حين استندت إلى الأستاذ ليتش لم يكن من هدفي أن أحدد دلالة أو تداولا ، بقدر ما كان الأمر يتعلق بتحديد المعنَى أساسا ، والا فكيف يمكن أن نقول أن هناك فصلا بين الدلالة والتداول ، وأنا شخصيا أردت أن تحل مشكلة التعريف ، فاذن أنا شخصيا لم أقل في عرضي إن هنالك تفرقة بين الدلالة والتداول استنادا إلى مفهوم ليتش الذي يعتبر أيضا من اللسانيين الذين درسوا المعنَى، استنادا على الأقل إلى ما يقال حاليا سواء في مستوَى الدلالة التوليدية، أو في مستوَى التداوليات الحديثة، سواء كان الأمر يتعلق بجرايس، وما يتعلق بكل ما كتب بعد ذلك في مسلمات الحوار وغير ذلك . إذن هذا تعقيب بسيط ، وليسمح لي الاخوان أن أقترح تدخلا في هذا النقاش ، انطلاقا من اقتراح الأستاذ المتوكل فيما يتعلق بظاهرة الاستلزام الحواري ، فالمشروع هو ، استناداً إلى الفكر اللغوي العربي هنالك اتجاهان : اتجاه يمكن أن نقول بان ابن جني تزعمه ،

واتجاه آخر يمكن أن نقول أن السكاكي تزعمه بعده، فابن جني يقول في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) أن اللغة حين تتطور– تتحمل مستويات يصبح معها الكلام كله شبه تداولي؛ بمعنًى أنه ليس هنالك تركيب ولا دلالة وإنما هنالك تداول، ويسمي ذلك «بالمجاز» يقول ابن جني في كتابه (الخصائص) الجزء الثاني :
«باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة إعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة.. –ثم يقول–وذلك عامة الأفعال نحو قام زيد وقعد عمر، وانطلق بشر وجاء الصيف وانهزم الشتاء. ألا ترَى أن الفعل يفاد معه معنَى الجنسية، كقولك قام زيد معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطبق جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي، الكائنات من كل من وجد منه القيام ومعلوم أنه لا يجتمع الانسان الواحد في وقت واحد ولا في مائة ألف سنة مضعفة،القيام كله الداخل تحت الوهم، ماذا محال عند كل ذي لب فإذا كان كذلك علمت أن (قام زيد) مجاز لا حقيقة، وانما هو على وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير» وهي الصفات التي أعطاها ابن جني في الفصل السابق لمفهوم المجاز. ثم يعطي أمثلة أخرى في ضربت زيدا إلى آخره، كل الجمل بعد أن تكون قد تطورت اللغة تكون مجازية أي يصبح الكل تداولا، أما السكاكي فعلَى العكس من ذلك، يعتبر أن المعنَى والتداول وكل هذه المستويات تدخل في باب واحد سماه بصراحة «الاستدلال». واسمحوا لي أن أتوجه إلى السبورة لأكتب شجرة ليست تشومسكيانية، ولكنها شجرة سكاكية. يقول السكاكي : «وانما اغنت هذه لأن مثارات الخطأ (مثارات الخطأ عند السكاكي تعني الدرس اللساني، أي الانتقال من مستوَى إلى مستوَى، لأن مثارات الخطأ هو الابتعاد عن اللانحوية والدخول في النحوية» إذا تصفحتها ثلاثة: المفرد والتأليف وكون المركب مطابقا لما يجب أن يُتكلم له، وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي الرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخط إلى النظم، والنظم يدخله بطريقة أخرى ولا مجال الآن لتبيان كيف أن ابن جني يدخل حق هذا النظم في مقولة الاستدلال. من هذا يتبين أن السكاكي يجعل الاستدلال هو المكون الثالث بمعنَى أن الشجرة فيها شيء يسميه هو علم اللغة، أي العلم بمفردات اللغة : اسماءً وأفعالا وحروفا، أي المعجم بمفهوم علم اللغة أي العلم

بكلمات اللغة ، وقد سماها بمفردات مثارات الخطأ ، في هذا الاطار ثلاثة مستويات : المفرد والتأليف والاستدلال فقط ، في المفرد يدخل عنصرين :الحروف والهيآت . في الحروف يدخل ما يسمَّى بعلم الأصوات وعلم وظائف الأصوات ، وهذا اختصاص الأستاذ السغروشني . ثم الهيآت ويدخلها في علم الصرف فيجعل من علم الصرف .. اذن : (المفرد) . الأصوات تتألف لتكون كلمات ، وهذه الكلمات لها هيآت ادخلها فيما سماه علم الصرف بمعنَى أن مستوَى الأصوات مندمج في الصرف .

والمستوَى الثاني : هو التأليف أي النحو بالمعنَى الضيق لا بالمعنَى الواسع ؛ أي تأليف هذه المفردات لتكون بنية ــ جملة ــ في هذا التأليف وضع ثلاثة مستويات أخرى سماها القابل وهو الأسماء المعربة والفاعل وهو العامل الذي لم يتردد من تكراره الأستاذ العلوي ثم الأثر وهو العلامة الاعرابية . بعد ذلك يقول ان هذا يؤدي إلى ما يسمَّى بكيفية التركيب أو هيأة التركيب ، وفي هذا الاطار يمكن أن تدخل مقولة التعليق لا بالمعنَى الذي كان يطرحه الأستاذ الفاسي في محاضرته أي التعليق الذي يقابل الالغاء ، لا ، وانما التعليق بمعنَى ايجاد العلاقة أي اقامة العلاقة بين عناصر الجملة ، هذا ما يؤدي عند السكاكي إلى أصل المعنَى وهو الذي سماه الأستاذ طه ، **بالدلالة** بالمعنَى الضيق لا بالمعنَى الواسع . حين يدخل فيها مستوَى التداول ، فأصل المعنَى مقيدة بكلمة «مطلقا». بعد ذلك يأتي المستوَى الثالث وهو الاستدلال الذي يمكن الاتفاق على ترجمته والأستاذ المتوكل تعمق في هذه القضية ، واقترح كلمة «inference» في هذا المستوَى الذي يُحلَّل إلى مستويين : المستوَى الأول : المعاني ، والمستوَى الثاني : البيان و(البديع) ، لأنه ملحق بالبيان في نظري ففي مستوَى أصل المعنَى ، يكون المعنَى محايدا لم يدخل بعد إلى ما يسمَّى بالسياق الاجتماعي والعلاقة بين المتكلم والمستمع ومعتقدات المتكلم ومعتقدات المخاطب يعني المقتضيات الموجودة بين المتكلم والمستمع .

وهنا ينبغي أن أثير الانتباه إلى أن النحاة العرب بالضبط استعملوا كلمة (معاني) ولم يستعملوا كلمة (معنَى) . فعندهم علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ، فنحن نعلم دقة اللغويين العرب القدماء ، عندما يحددون مفهوما معينا فعند جمعها يعني شيئا ، وعند إفرادها يعني شيئا ، فكأنه في علم المعاني يريد أن المعنَى هو هذا،وهنا

لاحظنا أن أصل المعنَى بالمفرد – وهنا في المعاني – يأتي السكاكي فيقول أن الذي يحدده ليس استلزاما كما قال الأستاذ المتوكل ، وإنما تحدده قرينة سماها هو مقتضَى الحال ؛ بمعنَى أن الجملة ليس لها في مستوَى علم المعاني معنَى واحد وانما لها معان متعددة ، يتحدد كل معنَى بإضافة مجموعة قرائن بحيث أنك إذا أضفت قرائن معينة إلى معنَى تعطيك معنَى معينا ، وإذا أضفت قرائن أخرى تعطيك معنَى آخر بمعنَى أن لكل جملة مجموعة من المعاني تتحدد بتحديد مقتضَى الحال . اذن هذا الانتقال ، انتقال استدلالي أي الانتقال من المعنَى الأول إلى المعنَى الثاني ومعنَى المعنَى عن طريق الاستدلال. أما اللزوم أو الاستلزام فهو وسيلة الاستدلال للانتقال من الحقيقة إلى المجاز وإلى الكناية .

فالسكاكي يجعل الاستدلال آلية تحكم الانتقال من المعاني الأولى إلى الثانية ويجعل قرينة الحال في علم المعاني وسيلة يتوسل بها الاستدلال للانتقال من الحقيقة إلى المجاز وإلى الكناية،فيتم الانتقال في المجاز من الملزوم إلى اللازم وفي الكناية من اللازم إلى الملزوم وشكرا .

الأستاذ أحمد المتوكل

أقترح بما أننا دخلنا في موضوع الاستلزام وهو متعلق بالأفعال اللغوية،أن تقتصر المناقشة فيما تبقَى من الوقت،ولم يتبقَّى منه إلا النزر القليل،أن نتحدث داخل هذه الظاهرة بالذات .

الأستاذ طه عبد الرحمن

شكرا على توضيح الأستاذ الادريسي وهذا التوضيح لابد منه، وشكرا أيضا على منطقية الأستاذ المتوكل لأنه ربط توضيح الأستاذ الادريسي بالاهتمام بهذه النقطة لأن الموضوعات كثيرة ، وسأتطرق إلى هذه النقطة بالضبط لأنها مهمة غاية الأهمية ، أولا أجيب الأخ الأستاذ المرسلي على نقطة هامة وهي تدل – لست هنا لتقويم الأستاذ من الناحية العلمية – انما بصراحة تدل على ادراك

واع كل الوعي بالصعوبة التي يجدها المنطقي في التمثيل على سياق الصيغ المنطقي التي يستعملها بالعبارات اللغوية المنطوقة، فأقول للأستاذ، فعلا هذه الصعوبة ناتجة عن فقدان مطلق لمستوَى التداول على مستوَى اللغات الصورية كاللغات المنطقية، هي لغة غير منطوقة نهائيا واللغة المنطوقة لابد وأن تكون متداولة،أية لغة غير منطوقة فهي غير متداولة ، فمثلا أعطيكم مثالا ،هذه جملة عادية،مثلا لو قلت استانبول عاصمة تركيا ، هذه العبارة لو نظرتم إليها بغض النظر عن سياقها يعني بغض النظر عن المكونات التي حدثتكم عنها سابقا ، من عنصر ذاتي وموضوعي وذواتي،هذه العبارة سوف تكون غير منطوقة نهائيا ، بل عبارة مجردة ولو فيها تركيا ، لماذا ؟ لأن المستعمل ليس موجودا فيها ولا المجتمع ليس موجودا فيها ولا الأهداف؛يعني المعرفة المشتركة موجودة فيها . والمهم ، لا أطيل ولكن هذا لم يمنع أن هذه النقطة تعود بنا إلى الفرق بين التداول والدلالة وأريد أن أوضحه كل التوضيح وهو أن المناطقة واللغويين لما أحسوا بأهمية الأدوات المنطقية استعملوها في الظواهر الدلالية ولم يستعملوها في الظواهر التداولية إلا بارجاعها إلى ظواهر دلالية؛يعني بمعنًى آخر أصبح المنطق والدلالة شيئا واحداً، بمعنًى آخر أن وظيفة الدلالة هي تحديد شروط صدق الجمل ابتداء من أجزائها،فمثلا وفق المبدأ ما يسمَّى بالمبتدأ الارتباطي القيمي ، لا ندخل في التفاصيل؛يعني بمعنًى آخر أن وظيفة الدلالة ، تحديد علاقة اللزوم . وأريد إذا سمح الأستاذ أن أتوجه إلى السبورة لأوضح هذه النقطة مادمنا بصدد الحديث الكثير عنها والخلط بينها وبين نقاط أخرى .

الأستاذ المتوكل

كي نتيح الفرصة للمتدخلين الآخرين ، ولكي يتم النقاش في هذا المستوَى أرجو أن تكون التدخلات كلها تتعلق بهذه النقطة ؛ أي نقطة الاستلزام الحواري داخل إطار اشكال الفعل اللغوي بصفة عامة . هل هناك تدخل وارد بالنسبة لهذه النقطة ؟.

الأستاذ الادريسي

أنا متفق تمام الاتفاق مع الأستاذ طه شريطة أن يكون مفهوم الاستدلال عند

السكاكي ليس مفهوما منطقيا ، وإنما بمعنَى المفهوم التداولي ، يعني بهذا المعنَى نقول المفرد والتأليف والتداول . فكلمة التداول يعطيها السكاكي الاستدلال ويخرج منها كل شيء لدرجة أن الشعر ـ وليس هنا مجال للحديث ـ يدخل فيها ، والمحسنات تصور البديع ، يعني البديع بالمحسنات اللفظية والمعنوية يصبح محكوما بالتداول أي الاستدلال، وهنا تختصر اللغة في مكون ثالث هو التداول كما يسميه الأستاذ طه ، استنادا إلى العلم الحديث وكما كان يسميه الاستاذ السكاكي . وشكرا

الأستاذ طـه

هناك محاولات لمنطقة صياغة منطقية للاستلزام ، لهذه العلاقة التي اعتبرناها غير منطقية ، وجورج لاكوف حاول أن يمنطق هذه العلاقة أي أن يردها إلى الدلالة إذا كانت الدلالة تتحدد بالمنطقيات ، فاذن كل شيء لم يكن منطقيا واستطعنا أن نرده إلى صيغة منطقية يصبح دلاليا مباشرة ، فهذا ما فعل ، وما هي الحيلة التي استعملها ؟ الحيلة بسيطة جدا ، وهو أنه أدخل السياق في اللزوم فسماه اللزوم المقيد بالسياق . ماذا فعل ؟ أخذ اللزوم (اتجه الأستاذ إلى السبورة) سأصوغ اللزوم بهذه الطريقة ..$\vdash$.. وسأصوغ الاستلزام بهذه الطريقة ..$\models$..

لنفرض أن ج مستلزمة عن ب ، فماذا أفعل ؟ إذا كانت ج مستلزمة عن ب فيمكن أن أعطي تعريفا لها عن طريق اللزوم ، مجتمعة ، وأرمز إلى الاجتماع أو الإتحاد هكذا U مجتمعة مع السياق ، ولأفرض أني أضيف إلى الصيغة ب تا فإن النتيجة سوف تكون ج ولكن لزوما لا استلزاما ، ومع ذلك لم يفلح ، لأن السياق عنده سيصبح مجموعة من البنيات ، وليس له خاصية أخرى بل كالجملة . يعني مادمنا سنحذف منه الذوات الشخصية والعناصر... لن يصبح إلا صورة منطقية ، فسيصبح عندنا صور منطقية : ب صورة منطقية وتا صور منطقية مجتمعة معها، فهذه المجموعة ذات العنصر الواحد مجتمعة مع تا وهي عبارة عن مجموعة من صيغ السياق من الصور المنطقية ، ويتحول السياق عن المعنَى الذي فهمناه وهو العناصر، وهذا مأخذ أساسي على جورج لاكوف ، فأقول للاخوان الفلاسفة والاجتماعيين بأن التداول هو بالضبط الضالة التي ينشدونها بالنسبة لتحليل الظواهر الأدبية وغيرها ،

لماذا ؟ لأن هذا المستوَى من التحليل ومن المباحث هو الذي يعطيهم الفرصة لادخال الأبعاد الايديولوجية والتاريخية لتأويل الظاهرة اللغوية . اذن يبقَى على المتداولين هو أنهم إذا استطاعوا أن يضعوا لنا جهازا تصوريا مؤلفاً من آليات ومن مفاهيم استطعنا بعدها مباشرة بمجرد ما يكون لدينا نص ، استطعنا مباشرة أن نعرف الطبقات الاجتماعية والبنيات الاجتماعية وما إليها ، ولكن الآن اللغويين يبحثون على هذا المستوَى لاستخراج هذه العلاقة فيزة الاستلزام هو أن مثل هذه الدراسات هي فوق منطقية ، دراسات تقتضي علاقات أخرى غير العلاقات الرياضية التي تدرس في كلية العلوم ، هي علاقات منطقية ولكن من صنف آخر ، ولا أريد أن أدخل في كيفية صياغة منطقية للاستلزام ، ولكن من الممكن وضع صياغة أيضا ولكن بصورة منطقية مبسطة ، تمكن من وضع صيغة رياضية للاستلزام دون ارجاعه إلى علاقة منطقية بالمعنَى الدلالي . فالذين يهمهم هذا الموضوع ، إذا استطاعوا أن يضعوا لنا جهازا تصوريا للسياق ، للمقام ، وأنا أعتقد أن الخطأ الذي يقع فيه التداوليون ، هو أنهم إلى الآن لم يفكروا في هذا السياق يقولون
intention, situation du discours, background information, contexte exterieur....

ولكن ليس هناك تدقيق وتحديد علمي مضبوط لهذه الأمور لكي نستعملها لتحديد العلاقات لمثل هذا النوع . وشكرا

الأستاذ أحمد المتوكل

قبل أن أنهي الجلسة أريد أن أقدم تعقيبا لما قاله الأستاذ طه بالنسبة للاستلزام وبالنسبة للنزوع الملاحظ الآن في اخراج هذه العلاقة من حيز التداول إلى حيز الدلالة. فهناك بالإضافة إلى محاولات لايكوف محاولات أخرى مثلا محاولات ولسون وكنسون اللتين حاولتا استبدال علاقة الاستلزام بعلاقة entailmente لا أجد مقابلا لهذا المصطلح الذي يعتبر دالا على علاقة دلالية صرف . وفي هذه الجلسة أثرنا مشاكل مختلفة وهي من صميم البحث العلمي اللغوي لا من صميم الميتافيزيقا ، ولكن يبقَى دائما الإشكال مطروحا بالنسبة لنا كلغويين فقط . إن هناك

مشاكل ترتبط بالمقام وبالنسبة للنظرية اللغوية يطرح السؤال : «ما هي الطريقة الأنجع ومستوَى التمثيل لهذه العلاقات المرتبطة بالمقام ؟» .

هل نتصور الوصف اللغوي على أساس أن هناك مكونا تداوليا يضطلع بهذه العلاقات المرتبطة بالمقام أم نتصور الوصف اللغوي على أساس أن هذه العلاقات من الأنجع أن تدخل في الدلالة لكي تدرس بكيفية أضبط ؟ .

وشكــرا .



مائـدة السيميائيات

الموضوع : حدود اللسانيات والسيميائيات الأدبية

النـص الشعـري

المقرر : الأستاذ عبد الله بونفور

نـص التقرير :

1 ــ إن الدراسات الحديثة العروضية «بهاس» بالنسبة للعربية الفصحَى و«جواد» بالنسبة لتامزغت و«ملنو» و«كرنلبي» بالنسبة للفرنسية و«شَين» بالنسبة للصينية) دفعت بالبحث اللسني في ميدان النص الشعري إلى أقصَى حدوده .

يلاحظ أن هذه الدراسات تهتم بالمستوَى الشكلي ؛ ولذلك استفادت الدراسات الشعرية من نتائج التحليلات اللسانية الصوتية والتركيبية والدلالية .

ما هي المفاهيم اللسانية التي تستعملها الدراسات العروضية ؟

نستعرض أهمها : المقطع والصوتة والنبر (accent)

معنَى هذا أن الباحث في العروض مفروض عليه أن يستعمل نظرية لسانية لهذه المفاهيم ، ولذلك فاما أن يقتبس هذه النظرية إذا كانت موجودة واما أن يتعامل مع اللسانيين لايجادها واما ان يصبح لسانيا هو بنفسه .

وهل معنَى هذا حتمية اقتباس النظرية باكملها أو ما هو **خاص** بمادته ؟ وبعبارة أخرى ما الذي يوافق ــ في النظرية اللسانية وخاصة الصوتيات ــ موضوع الدراسات العروضية ؟ نتيجة هذا السؤال حد موضوع هذه الدراسات اي الايقاع (rythme) هذا هو بالضبط ما سيناقش في هذه المجموعة .

وحتّى لا نقع في نقاشات عامة نقترح أن يرجع المشاركون إلى النصوص التي نشير إليها في آخر هذا التقرير. هذه النصوص أي دراستها ستساعدنا على طرح المشاكل كل بشيء من الدقة.

ولابأس إذا استعرضنا بعض المشاكل العروضية التي مازال البحث يتخبط فيها، ومن بينها عدم تحديد المفاهيم التي قدمنا.

فالدراسات العروضية العربية تنقسم إلى قسمين: العروض المبني على المقطع والعروض المبني على النبر. كذلك العروض الفرنسي.

أما عروض الزجل المغربي (الملحون مثلا) فقد طبقت عليه جميع النظريات كذلك العروض الأمازيغي الذي قال عنه بعض الباحثين إنه غير موجود.

إذن عندما يقول الدارس لشعر ما إن عروضه مبني على المقطع مثلا فمعنَى ذلك أن لديه نظرية للمقطع.

2 — ولكن هل هذه النظرية موجودة في الأبحاث اللسانية؟ إذا كان الجواب بنعم فما هو استعمال هذه النظرية في خصوصية التحليل العروضي؟ وإذا كان الجواب بلا، فما هو عمل الدارس في ميدان العروض؟

— النظرية المقطعية

نحن نعرف أن أهم بحث قيم به في الملحون هو بحث محمد طه في الملحون الجزائري نطرح بعض التساؤلات فيما يلي: عروض الملحون الجزائري مبني على عنصرين اثنين:

1) عدد المقاطع التي يتركب منها الشطر ثم البيت.

2) عدد ومواقع المقاطع الثقيلة في كل شطر من شطري البيت. ولكن هذه النظرية غير تامة:

1 لا تستند إلى نظرية لسنية علانية للمقطع وخاصة المقطع الثقيل.

2 . لا تهتم الا بالأبيات المكونة من شطرين (المبيت كما يقال في الملحون المغربي) وتترك خارج التطبيق الأنواع الأخرى.

3 . لم تراع تطور الملحون تاريخيا على المستوَى العروضي، ولو اهتمت بهذا لرأت أن الملحون له عروض غير موحد : فهناك قصائد يمكن تفسيرها بنظرية طه وهناك قصائد تفسر بعدد المقاطع فقط .

– النظرية النبريـــة

أهم الأبحاث في هذا الميدان قليلة وقديمة . وأهم المشاكل التي تعرضت له هي القواعد النبرية .

وعندما التجأنا إلى احدث الأبحاث التي نشرت في هذا الميدان استنتجنا ان قواعد النبر غير متفق عليها فالنظرية العروضية (théorie métrique) التي دافع عنها Mc Carthy غير مجدية في العربية المغربية في غالب الأحيان .

والنقاش الدائر الآن حول انجع نظرية – النظرية العروضية أو النظرية المعيار (théorie standard) – ما زالت لم تطبق على جميع أنواع الكلم .

ولذلك فمن المعقول ان يستعين العروضي بالعمل الميداني والتجريبي لأنهما يساعدان على حصر موقع النبر في الكلمة والجملة بدقة . ولذلك فالعروضي ليس بسجين الفونولوجيا على عكس ما يعتقد البعض ولذلك فعلاقة اللسانيات بالسيميائية الأدبية ليست علاقة تبعية .

Texte :
SCELLES-MILLIE (je) — **Les quatrains de Mejdoub lesarcastique** Maisonneuve Larose

المناقشـة

الأستاذ عبد الله بونفور :

أستسمحكم بأن نأخذ هذه الورقة التي تهم اجتماعنا اليوم ، موضوعها حدود اللسانيات والسيميائيات الأدبية ، وأظن أن الجميع قرأ الورقة ، ولضيق الوقت ، سوف لن أعيد تلخيصها كما فعل الزملاء في الموائد الأخرى . بما أنه هناك ستة متدخلين ، أظن أنه من الأحسن أن أعطيهم الكلمة لنربح الوقت .

طلب أحد الحاضرين توضيح مضمون التقرير فأجاب الأستاذ بونفور : في التقرير الذي قدمته يوجد عرض عام يخص العلاقة بين اللسانيات والسيميائيات الأدبية بصفة خاصة واقترحت مثالا دقيقا ليمكن أن يكون النقاش مثمرا، ولكن يمكن في هذا النقاش أن يأخذ الزملاء نماذج أو أمثلة أخرى لدرس هذا المشكل ، شخصيا اخترت النص الشعري ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نأخذ مثلا النص الروائي أو الميتولوجي .... الخ .

الأستاذ كمال أبو ديب :

أشعر بكثير من الحرج ، إذ أتحدث عن الموضوع المطروح في النقاش أو عن التقرير الذي يطرح هذا الموضوع ، ذلك أن إحدَى فضائل الباحث الذي يتعلمها صغيرا هي أنه يعرف كيف لا يتحدث عن نفسه ، لكن التقرير يوقعني في ورطة فعلية أو يتناول موضوعا قضيت سنوات طويلة من عمري أعمل عليه .

ويتناول الموضوع من زوايا ، بعضها شكلت المنطلقات الأساسية في تناولي ويقترح اشكاليات اقترحت في تناولي للموضوع ، لقد تكرمت هذه الجامعة بدعوتي لحضور هذه الندوة لأنها تعرف شيئا عن العمل الذي قمت به دون شك ، وإني أفاجأ بالتقرير يبدأ كما يلي : ان الدراسات الحديثة العروضية (وخاصة بالنسبة للعربية الفصحَى) بالنسبة للصينية واليونانية ولغة لم أسمع باسمها من قبل الأمازيغية[1] وأقف في الحقيقة في موقف لا أحسد عليه ، لكن صاحب التقرير من وجهة نظره أيضا يقف في موقف لا يحسد عليه أيضا ، وإذا كان لما سأقوله ، ما قد يبدو شخصيا

(1) Galand, L 1979 Langue et litterature berbère vingt-cinq ans d'études éd. du C.N.R.S. Paris
(توضيح للأستاذ بونفور)

قاسيا فليعذرني الأستاذ لأنها قسوة الباحث على الباحث . لا يمكن – في تصوري الشخصي – لانسان يهتم بموضوع الدراسات الايقاعية أو العروضية العربية أن يبدأ تقريرا يكتبه بجملة كهذه ناسبا عملا على العروض العربي إلى انسان اسمه «بهاس» يصف في النهاية بأنه دفع بالبحث اللساني في نظام النص الشعري إلى أقصَى حدوده ، الا أن يكون أحد اثنين : جاهلا للمادة التي يعمل عليها ، أو متجاهلا للمادة التي يعمل عليها، ثم يتابع التقرير طرح اشكاليات تجعلني أشعر مع زملاء كثيرين في الدراسات العربية بينهم بشر لعبوا دورا أساسيا في هذه الثقافة محمد منذور ، محمد النويهي شكري عياد ، كمال أبو ديب الياسفوري وآخرون .. أقف شاعرا كمن قضَى عشرين سنة يبني قصرا لنفسه يسكن فيه ثم يجيء من يقول له متَى تتوقف عن الحياة في العراء وتبني لك كوخا تسكنه .

التقرير يصل في النهاية إلى أن يطرح ما يلي باعتباره أسئلة أساسية واشكالات ينبغي على الدارس لحدود اللسانيات والسيميائية الأدبية أو النص الشعري أن يتعامل معها «النظرية المقطعية نحن نعرف أن أهم بحث أقيم به في الملحون هو بحث محمد طه في الملحون الجزائري» أنا شخصيا لا أرَى كيف يملك باحث الجرأة الأخلاقية على أن يصف كل ما دار في النظرية المقطعية بالإشارة إلى رجل اسمه محمد طه[1] ومادة للدراسة اسمها الملحون الجزائري وأنا شخصيا لا أستطيع أن أتصور باحثا يصف كل ما تم في الدراسات كما يلي «ولا بأس إذا استعرضنا بعض المشاكل العروضية التي مازال البحث يتخبط فيها» بعد أعمال عقود من الكد والبحث الجاد على أيدي عدد كبير من الباحثين ينتهي كل ما تم في الدراسات العربية إلى «بهاس» وينتهي كل ما تم في الدراسات العربية إلى جزئيات بسيطة توصف مع ذلك بأنها عماد البحث ، وأن البحث ما يزال يتخبط فيها .

فالدراسات العروضية يقول صاحب التقرير تنقسم إلى قسمين : العروض المبني على المقطع والعروض المبني على النبر ، وأنا لم أكتب خمسمائة وخمسين صفحة من كتابي من أجل أن يأتي باحث بعد ذلك ، ليستطيع أن يصف ما تم في الدراسات

(1) الطاهر أحمد (1975) : **الشعر الملحون الجزائري. ايقاعه وبحوره وأشكاله** . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . (توضيح الأستاذ بونفور) .

العربية بمثل هذا الكلام[2] ومهما كانت الأسباب التي يمكن أن تكون أدت إلى ذلك ، فإنني بصفة شخصية ، وبصفتي صاحب الأبحاث التي أشرت إليها . أطلب ببساطة أن يرفض هذا التقرير باعتباره غير صالح كمادة للنقاش ، لأنه يعود بنا عقودا إلى نقاط انطلاق بسيطة ساذجة .

تقول في النهاية نتيجة للتقرير «ولذلك فمن المعقول أن يستعين العروضي بالعمل الميداني والتجريبي» ما يبدو من المعقول بعد كل الجهد الذي تم كان بداهة عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي منذ ألف وثلاثمائة سنة ويستمر التقرير ليقول : «لأنهما يساعدان على حصر موقع في الكلمة والجملة بدقة» أنا لا أفهم هذه الجملة . يبدو أن شيئا منها ساقط ثم يتابع : «ولذلك فالعروضي ليس بسجين الفنولوجيا على عكس ما يعتقد البعض» إذا كان كل ما قام به محمد منذور وشكري عياد وكمال أبو ديب لم يبرر حتَّى الآن أن العروض ليس سجين الفنولوجيا ، وإذا كان كل ما قمت به شخصيا خلال سنوات طويلة من العمل البنيوي على دراسة النص الشعري ودراسة عروضه وإيقاعه وعلاقة كل ذلك ببنية النص وبنية العالم التي يتجسد فيها ، ستنتهي بنا في النهاية إلى أن نقول العروض ليس بسجين الفنولوجيا على عكس ما يعتقد البعض ، فإن نهاية البحث العلمي مظلمة ثم يتابع التقرير : «ولذلك فعلاقة اللسانيات بالسيميائية الأدبية ليست علاقة تبعية» وإذا كان في كل ما تم في هذا العالم العريض الواسع بالانجليزية والعربية والروسية والفرنسية والألمانية واللغات الأخرى ما يزال يسمح لنا بأن نجد نتيجة أعمالنا خلال أيام كاملة تصل إلى حد . ولذلك فعلاقة اللسانيات بالسيميائية الأدبية ليست علاقة تبعية فإن الندوة ستصبح شيئا لا مبرر لها .

الأستاذ عبد الله بونفور

شكرا على تدخل الأستاذ كمال أبو ديب ، أنا شخصيا لن أجيب عن هذا التدخل ، ولكن هناك اقتراح للأستاذ وهو أن هذا التقرير مطروح للقبول أو

---

(2) عروض اللغة العربية ليس هو موضوع النقاش . بل النظريات العروضية وحدود اللسانيات والسيميائيات الأدبية (توضيح الأستاذ بونفور) .

الرفض ، ولا أعرف هل المشاركون في هذه الندوة سيناقشون هذا الاقتراح أو هناك تدخلات أخرى داخل هذا التقرير .

الأستاذ الفاسي الفهري

أنا شخصيا متفق مع ما جاء في جوهر كلام الأستاذ كمال أبو ديب بالنسبة للتقدم في الأبحاث العروضية إلى غير ذلك ، ومتفق معه حينما يثور غضبه لعدم الاشارة إلى أبحاثه في هذا التقرير ، ومتفق معه كذلك في النتائج التي وصل إليها . لكني سوف لا أطرح للنقاش المسألة التي طرحها بخصوص رفض التقرير أو قبوله ، لأنه سبق أن كان لي موقف شخصي من هذا التقرير ، ولكن بما أنه طرح للنقاش ، أعتقد أنه مراعاة واحتراما لوجهات النظر المختلفة أقترح أن يعتبر كورقة للنقاش . وأنا شخصيا سجلت نفسي كمتدخل في هاته المائدة لأدلي ببعض الملاحظات تكمل من وجهة نظر أخرى ما جاء في كلام الأستاذ كمال أبو ديب .

لن أتعرض للدراسات التي سبقت ولن أقيم هذه الدراسات ، ولكني سأتعرض فقط إلى نقاط منهجية ، ونقاط تتعلق بشروط الاستدلال العلمي . أنا شخصيا لم أفهم الفقرة الأخيرة من التقرير ، هاته الفقرة التي تقول «فالنظرية العروضية التي دافع عنها Mc Carthy غير مجدية في العربية المغربية في غالب الأحيان» ولا أفهم الجمل التي تليها «النظرية المعيار مازالت لم تطبق على جميع أنواع الكلم» ولا أفهم الكلام الذي يقول : «فمن المعقول أن يستعين العروضي بالعمل الميداني والتجريبي» ولا أفهم ما معنَى : «العروضي ليس بسجين الفونولوجيا على عكس ما يعتقد البعض» ولا أفهم ما معنَى «علاقة اللسانيات بالسيميائيات ليست علاقة تبعية». لا أفهم هذا ليس من قبيل وجود مفردات عربية ،ولكن من قبيل الانتقال ،من بداية التقرير إلى النهاية ، من طرح الحل اللساني إلى طرح الحل السيميائي . لذلك أعتقد أن الملاحظات التي سأبدي بها تتعلق –كما قلت– بمشكل الاستدلال العلمي ، والرجوع إلى ما يمكن أن نسميه بـ«الخطاب العلمي» . أنا لا أتصور أنه يمكن أن نأتي إلى نظرية وأن نقول إن هاته النظرية التي دافع عنها فلان «غير مجدية في العربية المغربية في بعض الأحيان». ما معنَى هذا الكلام ؟ إذا كنا نقصد دحض نظرية فشروط دحض النظرية معروفة ، ونحن نعلم في الدروس الابتدائية لفلسفة

العلوم أن ما يسمَى «بالمعطيات» لا علاقة له بالنظرية ، ولا يمكن أن يدحضها . لا علاقة مباشرة . مثل هذا الكلام معروف في فلسفة العلوم بالكلام الذي ينسب إلى التجريباوية الساذجة L'empiricisme naïf ولا يرقَى إلى مستوَى الدحض الساذج الذي يتحدث عنه لاكاتوس Lakatos ، لا يرقَى إلى مستوَى Le réfutationnisme naïf . فالدحض له شروطه ، لا يمكن أن نأتي إلى نظرية Mc Carthy ونقول إنها لا تنطبق على الدارجة المغربية إلا إذا قدمنا تحاليل للدارجة المغربية وبينا أن الدحض ممكن . مع الأسف هذا النوع من النقاش دار طويلا في هاته الكلية وتسرب إلى طلبتنا . ونحن نريد هنا أن نبين أن مثل هذا النقاش لا يمكن أن يقوم . لا يمكن من جهة أن نقول بالموقف النظري ومن جهة أخرى أن نقول بالموقف التجريباوي الساذج .

النقطة الثانية تتعلق بهاته الجملة التي يقول فيها التقرير انه يجب على العروضي أن يستعين بالعمل الميداني والتجريبي . ما معنَى هذا ؟ العروضي إذا كان يؤسس نظرية ، هو يؤسسها على التجربة ، وبالتجربة . مع العلم أن علاقة التجربة بالنظرية هو شيء معقد جدا وفيه كلام طويل في فلسفة العلوم . وأن نقف مثل هذه المواقف ترجعنا إلى كلام لا يمكن أن ينسب لا إلى التنظير ولا إلى العلمنة ، ولذلك كل النتائج التي يمكن أن نستنتجها من مثل هذا التقرير . لا يمكن أن نناقشها مادامت حدود وأصول الخطاب الذي يمكن أن يسمى بالخطاب التنظيري غير موجودة ، وكذلك أصول الخطاب الذي يمكن أن يسمى بالخطاب العلمي . وشكرا

الأستاذ بونفور

شكرا للأستاذ الفاسي ، في آخر الجلسة سأحاول أن ألخص جميع الانتقادات وأجيب عنها ، لأنني لم أرد أن أكون في قفص الاتهام . هناك مسائل مطروحة . أعتقد أنها مشاكل مهمة جدا وسأنسَى الجدل **(Polémique)**

الأستاذ الشاذلي مصطفَى

بالنسبة لي لن أدخل في نقاش الدكتور كمال أبو ديب والأستاذ الفاسي الفهري .

سأتكلم عن بعض الارتسامات التي توصلت بها بعد قراءاتي للاشكالية المطروحة في ورقة العمل. لن أناقش الاشكالية المطروحة بقدر ما سأتناول إشكالية النص الشعري. لماذا؟ لأن هذه الاشكالية تتمحور حول بعض العناصر مثلا كأولوية ما يمكن أن نسميه بالمكون العروضي، اعتماد هذا المكون على النظرية الوصفية للمقطع الصوتي، بالنسبة لي لا يمكن أن أقرر في هذا الميدان. وأيضا خصوصية النص الذي يمكن أن نسميه بـ(Idiosyncratique) أي نص خصوصي، إذن سأنطلق من تعريف للنص الشعري والذي يمكن أن نعرفه بتسلسل تركيبي أو مركبي (syntagmatique) إذن يمكن أن نعرف أي نص شعري كتسلسل مركبي يحتوي على مقاطع يمكن أن تكون مطبعية أو نطقية تشمل بداية ونهاية تقطيع النص الشعري يعطينا النحو الآتي:

أولا على مستوَى الدال (Signifiant) الذي يحدد المستوَى العروضي

المستوَى الثاني وهو مستوَى المدلول عليه الذي يشكل المستوَى النحوي أو التركيبي (syntaxiquc) بالنسبة للمستوَى العروضي فهو يجمع التشكيلات فوق حرفية (suprasegmcntale) كالايقاع والنبر والنغمة في هذا الاطار سيتمكن الباحث من دراسة البنى الفعلية للقطع البيتية الصغرَى والكبرَى (Vers et stroptres) في النصوص الكلاسيكية التي تتوفر على معايير للقوافي وللأوزان.

وبما أن بعض النصوص الشعرية الحديثة يلعب فيها المستوَى العروضي دورا ثانويا، لذا يتحتم على الباحث دراسة ما يسميه السيميائيون (textes-limites) (écarts) الخلل، المتمركزة بين المستويات. وفي بعض النصوص الشعرية يتمثل الخلق الابداعي على مستوَى الطباعة فقط لا على مستوَى التنظيم العروضي أو تنظيم القافية.

بالنسبة لي، في دراسة النص الشعري لا أعطي للمكون العروضي الأولوية إذ تدخل مكونات كالنموذج التموضعي (taxiquc) مثلا عندما يقول روفي ...[3]

والذي يدخل في هذا الاطار:

---

(3) انظر: LEVIN, S.R. (1962). – **Linguistic Structures in Poetry.**, Mouton, The Hague.

– وهناك مستوَى آخر وهو مستوَى تطابق وتشابه البنى والمستويات تقريبا يسير في اتجاه الدكتور كمال أبو ديب.

– مستوَى آخر : ايجاد انسجام النص عبر وحدات دلالية غير تركيبية وأعني بها (Isotopie) لماذا ؟ لأن Isotopie ليس لها تعريف نحوي تركيبي حسب تعريف راسيتي (Rastié) . السؤال هو : هل يوجد فضاء espace بالمعنَى المكاني يعرف تعريفا مستقلا عن كل استغلال لسني يتميز بخصائص وضعية ومميزات دلالية خارجة على الاطار العروضي ؟ وشكرا.

الأستاذ الأخضر بوجمعة

لقد قيل الكثير حول هذا التقرير ، لذلك لن أرجع إلى النقاط التي تطرق إليها اخوان آخرون قبلي ، ولكن إذا ما رأينا العنوان «حدود اللسانيات والسيميائيات الأدبية» نرَى أصلا أن التقرير لا يلفت الانتباه إلا إلى المعطيات اللسانية ، لذلك سوف أهتم بالعبارة الأخيرة «ولذلك فالعروضي ليس بسجين الفونولوجيا على عكس ما يعتقد البعض ولذلك فعلاقة اللسانيات بالسيميائيات الأدبية ليست علاقة تبعية» لن أدخل في معنَى الجملتين وانما سوف أهتم بالعلاقة بينهما ، على كل حال أستخلص من هاته الجملة الأخيرة أن العروض هو جزء من السيميائيات الأدبية ، وهذا الاقرار يبقى موضوع نقاش.

أولا : أنا لا أنكر بأن الدراسات العروضية قد تكون لها علاقة بالسيميائيات الأدبية ولكن علينا أن نحدد ذلك.

ثانيا : أنا في علمي أن السيميائيات الأدبية لم تعرف بعد بصفة مدققة وعلى كل فان كلمة السيميائية التي استعملت كمقابل لـ Sémiotique واشتقت من كلمة سمة التي جاءت في الآية الكريمة «سيماهم في وجوههم».

فهل البحث العروضي يدخل في إطار البحث السيميائي ؟ وإذا أقررنا بان هناك ما يمكن أن يسمى بالبحث السيميائي فكيف نحدده حتَّى نستطيع بعد ذلك ادخال الدراسات العروضية في إطار الدراسات السيميائية ؟ وشكرا

الأستاذ قاسمي

أمام هذه الورقة أجد نفسي مضطرا كي أتساءل في أول الأمر عن ماهية السيميائيات الأدبية أو بطريقة أخرى كيف يمكن أن نعرف من ناحية السيمياء ثم من ناحية الأدب، ولا يمكن لنا أن نتناول الخطاب الشعري الا إذا كانت لنا معطيات تتعلق بهاتين المادتين من ناحية الأدب ثم من ناحية السيمياء، وكيف تنظر السيمياء للأدب.

بعد هذا ملاحظة ثانية هو كون في التقرير العنوان هو : «حدود اللسانيات والسيميائيات الأدبية» ثم النص الشعري وفي الورقة هنالك مستوَى واحد مطروح في النص الشعري هو المستوَى الصوتي، نحن نعلم أن تناول الشعر يخضع لتناول المستويات المعروفة المكونة لهذا النص منها المستوَى التركيبي والمستوَى الدلالي، فكيف نتعامل مع هذه المستويات الثلاث داخل النص الشعري؟ يمكن لنا أن نرجع إلى فكرة Les positions d`équivalence possessionnels التطابق الموقعي. هل يمكن لنا أن نأخذ بعين الاعتبار هاته القاعدة، قاعدة التطابق الموقعي أو القاعدة الأخرى التي تقول **la projection de l'axe de la sélection sur l'axe du combinéson**

وهاتين القاعدتين يمكن تطبيقها على النص الشعري.

السؤال هو : هل يمكن لنا أن نضيف المستويات الأخرى أي المستوى التركيبي والمستوَى الدلالي من ناحية، ومن ناحية أخرى هل يمكن تطبيق هاته النظريات على النص الشعري؟ وشكرا

الأستاذ أحمد الادريسي

لقد سبقني الأستاذ عبد القادر الفاسي إلى كثير مما كنت أود أن أقوله في العلاقة والحدود بين اللسانيات والسيميائيات ومع ذلك بقيت أشياء يمكن أن تطرح. النص الشعري نص لغوي ايقاعي والنص النثري نص لغوي ايقاعي، الايقاع هنا والايقاع هناك ما الفرق؟ هناك مستوَى صوتي وهنا مستوَى صوتي، هناك مستوَى صرفي وهنا مستوَى صرفي، هناك مستوَى تركيبي وهنا مستوَى تركيبي، هنا مستوَى دلالي وهناك أيضا هذا المستوَى، فما هي الحدود الفاصلة بين قراءة ممكنة لنص شعري وآخر

نثري؟ بعبارة أوضح ما الذي يميز النص الشعري عن النص النثري؟ لا أريد أن أدخل في المقروءات وما أكثرها، ومع ذلك أريد أن أوكد على شيء واحد أن الذي يحدد على ما يبدو طبيعة النص الشعري هو أن الايقاع،أن القالب الأول يتحكم في القوالب الأخرى بمعنَى المستويات الصرفية والتركيبية والدلالية باعتبار آخر ـ قبل أن أدخل في المستوَى الدلالي ـ يتحكم فيها الايقاع القبلي، بمعنَى آخر أن الشعر ايقاع،ومعنَى هذا أن الشاعر مضطر في هذا الاطار، وفي إطار هذا القالب الذي سيضع فيه اللغة الشعرية، إلى أن يحدث أصواتا معينة وصرفا معينا تركيبا معينا بالتالي دلالة تنتج عن كل ذلك. هنالك تجارب كثيرة وكنت أود أن أطرح مشاكل تتعلق بهذا، ولكن مادام الأستاذ الشاذلي قد أثار قضية في كتابه البنيات اللغوية في الشعر، يحاول مثلا أن يحدد هذا النص الشعري لأنه يتميز بما يسمى بالاسبانية **aparejamiento** أو ما يسمى بالمزاوجة.

الآن لنتجه إلى المستوَى الصوتي، يمكن أن أكون من قراء العروض القديم والحديث، وقد قرأت كتاب الدكتور كمال أبو ديب بكامل التواضع ثلاث مرات. في البنية الايقاعية في الشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل،وقد نوقش هذا الكتاب كثيرا في المغرب ويكفي أن تكون رسالة الأستاذ بنيس من بين الرسائل التي ناقشت كثيرا هذا الكتاب ودخلت معه في حوار مثمر بناء،والكتاب معروف في السوق العربية من العراق إلى هنا «ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب» إذن سأترك هذا الجانب لأنني أخجل من أن أتحدث عن النبر بمحضر أستاذ كبير هو الأستاذ كمال أبو ديب في هذا النطاق،وليس هذا من قبيل التملق وانما هو شيء حقيقي وصريح ولذلك أرجوه باسم الجماعة مادام الأمر بهذه الجهة أن يقول لنا كلمة في النبر، لماذا؟ ـ لأن موقفك كنت أتمنَّى ألا يكون. أن يجهل انسان شخصا، هذا شيء يحصل، يحصل أن يقرأ انسان في اتجاه معين وبالصدفة لا يقرأ في اتجاه آخر فالمسألة اذن مسألة صدفة لا أقل ولا أكثر، وليست مسألة قصد يمكن أن يكون الأستاذ بونفور مثلا لم يطلع على الكتاب «في البنية الايقاعية في الشعر العربي» ولذلك أنا سأتحاشَى الحديث عن النبر ـ لماذا؟ لأنني على معرفتي المتواضعة في هذا الموضوع قد أسقط في بعض الهفوات التي لا يسمح بها الدكتور كمال أبو ديب ومع ذلك سأبيح لنفسي أن أتحدث في المستوَى التركيبي للغة الشعرية أين يتجلى هذا

المستوَى التركيبي ؟ أية بنية لغوية سواء كانت هذه البنية وقد شرح الأستاذ الفاسي أمس هذه القضية، سواء كانت هذه اللغات لغات شجرية أو غير شجرية أو بين بين ، يأتي الشعر ليعطي لنفسه الفرصة ليجعل من بعض الظواهر ظواهر معينة لاصقة بالنص الشعري ، على سبيل المثال ، قضية التقديم والتأخير ، هذه القضية في النص النثري ترتبط بالدرجة الأولى بما يسمى بالمقام أي الغرض من الكلام ، وهذا من اختصاص الأستاذ المتوكل في موضوع الدلالة ، ولكن حين يتعلق الأمر بالنص الشعري نجد أنفسنا أمام مفهوم المزاوجة الذي حاول الأستاذ في كتابه «البنيات اللغوية في الشعر» ...

هذا الكتاب بالذات ، يقول ان كل شيء مرتبط بالمزاوجة، هذه المزاوجات تجعل الايقاع الذي يستمر استمرارا معينا يفرض على النص الشعري أن يكون تماسكا ووحدة تجعل من شيء ينبغي أن يتقدم فيتأخر ثم في اطار المزاوجة نحن نعلم أن ما يسمى بالحذف – وهذا أيضا من اختصاص الدلاليين – ظاهرة ترتبط بما يسمى بالغرض من الكلام ، مثلا حذف الفاعل اما بالجهل به أو لعلم به أو للخوف منه أو عليه أو شيء من هذا القبيل ، ولكنه في النص الشعري يكون خاضعا لهذا الثابت البنيوي الذي هو المزاوجة الذي يتحكم في النص الشعري صوتا وصرفا وتركيبا لينتج معنًى هو المعنَى الشعري . وشكرا

الأستاذ الشاذلي مصطفَى

تعقيب بسيط على الأستاذ الادريسي. أنا متفق وأشاطرك على كل ما قلت ، ولكن لا أتفق بالنسبة لتعريف النص الشعري ، عرفته حسب المعيار الايقاعي ، وهنالك تعريف أعم وهو أن النص الشعري كتنظيم لغوي يتسم بالاستقلالية بالنسبة للغة المعيارية .

الأستاذ الادريسي أحمد

قلت الايقاعية يفرض، يجعل من النص الشعري يفرض مستوَى تركيبي، هذا القالب الذي هو ايقاعي، كما أن النص النثري ايقاعي قلت النص النثري ايقاعي وأؤكد أن هنالك عروض للنثر وهنالك عروض للشعر ، ولكن هنالك فرقا بين عروض النثر وعروض الشعر ، فاللغة النثرية ايقاعية واللغة الشعرية ايقاعية ولكن

ما قيمة الايقاع هنا ؟ فالقضية قضية الايقاع ودوره في تغيير هذه المستويات وتحويلها وجعل تجلياتها هنا بغير الطريقة التي تتجلى بها هناك.

الأستاذ بونفور

Je m'excuse d'intervenir en français. Mais étant donné les critiques formulées, je préfère utiliser le français pour plus de précision.

Le premier problème auquel j'aimerai répondre est celui qui a été posé par M. FASSI FIHRI : l'argumentation scientifique. Il est évident que pour déclarer qu'une théorie n'est pas valide, il faut argumenter. Ceci est évident. Mais ce qui est évident aussi, c'est le contexte dans lequel cette argumentation doit être produite. Ce rapport, dans mon esprit, est un ensemble de propositions, elleptiques certes, mais proposées car elles ont un background argumentatif. Je pensais que cela se discuterait ici, dans cette table ronde, sinon cela nous éloignerait de l'idée de rapport comme base de discussion.

Le deuxième problème est celui de l'empirisme naïf. Qui ne serait naïf, ici, à un moment donné de sa recherche ? Mais qu'entend-on pas empirisme ? Quand je dis ان يستعين العروضي بالعمل الميداني والتجريبي je veux dire l'importance de l'empirie, du terrain, des faits. C'est ce que j'ai traduit par الميداني et l'expérimental par *التجريبي* Je veux dire que lorsque je veux analyser la métrique de l'arabe marocain ou du Tamazight, je suis renvoyé à la théorie de la syllabe dans ces langues, c'est-à-dire que je dois me référer à la théorie linguistique qui me permettra de définir des critères de segmentation syllabique, par exemple ou les règles d'accent. Ceci étant, il faudrait confronter ces critères à la syllabation métrique effective pour dégager les concordances et les discordances. C'est à ce niveau-là que je constate aussi une inadéquation de la théorie linguistique.

Le rappel du point de vue expérimental, voire instrumental, est à prendre comme ceci ; c'est un moyen confirmatif ou infirmatif quant à des hypothèses théoriques que l'ont peut adopter.

Il ne s'agit donc pas de renvoyer la théorie linguistique mais de voir en quoi les différentes théories linguistiques puissent donner au métricien les moyens heuristiques qui lui permettent de construire son objet.

Le troisième problème concerne la question des niveaux dans le texte poètrique.

Il est évident que je ne privilégie pas le niveau métrique sur les autres. Encore une fois, je dirai que, d'une point de vue méthodologique, je voulais isoler un niveau par rapport à des concepts linguistiques suffisamment précis, le syllabe et l'accent, et me demander la relation entre la métrique et la théorie linguistique, particulièrement la phonologie suprasegmentale. Souci méthodologique et souci didactique à la fois.

Je ne répondrai pas à la question : « qu'est-ce que la sémiotique » Je dirai simplement que ce qui est appelé « sémiotique littéraire » a emprunté un certain nombre de concepts, et une méthodologie à la linguistique. Ce qui a permis de déplacer la question de l'être ; « qu'est-ce que... », qui est une question métaphysique. D'ailleurs la sémiotique littéraire ne parle plus de littérature, mais de texte, de son fonctionnement et de la typologie des textes. C'est à ce genre de sémiotique que je fais allution.

Je terminerai par une remarque sur les conditions de la discussion scientifique dont nous avons l'habitude dans cette faculté. Je ne rentrerai pas dans les détails.

Ce rapport qui est proposé à la discussion n'a de raison d'être que celle de provoquer la discussion. En tant que document de travail, il ne pouvait prètendre à l'exhaustivité.

Que ce document ait provoqué des susceptibilités, je le regrette pour le résultat de cette table ronde. Et les chercheurs confirmés, comme on l'a entendu, aurait pu nous faire profiter tous, aujourd'hui, de leur savoir et de leur savoir faire.

Fassi Fehri :

Je vais d'abord parler en français car quoique mes objections aient été faites en arabe la réponse est venue en français. Je fais donc écho au désir de Mr. Bounfour d'engager un débat en français.

Quand j'ai parlé d'empiricisme naïf ou de réfutationnisme naïf, les termes n'étaient pas de moi et il ne s'agissait de provoquer personne en parlant de naïf. Ce sont là des termes techniques auxquels Mr Bounfour veut enlever le qualificatif de « naïf ». Mais alors ça n'est plus la même chose, car il y a deux sortes de falsificationnisme ou plutôt de réfutationnisme : un réfutationnisme et un réfutationnisme naïf. Si on n'arrive pas à faire cette distinction, et si on prend pour une sorte d'insulte ce qui est en fait une expression bien connue dans la philosophie des sciences, c'est alors un autre problème.

Cette observation en appelle une autre, celle de savoir sur quelles bases on peut s'engager dans une discussion scientifique et comment. Il y a le point de terminologie que j'ai déjà soulevé et les conséquences qui en découlent. Mais il y a aussi beaucoup de choses que je ne comprends pas dans le rapport. La manière avec laquelle vous parlez des données n'a rien de scientifique et je dis ceci sans polémique.

Je ne comprends pas non plus ce que veut dire : « la théorie métrique de Mr Carthy est inadéquate pour l'arabe marocain dans la plupart des cas. » Il y a beaucoup d'autres choses à dire du rapport mais je vais m'arrêter là et je vais traduire en arabe.

الأستاذ الفاسي الفهري

كما قلت الاعتراضات التي قدمتها لم تكن في إطار الجدال (polémique)، ولكن كانت في اطار علمي، والتقدم بالحوار إلى مستوًى معين. حينما استعملت مصطلحات مثل التجريباوية الساذجة ومثل الدحض الساذج لم أكن أقصد بهذا الطعن في شخص معين، بقدر ما كنت أستعمل مصطلحات تقنية موجودة عند Lakatos مثلا، فاذن لم أكن أقصد الطعن في الأستاذ رئيس المائدة أو في غيره. كذلك لما تحدثت عن النظرية العروضية وهذه الجملة التي تقول «إن النظرية العروضية التي دافع عنها Mc Carthy غير مجدية في العربية المغربية في غالب الأحيان»، وحينما قلت انني لا أفهم هذا الكلام كنت بالضبط لا أفهم ما معنَى هذا الكلام.

النقطة الأخرى التي لم يجب عنها الأستاذ بونفور هي الاعتراضات التي قدمها الأستاذ كمال أبو ديب والتي أعتقد أنها واردة. ليست المسألة مسألة شخص يتحدث عن نفسه بقدر ما هي مسألة شخص مسؤول عن قفزة نوعية في الدراسة العربية وفي دراسة الشعر العربي وفي دراسة العروض العربي. هذا أعتقد أنه يجب أن ينبه إليه. وشكرا

الأستاذ عبد الله بونفور

تفضل، أنا أحترم حق الضيافة

الأستاذ كمال أبو ديب

شكرا على التمسك بحق الضيافة على الأقل. في الواقع أريد أن أعبر عن شيء من الأسف، لأن ما قلته روعي في بعده الشخصي فقط، وهو أنني غضبت لأن باحثا ما تجاهل عملي. لأن هذا آخر ما يهمني على الاطلاق، ولذلك فقد وضعت النقطة التي أثرت في اطار شامل من طبيعة الأسئلة التي يطرحها التقرير علينا، وأكدت أكثر من مرة أن اعتراضي هو على كون التقرير يعيدنا إلى على الأقل أربعة عقود إلى الوراء بطبيعة الأسئلة التي يطرحها لأن ما يفترضه أسئلة ما تزال قائمة،

أسئلة خلت منذ عقود وحلت . وليسمح لي هنا أن أذكر نفسي ، إلى درجة ما يحكم عليها الباحثون لا أنا في عملي . جورج بهاس باعترافه لي بنى كل ما قام به على عملي وأعطاه صيغة توليدية . أنا لا أذكر هذا من أجل حق ضائع ، الحق الضائع لا يضيع لأن باحثا شابا يتجاهله . أنا اثرت هذا الاعتراض لأن من أوليات المنهج العلمي كما قلت هو أن نعرف ، قلت ان الباحث اما أن يكون جاهلا أو متجاهلا . ولذلك لا ينبغي أن يرَى ما أثرته في إطار اعتراضي على فقداني لحق ما . هذا شيء ثانوي . المهم هو أن الباحث بجهله أو بتجاهله وجد نفسه في مأزق لأنه طرح اشكاليات لا علاقة لها الآن بالبحث ، وقد تجاوزها البحث منذ زمن طويل ، والبحث يطرح الآن على نفسه اشكاليات أكثر أهمية بكثير عن علاقة اللسانيات بالسيميائيات البحث الآن يطرح على نفسه أسئلة جذرية أثرت بعضها أمس في حديثي عن طبيعة العلاقة بين البنية الايقاعية وبين البنية للنص دلاليا وتركيبيا .. الخ البحث الآن يدخل مراحل قد تؤدي بنا في النهاية إلى تحديد الشعرية ذاتها إلى محاولة فهم النص الروائي والنص القرآني والنص القصصي والنص العادي في الواقع اليومي ، النص النفسي ، البحث الآن أكثر سفسطة وعمقا وغورا واشكالية من هذا الكلام البسيط الذي يطرح أمامنا باعتباره شيئا يقدم للنقاش، احتجاجي كان على طبيعة الانحراف الذي كان في البحث حين تذكر النظرية المقطعية ، وهذا شيء ذكرته سابقا تحاكم النظرية المقطعية بالقول نحن نعرف أن أهم بحث قيم به في الملحون هو بحث محمد طه في الملحون الجزائري ثم يعترض عليها ، كون محمد طه كتب في الملحون الجزائري أو لم يكتب لا يعني شيئا ذا أهمية في العالم الفكري اليوم بالنسبة لمعنَى النظرية المقطعية أو صلاحية النظرية المقطعية ، كون النظرية النبرية قدمت معطيات يعترض عليها الباحث كما ذكر الأستاذ الفاسي بأنها تنطبق على العربية المغربية أولا تنطبق شيء ثانوي الأهمية في طريقة الحكم على النظرية ، حين نحكم على عمل أو نقوم بدراسة فان أول شرط المعرفة البسيطة هي أن نعرف المادة حصرا ولا يفلت منا شريط أو واردة، نحن نقضي أياما وأياما نجري وراء عبارة تقتبس في كتاب دع عنك كتبا وكتبا إذا كنا في جامعة أو في ندوة جامعية ساد فيها حتَّى الآن مستوَى قلت عنه أمس في حديثي أنه لا يقل بل يفوق في كثير من الأحيان معظم النداوات التي حضرتها في الغرب شخصيا ومع أكبر علماء هذا

العلم ، إذا كان هذا المستوى قد ساد حتّى الآن فمن المؤسف أن يطرح هذا العمل باعتباره مسكا للختام الآن .

اعتراضي إذن هو باسم المعرفة وقواعد البحث والعلم لا باسمي الشخصي والذين يعرفون عملي يعرفون أن شيئا يمكن أن يقال في هذا الموضوع،هذا جانب هامشي من الاعتراض ، الاعتراض قائم على أسس البحث العلمي التي وصلت بنا إلى هذه الورقة باعتبارها تقدم الاشكاليات الأساسية .

الأستاذ عبد الله بونفور

أظن أن الساعة تشير إلى الخامسة وخمس دقائق ، وسنوقف النقاش عند هذا الحد .

مائدة الصوتيات (*)

الموضوع : «المقطع» Syllabe (*)

المقرر : الأستاذ الجيلالي السايب

نص التقرير :

في كتاب **Bell and Hooper. Syllabes and segments** [1] الصادر عام 1978 ، والذي يحتوي على عروض تطرقت لموضوع «المقطع والظواهر التي تتعلق به» ، اضطر المؤلفان إلى كتابة ما يلي في تمهيدهما للكتاب :

«لا يوجد في هذا الكتاب تعريف لكلمة «المقطع» ، وما قيل حول تعريف كلمة «الزمن» ينطبق تماما على ما قيل عن «المقطع» خلال هذه الندوة من قبل المشاركين فيها :

لو سألني أحد ان اعرف كلمة «الزمن» لأجبته : اتعرف عمّ تتكلم ؟ فإذا ردَّ بالايجاد قلت له : حسنا ، لنتحدث عن «الزمن» . وإذا أجاب بالنفي رددت عليه قائلا : حسنا ، لنتحدث عن شيء آخر .

ولا نريد أن نعتبر ما تقدم به Bell وHooper رأيا واستشهادا ، كاعلان عن موقف انهزامي بل هو تعبير عن الواقع الملموس ، ولاسيما وان الظواهر المتعلقة

(*) ترجمة لتقرير مائدة الصوتيات ، وقد أدرجت مناقشتها في القسم الفرنسي من أعمال هذه الندوة لأن جل التدخلات في هذه المائدة كانت بالفرنسية .

(1) هذا الكتاب يحتوي على 17 عرضا قدّمت في إطار ندوة عقدت في أكتوبر 1977 في جامعة «كولورادو» بالولايات المتحدة .

بالمقطع شديدة التعقيد لدرجة أنها تتحدَّى كل تحليل. فالسؤال اذن : لماذا أشرنا إلى ما قاله Hooper و Bell في تمهيدهما؟ والجواب بالطبع، هو أننا لا نقر بأن الأمر متعذّر، ولا نقترح عدم مواصلة الجهود والبحث في هذا الميدان قصد الوصول إلى فهم أكثر وضوحا للظواهر التي نحن بصدد مناقشتها. بالعكس إننا، كأحد المساهمين في الكتاب المشار إليه أعلاه، نود أن نتقدم بالملاحظة التالية :

— اذا اعتبر راي Bell وHooper ملائما اثر اختتام ندوة شرع في تنظيمها عاما قبل انعقادها، وكانت هذه الندوة مكرسة باكملها لمناقشة موضوع واحد «المقطع وتنظيم القطع داخله»، فيجب أن لا نتوقع الوصول إلى نتائج علمية أكثر ايجابية خلال نقاش يدور ساعتين في إطار مائدة مستديرة.

وخلاصة القول هي : إذا أردنا أن نحصل على نتائج ايجابية، فيجب علينا أن نحدد بوضوح وصرامة مجال النقاش. وهذا المجال يمكن أن ينحصر في النقط التالية :

1 — تحديد عدد المواضيع التي تطرح للنقاش
2 — تحديد عدد ظواهر «المقطع»
3 — تحديد عدد النظريات التي تتطرق لتحليل هذه الظواهر.
4 — تحديد عدد اللغات التي يمكن اللجوء إليها لأخذ الأمثلة.

وفيما يتعلق بالمواضيع الممكن مناقشتها فهي عديدة ومختلفة لدرجة أن الوقت المخصص للمائدة لن يكفي للتعرض لها. وأهم هذه المواضيع هي :

ا) المستوَى (اللفظي أو الوظيفي) الذي يمكن أن يوضع فيه «المقطع» كوحدة للتحليل.

ج) التنظيم الداخلي للمقطع : بداية المقطع، وقمَّته، ونهايته، أو بداية المقطع وقافيته.

ج) تتابع القطع والقيود التي تخضع لها قواعد المقطعية.

وأما الظواهر المقطعية، فهي عديدة كذلك إذ أنها تحتوي على : النغم، النبر، التفخيم، تناسب الصوائت الخ.

وأما النظريات التي تتطرق لتحليل هذه الظواهر ، فهي اما اقتراحات تعتمد على استغلال التشابه بين قيود التتابع التي تخضع لها الكلمة وتلك التي تخضع لها بداية المقطع (انظر Pulgram 1970)، أو ترتيب القطع حسب قوتها الصوتية (انظر Hooper 1972 . 1976) واما نظريات تستعمل البنية المشجّرة (انظر Kahn 1976 ؛ Mc Carthy 1978 وغيرهما) .

وأخيرا يمكن تحديد عدد اللغات التي تؤخذ منها الأمثلة ، إلا أن هذا يتوقف على أنواع الظواهر التي نريد أن نركز عليها اهتمامنا .

ونظرا إلى ما قيل آنفا ، أود أن أقترح التحديدات التالية :

1 — يجب أن يدور النقاش حول موضوع «تنظيم القطع داخل المقطع والقواعد المقطعية» .

2 — أن تناقش بعض ظواهر المقطع الموجودة في اللغات الوطنية (الامازيغية والعربية) ، مثلا : النبر والتفخيم .

3 — ان تكون النظريات المتداولة بمتناول الحاضرين .

4 — ان تكون لغات الأمثلة هي اللغات الوطنية ، ويجوز استعمال أمثلة واردة من لغات أخرى كالفرنسية والانجليزية .

ولكي لا تتخذ المائدة المستديرة صفة نقاش يدور حول العموميات ، نرجو من السادة المشاركين أن يلتزموا بما يلي :

1 — تقديم مخطط تمهيدي معزز بأمثلة لمشاكل يتطلب حلها اللجوء إلى دراسة المقطع .

2 — تقديم الحلول التي يرتؤونها لهذه المشاكل .

3 — تقديم ورقة عمل إلى لجنة الندوات اسبوعا قبل انعقاد الندوة (4 ماي) مع ذكر اسم المائدة المستديرة : الصوتيات .

الجيلالي السايب

الجلسة الختامية
كلمة السيد العميد : الأستاذ محمد حجي

الحمد لله

حضرات السيدات والسادة

أعتقد ، وأظن أنكم تعتقدون معي ، أن ندوة البحث اللساني والسيميائي حققت الاهداف المتوخاة منها ، على الرغم من قصر المدة المخصصة لها ، وضخامة المواضيع المقترحة فيها . فهي قد أفسحت المجال – على الأقل – أمام جماعة من المثقفين المختصين في العلوم اللسانية والأدبية من الشرق والغرب ، ليلتقوا في صعيد واحد ، لطرح عدد من المشاكل والمسائل ، ومناقشة توجيهات ومقارنات وتأويلات ، نقاشا حضوريا ، تنقشع معه سحب الشبهات ، وتنفتح مغلقات الاشكالات ، في روح علمية سمحة سادت جميع الجلسات .

ويسعدني أن أسجل نجاح التجربة الرائدة للموائد المستديرة المختصة التي تستعمل عندنا لأول مرة ، فقد أربحتنا الوقت الكثير ، واستطعنا أن نقوم في ظرف ثلاثة أيام بما لم نكن نستطيع بطريقة العروض العامة التقليدية القيام به في أكثر من أسبوع .

إنني أجدد ، في هذه الجلسة الختامية ، شكري وامتناني لجميع الزملاء الأساتذة الذين شاركوا مشاركة فعالة في هذه الندوة ، سواء بالعروض أو التقارير أو المناقشات ، وبخاصة الذين أتوا من جامعات أخرى ، ونعدهم بأننا سنسهر على جمع وترتيب أعمالهم القيمة ، في كتاب يطبع بحول الله في الشهور القليلة القادمة ، ليصلهم في مطلع السنة الجامعية المقبلة ، راجيا أن يعملوا بدورهم على تمتين الصلاة العلمية بين جامعاتهم وجامعة محمد الخامس ، فإنما الجامعات برجالها ، والعلم أوثق صلة وأقرب رحم بين ذويه .

ولا يفوتني أن أوفي أولئك الجماعة من الاداريين والعمال بهذه الكلمة نصيبا مما يستحقون من تقدير وتنويه عما تحملوا من مشاق في التهييء والتسيير والمتابعة . فإذا نجح هذا الملتقَى ، وهو ناجح حقا ، فإن لجهودهم الصامتة الخالصة الأثر الطيب الذي لا ينكر .

وبعد ، فإنني إذ أحيي الجميع مرة أخرى ، أعلن بحمد الله اختتام هذه الندوة .

عروض باللغة الفرنسية

Comparaison des structures du berbère et de l'arabe marocain

SCHMIDT Brandt (*)

Je voudrais tout d'abord exprimer mes remerciements à la Faculté des Lettres de Rabat pour cette invitation. C'est une occasion pour moi de faire la connaissance de collègues qui travaillent dans le domaine des langues chamito-sémitiques et surtout des collègues berbérisants. L'intérêt que j'ai pour les langues berbères remonte à l'année 1973, où j'ai pu faire un voyage d'étude linguistique au Maroc. Etant moi-même indo-européaniste et préoccupé depuis longtemps de linguistique générale, j'ai voulu observer de près les procédés d'interférence qui transforment la structure d'une langue d'après le modèle d'une autre, et ainsi le procédé de remplacement d'une langue par une autre. Parmi mes informants il y avait des membres d'une seule famille renfermant trois générations dont la première ne parlait que le berbère, la deuxième le berbère et l'arabe et la troisième – sauf les femmes – seulement l'arabe marocain. Nous savons qu'une langue remplacée par une autre laisse des traces dans la structure de celle qu'elle remplace d'une façon qui permet aux linguistes de tirer des conclusions concernant la structure de la langue évincée. En d'autres termes, si le berbère n'existait plus, nous serions en mesure de restituer les fondements de sa structure à l'aide des divergences entre l'arabe classique et de l'arabe maghrebin. Grâce à Dieu, le berbère existe et il est attesté dans plusieurs dialectes qui un jour nous permettront de reconstruire la langue berbère commune et de la comparer du point de vue généalogique aux autres langues qui forment la grande famille chamito-sémitique. D'autre part, on sait que les premiers arabes, qui s'étaient établi au Maghreb parlaient une langue qui ne différait pas beaucoup de la langue classique. Ces faits donnent aux pays du Maghreb une situation privilégiée quant aux recherches qui se réfèrent au phénomène du changement linguistique. Pour évaluer cette situation privilégiée il faut par exemple se rappeler les difficultés rencontrés par les Romanistes qui cherchent à connaître le développement du latin vers le français, sans savoir rien ou presque rien de la structure du gaulois et des autres langues parlées en France avant l'arrivée des Romains. L'étude linguistique que j'ai pu faire moi-même ici au Maroc en 1973 dans le cadre de la linguistique générale, a de plus éveillé en

(*) Université de Heidelberg. R.F.A.

moi un vif intérêt pour les langues berbères elles-mêmes. Cet intérêt a été d'autre part encouragé par la gentillesse des informants et de toutes les autres gens que j'ai rencontrées pendant mon travail dans un village de l'Anti-atlas et dans la banlieue de Casablanca.

Après cet avant-propos peut-être un peu trop étendu je reviens au thème proprement dit de cette conférence : La comparaison des structures de l'arabe marocain et du berbère.

En ce qui concerne la phonologie, elle offre à première vue l'image la plus impressionnante dans nos comparaisons, étant donné que le système phonémique du berbère soussi (c'est-à-dire tachelhit) et de l'arabe marocain parlé dans le Souss se trouve être tout à fait identique ; – bien entendu, je parle de la phonologie, pas de la phonétique.

			t	ṭ		k	q		p
b	ḅ		d	ḍ		g			
		f	s	ṣ	š	ḫ		ḥ	h
			z	ẓ	ž	ġ		ͱ	
m	ṃ		n						
			e	ẹ					
			r	ṛ					
w					y				

Les changements qui ont dû se produire au cours de la transformation de l'arabe classique vers l'arabe marocain d'aujourd'hui pour aboutir à cette ressemblance peuvent être résumés dans quelques règles comme suit : effacement des voyelles brèves, réduction des voyelles longues, ce qui entraîne une certaine pauvreté de phonèmes vocaliques, c'est à dire il y a des groupements de consonnes, qui, à leur tour, sont dissouts par l'insertion d'une voyelle d'appui non-phonémique, un procédé d'ailleurs comme celui du français moderne, où le « e » a perdu son rôle phonémique et ne sert plus qu'à disloguer les groupements de plus de deux consonnes. En berbère et en arabe marocain les groupements possibles sont encore plus nombreux qu'en français, le procédé de dissolution est cependant en principe le même.

Il est d'ailleurs très intéressant de constater que le même processus s'est déjà produit une fois au Maghreb, quand le berbère s'est séparé des autres langues chamito-sémitiques, comme il a été démontré par Diakonoff dans son livre sur les langues chamito-sémitiques, paru à Moscou en 1965. C'est à dire, cette tendance a même des racines plus profondes que le berbère même. Une illustration de la règle d'insertion de «e» non-phonémique nous est donnée par la comparaison de la conjugaison en berbère et en arabe marocain. Prenons par exemple le verbe fhm « comprendre » qui est d'ailleurs un emprunt berbère à l'arabe. Nous observons le déplacement de

« e » conformément aux désinences pré- ou suffixés, ce que les linguistes berberologues appellent « ressault »

	En arabe marocain :	En berbère :	
Sg 1.	nefhem	fehmeġ	« je comprends »
2.	tefhem	mais : tefhemt	etc.
	mais : tfehmi		
3.	yefhem	ifhem	
	tefhem		
Pl 1.	mais : nfehmu	nefhem	
2.	tfehmu	mais : tfehmem	
3.	ifehmu	fehmen	

Une autre règle phonémique commune au berbère et à l'arabe marocain est l'extension de la pharyngalisation, c'est à dire de l'emphase, sur toute une syllabe. Ainsi l'emphase devient un phénomène suprasegmental (**talaba** → **tleb**). Le même phénomène en berbère a été démontré par Applegate dans son « Outline of the Structure of Shilha ».

Une autre caractéristique frappante commune aux systèmes phonémiques berbère et arabe marocain est le développement de consonnes longues qui n'existent pas en arabe classique. Pour prouver qu'il s'agit vraiment de consonnes longues et pas de consonnes géminées, il faut remonter aux règles citées concernant l'insertion de « e » non-phonémique. En comparant **Ibit** « la chambre » avec **lektab** « le livre » nous constatons que l'article arabe marocain apparaît sous deux formes : une devant consonne (**l-bit**) et une devant deux consonnes (**le-ktab**). On observe la même différence entre **l-bent** « la fille » et le pluriel **le-bnat** « les filles ». S'il s'agit au contraire d'une initiale de mot qui permet l'assimilation de l'article, c'est à dire des consonnes solaires, cette consonne est allongée, p. ex. pour :

ššeržem « la fenêtre » (← ***l-šeržem**) il existe un pluriel **ššražem** (←***l-šražem**), pour **tteṣwira** « tableau » (← **l-*teswira**) un pluriel **ttsawer** (←***l-tsawer**), et pour **rražel** « l'homme » (←***l-ražel**) un pluriel **rržal** (←***l-ržal**).

Ici on ne trouve pas de **« e »** entre les consonnes initiales, ni dans **ššražem,** ni dans **rržal** et encore moins dans **ttṣaw(e)r,** c'est à dire il ne s'agit pas de trois consonnes à l'initiale des pluriels cités, mais de deux, dont la première est une consonne longue. Il nous faut déduire que le système phonémique de l'arabe marocain comporte des consonnes brèves et des consonnes longues comme celui du berbère. Ce phénomène a été décrit par Applegate pour le Soussi où il parle d'une corrélation de tension (tendu : non-tendu) qui s'étend sur toute la syllable comme la pharyngalisation, dont j'ai parlé plus haut.

En ce que qui concerne la morphologie, je voudrais me restreindre aux signes pronominaux suffixés au nom pour exprimer la possession et à ceux attachés au verbe pour indiquer la fonction des actants, c'est à dire des

participants de l'action. En arabe classique la possession est indiquée par des suffixes tels que **bayt-ī, baytu-ka,baytu-ki** etc., en berbère on intercale la préposition – **n** – entre le nom et le suffixe pronominal comme **tigmmi-nnu, – nnek, – nnem** etc. Cette préposition est identique à celle qui sert à l'expression de la dépendance d'un nom d'un autre, p. ex. **tigmmi-n-tmgart** « La maison de la femme ». En arabe marocain on remonte au même procédé que le berbère, en disant ddar-dyali, ddar-dyalek, ddar-dyalu, ddar-dyalha etc. comme ddar-dyal l-mra « la maison de la femme ». Il y a cependant quelques noms qui se soustraient à cette règle et qui sont les mêmes en berbère et en arabe marocain, les noms de parenté, p.ex. dans :

	arabe marocain :	berbère :
son fils	weld-u	yiwi-s
	weld-ha	
ma fille	bent-i	illi
tes sœurs	ḫwatatek	istma-k

Voici une phrase qui contient les deux procédés :

« Elle montre toujours ses vêtements à sa sœur »

berb. : ar-bedda-temal ihdumu-ennes i-ultma-s

ar. mar. : dima ka-twerri le-ḥwayež-dyalha l-ḫet-ha

mais en ar. cl. : dā'iman tuir malābisuhā li-'uhtihā

Quant aux signes pronominaux attachés au verbe je me limite à un seul exemple en arabe marocain

ɕlaš ma-qeddemti-l-na-š duk-n-nas ?
« pourquoi tu ne nous a pas présenté ces gens-là ? »

ou même sans aucun nom :
ɕlaš ma-qeddemti-hom-l-na-š ?
« pourquoi tu ne nous les as pas présentés ? »

Où **ma-geddemti-hom-l-na-š** représente un seul syntagme verbal, ou plus précisément, une seule forme verbale, dont les éléments se suivent dans un ordre fixe comme dans l'équivalent berbère, où on dirait **mag ur-aneg-d-tmlit medden-am** ou bien **mag ur-aneg-ten-d-tmlit** ?

Ici les signes **ur** + **« i »** de la négation du prétérit berbère et le ma + š de l'arabe maroc. Renferment le thème du verbe et les particules pronominaux, qui sont préfixés en berbère et suffixés en arabe marocain, tandis que l'arabe classique ne suffixe que le signe pronominal – **hum** de l'accusatif : **limā-da lam tuqaddimhum lana.**

La dernière partie de cette sélection de phénomènes grammaticaux identiques ou presque identiques en berbère et en arabe marocain se refère aux catégories grammaticales de l'aspect. En arabe classique, on a les deux aspects qu'on appelle traditionnellement le parfait et l'imparfait, tandis que

le berbère dispose de trois catégories comparables, l'habitatif, qui unit la notion d'aspect imperfectif à celle du mode d'action habituel ; le prétérit, la catégorie de l'aspect perfectif et enfin l'aoriste, qui est plutôt une catégorie modale comparable au subjonctif d'autres langues africaines. A l'aide du préfixe **ad-** il représente un mode qui exprime la notion de dépendance du procès verbal indiqué par le verbe principal.

Or, nous trouvons que les catégories mentionnées de l'arabe classique ont subi au Maghreb un procès de transformation qui aboutit à un système aspectuel-modal similaire à celui du berbère : Le parfait arabe classique est resté perfectif en arabe marocain (kataba → kteb «il a écrit», sans changement sémantique), mais la forme de l'imparfait de l'arabe classique a assumé la fonction de l'aoriste berbère et c'est par l'introduction d'une nouvelle catégorie grammaticale, formée par le préfixe **ka-** et la forme de l'ancien imparfait que l'arabe marocain s'est crée un équivalent de l'habitatif du berbère.

Permettez-moi enfin de citer quelques exemples illustrant ces procédés de transformation :

La forme de l'imparfait arabe qui a assumé au Maghreb la fonction de l'aoriste berbère se trouve dans les exemples suivants :

AM : kifaš **nkemmlu** l-ḫedma-dyalna ?
«Comment pourrions-nous finir notre travail à temps ?»
B : manik is-ad-nkemmel l-ḫedmt-nneg ġ-luqt ?
ou l'arabe classique utilise une périphrase :

kaifa ymmkin^u inha'u ʿamalinā fi-l-waqti lāzim ?

et avec dépendance d'un autre verbe :
AM : imken-lek tegles ḥdahom «tu peux t'assoir à côté d'eux»
B : imken-ak **ad-teskiws** ġ-tama-nnsen.
ou l'arabe classique emploie **an** + Subj. :
yumkin^u laka an taǧlisa bi-ǧānbihim.

Et voici deux exemples pour l'imparfait préfixé de **ka** en arabe marocain qui a assumé la fonction de l'habitatif berbère.

Comme pour l'habitatif berbère on peut distinguer une signification progressive et une signification strictement habitative :
Signification progressive :
AM : šafet-ni ka-nešʿel l-ʿafya : B tezra-yyi **ar-sṛgég** l'afit
B : «elle m'a vu allumer le feu = she saw me lighting the fire».

En arabe classique on emploie l'imparfait : rā'at-nī'ūqid^u n-nāra
Signification habitative proprement dite :
AM : dima **ka-nešreb** le-ḥlib f-le-ġda

B : bedda ar-saġ aqfay ġ-imkli

je bois toujours du lait pour le déjeuner

Ici aussi on emploie l'imparfait en arabe classique :

dā'iman 'ašrobu l-labana fi-l-gida'i

Habitatif et aoriste berbère dans la même phrase :

bedda **ar-itkemmel** le ḫdemtennes fad-a-iftu s-tgmmi.

« toujours il finit son travail avant de rentrer chez lui »

est rendu en arabe marocain par :

dima **ka-ikemmel** l-ḫedma-dyalu, qbal-ma **imši** le-ddar

pour l'habitatif pour l'aoriste

tandis que l'arabe classique emploie l'imparfait et – pour l'aoriste berbère l'infinitif ou le subjonctif :

dā'iman yanha'^u'amalahu qabla ruǧuʿihi'ila-l-bayti

ou : qabla 'an yargi'a ila-l-bayti

Je crois que les phrases citées suffisent à prouver la thèse présentée dans cette contribution, selon laquelle la structure phonétique et grammaticale de l'arabe marocain a été profondément influencée par le berbère, c-a-d. qu'il s'agit ici d'un phénomène d'interférence telle qu'on le rencontre dans les pays où deux populations originairement différentes mais formant une seule nation constituent une symbiose linguistique.



Le traitement de la spatialité dans le conte populaire

EM. CHADLI (*)

Résumé Succinct de la Communication

Traiter de l'espace, c'est avant tout postuler l'existence d'un niveau autonome et englobant comme code général de la narration, doué de propriétés spécifiques où opère la matrice spatiale (à trois termes) relevant d'une topologie et doté d'un mode de fonctionnement et d'une logique propres.

L'espace (narratologique) serait alors moins la traduction d'un objet référentiel (le monde) que l'institution d'un système interne de relations spatialisées présidant aux parcours des Actants.

0 – 1 **Comment parler de l'espace** ?

– En premier lieu, on peut en parler comme locus défini, non pas par un toponyme et des frontières matérielles (à l'instar de J. Duvignaud : **Lieux et non Lieux,** éd. Galilée 1977), mais comme champ virtualisant du Désir. Désir de quoi ? Désir d'être et d'être la faculté d'une langue (nommante) et d'une pensée qui le structure et d'être enfin le repère «charnel» de son propre devenir (F. WAHL : «le désir d'espace» in **Tel Quel** 85, Automne 80).

– En second lieu, on peut concevoir l'espace comme champ agissant, performatif. Je parle et en parlant je découpe le monde. Les choses vont exister du moment où je les nomme. Ce découpage se réalise, donc, par la médiation d'une langue qui est constitutivement mienne. L'espace se module et se crée au sein même de cette « parole » réalisante qui le véhicule et l'assume (Réf. Texte Biblique de la Genèse) :

«Il était une fois dans un pays **merveilleux...**»

– En troisième lieu, on peut lire l'espace comme désir de la Théorie. En d'autres termes, le lire en tant que problématique d'un champ d'investigation, antérieurement délimité. Problématique qui présuppose, par voie de conséquence, la mise en place d'un cadre conceptuel et formel qui va

(*) Faculté des Lettres – Rabat

déterminer un ordre de recherche ou du moins figurer les lignes de force d'une théorie en formation, en l'occurrence la théorie sémiotique.

0 — 2 **En quels termes faut-il en parler** ?

Autrement dit, comment faut-il appréhender l'espace dans un texte narratif ? En termes d'Actance, d'Isotopie ou de Structure ?

— Rappelons que l'Actance en Linguistique remonte à une remarque de Tesnière qui comparait l'énoncé élémentaire à un spectacle. La Syntaxe traditionnelle ne considérait-elle pas les fonctions comme des rôles pris en charge par les mots ? Le sujet est « celui qui fait l'action », l'objet « celui qui la subit ». Or le contenu des actions est variable de même que les acteurs sont interchangeables. Seul **l'énoncé-spectacle** demeure stable. Cette stabilité se trouve garantie par la « distribution unique des rôles » (Greimas, 1966, p. 173). C'est cette permanence de la distribution d'un nombre réduit de rôles qui va amener Greimas à poser deux catégories actantielles, sous forme d'oppositions :

Sujet	VS	**Objet**
Destinateur	VS	**Destinataire**

De cette constatation, il déduit la proposition suivante, à savoir qu'un micro-univers sémantique ne serait définissable comme Univers (i-e comme un tout de signification) que dans la mesure où il peut se manifester comme **spectacle simple,** autrement dit comme **structure actantielle** (ibid.)

Dans ce cas précis, faudrait-il poser à l'analyste le problème d'une Actance spatiale qui opérerait au même niveau que l'Actance « Actoriel-le » ? Cette procédure fausserait la portée de l'analyse, globalement conçue comme une opération de validation d'un nombre variable de niveaux optima.

— Poser alors l'espace en terme d'isotopie (1) dans la définition que lui donne F. Rastié (« systématique des isotopies » in **Essais de Sémiotique poétique,** Larousse, 1972) à savoir que l'isotopie est « toute itération d'une unité linguistique ». L'isotopie élémentaire offre au moins deux unités de la manifestation linguistique. Cela étant le nombre constitutif d'une isotopie est théoriquement indéfini (p. 82). L'Itération fonde, dès lors, un plan homogène de la signification et l'espace peut être ainsi lu comme d'une des nombreuses isotopies fondatrices du texte — conte.

Seulement, comme l'isotopie ne peut recevoir de définition syntaxique — même si par ailleurs, à un même niveau ou à des niveaux différents, elle

(1) « Par **Isotopie** nous entendons un ensemble redondant de catégories sémantiques qui rend possible la lecture uniforme du récit, telle qu'elle résulte des lectures partielles des énoncés et de la résolution de leurs ambiguïtés qui est guidée par la recherche de la lecture unique. /Ainsi/ l'isotopie narrative est déterminée par une certaine perspective anthropocentrique qui présente le récit comme une succession d'événements dont les acteurs sont des êtres animés, agissants ou agis ». p. 188. **Du Sens,** Seuil, 1970.

peut jouir d'articulations diverses qui lui confèrent le statut d'une structure rhétorique ou stylistique – elle ne peut, partant, prétendre à l'état d'un ensemble ordonné. L'isotopie recevant uniquement une définition syntagmatique n'aura pas de caractère structuré (Rastier, p. 82).

– Que reste-il ? Postuler l'espace comme structure autonome et englobante du processus narratif ? Assurément. Etant entendu que c'est cette « structure absente » dont parle Umberto Eco (Mercure de France, 1972) qu'il s'agit de réaliser dans une démarche sémiotique. En effet, pour U. Eco, le structure absente n'est rien d'autre que « cette exigence théorique qui pose comme hypothèse opérationnelle une structure (par déduction) logique abstraite qui n'a rien à voir avec la structure réelle du champ concret de l'analyse », ibid., p. 12 – C'est pourquoi, le principe d'équivalence n'a de valeur opératoire que dans la mesure où il s'agit de construire des modèles de surface (linguistique de la phrase). D'autres procédures et d'autres modèles seront nécessaires pour élaborer une nouvelle pertinence dans l'investigation de macro-unités (linguistique du discours) Cf. J.C. Coquet, **Sémiotique littéraire,** Mame 1973.

1.1 De la Spatialité naratologique

Il n'est pas question pour nous de traiter ici l'espace référentiel ou de le concevoir dans sa dimension euclidienne, encore moins kantienne, i-e l'investigation d'une spatialité tri ou quadridimensionnelle. Notre unité de base (macro-unité en fait) est le texte narratif comme frontière limite et signe de clôture (phonique et/ou scriptural). Les opérateurs d'analyse qui seront mis en œuvre sont des opérateurs formels qui n'ont rien à voir avec des vecteurs de type géographique ou pragmatique. Il s'agit en l'occurrence d'un espace narratologique tel qu'il est énoncé, décrit et catégorisé par le conteur-narrateur (ou son instance de production) et lexématisé dans la langue du texte (ADM) ou signifié par l'une des figures de rhétorique.

1.2 Postulat de base.

Nous postulons l'existence d'un niveau autonome et englobant comme cadre général de la narration), doué de propriétés spécifiques où opère la matrice spatiale relevant d'une topologie, doté d'un mode de fonctionnement et d'une logique propres (2).

1.3 Modalités de fonctionnement

a) L'espace peut être conçu, dans notre optique, comme une forme et non comme une substance, ayant comme matière la narrativité textuelle. En tant que forme, il est susceptible d'être articulé et érigé en système signifiant. C'est une construction, par voie de conséquence.

(2) Ainsi donc l'opérabilité topologique peut être comparée à l'opérabilité d'une logique culturelle, culinaire ou autre. Cf. Le Mythe de Référence Bororo, Analyses de Lévi-Strauss dans **le Cru et le Cuit,** A.J. Greimas dans **Communications** 8, J.C. Picard dans **l'Atelier d'Ethno-Linguistique** 78.79, Séminaire de Greimas.

b) Au sein d'un texte narratif, nous aurons affaire à une première articulation instaurant un espace de l'**ICI** (lieu de l'énonciation du conteur) opposé à un espace de **l'Ailleurs** (lieu de la diégèse où se déroule une aventure exemplaire). Cette articulation introduit la notion de point de vue. C'est dans la perspective du trajet héroïque que l'histoire sera décrite et l'espace catégorisé.

c) Le langage spatial servira non seulement à catégoriser l'Univers (monde des hommes/monde des ogres) et à construire un ensemble d'objets (mer, montagne, forêt, sables) ou à découper un environnement naturel (fonction de référentialisation donnant l'illusion du réel. Il s'agit d'une reconnaissance médiatisée par la langue comme les lexèmes «palais», «mosquée», «bain», «ville», etc) mais surtout à s'instituer comme structure indépendante (à niveaux hiérarchiques) et logique formelle (à règles explicites).

d) Partant, tout le périple héroïque, organisé en programme de faire (3), est signifiant à la fois comme projet et comme conséquence. Toute transformation de l'espace du héros est à cet égard significative. Ainsi, toute récurrence ou différence doit être enregistrée tant sur le plan syntagmatique (au niveau d'une texte-conte) que sur le plan paradigmatique (au niveau du Corpus recensé dans son intégralité). C'est par la mise en parallèle de ces deux plans qu'on aboutirait sûrement à l'emergence d'un vigoureux système de la spatialité, sous-tendu par des prémisses claires et gouverné par des règles adéquates.

e) Cette spatialisation opère comme une des composantes de la discursivisation, i.e. de la mise en discours des structures sémiotiques profondes (4). Elle englobe les procédures de débrayage/embrayage du récit (5), les programmes narratifs (programme du héros et programme de l'anti-héros dans une trame conflictuelle) et les catégorisations en espaces partiels juxtaposés sur l'axe de la prospectivité (avant/après). Ainsi, dans la tradition proppienne, l'espace merveilleux se trouve-t-il articulé en **espace familier** (lieu d'origine où s'inscrit énonciateur (6) et sujet héroïque) opposé

(3) i.e. en PN. Le PN est un syntagme élémentaire constitué d'un énoncé de faire régissant un énoncé d'état. Le 1er est dit modal, le second descriptif.

(4) Les structures sémiotiques profondes génératrices de tout modèle d'auto-représentation sont à distinguer des structures discursives où entrent en jeu les composantes actorielle et figurative.

(5) On peut dire que toute narration, dont le sujet de l'énonciation est occulté, i-e non identifié est construite à partir d'un débrayage initial, consistant à séparer l'énoncé de son instance d'énonciation en gommant les marques textuelles de celle-ci, et systématique (absence d'un **je** assumant sa narration, de toponymes spatiaux qui pratiquent l'ancrage référentiel du narré). Ce débrayage, avec **son non-je** (il), **son non-ici** (ailleurs) et **non maintenant** (une fois,...), installe la narration dans un ailleurs mythique.

6) L'intervention du conteur identifie l'espace de l'énonciation (l'ici de narration) avec l'espace partiel du récit tel qu'il est énoncé (l'ici du narré) qui coïncide avec l'espace social du destinateur.

à un **espace étranger** (le récit débute, en effet, par le départ du héros vers cet espace de l'ailleurs, à partir de l'opération initiale de disjonction).

f) Comme le récit fonctionne selon deux principes opératoires, le principe de la **catalyse** (remplir l'espace narratif) et le principe de **l'ellipse** (contracter la narration), la « syntaxe spatiale » sera une syntaxe **d'emboîtement** (que rend l'opération de subordination au niveau de l'expression linguistique) et **d'enveloppement** (que traduit l'opération de coordination : le héros conquiert le pays **et** épouse la princesse).

g) Aussi, aurons-nous un espace polarisé (pôle du héros, pôle de l'anti-héros), **segmentarisé** (7) (espace adjuvant/espace opposant) et **axiologisé** (investi sémantiquement). Il fonctionnera selon les principes d'opposition, d'équivalence et de subordination (englobant versus englobé) avec des modalités d'opération telles que transfert, intégration et exclusion.

h) Enfin, à l'intérieur des procédés fonctionnels itératifs et internes de la composante spatiale, nous pouvons discerner le procédé de l'Anaphore et celui de la **Cataphore** qui jouent au sein de l'espace narratif, par opposition à l'espace énonciatif.

Remarques Subsidiaires

1. La Structure Spatiale à trois termes (espace – source / espace – médiat / espace – cible) est décrite du point de vue de la trajectoire du héros. Cette structure formelle doit présider à la construction d'un modèle invariant qui traduirait les règles de production du texte-conte.

2. Les lieux où se déroule le faire du héros peuvent être définis moins par leur localisation qu'en vertu d'une situation (performance héroïque). Ils peuvent se décrire comme des champs fonctionnels caractérisés par l'opposition singulière au héros.

3. Les divers personnages – acteurs du récit jouissent d'une liberté de manœuvre qu'expriment les déplacements spatiaux. La liberté maximale est celle du héros principal connecteur d'espaces. Une liberté minimale caractériserait un personnage – acteur de second degré. Par conséquent, l'importance des acteurs du récit est corrélative à l'importance de leurs parcours (8).

4. Un territoire (niveau superficiel) dispose, en outre, d'un nombre défini de valences (ou positions) dont la réalisation détermine la structure dynamique du sujet du conte. Aussi, peut-il être en position d'espace-source (niveau profond d'effectuation et que traduit par exemple le territoire

(7) Greimas distingue, quant à lui, l'espace **topique** (espace de la transformation héroïque) de l'espace **hétérotopique**, comme lieu englobant. Une sous-articulation de l'espace topique donnerait l'espace **utopique** (« lieu fondamental où le faire de l'homme peut triompher de la permanence de l'être ». p. 99 in **Maupassant**, Seuil 1976) distingué de l'espace **paratopique**, lieu des performances héroïques préparatoire et qualifiante.

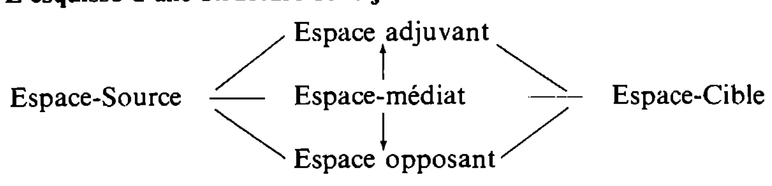
(8) Voir l'Analyse admirable de A. Miquel : **Ajîb et Gharîb**, Flammarion, 1977.

maternel), d'espace-médiat (qui peut-être adjuvant comme le territoire de l'auxiliaire magique ou opposant avec le territoire de l'ogre) ou d'espace-cible (territoire de l'objet désiré).

5. Il est à observer, que de manière générale, la «syntaxe spatiale» permet un nombre assez grand de lieux initiaux qui se résorbe à la fin du récit.

6. Finalement, l'espace peut se révéler comme le sujet d'expansion de la trame spatiale (**Contes des Mille et Une Nuits**) ou encore être l'objet de condensation caractérisée (Contes Citadins du Maghreb). Investi sémantiquement, il peut se donner à lire comme **monovalent** ou **polyvalent.**

2.1 **L'esquisse d'une structure sous-jacente.**



Nous considérons l'ordonnance spatiale, au niveau profond, comme l'effectuation syntaxique d'une Conjonction ou d'une Disjonction résultant d'un faire d'un «personnage» spécifique. A un plan narratif, non encore figurativisé, nous avons un **espace – source** d'où part le héros ou vit et un **espace – cible** où se trouve le pourquoi de sa quête (généralement une princesse pour le Conte Merveilleux). Cette jonction (ou ce parcours) sera médiatisée par un ou plusieurs **espaces médiateurs** qui peuvent être neutres (dénotant un simple couloir de passage), adjuvants (réception de l'objet magique, rencontre avec l'auxiliaire, refuge quelconque) ou opposants (demeure de l'Ogre, perdition, obstacle naturel : mer, montagne...).

La formule de base est, du point de vue syntaxique, la suivante :

(1) Faire + / $(E1 \cup E2) \rightarrow (E1 \cap E2)$
(2) Faire – / $(E1 \cap E2) \rightarrow (E1 \cup E2)$

Commentaire

La disjonction entre un espace E1 et un espace E2 peut être donnée, dès le départ, comme le faire négatif d'un personnage opposant au désir du héros. Le faire positif du héros consistera justement à transformer la disjonction spatiale en une conjonction amoureuse, spatialisée au niveau du récit (il accède au palais et reçoit comme récompense la main de la princesse).

Il est à noter que ces trois catégories spatiales (espace-source, espace-médiat, espace-cible), de par leur généralité (degré de puissance), leur aptitude à se combiner et leur fonctionnalité opératoire, sont à même de rendre compte d'un nombre infini de contes – occurrences, de type merveilleux, caractéristiques d'une Quête.

2.2 Quelques remarques méthodologiques

1. La matrice spatiale (dans le sens d'une structure organisée) ne mentionne ni les acteurs ni les parcours pour la raison suivante : c'est une représentation d'une structure sous-jacente. Nous opérons au niveau des structures sémio-narratives, au plan pré-superficiel, champ d'action de la composante « sémantaxique ». Nous l'appelons ainsi, puisque considérée du point de vue du canevas narratif, la syntaxe n'est rien d'autre qu'une sémantique générale avec des modalités syntaxiques générales telles que obtention, Aide, Epreuve, Mariage. Autrement dit, la syntaxe représenterait un invariant narratif avec une procédure caractéristique d'agencement par rapport à des variables sémantiques que les Contes peuvent actualiser.

2. La hiérarchisation des espaces contenus dans un texte-occurrence est une nécessité, non seulement méthodologique, mais pragmatique en vue de constituer une typologie idoine des espaces investis dans le Conte Merveilleux Populaire.

3. Par conséquent, il s'avère impérieux de distinguer les niveaux d'analyse lors de l'approche spatiale proprement dite :

– niveau taxinomique (morphologique)

– niveau sémantaxique (avec la mise en système relationnel des catégories relevées et extraites du Corpus). Le réseau paradigmatique instaurerait une lecture non linéaire du texte et donnerait une vision globale du canevas spatial.

4. Au niveau superficiel, il est fait appel à un ensemble intégré de variables comme **acteur, territoire, barrière, locomotion, pause et arrêt.** Espace et Actant vont fonctionner, à un niveau profond, comme des invariants syntaxiques.

2.3 L'esquise d'un traitement sémiotique.

Il est certain que l'Espace, de la manière dont nous l'avons investi et interrogé à la fois, relève d'une « topologie » particulière, celle de la Quête héroïque, telle qu'elle est **représentée** suivant en cela les catégories cognitives (des schèmes de pensée) de l'énonciateur et de l'énonciataire (9) (qui s'inscrivent dans une tradition culturelle et partagent en somme le même code sémantique de reconnaissance du monde), **délimitée** (elle retrace en ce qu'elle a d'achevé un objet inachevé, le monde en l'occurrence) et **investie** (de valeurs que le groupe social met en exergue). Aussi, se trouve-t-elle, dans notre perspective textuelle, immédiatement corrélée aux concepts sémiotiques de sujet et de point de vue.

La démarche suivie consistera à mettre en place la matrice spatiale articulée sur le parcours du héros, lequel parcours sera fondateur d'une

(9) Le schème est cet habitus social générateur de comportements et d'attitudes (Encrevé et Bourdieu).

spatialité duelle (ici **vs** ailleurs que figurativisent les lexèmes « maison » **vs** « forêt », par exemple) et que traduit la frontière. Cette frontière, selon Lotman, distingue l'espace narratologique en deux sous-espaces, qui par ailleurs ne se rejoignent nullement. La frontière est le « topos » même d'effectuation de la qualification héroïque, prélude à la quête. Quête qui ancre le faire du héros dans l'épreuve méritoire et l'exploit par le biais duquel il assure son statut et sa prétention au pouvoir suprême. C'est ainsi que nous aurons un espace qui se module en fonction des contextes dans lesquels il s'insère et partant acquiert tout son sens. Tout espace peut syntaxiquement du fait de sa position dans le déroulement syntagmatique et/ou paradigmatique accéder à l'une des trois fonctions citées. Bien que, et c'est une restriction importante, les deux espaces **source** et **cible** constituent deux états stables, une permanence au début et à la fin du récit, par rapport à **l'espace – médiat,** espace par excellence de la **transformation.** Si on se hasarde à une analogie de type linguistique, espace – source et espace – cible seront respectivement équivalents dans une phrase de base aux positions syntaxiques de sujet et d'objet, alors que l'espace – médian jouerait le rôle du verbe modélisant les rapports sujet-objet dans un contexte parolier déterminé.

3.0 En guise de conclusion

a) Tout texte narratif oral peut être conçu comme un champ ouvert et polyvalent où se jouent et s'affrontent les divers ordres de la « spatialité » :

– Un espace **mythologique** traducteur d'une vision idiosyncratique du monde.

– Un espace **culturel** en tant que lieu d'élaboration mythique d'une axiologie et d'un faire anthropomorphe qui nous donne, dès lors, un espace idéologiquement articulé.

– Un espace **sociologique** créateur d'un discours doxologique situé en aval du discours dominant.

– Un espace **textuel** comme finalité issue, d'une opération savante de transcodage (passage de la littérature orale à la littérature écrite).

– Un espace **topologique** où s'imbriquent et se multiplient dans la texture immanente du texte les différents trajets des acteurs du récit.

b) Privilégier l'instance spatiale dans l'investigation du texte contique comme cadre – support à la narration vise à faire ressurgir un système de relations spatialisées, en somme de dégager, à l'instar de Lotman, une « structure du topos ».

c) Et enfin permettre la co – variance du spatial et du narratif par le biais d'un certain nombre d'isotopies fondatrices du texte contique oral.

Bibliographie

1. Coquet, J.C. **Sémiotique littéraire,** Paris, Larousse, Mame 1973.
2. Courtès, J. **Introduction à la sémiotique narrative et discursive,** Paris, H.U., 1976 **Sémiotique.**
   Dictionnaire Raisonné de la Théorie du Langage (en collaboration avec Greimas). Paris, H.U., 1979.
3. Duvignaud, J. **Lieux et non lieux,** Paris, Ed. Galilée, 1977.
4. Greimas, A.J. **Sémantique structurale,** Larousse, 1966.
   Du Sens, Seuil, 1970
   Maupassant, Seuil, 1976.
   Sémiotique et sciences sociales, Seuil, 1976.
5. Lévi Strauss **Anthropologie Structurale I. II.,** Plon, 1958 et 1973.
6. Lotman, I. **La structure du texte artistique,** NRF, Gall., 1973.
7. Miquel, A. **Ajîb et Charîb,** Flammarion, 1977.
8. Propp, V. **Morphologie du Conte,** Seuil, 1970.
9. Rastier, F. « Systématique des isotopies », pp. 80-106 In **Essais de Sémiotique poétique,** Larousse, 1972.
10. Tartu, **Ecole de Travaux sur les systèmes de signes,** Paris Ed. Complexe 1976.
11. Wahl, F. « Le désir d'espace » in **Tel Quel** 85, Automne 80, Seuil.
12. Whorf, B.L. **Linguistique et Anthropologie,** Denoël, 1969.

IIème Séance : Debat

Président : Mr ALAOUI Abdallaoui (*)

Mr Benhallam

Question : au début de votre exposé vous avez parlé de l'arabe que les Arabes parlaient au début au Maroc, c'est un arabe qui est bien proche de l'arabe classique, alors, ma question sera : est-ce que vous pensez que l'arabe marocain vient directement de l'arabe classique ? Vous savez, bien sûr, qu'il y a la théorie de Ferguson, son article sur le phonème arabe (1957) qui dit que les dialectes arabes viennent d'une langue commune.

Ma deuxième question : en ce qui concerne le développement des consonnes longues, de phonèmes qui sont des consonnes longues en arabe marocain et en berbère et vous avez donné des exemples comme « charjam » où il y a, bien sûr, un phénomène de similation. Est ce qu'on pourrait vraiment parler de phonèmes longs dans ce cas là ? Est ce qu'il ne faudrait pas distinguer entre ce qui est phonologique, parler des géminées d'un point de vue phonologique et parler du point de vue phonétique de consonnes longues.

Mr Schmidt Brandt

En ce qui concerne votre première question, j'accepte les idées de Mr Ferguson en ce qui concerne la Koiné arabe ; c'est pourquoi je dis que la langue des Arabes qui sont venus au Maghreb et l'arabe classique, sont similaires ou presque c'est à dire que l'idée qui est à la base de cet exposé c'est qu'il y avait une langue arabe commune qui s'est mue en plusieurs dialectes, et ceci avant même l'époque de l'arabe communément appelé « classique » ; on peut le prouver mais je crains de n'avoir pas d'exemples corrects en ce moment précis. Il y a une chose si je me rappelle bien ; c'est le « d » qui était devenu « dh » en arabe classique mais qui a laissé des traces dans les autres dialectes arabes et cela nous démontre que le « ḍ » a été la forme originaire et le ض c'est à dire l'occlusif de l'arabe classique est postérieur à ce son là. Mais c'est le seul exemple qui me revient en mémoire. Peut être y a-t-il d'autres possibilités, mais je ne les connais pas.

En ce qui concerne votre deuxième intervention : la question des

(*) Faculté des lettres – Rabat.

consonnes longues ou géminées ; je préfère l'interprétation de ces consonnes comme étant longues, parce qu'il n'y a pas de « e » d'appui entre les trois consonnes longues comme c'est le cas généralement en arabe marocain et cela ne se restreint pas à l'article comme j'ai dit, (« charjam » — « chrajm »), mais aussi pour le verbe. J'ai dit « nkmlou » pour « nous finissons », ici aussi vous avez les deux « m » et « l » mais on prononce « nkemlou » pas « nkmemlou » ou quelque chose comme cela ; c'est la raison pour laquelle il faut déduire selon les méthodes de la phonémique et de la phonologie qu'il s'agit d'une seule consonne que j'appellerais consonne longue.

Question :

A propos des géminées, on n'est pas tellement d'accord sur la façon d'appeler ces choses mais je voudrais un exemple de géminée. Vous pensez que les géminées sont des consonnes qui seraient toutes les deux prolongées ;on aurait alors « tt » ou « qq » etc... Est ce qu'il y a vraiment des exemples en arabe marocain où l'on pourrait voir que ce sont des géminées et les opposer à des exemples où il ne s'agit pas de géminées mais de consonnes longues.

S.B. :

En dehors des exemples que j'ai cités je n'en connais pas. Il faut se rendre compte que l'analyse que nous faisons dépend beaucoup des systèmes phonologiques que nous utilisons comme base et finalement peut être n'est il pas très important, pour la comparaison que nous avons faite, de dire, il y a des consonnes géminées en berbère et en arabe ; les deux interprétations nous ramènent au même but. En ce qui concerne la question posée, c'est qu'il y a une ressemblance entre les deux langues.

Question : est-ce qu'on peut parler de géminée en Arabe (....) ?

S.B. :

Oui, la première question se référait à la tension tendu pas tendu qui donne naturellement une possibilité de distinguer les géminées des consonnes longues comme vous dites. On peut procéder comme le fait Mr Applegate qui dit que la tension peut être entendue dans toute une syllabe comme la pharyngalisation et cela est une chose, que moi allemand, je ne peux juger. Il faut avoir des appareils acoustiques qui enregistrent la prononciation pour pouvoir juger s'il s'agit vraiment de l'influence d'une seule consonne sur toute la syllabe qui fait que celle-ci est tendue c'est-à-dire que chaque son dans cette syllabe est influencé par cette tension vis-à-vis des autres qui ne comportent pas celle-ci.

Si ce que dit Mr Applegate est correct on aurait de cette manière une possibilité de distinguer la gémination ou la tension.

Mais comme j'ai dit, pour notre problème, ce n'est pas très important.

S.B. = Schmidt Brandt

On peut avancer que la gémination est une nouveauté qu'on trouve en berbère et en marocain vis à vis de l'arabe classique.

Si je vous ai bien compris,vous demandez pourquoi je parle d'aspect au lieu de temps ? La définition de l'aspect remonte aux premières recherches faites en ce qui concerne les langues slaves et Mr Heigger, un collègue à Hinderburg a beaucoup travaillé sur ce thème. Il a essayé de définir les catégories grammaticales sans recourir aux langues mêmes. C'est étonnant à première vue, mais il compare son travail, sa méthode à celle que l'on utilise pour tracer un point précis sur une carte en se servant de lignes purement théoriques. Il essaie de définir les aspects et le temps en recourant à la réalité extra linguistique ; il ne part pas des langues mais il décrit la situation qui doit être dans la langue. On trouve alors que l'aspect perfectif peut être comme un aspect où artificiellement on transpose une action prolongée dans un seul point. Tandis que l'aspect imperfectif est une manière de voir les choses où le parleur s'imagine dans l'action même et c'est la distinction primordiale qu'on a entre les deux aspects qui, généralement n'ont rien à voir avec les temps. On peut décrire une chose à l'aspect imperfectif dans le passé et dans le présent ; par exemple en anglais, on peut dire « I am writing » pour l'aspect imperfectif présent, « I was writing » pour l'aspect imperfectif prétérit, comparer avec l'aspect perfectif « I wrote », temps prétérit. Mais on n'utilise pas « I write » pour l'aspect perfectif présent parce qu'il est très rare qu'un parleur transmette l'action du présent dans un seul point parce que cela signifierait que l'action se passe au moment où il en parle. Il y a en hébreu des exemples où un prêtre en parlant croit que sa parole se transpose en réalité vécue mais dans ces exemples, très rares d'ailleurs, on utilise l'aspect imperfectif pour le présent. C'est très compliqué et il faudrait y consacrer une conférence spéciale pour expliquer de manière exhaustive la différence entre les catégories temporelles et celles aspectuelles.

Question de Mr Gasmi, sur la spatialité dans le conte

Président : D'autres questions ?

Question : Mr Hilgert

Il y a simplement une petite mise au point concernant les travaux de Heigger qui, en fait, sont liés à ceux de Gustave Guillaume qui traitent également de l'aspect et ceux de Martin, il utilise une définition proche de celle de Heigger ·

Le deuxième point : est ce que lorsque vous parlez du présent perfectif... (suite inaudible)

Maintenant je passe à une question concernant l'exposé de Mr Chadli qui distingue une structure profonde d'une structure de surface ; une structure profonde d'une structure narrative. La structure profonde étant essentiellement binaire articulée par la conjonction/disjonction, et la

structure narrative étant ternaire puisque entre l'espace source et l'espace cible se trouve un espace médian transformateur. Est ce que dans cet espace narratif il y a des actualisations linguistiques du type « maison », « forêt », etc. ? Maintenant, pour ma part,je trouve que le premier niveau au fond a un deuxième niveau tel qu'il permet peut être une différenciation ou peut être qui ne permet pas de différenciation entre des thèmes héroïques qui appartiennent à une culture totalement héroïque. Autrement dit quand vous dites que vous vous intéressez aux contes en arabe dialectal marocain, est-ce que les différences que vous trouvez entre ces derniers et ceux d'autres traditions pourraient se traduire non seulement au niveau narratif et historiel mais aussi à un niveau plus général qui serait justement ce niveau profond que vous différenciez ?

S.B. :

Pour illustrer un peu la relation entre les aspects et les catégories temporelles, je dirais que si l'on a un aspect perfectif, un aspect imperfectif, une catégorie temporelle présent et une prétérit, comme en Grec ancien par exemple, ce qu'on appelle le présent en grammaire, c'est le présent de l'imperfectif ; on a l'imparfait et on se réfere au prétérit, à l'aspect imperfectif et on a alors l'aoriste. Ce qu'on appelle aoriste en Grec c'est le prétérit de l'aspect perfectif, mais il y a une lacune comme vous voyez. Pour le présent perfectif qui n'existe pas parce qu'il est très rare de trouver une situation où il faut recourir à une telle forme mais quoique très rares ces situations existent, par exemple, si un marchand Grec d'aujourd'hui parlant le Grec moderne envoie une lettre : « ci-joint je vous envoie les marchandises commandées... etc », il peut dans ce cas utiliser l'aoriste grec quoique l'aoriste généralement soit une catégorie pour le prétérit. Mais puisqu'il manque une forme pour le présent perfectif, ils utilisent l'aoriste auquel j'ai fait allusion tout à l'heure.

Vous avez demandé si c'est perfomatif ?

Selon la réponse de Heigger qui, comme j'ai dit plus haut, est extra-linguiste, ce cas serait certainement celui d'un présent perfectif. Toujours est-il qu'il faut rappeler que même les langues qui distinguent les aspects des catégories temporelles n'utilisent pas ces trois catégories ressortantes dans les législations. Il y a une zone de transition : par exemple en Français vous avez le présent, l'imparfait, le passé défini qui a été remplacé dans le français moderne par le passé composé. On ne peut en aucun cas avancer que les Français utilisent toujours l'imparfait là où les Espagnols le font où les Anglais utilisent la forme avec « ing » comme dans « I was writing ».

Quoique la définition soit partout la même, il y a toujours des situations qui sont interprétées différemment suivant les langues en question. Ainsi quand on parle d'une catégorie, il faut toujours préciser à quelle langue on se réfère.

Mr Chadli :

D'abord je réponds à la question concernant la notion de désir. Effectivement, je ne me place pas au même niveau. J'ai voulu traiter le sujet de biais.

La notion de désir se situe à un niveau très général, c'est à dire au niveau même des catégories cognitives de pensée là où se produit l'interaction d'une langue et d'une pensée. Autrement dit les choses n'existent qu'à partir du moment où je les découpe, où je les nomme. On a donc des corrélations entre les catégories abstraites, qui sont logiques et les catégories spatiales. En ce qui concerne les modalités de fonctionnement, et là je suis en pleine théorie, en plein fonctionnement de la machine sémiotique ; là en effet, à partir du moment où vous prononcez « il était une fois », vous accomplissez un triple débrayage. Au niveau actoriel, c'est l'exclusion du champ de l'énonciation de celui qui parle.

Il n'y a plus de « je » mais « il », il n'y a plus de toponymes ancrant le « faire » du sujet parlant au moment où il parle. Il y a aussi un débrayage au niveau spatial.

En ce qui concerne l'autre question. Je ne suis pas d'accord au sujet de l'espace objectif/espace subjectif. C'est une dichotomie désuète et non fonctionnelle. L'espace objectif peut être accepté dans la mesure où quelqu'un qui conte instaure un espace fictif, celui de la narration pour lequel sont conviés ses destinataires. Mais à un niveau plus général, l'espace n'est finalement qu'un objet construit, qu'il soit fictif ou objectif, il est construit suivant les catégories d'une langue, suivant les structurations d'une pensée. En fait, il n'y a pas de contradiction entre le fait de dire et le fait de désir, et là je me place à un niveau métasémiotique, j'aurais aimé dire même épistémologique mais puisque je n'ai pas axé mon travail là-dessus... j'ai évacué certaines dimensions, par exemple la dimension d'un espace comme actualisation, réalisation d'un désir, c'est la perspective d'un François Wahl, celle aussi de Jean Duvignaud dans « lieux et non lieux » pour, finalement traiter de l'espace simplement du point de vue de la narration, c'est à dire comment un conteur organise une matière qui est l'espace. Est ce que j'ai répondu à votre question ?

Question :

Mr Gasmi (La question est relative à l'espace objectif)

– **Mr Chadli :** Non c'est simplement une question de niveau. Quand vous parlez d'un énonciateur pratiquant son débrayage c'est-à-dire s'excluant en tant qu'acteur dans le récit ; là effectivement il évacue son propre espace objectif, il va instituer un espace qu'on peut qualifier de subjectif et qui est l'espace fictionnel. Les acteurs du récit ne seront que des relais de cet espace instauré par celui qui énonce et qui raconte l'histoire.

Question :

Mr Gasmi (La question est relative à la hiérarchisation des niveaux)

— **Mr Chadli :** Il y a une chose, vous avez parlé de niveau profond et de niveau narratif. Effectivement, dans un récit, il y a deux niveaux. Il y a le niveau profond où opèrent les structures sémio-narratives, c'est-à-dire là où entre en jeu la composante spatiale, l'espace source, l'espace médian, l'espace cible, et le niveau superficiel où finalement ces trois catégories prennent une expression linguistique donnée, comme par exemple l'arabe dialectal marocain ou le tamazight ou le français. En ce qui concerne l'ici et l'ailleurs, il ne s'agit pas d'un niveau profond ou si vous voulez il est encore plus profond que le premier puisqu'il est au niveau de l'énonciation. N'importe quel conte, n'importe quelle histoire dont l'auteur est anonyme instaurent cette dualité de l'ici et de l'ailleurs et c'est à partir de là que vous entrez dans l'histoire, que vont s'opérer d'autres procédures ; en ce qui concerne le processus de différenciation ou d'uniformisation à partir justement de la spatialité. Il est vrai que j'ai parlé d'un degré général puissantiel, c'est-à-dire que cela peut s'appliquer aussi bien au conte slave qu'au conte latino-américain. La différenciation va s'opérer à un autre niveau : celui des structures superficielles, là par exemple où des variables vont entrer, telles que les acteurs les déplacements etc...

Question :

Mr Hilgert (question relative à la définition de l'aspect et à son application à des langues particulières)

Schmidt Brand : Je ne crois pas que j'ai dit que l'aspect doit être défini différemment selon la langue : ce que j'ai voulu dire, c'est que les frontières entre les catégories ne sont pas semblables d'une langue à l'autre parce qu'il y a d'autres facteurs qui jouent un rôle dans le choix de l'aspect. Je n'ai pas voulu dire que par exemple, l'aspect imperfectif en français est différent de celui du russe ; ce que j'ai voulu dire c'est que l'aspect imperfectif peut être défini (la définition de Mr Balder est la meilleure d'après moi). Pour ce but l'aspect peut être défini, ce n'est qu'en second lieu qu'on cherchera où les différentes langues utilisent et où elles ne le font pas. S'il y a des différences, il ne faut pas en chercher les causes dans la définition générale de l'aspect mais dans d'autres facteurs et qui généralement n'ont rien à avoir avec l'aspect.

Mr Hilgert : oui mais c'est arbitraire finalement...

S.B. : Cela semblait plus ou moins arbitraire jusqu'à ce que l'on ait trouvé ces autres procédés que j'ai mentionnés.

Question :

(Question relative à la notion d'espace dans le conte en général et dans la littérature, la poésie, etc)

– **Mr Chadli :** En ce qui concerne les contes, Lévi-Strauss avait travaillé sur des mythes et des contes qui étaient fonctionnels, c'est à dire qui entraient dans un système d'échanges, à la fois culturel, linguistique ; en somme dans « les échanges symboliques ». Les contes sur lesquels j'ai travaillé sont des contes que j'ai recueillis moi même et qui n'entraient pas dans ce circuit, c'est-à-dire qu'il fallait demander à quelqu'un de vous dire un conte etc... Donc ils sont restés un peu dans un état statique. Dans d'autres perspectives, ce qui serait intéressant, c'est l'espace communal, voir comment le conte est géré, de faire non plus une sémiotique de l'espace mais une sémiologie ; comment il est géré, comment il est agencé entre différents producteurs puisque dans certains contes comme en Haute Volta, il y a de véritables séances rituelles de contes.

En ce qui concerne la catégorie de l'espace telle que j'en ai parlé dans mon développement, pour moi elle est essentielle ; elle est presque le cadre support de cette narration et effectivement elle peut s'appliquer à des textes littéraires très élaborés et aussi à des poèmes ; je vous renvoie à l'étude de Lotman : **Les structures du texte artistique,** vous avez Greimas qui a essayé justement de faire une étude sur Maupassant à partir de l'espace et vous avez un certain nombre de tentatives de ce genre. Vous avez par exemple les sémioticiens Soviétiques, surtout l'école de Tartu qui vont essayer d'appliquer ces notions sur d'autres genres narratifs que le conte ; la byline, la comptine, la geste etc... Pour moi c'est une catégorie très importante extrêmement puissante et productive, elle est même à un degré de généralité telle qu'elle peut subsumer n'importe quel processus narratif étant donné que l'espace est premier à toute mise en forme d'une matière.

Président : juste un petit complément de Mr Brandt et nous passons aux dernières questions.

S.B. Je voudrais ajouter ceci en ce qui concerne les facteurs additionnels qui peuvent intervenir : par exemple en russe vous avez en dehors de l'aspect une catégorie qu'on appelle « actionact » en allemand ; c'est difficile à traduire en français, mais on pourrait dire mode d'action. La différence entre ces derniers et l'aspect est que le mode d'action est une chose objective, par exemple le duratif est un mode d'action ce qui veut dire que cette chose se réalise lentement et cela n'a rien à voir avec l'aspect imperfectif qui veut voir les choses se réaliser au moment même où on s'exprime c'est pourquoi on les appelle aspects c'est à dire l'aspect qu'a le parleur de l'action qui est elle objectivement la même. Le parleur veut dire qu'une chose est vraiment passée lentement, qu'une autre s'est passée très

brusquement et cela c'est deux choses différentes qui généralement se confondent dans les différentes langues ; par exemple le russe ; on a une telle confusion entre les modes d'action duratifs et l'aspect imperfectif.

Il y a une autre possibilité d'intervention de notre facteur qui peut être illustrée par l'espagnol où vous avez la possibilité d'exprimer l'aspect par une périphrase comme «está escribiendo» pour «il est en train d'écrire», «estaba escribiendo» pour il était en train d'écrire». Mais on peut remplacer ces formes librement «escribia-escribe» c'est à dire par les formes sans périphases ; ce qui veut dire que les formes avec périphrases forment une partie des possibilités à la disposition du parleur. La forme avec «está» peut toujours être pas celle dans «está», mais on ne peut soutenir le contraire et cela aussi est une possibilité pour un aspect où il y a des facteurs de stylistique qui interviennent et qui décident au cas où le parleur doit utiliser l'aspect imperfectif ou perfectif de la langue en question. question.

Questions

Je veux dire est ce que ce passif, sa construction ne serait-elle pas en fait un moyen d'insistance par rapport à l'imparfait qui lui, déjà est un imperfectif.

S.B. : Pas dans le cas russe, pour l'espagnol, oui

Bounfour : Ce n'est pas plus une question qu'une demande d'information à Mr Brandt à propos de la comparaison qu'il a faite entre l'arabe marocain et le berbère ; c'est je crois le peu de temps de l'exposé qui vous a fait choisir quelques points ?

S.B. : oui, c'est cela

Bounfour : Mais est ce que votre travail a été systématique ou non ?

Est ce que vous avez choisi un certain nombre de points ou est ce qu'on peut disposer d'une information un peu plus importante ?

S.B. : Oui, je suis en train de préparer une monographie sur l'influence des substrats ; ce serait en français les superstrats et les substrats combinés. Et je vais me référer spécialement au berbère : c'est la raison de ma visite au Maroc il y a sept ans parce que, comme j'ai dit au début de ma contribution, ici on trouve ce qu'un collègue anglais a défini comme «laboratery», on peut étudier la chose tout en l'ayant bien sous les yeux. Généralement, dans les études européennes, on ne fait que déduire les choses alors qu'ici elles sont concrètes parce qu'on a les deux langues le berbère et l'arabe qui s'influencent l'une l'autre et toute autre influence est à exlure car on a le sahara au sud, la mer au nord. Un changement observé dans l'arabe marocain est très instructif pour la linguistique générale.

J'ai interrompu ce travail parce que j'écris en ce moment une introduc-

tion aux langues indo-europpéennes qui doit être terminée dans les plus brefs délais ; je pense que je reprendrai ce travail et que dans deux ans j'aurai terminé la monographie.

Mr. Abu-Talib :

La première question ; c'est l'insertion des voyelles. S'agit-il vraiment d'une insertion dans ce sens qu'il y a une intrusion ou s'agit-il tout simplement d'un remplacement d'une voyelle longue, brève par une schwa. Dans l'exemple que vous avez donné « ktab » et « lktab », je ne crois pas qu'il s'agisse là d'une insertion de voyelle. L'article « l » est statique là où on le place et « ∂ » n'existe même pas phonologiquement ; c'est vous qui l'introduisez parce que c'est vous y insistez, et surtout si on considéré que les différents dialectes arabes émanent de la même origine l'arabe classique, comme c'est le cas de « alkitab » qui devient « l∂ktab » ou « lktab ». Donc vous n'avez pas d'insertion.

Brandt Schmidt : Puis-je commencer par la deuxième intervention ? A propos de « ṭleb » ici aussi je dois dire ce que j'ai dit au collègue qui m'a posé la question à propos de la tension. Il faut faire des recherches phonétiques pour trouver s'il y a vraiment une pharyngalisation dans tout le mot. Les collègues qui ont fait des recherches et qui connaissent l'arabe beaucoup mieux que moi l'ont asserté. Moi, je ne peux partir que de ma propre expérience pour donner un exemple. Le nom de « Casablanca » en arabe, « addar albiyda » ne contient pas d'emphase ou de pharyngalisation en arabe classique alors qu'en arabe marocain on prononce le « d » pharyngalisé ainsi que le « r ». De plus il semble que tout « r » est devenu pharyngalisé en arabe marocain.

Abu-Talib : même en arabe classique

S.B. : mais non

Abu-Talib : mais si...

S.B. : Même si vous avez raison car vous connaissez certainement l'arabe mieux que moi

S.B. : Même si en arabe classique le « r » est pharyngalisé, ça n'exclut pas que le « d » le soit également et si j'ai bien écouté l'arabe qu'on parle ici on dit « addar albaiyda », j'ai eu l'impression qu'on prononce aussi le « d » pharyngalisé, et le « a » aussi subit l'influence de cette double pharyngalisation. En ce qui concerne le « e », inséré j'ai dit qu'il s'agit d'un phénomène phonétique pas d'un phénomène phonémique, ça veut dire que vous avez certainement raison. Il est possible de dire « lktab » sans le /∂/ mais on ne le fait pas généralement. C'est possible phonétiquement mais on ne le fait pas.

Abu-Talib : Mais il n'y a pas de / / phonologiquement.

S.B. : phonologiquement ce n'est pas possible parce qu'il n'y a pas le /∂/, il n'existe que phonétiquement.

S.B. : phonologiquement ce n'est pas possible parce qu'il n'y a pas le « ə », il n'existe que phonétiquement.

Abu-Talib : Il n'y a pas de schwa. En tout cas, on ne peut pas parler de phonétique sans référence au phonologique

S.B. : Il n'y a pas de choix, cela veut dire que la règle fonctionne, que le « e » doit être prononcé et vous avez le même phénomène en français parce que le français ancien avait un « e », le « e » phonémique ancien, mais le français actuel ne l'a plus aujourd'hui, on peut dire par exemple « l'ours blanc » en manière phonémique on écrit l'ours(e) blanc » et comme on a ici quatre consonnes qui se suivent, il faut y mettre un « e » pas phonémique.

Abu-Talib : Là,c'est une intrusion ; c'est évident.

S.B. : Je ne vois aucune différence entre cet exemple et celui de l'arabe marocain de « lebnat » où le « e » est mis dedans pour éviter les trois consonnes.

Président : une ultime question

Question :

Je n'ai pas entendu toute la communication mais je pense qu'il y a une voyelle entre le « l » et le « k » de « lektab » C'est bien une intrusion

Autre personne : Oui c'est une intrusion, moi aussi je le pense.

S.B. : Si je comprends bien, vous voulez tous les deux dire qu'il s'agit d'un phonème.

La personne : non phonémique !

S.B. : Non phonémique ! Mais c'est ce que j'avançais

La personne : Oui comme vous l'avez dit, il s'agit d'une insertion non phonétique.

Autre intervention : Vous ne savez pas que le suprasegmental, c'est autre chose ; quand elle est suprasegmentale, elle n'est plus phonologique mais suprasegmentale.

S.B. : Non ! suprasegmentale, ça n'a rien à avoir avec le « e ». Il s'agit de la pharyngalisation dans « darlbida » par exemple ; dans le « dar » c'est serré. Si on accepte l'idée du phonème suprasegmental, on devrait trouver un moyen d'indiquer dans l'ecriture du mot qu'il y a pharyngalisation, on pourrait aussi mettre deux points sur chaque consonne mais ce n'est pas recommandable car on serait porté à penser qu'il y a dans « r » un son avec pharyngalisation et un autre sans. Pour cela je préfère l'idée de phonème suprasegmental.

«Sur quelques processus syllabiques en Tamazight»

Jilali SAIB (*)

Introduction :

Bien qu'il existe une littérature linguistique considérable sur la syllabe en tant qu'unité basique d'analyse, et sur les questions connexes ayant trait à sa structure intrinsèque et aux règles de syllabation (1), ce **construit** (« construct ») a été, jusqu'à une date for récente (2), largement ignoré en phonologie générative. Ainsi dans **Sound Pattern of English** (**SPE**, Chomsky et Halle, 1968), assurément l'ouvrage de référence le plus important pour les phonologues d'obédience générative, l'on ne peut trouver que des renvois épars à la syllabe (**SPE**. pp. 34, 35, 42 etc.), et ce sans qu'une définition précise en soit donnée. Pourtant, Chomsky et Halle (1968) utilisent la notion de syllabe qu'ils représentent avec le symbole $\sum$ (**SPE** pp. 34-35), et les notions de groupes consonnantiques forts (« strong clusters ») et faibles (« weak clusters ») (**SPE** pp. 29-35), pour motiver leur analyse des processus accentuels de l'anglais (3).

Les raisons de cet « oubli volontaire », bien entendu, sont que (a) la syllabe est une unité dont la définition (aussi bien phonétique que phonologique) est restée problématique (4), et (b) la plupart des processus nécessitant que l'on fasse appel à la notion de syllabe, pouvaient être analysés – quoique avec quelques difficultés – en utilisant l'appareil formel (« formal apparatus ») déjà existant, qui a été « motivé » pour les analyses purement segmentales.

Cependant, il est à remarquer que des études récentes sur les processus

---

(*) Faculté des Lettres – Rabat

(1) Voir Kurylowicz, J. (1948), Pulgram, E. (1970), par exemple.

(2) Bell. A. (1971), 1977) : Hoard, J. (1971) : Hooper, J. (1972), Vennemann, T. (1972).

(3) Ainsi la déclaration suivante de Haugen (1965, p. 213) est très pertinente : « The syllable has become something of a step-child in linguistic description. While sooner or later everyone finds it convenient to use, no one does much about defining it. » (Cité par Allen, W.S. (1973)).

basés sur la syllabe et sur la structure syllabique (Hooper 1972, 1976 ; Kahn 1976, et bien d'autres), ont démontré que les analyses syllabiques permettaient de mieux rendre compte des faits et de mieux en expliquer la raison d'être.

Le présent travail, qui n'est qu'un rapport préliminaire d'une recherche en cours (5), s'inscrit dans le cadre des études récentes sus-mentionnées. Notre objectif est double. Tout d'abord, nous nous proposons d'offrir une description de quelques processus syllabiquement basés (épenthèse, syncope, et emphase) en Tamazight des Ait Ndhir (Moyen Atlas). Ensuite, nous examinerons, en nous appuyant sur les faits du Tamazight, les théories syllabiques élaborées récemment, en particulier celle de Hooper (1976) (6).

L'idée maîtresse, qui sous-tend toute notre recherche (Saib, 1974, 1976), est de voir dans quelle mesure une théorie rend-elle compte des faits du corpus, et dans quelle mesure ces derniers peuvent-ils confirmer ou infirmer cette théorie. Etant donné que (a) en dehors de quelques berbérisants, les dialectes du Tamazight (c'est-à-dire le Berbère) ne sont pas connus, et (b) notre approche diffère, d'une manière assez prononcée, de celle utilisée par d'autres chercheurs (7), nous avons cru bon d'inclure un bref aperçu sur le dialecte duquel ont été extraites les données : Tamazight-Aït Ndhir (désormais Tamaz. (A.N.)).

1. Quelques traits phonologiques du Tamaz. (A.N.) :

1.1. Les segments :

Le dialecte Tamaz. (A.N.), qui est notre dialecte natif, possède les segments non-géminés sous-jacents suivants (voir aussi Saïb, 1974, 1976) :

[1] /b, β̆, f, m, t, ṭ, θ, δ, d, ḍ, δ̣, s, z, ṣ, ẓ, š̀, ž̀, n, l, r, ṛ, ç, j, č́, ǰ, k, kʷ, ç, çʷ, ɟ, ɟʷ, g, gʷ, x, q, qʷ, γ, w, h, ḥ, ʕ , i, e, a, u/

Les symboles phonétiques utilisés sont, pour la plupart, ceux de « l'Association Phonétique Internationale » (A.P.I.) ; cependant quelques uns requièrent des précisions : /ç/ et /ɟ/ représentent les spirantes non-stridentes issues, historiquement, de /k/ et /g/ respectivement ; /š/ /ž/, /č/, /ǰ/ sont mis pour /ʃ/, et /ʒ/, /tʃ/, /dʒ/ de l'A.P.I. ; /e/ est mis pour le chva /ə/ ; un point souscrit à un symbole dénote l'emphase (ex. : /ṭ/).

Au vu de cet inventaire, un berbérisant ne manquerait pas de se poser un

(4) Voir ce qu'en dit Allen, W.S. (1973, pp. 21-22).

(5) Un rapport similaire a déjà paru en anglais dans Saïb (1978). Cependant, nous avons estimé que les Tamazighitisants non-anglophones pourraient tirer profit de la version remaniée que nous leur proposons ici.

(6) D'autres phonologues ont proposé ce qu'ils appellent la « théorie métrique » pour rendre compte de beaucoup de processus syllabiquement basés (Mc Carthy, 1977, Halle et Vergnaud, 1979, Selkirk 1980). Comme cette théorie ne cesse d'évoluer, nous avons préféré ne pas l'utiliser en ce moment.

(7) Par exemple, Abdelmassih, E. 1971 (1968) : Harries, J. (1974) ; Penchoen, T. (1973).

certain nombre de questions, questions qui pourraient intéresser les points suivants :

a) la position d'un inventaire sous-jacent « mixte », en ce sens qu'il comporte à la fois des occlusives /b, d, t, k, g, kʷ/, et les spirantes non-stridentes qui leur correspondent /β, d, θ, ç, ɟ, çʷ, ɟʷ/.

b) l'inclusion de /ṣ, ṭ, ʕ /, segments non-natifs au berbère.

c) la position du chva, /ə/, comme voyelle sous-jacente.

Etant donné l'incidence que ces questions pourraient avoir sur l'adéquation et l'acceptation des analyses proposées dans la présente étude, nous avons jugé bon d'y répondre.

Le choix de l'inventaire présenté dans [1] nous est dicté par les principes de la PGN (voir note 7), à laquelle nous avons adhéré. Contrairement à la phonologie générative standard de **SPE**, qui permet de poser des segments « abstraits » en structure sous-jacente, la PGN exige, entre autres choses, ce qui suit (Hooper 1975, p. 555) :

« a) les formes sous-jacentes des morphèmes alternants sont identiques aux formes qu'ils ont en surface. Cependant, tous les traits redondants pouvant être dérivés à l'aide de règles naturelles, ne sont pas inclus.

b) Les représentations lexicales des morphèmes alternants sont composées de représentations non-redondantes des segments qui apparaissent bien dans un ou plusieurs allomorphes en structure de surface. Comme c'est le cas pour (a), seuls les traits redondants pouvant être dérivés naturellement sont omis. » (Traduction : J.S.).

Notons que ces principes sont en accord avec des contraintes proposées pour réduire le degré d'abstraction des représentations sous-jacentes : « Alternation Condition » (Kiparsky, 1973 (1968), « Naturalness Condition » et « True Generalization Condition » (Postal 1968, Vennemann 1971, 1974).

L'application de ces principes au Tamazight (A.N.) a abouti à la postulation de l'inventaire donné dans [1]. En effet, vu que les paradigmes des mots contenant les spirantes non-stridentes ne présentent pas d'alternance occlusive simple/spirante (8), ce serait transgresser les principes susmentionnés que de poser, en structure sous-jacente, des occlusives à leur place, et de proposer une règle de spirantisation qui changerait toutes ces occlusives en spirantes non-stridentes. Cette règle, formellement

$$[-\text{ cont.}] \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{ cont} \\ -\text{ strid.} \end{bmatrix} \quad / \quad \overline{}\,[-\text{ long}]$$

(8) L'alternance observée est celle entre simple et géminée dans le paradigme verbal (Forme d'habitude).

serait une règle de « neutralisation absolue » (Kiparsky 1973 (1968)), ayant pour objet unique celui de changer les segments occlusifs abstraits que nous aurions posés. Nous sommes d'accord avec Kiparsky que des règles pareilles devraient être éliminées. Mais il y a pis : cette règle, si elle était retenue comme règle **synchronique,** aurait l'effet fâcheux de changer les occlusives simples de tous les mots du dialecte. Or, il se trouve qu'il y a un bon nombre d'entre eux, pour la plupart des emprunts non-assimilés ou partiellement assimilés, (9) qui conservent leurs occlusives intactes. Etant donné cet état de choses, il faut soit poser un inventaire basé seulement sur les segments contenus dans les mots natifs et les emprunts totalement assimilés, soit poser un inventaire mixte, celui présenté dans [1]. Il a été conclu que cette dernière alternative était préférable parce que permettant de rendre compte de tous les faits du dialecte. En outre, il a été démontré ailleurs (Saïb, 1974, 1976), que le processus de spirantisation, qui avait historiquement joué un rôle important dans la phonologie des dialectes du Tamazight du Nord (10), n'est plus aussi actif de nos jours, comme le prouve le nombre sans cesse croissant d'emprunts avec des occlusives simples qu'on y rencontre.

Les mêmes principes ont motivé l'inclusion des segments non-natifs /ṣ, ḥ, ʕ / et celle du chva. Bien que les premiers apparaissent surtout dans des mots indubitablement d'origine arabe, le fait que ceux-ci fassent partie du vocabulaire actif des sujets parlants amazighis, rend obligatoire leur inclusion en tant que segments sous-jacents. Du reste, les locuteurs non-avertis sont souvent incapables de discerner entre les emprunts et les mots natifs (11).

L'inclusion du chva en tant que voyelle sous-jacente ne manquerait pas de susciter une grande controverse. Ailleurs (Saïb 1975, 1976), nous avons étudié tous les aspects de ce problème, que nous avons essayé de résoudre dans le cadre des approches « abstraites » et « semi-abstraites » (cf SPE), et « concrète » (Vennemann, 1971).

Bien qu'une règle d'épenthèse ait pu être formulée, en partant d'une structure sous-jacente sans chvas (ex. /C^1 C^2 (C^3)/ pour les verbes comme /**xdm**/ « travailler »), cette règle est d'une complexité telle que l'on ne saurait la considérer comme étant « psychologiquement réelle ». De plus, il s'est avéré que, malgré le recours à toute sorte de mécanismes et astuces formels tels les angles (< >) et les frontières de mots fortes (≠ ≠), cette règle n'a pas

(9) Sous l'influence de l'arabe, beaucoup de mots sont prononcés avec des occlusives simples, alors qu'ils auraient dû être prononcés avec des spirantes. Des mots comme « assiette » et « melon » étaient prononcés [attefsil] et [afettix] au lieu de [attebsil] et [abettix].

(10). Les berbérisants s'accordent à dire qu'il y a une division entre les dialectes du Sud (Sous, Touarègue) qui sont occlusifs et ceux du Nord (Moyen Atlas, Rif), qui sont spirants. A noter, cependant, le spirantisme de /k/ et /g/ en [ç] et [j] chez les Ida Outanant, dialecte qui, pourtant, fait partie du Tachelhiyt.

(11) C'est du moins ce que nous avons remarqué durant nos enquêtes sur le terrain.

pu empêcher l'insertion des chvas là où ils ne devraient pas y être, par exemple: * **θaxameθ** pour **θaxamθ** «tente», ***fseθ** pour **fəsθ** «tais-toi». Enfin, nous estimons que la pratique traditionnelle qui consiste à ne pas inclure au moins certains chvas en structure sous-jacente est irréaliste. Un verbe comme /**xδm**/ «travailler», est prononcé au moins avec un chva, et ce chva alterne avec une voyelle pleine, en l'occurence /i/, à la forme négative du prétérit. Ceci est illustré par la dérivation suivante :

[exδemx] «j'ai travaillé», [urxδimx] «je n'ai pas travaillé», (ou le **x** final = «je», et **ur** = «ne» négatif).

Nous demeurons convaincu, donc, que l'inclusion du chva, en fait de tous les segments dans [1], en structure sous-jacente, se justifie. Elle est à la fois conforme aux principes théoriques régissant la postulation des inventaires sous-jacents, et aux faits de la langue. Il nous reste, pour compléter cette partie «background» de notre étude, à examiner comment ces segments s'organisent au sein de la syllabe, et quelles sont les contraintes qui s'appliquent à la structure syllabique du mot en Tamaz (A.N.)

1.2. Structure Syllabique du mot en Tamaz (A.N.) :

Le mot en Tamaz (A.N.) peut avoir jusqu'à cinq syllabes phonétiques, illustrées par les exemples suivants : **ar** «vider», **fa** «bailler», **rara** «rendre», **amazir** «encampement», **θazerçellatt** «pintade», **θizerçellaθin** «pintades». Comme l'indique cette dernière forme, le nombre de syllabes peut être accru grâce à l'application des processus morphologiques nécessitant l'ajout d'affixes, puisque ceux-ci peuvent eux-mêmes constituer des syllabes.

En se basant sur la structure des mots **monosyllabiques,** la forme canonique de la syllabe phonétique en Tamaz. (A.N.) est la suivante : C_0^1 V C_0^2 (12). Ainsi l'attaque consonantique de la syllabe («onset») dans ces mots, est très simple puisqu'elle se limite à une consonne seulement, ce qui est indiqué par le chiffre 1, mis en exposante. Par contre, la fin de la syllabe («coda») est relativement complexe : deux consonnes.

Les possibilités abrégées par la formule, sont illustrées par les exemples présentés dans [2].

[2]			
	V	a	«ô», i «à / dans»
	VC	ar	«vider»
	VCC	ass	«jour», anf «ouvrir»
	CV	fa	«bailler», š̌a «quelqu'un»
	CVC	rar	«rendre», fad «soif»
	CVCC	βedd	«se mettre debout», laẓẓ «faim»
		fesθ	«se taire», θixθ «chagrin»

En utilisant la formule proposée plus haut, les contraintes sequentielles que nous avons dégagées (Saïb 1976), et les principes universaux, ou quasi-

universaux, proposés dans Pulgram (1970) et Bell (1977), la syllabation des mots polysyllabiques devient moins problématique. Ainsi les séquences médianes, composées de deux consonnes simples sont hétérosyllabiques. Un mot comme **fesθaθ** « taisez-vous » qui, si on avait permis une attaque syllabique de deux consonnes, aurait été syllabifié incorrectement [**fe.sθaθ**], se syllabifie comme suit : **fes.θaθ.** (Nous utilisons le point pour indiquer les frontières syllabiques.)

Même la syllabation des mots contenant des consonnes géminées s'en trouve considérablement simplifiée. Pourtant, l'on ne sait que trop bien combien peut être malaisée – parce que « non-unique » (c'est-à-dire offrant plus d'une possibilité) – la syllabation de ces consonnes dans beaucoup de langues. La difficulté provient du fait que l'on n'est pas certain si les géminées sont hétéro – ou tauto – syllabiques.

En Tamazight, le problème se pose surtout après que les géminées viennent à former une suite avec d'autres consonnes, à cause de l'effacement de certaines voyelles. C'est, par exemple, le cas de la géminée du verbe **ekkes** « ôter » qui, durant la conjugaison, se retrouve immédiatement en contact avec l'autre consonne du radical, **s** : ex. : **θekksemθ** « vous (fem.) avez ôté ».

Dans Saïb (1976 [1973]), il a été démontré que les géminées doivent être analysées en séquences de consonnes simples identiques. Cela étant, un mot comme **θekksemθ**, peut être syllabifié ainsi : **θek.ksemθ, θe.kksemθ,** ou **θekk.semθ.** Cependant, il est à remarquer que les contraintes séquentielles postulées pour le Tamazight et la règle d'épenthèse (voir ci-dessous), « complotent » (au sens de Kisseberth 1970) pour restorer et préserver la structure syllabique préférée de la langue. Ainsi, des trois possibilités données plus haut, deux sont exclues automatiquement, à savoir **θek.ksemθ** et **θe.kksemθ.** La première est exclue parce que la deuxième syllabe du mot en question commence par un groupe de consonnes au lieu d'une ; la deuxième l'est parce que la première syllabe, qui est ouverte, a pour sommet syllabique un chva. Dans Saïb (1974/1976) une contrainte générale a été dégagée, stipulant que le chva ne peut pas se trouver en syllabe ouverte en Tamazight et, probablement dans tous les autres dialectes du Nord (13).

La possibilité qui reste, **θekk.semθ**, est celle qui est à retenir, puisque ses syllabes sont conformes à un des cas abrégés par la formule proposée plus haut, à savoir **CVCC.**

1.3. Quelques contraintes séquentielles du Tamazight (A.N.) :

Les contraintes séquentielles qui suivent sont celles qui nous semblent être les plus pertinentes pour notre étude des processus syllabiquement-

(12) La formule est basée sur une prononciation soignée des mots. Dans d'autres dialectes (par exemple Tachelhiyt, (Boukous [communication personelle]), il y aurait jusqu'à 3 consonnes en début de syllabe. Cependant, les données du Tachelhiyt ont sans doute été extraites en se basant sur une approche abstraite (SPE).

basés. Il est à remarquer que ces contraintes sont phonétiques, vu que notre approche est concrète. (Pour les autres contraintes, aussi bien segmentales que séquentielles, voir Saïb 1976, chap. 2).

A. Le mot (et donc la syllabe) en Tamaz. (A.N.), ne commence pas par un groupe consonantique, les géminées incluses. (Les approches abstraites à la SPE, permettent, quant à elles, la possibilité d'avoir des suites consonantiques en début de syllabe.).

B. Les groupes consonantiques composés de trois (ou plus de trois) segments non-géminés sont proscrits en Tamazight.

C. Les seuls groupes de trois segments qui soient permis sont ceux dans lesquels les deux premiers sont identiques, et donc formant une géminée : C^xC^xC et non CC^xC^x (ou $C^x C^x$ = géminée). Notons que ces séquences sont surtout inter-morphemiques (14), et résultent de l'application de processus morphologiques et phonologiques (notamment la syncope de certaines voyelles). Ceci est illustré dans [3].

[3]	[ekksen]	<	/ekkes + en/ « il ont ôte »
	[θimsexxrin]	<	/θ + imsexxer + θ + in / « servantes »
	[essjen]	<	/ssjen / « ils ont fait dormir »

Signalons, cependant, que les sujets parlants ont tendance à simplifier les géminées en prononciation rapides. Il en résulte un retour au groupe de consonnes préféré par la langue : – CC –.

D. Les voyelles ne peuvent pas former des groupes de segments, même quand une frontière de mot (≠) les sépare. S'il arrive que deux voyelles se trouvent en contiguité, un glide /j/ est inséré pour empêcher le hiatus. Ceci est illustré dans [4].

[4]	/inna # as	/ →	innajas	« il lui a dit »
	/eddu # as	/ →	eddujaθ	« allez ! »

E. Le chva ne peut apparaître en syllabe ouverte. Ceci est démontré dans [5].

[5] a. [eɟ] vs. * [ɟe] « faire »
[eš] vs. * [šě] « donner »
b./se γ + i + x / → [esγix] vs.* [seγix] « j'ai acheté »

2. Les processus syllabiquement basés en Tamaz. (A.N.)

La phonologie du dialecte étudié, comme du reste celles des autres dialectes du Tamazight, possède des processus pour lesquels une analyse syllabique est non seulement justifiée, mais nécessaire. C'est le cas, notamment, de la syncope, de l'épenthèse et surtout de l'emphase.

Bien que les deux premiers processus peuvent être traités – non sans

difficultés – dans le cadre d'une approche purement segmentale, il n'en est pas de même du troisième. En effet, ce dernier semble nécessiter qu'un appel soit fait à la notion de syllabe en tant qu'unité basique, et à l'analyse syllabique. Il nous offre, donc, la possibilité d'interroger (et de tester) les affirmations faites par plusieurs phonologues (voir références plus haut, sect. O), concernant l'organisation segmentale au sein de la syllabe, et les règles de syllabation. C'est ce qui explique l'importance qui lui est accordée ci-dessous.

2.1. **Syncope :**

Le phénomène de syncope, qui provient de l'application des processus morphologiques, affecte surtout la voyelle dite neutre, c'est-à-dire le chva. Quelques exemples simples sont donnés dans [6].

[6]		**Singulier**		**Pluriel**
	a.	*θ*ixef*θ*	« petite tête »	*θ*ixfawin /*θ* + ixef + *θ* + awin/
	b.	**Forme basique**		**Prétérit**
		seγ	« acheter »	esγix « j'ai acheté » (/seγ + i + x/)
		eγz	« creusé »	eγzix « j'ai creusé » (/γez + i + x/)

Notons que dans (6 a), le /*θ* + –/ et le /– + *θ*/ sont les affixes indiquant le féminin singulier des mots en Tamazight ; /– awin/ est un suffixe du pluriel. Dans les formes du prétérit, présentées dans [6b], le /x/ est le suffixe personnel dénotant la 1ère pers. du sing.

La syncope est motivée, ici, par le fait que le chva ne peut pas constituer un sommet syllabique en syllabe ouverte. Notons que cela est bien conforme à la contrainte E, décrite plus haut (sect. 1.3.).

En effet, dans [6a] l'effacement du suffixe /+ *θ*/, et l'addition du suffixe à attaque vocalique /– + awin/, qui sont requis par la formation du pluriel, entrainent l'ouverture de la syllabe dans laquelle se trouve le chva. Comme le chva est proscrit dans cette position, la syncope intervient pour l'en éliminer. Notons que la suite consonantique qui résulte est exactement celle permise par la contrainte B, mentionnée plus haut. Il en va de même des exemples dans [6b]

La règle de syncope peut être formulée dans le cadre d'une approche soit purement segmentale [7a], soit syllabique [7b].

[7] a. $e \rightarrow \varnothing \; / \; - \; \{CV \; , \; \#\}$

b. $e \rightarrow \varnothing \; / \; - \; .$

(où le point représente la frontière syllabique.)

Il est à noter que [7 a] groupe dans son environnement à la fois des segments et des non segments (#). Comme il a été démontré dans Kahn (1976, pp. 23), cette formulation segmentale est défectueuse en ce sens que le C et le # sont traités comme s'ils formaient une classe naturelle (« natural class »), ce qui n'est évidemment pas le cas.

Nous estimons que la formulation donnée dans [6b], où il est fait usage de la frontière syllabique – et partant de la notion de syllabe – est non seulement simple et adéquate, mais rend mieux compte de la vraie motivation de ce phénomène : le rejet d'une syllabe ouverte avec le chva comme sommet syllabique.

2.2. L'épenthèse :

Le dialecte Tamaz. (A.N.), à l'instar des autres dialectes berbères, présente des cas d'épenthèse. La généralité de ce processus dépend, bien entendu, du degré d'abstraction permis en structure sous-jacente des morphèmes. Dans une approche totalement abstraite (voir Sect. 1.1), ce phénomène est général, alors que dans une approche totalement concrète, il l'est moins. Cependant, il est à remarquer que, quelle que soit l'approche adoptée, la motivation de ce processus demeure la restoration et préservation de la structure syllabique préférée de la langue.

Le processus d'épenthèse a déjà opéré sur les formes dans (6 b) qui, en prononciation soignée, ont un chva en début de mot (15).

L'application de l'épenthèse est obligatoire quand, à la suite de l'effacement des voyelles dû à la syncope, des suites de trois consonnes apparaissent. Ceci est illustré par le paradigme présenté dans [8], où l'action des deux processus est conjugée.

[8]	a.	/exδem + ex /	
		exδmex	(syncope)
		exeδmex	(épenthèse)
		xeδmex	(syncope)
		[xeδmex]	
	b.	/n ǂ θ + axam + θ/	«de la tente»
		n ǂ θxamθ	(syncope)
		neθxamθ	(épenthèse)
		[neθxamθ]	

La syncope de la voyelle initiale dans [8 b] est rendue nécessaire par la formation de **l'état construit**(le cas sujet ou oblique).

La règle d'épenthèse peut avoir une formulation segmentale [9 a] ou syllabique [9 b].

[9] a. $\varnothing \rightarrow e$ / ({C , # }) —— CC

b. $\varnothing \rightarrow e$ / . (C) —— C

Encore une fois, la formulation syllabique est supérieure parce qu'elle exprime mieux la motivation du processus : celle de restorer la structure syllabique préférée de la langue.

2.4. L'emphase :

Le processus phonologique du dialect qui semble exiger le plus que l'on fasse appel à la syllabe en tant qu'unité basique en plus du segment, est l'emphase (ou la pharyngalisation).

En se basant sur le vocabulaire natif du Tamazight, l'on peut supposer que cette langue possédait, historiquement, au moins quatre consonnes emphatiques, à savoir les simples /ḍ/ ; /ẓ/, et les géminées qui leur correspondent : /ḍḍ/ (ou ṭṭ), et /ẓẓ/. L'on se demande s'il ne faudrait pas ajouter à cette liste /ṛ/ et /γ̣/ en raison de l'influence qu'elles ont sur les voyelles avoisinantes.

A l'état synchronique, le Tamazight présente une liste beaucoup plus grande d'emphatiques (voir [1] plus haut), à cause de l'intégration de nombreux mots contenant ces consonnes empruntés à l'arabe.

Sur le plan phonétique, les phonéticiens (voir par exemple Ghazeli 1977, p. 72), s'accordent à dire que la production des consonnes pharyngalisées comme [ṭ], [ṣ], [ð̣], en arabe – et partant en Tamazight – impliquent deux articulations : (i) une articulation primaire représentée par une occlusion (ou constriction) survenant dans la partie antérieure de la cavité buccale, et (ii) une articulation secondaire entrainant la rétraction de la racine de la langue vers la paroi arrière du pharynx. Ghazeli ajoute qu'un affaissement (ou « depression ») du dos de la langue au niveau du palais dur est aussi impliqué. « Le résultat de ces mouvements, écrit-il (1977, p. 72), est la formation d'un conduit vocal avec une cavité orale plus large (entre la surface de la langue et du palais dur), et une cavité pharyngale plus réduite au dessus de l'épiglotte, que celles observées pour les consonnes non-pharyngalisées correspondantes. » (traduction : J.S.).

Le phénomène de l'emphase opère dans le dialecte étudié comme il est indiqué dans [10]. Il apparaît donc que son domaine minimum est la syllabe, alors que son domaine maximum est le mot (17).

[10] a. L'emphase se diffuse à toute la syllabe quand celle-ci contient une des consonnes emphatiques indépendantes (cf. [11 a])

b. La diffusion de l'emphase aux syllabes adjacentes est bi-directionnelle. L'emphase se propage à la syllabe précédente quand celle-ci est ouverte (cf. [11 b]). Quant à la syllabe suivante, elle reçoit l'emphase si la syllabe emphatisée (qui la précède) est ouverte. (cf. [11 c, 11 d]). Le premier et deuxième exemple de [11 d] sont à comparer aux exemples dans [11 b] et [11 c], respectivement.

(17) Broselow (1976 et 1979) maintient que l'emphase se propage au dessus des frontières de mots en arabe égyptien. Cependant, Ghazeli (1981 pp. 122-135) a démontré, sur la base d'une étude expérimentale, que le domaine de l'emphase ne puit dépasser le mot. Quant au berbère, il nous semble (Saïb, 1978) que l'emphase pourrait se propager au-dessus des frontières de mots. Cependant, nous n'incluons pas d'exemples ici, notre recherche n'ayant pas beaucoup avancé depuis 1978.

c. La diffusion de l'emphase n'est pas bloquée par les géminées (cf. [11 e]) puisque, conformément à notre analyse sequentielle de ces consonnes, les deux membres les formant sont tous les deux emphatiques.

Les affirmations faites plus haut, quoique justes, requièrent quelques clarifications. Tout d'abord, elles sont basées sur une prononciation soignée des mots contenant les consonnes emphatiques. L'on sait qu'en prononciation lâche, les conditions mentionnées plus haut, peuvent ne pas être respectées (18). Ensuite, elles ne sont pas basées sur une étude de phonétique expérimentale approfondie du dialecte, étude qui est du reste en cours.

En dépit de ces deux clarifications, nous pensons, cependant, que les affirmations répertoriées dans [10], contiennent les éléments principaux d'une analyse adéquate du processus de pharyngalisation en Tamazight des Aït Ndhir, et, probablement, des autres dialectes du Tamazight. Les exemples pour chaque cas sont présentés dans [11]. Il est à noter que les changements affectant la qualité des voyelles ne sont pas signalés.

(11 a)	/βaḍ/	[β̣aḍ]	« être capable »
	/ḍer/	[ḍẹṛ]	« descendre »
(11 b)	/aḍar/	[ạḍạṛ]	« pied »
	/θaḍerγalθ/	[θ̣ạḍẹṛγalθ]	« aveugle » (f)
(11 c)	/ḍur + aθ/	[ḍụṛạθ̣]	« entourez (pl.) »
	/ẓur + aθ/	[ẓụṛạθ̣]	« visitez (pl.) »
(11 d)	/i + xriḍ + en/	[ixṛịḍẹṇ]	« sacs en cuir »
	/ḍur + x = as/	[ḍurxas]	« je l'ai contourné »
(11 e)	/aṭṭan/	[ạṭṭạṇ]	« maladie »
	/βeṭṭu/	[β̣ẹṭṭụ]	« séparation »

Les faits présentés dans [11] peuvent être analysés sur la base de la structure syllabique du dialecte étudié. Tout d'abord, des règles de syllabation, s'appuyant sur les contraintes présentées dans les sections 1.2 et 1.3 plus haut, s'appliqueraient pour établir les syllabes et leur assigner les segments. Ainsi, des mots comme /**aḍar**/ « pied » et /**βeṭṭu**/ « **séparation** » seraient syllabifiés comme suit : **a.ḍar** et **βet.tu.** Ensuite, les conditions régissant la structure syllabique (CSS), qui tiennent compte des faits exposés dans [10], s'appliqueraient pour produire les formes correctes recontrées en surface. Il en sera de même pour des mots comme /θaḍerδalθ/ « aveugle » et /ixriḍen/ « sacs » qui seraient syllabifiés comme suit : **θaḍer.γalθ** et **ix.riḍen.**

Il convient de voir à présent laquelle des approches — la segmentale ou la

(18) C'est ce qui se passe dans les dialectes arabes. Certains d'entre eux sont beaucoup plus emphatisants que d'autres. Par exemple, on entend les Marrakechis prononcer le mot pour « mardi » [leṭṭḷạṭ], alors que les autres marocains prononcent [letlat].

syllabique – rendrait mieux compte des faits exposés plus haut, et en révélerait la raison d'être.

L'approche segmentale requiert deux règles dont la formulation est donnée dans [12]. Notons que la « convention de l'image du miroir » (« mirror image convention ») de Anderson (1974, pp. 114-115), est utilisée.

[12] a. V → Ṿ % C̣
b. C → C̣ % Ṿ

La règle [12 a] stipule qu'une voyelle est pharyngalisée si elle se trouve en relation de contiguité (c'est-à-dire immédiatement avant ou après) avec une consonne emphatique, alors que (12 b) a pour effet d'emphatiser une consonne en contiguité avec une voyelle emphatisée.

Notons, toutefois, que l'application de ces règles donne le résultat escompté pour des mots comme [ạδ̣ạṛ] «pied» et « sacs », mais non pour des mots comme [θ̣ạδ̣ạṛθ̣] « petit pied », puisqu'elles ne peuvent pas toujours faire propager l'emphase à tous les segments tautosyllabiques. En effet, les règles dans [12] ne peuvent pas propager l'emphase au segment consonantique final parce qu'il est précédé, non d'une voyelle emphatisée, mais d'une consonne viz.* [θ̣ạδ̣ạṛθ]. Il semble bien, donc, qu'il faille faire appel à la notion de syllabe et aux règles de syllabation – et donc à une approche syllabique – pour rendre compte des faits observés dans les mots comme ceux cités plus haut en contre-exemples.

Les règles requises dans le cadre de cette approche sont esquissées dans [13] et [14]. Afin que notre formulation soit comprise, signalons ce qui suit :

(i) vu l'inadéquation, déjà démontrée (Mc Cawley 1972 [1967], des traits distinctifs $\begin{bmatrix} +\text{ bas} \\ +\text{ arr} \end{bmatrix}$ proposés par Chomsky et Halle pour décrire les consonnes emphatiques, nous avons retenu les traits suggérés par Broselow (1976) et d'autres à savoir : [+ constriction pharyngale] [CP], et [+ Retraction de la racine de la langue] ou [+ RR] (ii) Ces traits sont utilisés à la fois pour des segments individuels que pour des syllabes entières.

(iii) le trait [+ ouvert] est employé pour indiquer si une syllabe est ouverte ou fermée,

(iv) le symbole $ est utilisé pour la syllabe.

[13] **Pharyngalisation des segments tautosyllabiques**

$$\text{Si} \quad \ldots \begin{bmatrix} & \$ & \\ & \text{C} & \\ \ldots & \begin{bmatrix} +\text{ CP} \\ +\text{ RR} \end{bmatrix} & \ldots \end{bmatrix}, \quad \text{alors} \quad \begin{bmatrix} \$ \\ +\text{ CP} \\ +\text{ RR} \end{bmatrix}$$

Notons que [13], qui est formulée comme une condition Si...... alors, est à considérer comme une convention universelle. En effet, selon les travaux sur l'emphase en arabe et en berbère, il ressort qu'une syllabe est entièrement emphatisée quand elle contient une consonne emphatique inhérente.

La propagation de l'emphase aux syllabes adjacentes peut être exprimée par la règle suivante :

[14] **Propagation de l'emphase**

$$\$ \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{CP} \\ +\text{RR} \end{bmatrix} \Big/ \left\{ \begin{array}{lll} \begin{bmatrix} \$ \\ +\text{ouvert} \end{bmatrix} & \begin{bmatrix} \$ \\ +\text{CP} \\ +\text{RR} \end{bmatrix} & \text{(a)} \\ \begin{bmatrix} \$ \\ +\text{CP} \\ -\text{RR} \end{bmatrix} & \underline{\qquad\qquad} & \text{(b)} \end{array} \right\}$$

Ainsi [14 a] rend compte de la diffusion de l'emphase à la syllabe précédente, alors que [14 b] rend compte de la propagation de ce phénomène à la syllabe qui suit. Notons ceci : Si la convention universelle [13] utilise à la fois la notion de segment et celle de syllabe, la règle [14] ne fait usage que de cette dernière. Il semble, donc, que l'approche syllabique nous livre une description à la fois adéquate et en accord avec les intuitions des locuteurs.

3. La syllabe en Tamazight et les théories récentes concernant l'organisation des segments.

Dans les sections qui précèdent, nous avons passé en revue quelques processus phonologiques en Tamazight qui nous semblent exiger que l'on fasse appel à la syllabe comme unité basique d'analyse. En outre, il a été démontré qu'une approche syllabique était beaucoup plus adéquate et intuitivement satisfaisante. Dans cette section, nous nous proposons d'étudier dans quelle mesure une des théories d'organisation des segments au sein de la syllabe (Hooper 1976), est confirmée ou infirmée par les données du Tamazight. En particulier, nous voudrions tester les affirmations de Hooper qui maintient ce qui suit :

(i) La syllabe a une position forte (l'attaque) et une position faible (la marge finale, (en anglais « coda »).

(ii) les consonnes sont assignées ce que j'appellerais un « coefficient de force » qui varie d'une langue à une autre. Les consonnes les plus fortes sont les occlusives sourdes, les plus faibles sont les glides.

(iii) Le groupement des consonnes en début et en fin de syllabe est déterminé par une « condition positive » que chaque langue possède et qui, tenant compte du coefficient de force de chaque consonne, régit la structure syllabique.

(iv) Le coefficient de force des consonnes est en décroissance du début de la syllabe au sommet, et en croissance du sommet à la fin de la syllabe. Ainsi, en initiale absolue de syllabe, l'on doit rencontrer les consonnes les plus fortes, ensuite viendraient des consonnes moins fortes et ainsi de suite. Quant à l'ordre d'apparition des consonnes en fin de syllabe, il est comme suit : consonnes faibles, ensuite consonnes moins faibles, et ainsi de suite.

La structure intrinsèque de la syllabe, selon Hooper (1976, p 199), est la suivante :

[15]	**Marge**	**Noyau**	**Marge**
	O , N	L, G, V, G, L	N , O
	(moins proche des voyelles)	(plus proche des voyelles)	(moins proche des voyelles)
	FORT	FAIBLE	FAIBLE

(où O = obstruentes ; N = nasales ; G = glides ; V = voyelles ; L = liquides.
La mention de « proche » se réfère à la « proximité » phonétique).

Hooper maintient aussi qu'il y a ce qu'elle appelle la « Hiérarchie universelle de force » (Universal Strength Hierarchy ») (Hooper 1976, p. 206), pour les consonnes dont chaque classe naturelle reçoit un coefficient de force, comme il es indiqué dans [16] :

[16] **Hiérarchie Universelle de Force**

glides	liquides	nasales	continues sonores	continues sourdes occlusives sonores	occlusives sourdes
1	2	3	4	5	6

La question qui nous reste à étudier, donc, est celle de savoir si ces affirmations sont appuyées par les faits du Tamazight.

Comme il a été avancé plus haut (1.3), le dialect Tamazight (Aït Ndhir) ne permet pas, selon l'approche concrète à laquelle nous avons adhéré, la présence de groupes consonantiques à l'initiale absolue du mot, et partant de la syllabe. Le dialecte permet, néanmoins, une suite de deux consonnes en finale du mot mais non de la syllabe. Cela étant, voyons si l'agencement de ces suites se fait selon la hiérarchie de force proposée par Hooper.

L'examen des données révèlent que les groupes liq. + obstr. # et nas. + obstr. # se rencontrent en finale du mot, ce qui appuie l'affirmation de Hooper que le coefficient de force est en croissance du noyau à la fin de la syllabe. Cependant, le dialecte possèdent beaucoup de cas de groupement obstr. + liq. #, obstr. + nasal #, et obstr. + glide #, qui n'auraient pas dû se rencontrer si l'on s'en tient aux affirmations de Hooper. Ceci est illustré par les mots suivants qui, en prononciation non soignée, sont les groupes de consonnes sus-mentionnés : **iɉr** « champ », **ifr** « aile », **iɉiðr** « aigle », **aɉl** « accrocher », **uɉl** « molaire », **izm** « lion », **usm** « éclair », **asɉ** « prendre ».

L'on pourrait avancer, en défence de Hooper, que la raison pour laquelle ces groupes sont permis provient du fait qu'en berbère, le chva tombe entre une obstruente et une sonante puisque cette dernière est un syllabème. Cependant, une pareille explication ne saurait rendre compte du fait que le dialecte étudié présente aussi des cas de suites consonantiques **obstr. + obstr.** = proscrites par la théorie de Hooper, vis. **afḍ** « partir », **açz** « reconnaître ». Il semblerait, donc, que le dialecte crée des sequences marquées, parce que non-conformes à la hiérarchie dite universelle proposée par Hooper, au lieu de préserver le chva qui les aurait séparées.

Notons que la situation en Tamazight A.N. est quelque peu similaire à celle qui prévaut en français dans lequel les chvas sont effacés après une obstruente et une liquide en finale de mot, (ex. dans « quatre »), en dépit du fait que ceci entraine la création d'une séquence marquée (Hooper 1976, p. 228). Cependant, la différence en Tamazight est que l'on n'observe pas, comme c'est le cas pour le français, une tendance à simplifier le groupe consonantique marqué (viz. « quatre » [Kat]). Bien au contraire, ces groupes se maintiennent.

Les autres exemples de suites consonantiques en finale du mot du type **obstr. + nasal #**, se rencontrent dans les formes fléchies des verbes et des noms, par exemple **ufn** « ils sont meilleurs », *δ***rusn** « ils sont rares », *θ***uf***δ* « tu es meilleur », *θ***efsus***δ* « tu es léger ».

Il est à noter que certaines de ces suites sont la conséquence de l'effacement facultatif du chva. Cependant, un fait devrait être clair : les consonnes dans ces groupes ne sont pas arrangés selon leur coefficient de force. Il semblerait, donc, que Tamazight soit une langue dans laquelle la tendance universelle observée par Hooper n'est pas toujours respectée. Il convient donc de trouver une explication adéquate à la violation de cet tendance Tamazight, et de suggérer des modifications à la théorie de Hooper.

Un examen des derniers exemples présentés plus haut, nous amène à observer que le fait qu'il y ait des suites consonantiques proscrites, composées par exemple d'une nasale (consonne faible ; cf. schéma dans [6] et précédant une obstruente (consonne forte), est dû aux mécanismes flexionnels de la langue. Le Tamazight, comme du reste les autres langues, n'a pas choisi ses affixes en fonction du coefficient de force des consonnes. En effet, nous avons à la fois des consonnes fortes et faibles comme suffixes, par exemple : /— θ/ du féminin singulier et /— n/ du masculin pluriel.

Il apparait donc que la théorie avancée par Hooper est très puissante. Si elle permet de rendre compte d'un grand nombre de faits relatifs à l'agencement des consonnes dans les groupes consonantiques, elle fait aussi des prédictions non appuyées par les données de certaines langues comme le Tamazight.

4. Conclusion

Ce travail a examiné la structure intrinsèque de la syllabe et quelques

processus syllabiquement basés en Tamazight. Il a aussi testé les affirmations d'une des récentes théories sur la syllabe et l'organisation segmentale en son sein (celle de Hooper. 1976). Comme, selon l'approche concrète à laquelle nous avons adhéré, il n'y a pas de groupes consonantiques en initiale de mot, et partant de syllabe, nous n'avons testé que les suites consonantiques en fin de syllabe.

Les conclusions de notre investigation sont les suivantes :

(i) Les données de la langue Tamazight requièrent que la syllabe en tant qu'unité basique d'analyse soit incluse parmi les primitives de la théorie phonologique.

(ii) L'agencement des consonnes en fin de syllabe n'est pas toujours en accord avec la tendance universelle proposée par Hooper.

(iii) La violation de cette tendance est dûe au processus morphologique d'affixation.

Il convient, donc, d'apporter des modifications à la théorie de Hooper, une modification qui, au vu des données du Tamazight (Aït Ndhir), semble d'ores et déjà s'imposer : celle ayant trait aux affixes. Comme l'analyse des processus syllabiques devrait se faire à un niveau très proche de la surface, l'on pourrait suggérer, à la suite de Saïb (1978) et de Fujimura et Lovins (1978) que (a) il soit reconnu à la syllabe des « affixes phonétiques », et (b) la tendance universelle ne s'applique pas à eux.

Il est à souhaiter que beaucoup plus de recherche soit entreprise sur la syllabe et sur l'organisation segmentale en son sein, et qu'elle tienne compte de cette suggestion. Car, comme l'a affirmé un chercheur qui s'est beaucoup penché sur la question :

« The problem of the syllable in phonological theory is the problem of the organisation of segment strings, including their accentual and tonal properties. »

(Bell 1977 a, p. 260).

Bibliographie :

- Abdelmassih, E. (1971) (1968). **Tamazight Verb Structure, a Generative Approch.** Bloomington : Indiana Univ. Press.
- Allen. W.S. (1973) **Accent and Rythm.** Cambridge : Cambridge Univ. Press.
- Anderson, S.R. (1974) **The Organisation of Phonology.** New York : Academic Press.
- Bell, A. (1971) « Some patterns of occurrence and formation of syllabic structure ». WPLU, Stanford Univ.
  (1977) « The distributional syllable ». In A. Juilland (Ed.) **Linguistic Studies Offered to Joseph Greenberg.** Stanford : Stanford Univ. Press.
- Broselow, E. (1976) The phonology of Egyptian Arabic. Ph. D. Diss., Univ. of Massachussets.
  (1979) « Cairence Arabic syllabic structure « **Ling. Anal.** Vol. 5
- Chomsky, N. and Halle, M. (1968) **The sound Pattern of English.** New York : Harper and Row
- Fujimura, O., and Lovins, J. (1978) « Syllabes as concaternative phonetic units ». In Bell. A. and Hooper J. (Eds). **Syllabes and Segments.** North Holland.
- Ghazeli S. (1977) « Back consonants and backing coarticulation in Arabic. » Ph.D.Diss., Univ. of Texas.
  (1981) « La diffusion de l'emphase ». **Analyses, Théorie** n° 1.
- Harries, J. (1974) **Tamazight basic course.** U.S. Office of Education. Univ. of Wiscosin.
- Hooper, J. (1972) « The syllable in phonological theory ». Lg. Vol. 48, pp. 525-40., 1975. « The archisegment in phonology. « Lg. Vol. 51, pp. 536-60., 1976. **Introduction to Natural Generative Phonology.** New York : Academic Press.
- Hoard, J. (1971) « Aspiration, tenseness, and syllabification in English ». Lg. Vol. 74, pp. 133-40.
- Kiparsky, P. (1968/1973). « How abstract is phonology ? In Fujmuro, O (Ed). **Three dimensions of Linguistic theory.** New York : Holt
- Kisseberth C. (1970) « On the functional unity of phonological rules » **LI.** Vol. 1, pp. 291-306.

– Kurytowicz, J. (1948) « Contribution à la théorie de la syllabe ». Bulletin de la Société polonaise de linguistique, Vol. 8, pp. 80-114.

– Mc Cawley, J. (1967/72) « The role of a phonological feature system in a theory of language ». In Makkai, V. **Phonological Theory. Evolution and current Practice.** New York : Holt, Rinehart, Winston.

– Penchoen. T. (1973) **Tamazight of the Ayt Ndhir.** Los Angeles : Undena Publications.

– Prasse, K.G. (1972) **Manuel de grammaire touarègne.** Copenhagen : Akademisk Forlay

– Pulgram, E. (1970). **Syllable, Word, Nexus, Cursus.** The Hague : Mouton.

– Saïb, J. (1973 / 78) « The treatment of geminates : evidence from Berber. » SAL

- (1973 / 76) « Schwa insertion in Berber : un problème de choix », **Afroasiatic ling.,** Vol. 3, n 4, pp. 1-13.

- (1974) « Gemination and spirantisation in Berber : diachrony and superchrony. » SAL. Vol. 5, pp. 1-26.

– (1976) « A phonological study of Tamazight Berber ». Ph.D. Diss, UCLA, Los Angeles.

- (1978) « Segment organisation and the syllable in Tamazight Berber. » In Bell, A. and Hooper, J. **Syllables and Segments.** North Holland.

– Vennemann (1971) « Natural generative phonology ». Paper read at the annual meeting of LSA, Saint Louis, Missouri.

(1972) « On the theory of syllabic phonology ». **Linguistische Berichte,** 18, pp. 1-18.

(1972 b) « Phonological uniqueness in natural generative grammar ». **Glossa,** Vol, 6, pp. 105-116.

(1974 a) « Phonological concreteness in natural generative grammar ». In R. Shuy and C.J. Bailey (Eds.) **Towards Tomorrow's Linguistics.** Washington, D.C. : Georgetown Univ.

L'assibilation dans le dialecte tachelhit

Ahmed BOUKOUS (*)

0 — Introduction

0.1. Position du problème

Les dialectologues berbérisants, tout en reconnaissant la profonde unité du « berbère », n'ont pas manqué d'insister sur les faits de divergence qui animent cette langue au sein même de ses dialectes et de ses parlers (1).

Nous voudrions étudier ici l'un des faits de divergence phonétique qui caractérise les parlers dits « spirants » dans le cadre du dialecte tachelhit, dialecte utilisé comme principal vernaculaire dans l'espace géo-culturel dénommé le Souss, région située dans le sud-ouest marocain.

Nous décrirons provisoirement ce fait de la manière suivante : étant donné deux parlers A et B du dialecte tachelhit, les consonnes **t** et **d** de A se transforment respectivement en **s** et **z** dans B sous certaines conditions. Sur le plan phonétique, en termes de mode et de point d'articulation, les consonnes occlusives apico-dentales se réalisent comme des spirantes sifflantes apico-dentales.

Il s'agit là d'un cas d'espèce dans le processus de transformation des occlusives en spirantes, processus appelé par les phonéticiens diachroniciens « assibilation » (2).

(*) Faculté des lettres — Rabat.

(1) Laoust (1930, 1936) Basset (1946, 1952), Galand (1953) et d'autres encore ont tous insisté sur l'éparpillement des « berbérophones » en îlots entre lesquels l'intercompréhension est parfois malaisée. Basset (1952 : 1) a cru y reconnaître « une poussière de parlers, de quatre à cinq mille... ». Pour une critique de la méthode d'investigation qui a conduit à la surestimation des faits de divergence dans le domaine « berbère » voir Akouaou (1976).

(2) Dans **Lexique de la terminologie linguistique** (1969 : 32) l'assibilation est présentée comme un « cas particulier de la palatalisation (...) lorsque se développe un phénomène parasite du type des sifflantes (lat. sibilans) ». Dans le **Dictionnaire de linguistique** (1973:54), l'assibilation est définie comme « la transformation d'une occlusive en sifflante ». Dans les langues romanes, la sifflante résulte d'une évolution de la palatale **k** suivie de **e** ou de **i** selon le schéma suivant : k → ts → s.
Dans le dialecte tachelhit, on remarque la même évolution existant en synchronie dans des parlers différents ; en effet, nous avons bien le schéma : occlusive → affriquée → sifflante, seulement ici l'occlusive est représentée par la dentale. Basset (1952:8) a signalé la

Dans l'aire du tachelhit, le phénomène d'assibilation constitue la marque phonétique d'un grand nombre de communes rurales de l'Anti-Atlas (3).

0.2. Approche

Nous nous proposons d'analyser les conditions dans lesquelles s'effectue l'assibilation en examinant le comportement des occlusives **t** et **d** du parler non-assibilant lorsqu'elles passent dans le parler assibilant (respectivement PA et PB dans le texte), en fonction des environnements suivants :

1) l'environnement vocalique,

2) l'environnement obstruant,

3) l'environnement sonant.

4) En outre, afin de saisir la nature du segment assujetti au processus d'assibilation, nous soumettrons ce segment aux tests de la tension et de l'emphase.

5) Enfin, nous nous attacherons à montrer comment le phénomène de l'assibilation fonctionne en tant qu'indice socio-linguistique.

L'analyse que nous présenterons se fera d'abord dans le cadre de la phonologie générative classique (Chomsky and Halle 1968) puis dans celui de la phonologie générative syllabique (Kahn 1976, Hooper 1976) afin de tester l'adéquation des deux modèles et démontrer lequel est le plus valide (4).

0.3. Protocole de transcription

Le système phonologique du tachelhit comprend les segments non-géminés suivants : /b, m, f, t, d, ḍ, n, l, r, ṛ, s, z, ẓ, š, ž, k, g, k^w, g^w, x, ġ, q, ħ, 3, h, j, w, a, i, u/.

Les symboles phonétiques utilisés sont pour la plupart ceux de l'Association phonétique internationale (sauf ġ et 3 respectivement mis pour γ et ε)

Les segments géminés sont redoublés et les segments emphatiques ou emphatisés sont notés par un point souscrit au symbole.

seulement ici l'occlusive est représentée par la dentale. Basset (1952:8) a signalé la transformation des occlusives en sifflantes en parlant de « spirantisme ».

(3) L'assibilation est présente dans le système phonique des parlers des tribus suivantes : Ida Ouggarsmoukt, Ida Oubaâqil, Ida Ousemlal, Aït Souab, etc. Dans les tribus environnantes (Tahala, Tasserirt, Amanouz, etc.), dans celles du versant oriental du Ikest (Ida Ougnidif, Aït Abdallah, etc.) et dans les tribus du Cercle d'Igherm, on note une tendance à la transformation de l'occlusive en affriquée. Dans certaines de ces tribus, on remarque un curieux phénomène de transformation de l'occlusive en sifflante, e.g. gis → **gid** « il y a / est ».

(4) Pour la définition des traits distinctifs, il convient de se reporter au chapitre « Le cadre phonétique » de **Principes de phonologie générative** (1973:111-168) ; notons que (i) obstruant vs sonant sont des traits de classe majeure ; (ii) coronal vs non-coronal sont des traits de cavité (constriction primaire) ; (iii) continu vs non-continu sont des traits de mode d'articulation ; (iv) voisé vs non-voisé sont des traits de source.

1. Assibilation et environnement vocalique

Considérons le comportement des consonnes **t** et **d** dans le parler A puis dans le parler B :

(a) en position initiale suivie de voyelle,

(b) en position intervocalique et

(c) en position finale précédées de voyelle.

L'environnement vocalique est illustré dans les data suivants :

(1)	PA	PB	
(a)	tiwizi	siwizi	« entraide collective »
	takna	sakna	« co-épouse »
	dari	zari	« chez moi, j'ai »
	dik	zik	« avec toi »
(b)	ataj	asaj	« thé »
	atig	asig	« prix »
	adif	azif	« moelle »
	idil	izil	« brouillard »
	udi	uzi	« beurre rance »
(c)	talat	salas	« colline »
	tasut	sasus	« génération »
	amud	amuz	« semence »
	afud	afuz	« genou »

On remarque que dans les trois positions (a), (b) et (c) le comportement de **t** et **d** est uniforme. En effet, en passant du parler A au parler B, les occlusives se transforment en constrictives en gardant la même valeur quant au voisement. Nous avons ainsi la correspondance suivante :

$$\begin{Bmatrix} \text{t} \\ \text{d} \end{Bmatrix} \rightarrow \begin{Bmatrix} \text{s} \\ \text{z} \end{Bmatrix}$$

En adoptant les traits de la phonétique systématique, tels qu'ils sont définis dans Chomsky and Halle (1968), et la convention de « l'image en miroir » (Bach 1968), nous pouvons formaliser le processus d'assibilation dans PB sous forme de la règle suivante, que nous appellerons « Règle d'assibilation vocalique » :

As. Voc

$$\begin{bmatrix} +\text{ obst} \\ +\text{ cor} \\ -\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \quad / \quad [+\text{ syl}]$$

où : (i) les traits retenus sont les traits distinctifs minimaux

(ii) α = peut recevoir la valeur + ou −

(iii) [+ syl] dans le contexte signifie que le segment qui subit le changement peut être précédé et/ou suivi d'une voyelle.

2. Assibilation et environnement obstruant

Etudions à présent le comportement des consonnes **t** et **d** lorsqu'elles se trouvent dans un environnement consonantique obstruant.

Nous distinguerons pour les besoins de l'analyse trois cas selon la nature de cet environnement : (2) les obstruantes non-continues , (3) les obstruantes continues non-coronales, et enfin (4) les obstruantes continues coronales.

Dans chacune des trois séries de data que nous produirons, nous présenterons les morphèmes dans lesquels sont attestées les séquences appropriées avec **t, d**
(a) en première position, puis (b) en seconde position, selon les formules suivantes :

$$(a) \left\{ \begin{matrix} t \\ d \end{matrix} \right\} + [obst] \quad et \quad (b)\ [obst] + \left\{ \begin{matrix} t \\ d \end{matrix} \right\}$$

(2)	PA	PB	
(a)	atbir	asbir	« pigeon »
	idbrahim	izbrahim	« les Brahim (anthroponyme) »
	tadgalt	sazgals	« veuve »
	tga	sga	« elle est »
	tkri	skri	« elle a rétréci »
	idqqi	izqqi	« poterie »
(b)	k^wti	k^wsi	« souviens-toi »
	bdu	bzu	« commence »
	agdur	agzur	« marmite »
	iqqd	iqqz	« cautérisé »

La série (2) représente des séquences consonantiques formées de deux obstruantes non-continues, l'une étant coronale (**t,d**) et l'autre non-coronale (**b, k, g, qq**).

Nous avons ainsi les séquences suivantes :

	PA	→	PB
(a)	tb		sb
	db		zb
	dg		zg
	tg		sg
	tk		sk
	dq		zq
(b)	k^wt		k^ws
	bd		bz
	g^wd		g^wz

Dans la transformation intervenant dans les séquences de PB, la

consonne coronale devient continue dans PA tout en gardant sa spécification quant au voisement

Dans la séquence, la position du segment qui subit le changement n'est pas pertinente puisque ce segment peut être soit antéposé soit postposé au segment non-coronal.

Nous pouvons formuler une règle provisoire qui rend compte de l'assibilation de l'obstruante coronale dans ce contexte de la manière suivante :

As. Cont. $$\begin{bmatrix} +\ \text{obst} \\ +\ \text{cor} \\ -\ \text{cont} \\ \alpha\ \text{voisé} \end{bmatrix} \longrightarrow \begin{bmatrix} +\ \text{cont} \\ \alpha\ \text{voisé} \end{bmatrix} \quad / \quad \begin{bmatrix} +\ \text{obst} \\ -\ \text{cor} \\ -\ \text{cont} \end{bmatrix}$$

Examinons maintenant le comportement de **t** et **d** lorsque ces consonnes forment séquence avec une obstruante continue non-coronale (**f, x, ġ, ħ,** 3̱).

Ces séquences sont illustrées dans (3) :

(3)	PA	PB	
(a)	tfka	sfka	« elle a donné »
	adfl	azfl	« neige »
	tx^{w}la	sx^{w}la	« elle est détruite »
	tġ^{w}la	sġ^{w}la	« elle est chère »
	tħla	sħla	« elle est belle »
	t3ma	s3ma	« elle est aveugle »
	dħi	zħi	« pousser »
	d3u	z3u	« prier »
(b)	ftu	fsu	« partir »
	xti	xsi	« celles-ci »
	iġd	iġz	« cendre »
	ħtal	ħsal	« prendre avec précaution »
	i3dm	i3zm	« démuni »

Dans la série (3) nous avons les séquences correspondantes suivantes :

	PA	→	PB
(a)	tf		sf
	df		zf
	tx^w		sx^w
	tġ^w		sġ^w
	d3		z3
	tħ		sħ
	dħ		zħ
	t3		s3

(b)	ſt	→	ſs
	xt		xs
	ġd		gz
	ħt		ħs
	3d		3z

De même que dans la série (2), le processus d'assibilation se produit ici quelle que soit la position de l'obstruante coronale dans la séquence.

Nous proposons provisoirement la règle suivante qui rend compte du processus en question en contexte obstruant continu non-coronal :

As. Cont. -Cor. $\begin{bmatrix} + \text{obst} \\ + \text{cor} \\ - \text{cont} \\ \alpha \text{ voisé} \end{bmatrix} \longrightarrow \begin{bmatrix} + \text{cont} \\ \alpha \text{ voisé} \end{bmatrix} \; / \; \begin{bmatrix} + \text{obst} \\ - \text{cor} \\ + \text{cont} \end{bmatrix}$

Examinons, enfin, le comportement de **t** et **d** dans une séquence où elles sont en contiguïté avec une obstruante continue coronale (s, z, ṡ̌, ż̌).

Ces séquences sont illustrées dans (4) : en (a) l'obstruante occupe la position initiale dans la séquence ; en (b) la position finale :

(4)	PA	PB	
(a)	tidsi	sidsi	« Tidsi (toponyme) »
	adż̌ar	adż̌ar	« voisin »
	tsala	tsala	« elle s'occupe de... »
	tzajd	tzajd	« elle est partie, elle a ajouté »
	agdz	agdz	« Agdz (toponyme) »
	utṡ̌i	utṡ̌i	« nourriture »
(b)	imsd	imsd	« il est aiguisé »
	sti	sti	« choisis »
	asdl	asdl	« couvercle »
	zdi	zdi	« joindre »
	agż̌di	agż̌di	« poutre »
	astaj	astaj	« choix »
	azdaj	azdaj	« jointure »

Dans les séquences attestées en (4), i.e. (a) : **ds, dž, ts, tz, dz, tš,** (b) : **sd, st, zd, žd,** nous remarquons que l'obstruante non-continue reste inchangée lors de son passage dans PB quelle que soit sa position dans la séquence.

Nous dirons donc que le processus d'assibilation est bloqué dans un environnement continu coronal. Ce blocage pourrait s'expliquer par la nature même de cet entourage.

En effet, si la règle d'assibilation avait fonctionné, on aurait obtenu les séquences consonantiques respectives suivantes : **zs, zž, ss, sz, sš, sz, ss, zz, žz.**

Il convient de distinguer deux catégories parmi les séquences qui seraient ainsi engendrées :

1) zs, zž, sz, sš, žz.
2) ss, zz.

La catégorie 1) comprend des séquences agrammaticales car elles violent les contraintes sur la structure morphématiques du dialecte tachelhit (5).

La catégorie 2) est formée de deux consonnes identiques et contiguës, i.e. des géminées. Ici, il s'agirait de géminées phonétiques. En effet, dans le dialecte en question, la genèse des géminées phonétiques se présente ainsi :

(a) /Xs # # sY/ → [XssY]
/Xz # # zY/ → [XzzY]

(b) /Xz # # sY/ → [XssY]
/Xs # # zY/ → [XzzY]

Dans (a) il y a contiguïté de deux consonnes identiques en forme sous-jacente, il en résulte une géminée dans la forme dérivée ; dans (b) la présence d'une géminée en surface résulte d'un processus d'assimilation régressive dans la forme sous-jacente (6).

Si la genèse des géminées est différente dans (a) et (b), il faut cependant noter qu'elles résultent de la contiguïté de deux sifflantes, or dans (4) les segments formant les différentes séquences appartiennent à des classes naturelles différentes, i.e. l'un est continu et l'autre non-continu.

En définitive, il appert que le processus d'assibilation de **t, d** se produit si ces segments se trouvent dans un environnement consonantique obstruant et non-coronal.

(5) Les règles phonologiques (RP) s'appliquent généralement aux alternances alors que les règles de structure morphématique (RSM) traitent les contraintes sur les combinaisons de traits possibles au niveau segmental et séquentiel. Les RP permettent de changer les valeurs des traits, d'ajouter ou d'effacer un segment, et de permuter les segments. Les RSM s'appliquent aux représentations lexicales avec l'insertion de l'item lexical dans les structures syntaxiques, elles fixent les segments sous jacents en remplissant les entrées des segments des morphèmes avec la valeur adéquate (+ ou −). Ce sont exclusivement des règles de redondance. Stanley (1967:401) distingue les règles de structure segmentale des règles de structure séquentielle de la manière suivante : « Segment structure rules make the prediction in systematic phonemes that are possible without considering the context, and sequence structure rules make the further predictions which are possible when contextual restrictions are considered ». Saïb (1976:40-63) a dégagé pour le tamazight Aït Ndhir un certain nombre de règles concernant les conditions sur la structure du segment et les contraintes séquentielles. Aucune étude systématique n'a encore été consacrée à la structure morphématique du tachelhit.

(6) Il faudrait noter cependant dans certains parlers la présence de géminées finales, voici deux exemples :

	PA		PB	
(1)	tafunast	→	safunass	« vache »
(2)	tafijušt	→	sifijišš	« baies d'arganier »

La gémination dans (1) et (2) de PB résulte de la transformation de la non-continue en continue. Cette transformation peut être décrite de deux manières :

a) assimilation de **t** final par la continue précédante selon la règle suivante :

$t \rightarrow \alpha / \alpha$ — #

b) assibilation de t suivie de son assimilation selon les deux règles suivantes :

(i) Assib. $t \rightarrow s /$ ———— #
(ii) Assim. $s \rightarrow š / š$ ———— #

Dans (1) seule la règle (i) s'applique, alors que dans (2) s'appliquent de façon ordonnée (i) et (ii).

Cette proposition pourrait être ainsi formalisée :

As. – Cor.

$$\begin{bmatrix} +\text{ obst} \\ +\text{ cor} \\ -\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \;/\; \begin{bmatrix} +\text{ obst} \\ -\text{ cor} \end{bmatrix}$$

3. **Assibilation et environnement sonant :**

Examinons en dernier lieu le comportement de **t** et **d** lorsque ces deux obstruantes se trouvent dans la même séquence qu'une sonante coronale (**n, l, r**).

Nous rapportons dans (5) deux séries de données dans lesquelles sont attestées les séquences en question : en (a) l'obstruante est suivie de la sonante, en (b) l'obstruante est précédée de la sonante:

(5)	PA	PB	
(a)	msadnin	msdnïn	« aiguisés (forme participiale) »
	itran	itran	« étoiles »
	idrus	idrus	« rare »
	tatla	satla	« moisson tardive »
	tidlalin	sidlalin	« nattes de cheveux »
(b)	intu	insu	« il a poussé »
	inda	inza	« battu (beurre)
	urti	ursi	« jardin »
	aggurdi	aggurzi	« puce »
	ildi	ilzi	« fronde »
	tiniltit	sinilsis	« lentilles »

Dans la série (a), nous avons les séquences suivantes dans lesquelles l'obstruante reste inchangée en PB : **dn, tr, dr, tl, dl** ; alors que dans (b) l'obstruante est sujette à l'assibilation, nous avons en effet les séquences suivantes en PB : **ns, nz, rs, rz, lz, ls.**

Si l'on envisage le processus d'assibilation en termes de phonologie segmentale, en considérant chaque segment en soi et en le spécifiant en traits distinctifs, il est possible de rendre compte de la transformation de l'obstruante en sonante en précisant le conditionnement du segment en question.

La règle suivante énonce l'assibilation de l'obstruante lorsqu'elle est suivie d'une sonante :

As. ˆ Son.

$$\begin{bmatrix} +\text{ obst} \\ +\text{ cor} \\ -\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{ cont} \\ \alpha\text{ voisé} \end{bmatrix} \;/\; \text{--} \begin{bmatrix} +\text{ cons} \\ +\text{ son} \\ +\text{ cor} \end{bmatrix}$$

(où ˆ indique la postposition de la sonante).

Cette règle décrit correctement le processus d'assibilation de l'obstruante, cependant elle ne l'explique pas. Nous pensons que le cadre susceptible de fournir des lumières sur ce processus est celui de la syllabe. Notre hypothèse est qu'il n'intervient que si et seulement si les deux segments formant la séquence consonantique peuvent être disjoints par l'insertion d'une frontière syllabique.

La procédure que nous allons appliquer aux séquences attestées dans (5a) et (5b) se fonde sur la notion de « force consonantique ». Cette notion est due à Vennemann (1972) et à sa suite Hooper (1976), qui affectent à chaque segment consonantique une valeur numérique représentant sa « force », laquelle « force » constituerait l'un des traits distinctifs des consonnes (7).

En adaptant le schéma de la « hiérarchie de la force universelle » (« Universal strenght hierarchy », cf. Hooper 1976) au phonétisme du dialecte tachelhit, on aurait la représentation suivante :

classe	Glides	Liquides	Nasales	Cont. voisées	Cont. non-vois.	Non-cont. voisées	Non-cont. non-vois.
segment	j, w	*l*, r, ṛ	m, n	z, ẓ, ẑ, ǧ, ʒ, h	f, s, ṣ š, x, ħ	b, d ḍ, g	t, ṭ, k
force	1	2	3	4	5	6	7

La « structure intrinsèque » de la syllabe comporte idéalement un noyau vocalique autour duquel s'organisent les consonnes en marges. Ces marges devraient être constituées de segments consonantiques hiérarchiquement ordonnés selon leur « force » ; la marge initiale comprendrait ainsi des séquences conformes à la formule suivante :

Seg 1 > Seg 2 > Seg 3

alors que dans la marge finale l'ordre des segments serait l'inverse de celui des segments de la marge initiale (8).

Examinons les données illustées dans (5a) et (5b) sur la base de la théorie

(7) Cette théorie semble être une synthèse de celle de O. Jespersen (cité par Malmberg 1974 : 184) et de celle de F. de Saussure (1965 : 77-95). Jespersen a proposé un classement des sons selon leur sonorité en huit catégories et ce serait l'audibilité des sons qui déterminerait leur regroupement dans la syllabe. Pour Saussure, les sons se classent en sept catégories en fonction de leur aperture. La notion de syllabe serait fondée sur l'ouverture et la fermeture des sons qui la composent, aussi le passage dans la chaîne des sons d'une implosion à une explosion serait-il l'indice de frontière de syllabe.

(8) Cette proposition est grosso modo correcte, néanmoins elle comporte nombre d'exceptions aussi bien à l'attaque (marge initiale) qu'à la coda (marge finale), par exemple dans les morphèmes suivants **skr, isgl, ṣbaħ, ldi, idl,** l'ordre des segments n'est pas conforme à la thèse de la structure intrinsèque de la syllabe. Pour le dialecte tamazight voir Saïb (1978).

de la syllabe dont nous venons d'évoquer les aspects pertinents quant à notre propos.

La syllabation des morphèmes de (5a) dans PA permet d'obtenir ce qui suit :

msa . dnin
i . tran
i . drus
sa . tla
si . dla . lin

Dans le découpage effectué, la frontière syllabique (.) s'insère entre deux segments passant d'une tension décroissante à une autre croissante, c'est-à-dire avant les obstruantes **t** et **d**, ce qui engendre des séquences consonantiques homosyllabiques du type : obstruante + sonante.

Cette séquence est conforme à la structure intrinsèque de la syllabe puisque nous avons une séquence qui respecte le principe de la «force consonantique». Nous pouvons en juger d'après la procédure de syllabation suivante :

séquence	force	syllabation
dn	6 + 3	. dn
tr, tl	7 + 2	. tr, . tl
dr, dl	6 + 2	. dr, . dl

Dans (5b) la syllabation des morphèmes de PA donne les résultats suivants :

in . tu
in . da
ur . ti
ag. gur . di
il . di
ti.nil . tit

On s'aperçoit que dans la syllabation effectuée, il y a insertion de la frontière syllabique (.) entre la sonante et l'obstruante :

séquence	force	syllabation
nd	3 + 6	n.d
rt, lt	2 + 7	r.t, l.t
rd, ld	2 + 6	r.d, l.d

En d'autres termes, les deux segments consonantiques sont hétérosyllabiques.

Une syllabation à l'issue de laquelle on aurait les séquences suivantes : . nd,. nt,. rt,. rd,. ld,. lt, violerait à l'évidence la contrainte sur la structure intrinsèque de la syllabe telle que nous l'avons énoncée ci-dessus.

En conclusion, il apparaît que si deux segments consonantiques sont (effectivement ou virtuellement) hétérosyllabiques, alors le processus d'assibilation intervient pour transformer l'obstruante coronale non-continue en continue.

Nous dirons donc que **l'assibilation est un phénomène syllabiquement basé** (cf. Kahn 1976).

4. Assibilation et traits secondaires

Nous nous proposons ici d'étudier la compatibilité vs incompatibilité du processus d'assibilation avec la tension d'un côté et l'emphase de l'autre.

En examinant l'assibilation de **t** et **d** successivement dans l'environnement vocalique, obstruant et sonant, nous avons spécifié **t** et **d** par les traits distinctifs suivants :

$$\begin{bmatrix} + \text{obst} \\ + \text{cor} \\ - \text{cont} \end{bmatrix}$$

or dans la matrice phonologique du dialecte tachelhit trois autres segments peuvent être générés, il s'agit des géminées **tt** et **dd**, et de l'emphatique **ḍ** (9). En effet, les corrélations de tension et d'emphase sont fonctionnelles comme on peut en juger d'après les séries suivantes :

a) simple	:	t	d	s	z	ž
b) tendue	:	tt	dd	ss	zz	žž
c) emphatique simple	:		ḍ		ẓ	
d) emphatique-tendue	:		ḍḍ		ẓẓ	ẓ̌ẓ̌

Il convient alors de s'interroger sur l'effet de la tension et de l'emphase sur l'assibilation.

Nous allons étudier en (6) le cas des géminées et en (7) celui de l'emphatique, en faisant varier la position et l'entourage de l'obstruante.

(6)	PA	PB	
(a)	ittu	ittu	« il a oublié »
	addal	addal	« le voile »

(9) Dans le système phonologique du « berbère » comme dans celui des dialectes, le phonème /t/ n'a pas de correspondant emphatique ; lorsque /d/ est tendu, il se réalise [tt] ; /t, dd, s, ss/ sont attestés dans les morphèmes empruntés à l'arabe.

	ttu	ttu	« oublier »
	ddu	ddu	« partir »
	utt	utt	« frappe-le »
	add	add	« appuyer »
(b)	ittbna	ittbna	« construit (forme passive) »
	izddig	izddig	« limpide »
	(ar) ik^wtti	ik^wtti	« il se souvient (forme d'hab.) »
	(ar) ibddu	ibddu	« il commence (forme d'hab.) »
	talfttaśt	salfttaśt	« lampion »
(c)	amttul	amttul	« lopin de terre »
	ntta	ntta	« lui »
	amddāk^wl	amddāk^wl	« ami »
	aldda	aldda	« salive »
	(ar) irttu	irttu	« il économise (forme d'hab.) »
	(ar) ttmun	ttmun	« elle accompagne (forme d'hab) »
	(ar) ttnawal	ttnawal	« elle (se) sert (forme d'hab.) »
	ttluħ	ttluħ	« jeter (forme intensive) »
	ttrur	ttrur	« se sauver (forme intensive) »

Nous avons fourni dans (6) une liste de morphèmes comprenant les obstruantes géminées **tt** et **dd** (a) en contexte vocalique, (b) en contexte obstruant et (c) en contexte sonant ; nous avons également fait varier la position des obstruantes de telle sorte qu'elles sont attestées en (a) dans les positions intervocalique, initiale et finale ; en (b) et (c) dans les positions initiale et finale au niveau de la séquence consonantique.

Or en comparant les morphèmes de PA à leurs correspondants dans PB, il s'avère que les obstruantes en question ne subissent aucun changement. Nous dirons donc que **la tension bloque le processus d'assibilation** (10).

Voyons à présent l'effet de l'emphase sur le processus d'assibilation à travers les données de (7) :

(7)	PA	PB	
(a)	aḍil	aḍil	« raisin »
	ḍi	ḍi	« faire sortir »
	iḍ	iḍ	« la nuit »
(b)	aḍbib	aḍbib	« le médecin »
	iḍfr	iḍfr	« il suit »
	iḍsr	iḍsr	« il est turbulent »
	abḍan	abḍan	« dépouille »
	ħḍu	ħḍu	« cacher »

(10) Si d'une manière générale **t** et **d** demeurent occlusifs quand ils sont tendus, il faut signaler que dans certains de ces parlers ils se transforment en affriquées : **tt** → **ts** ; **dd** → **dz**.

	bḍu	bḍu	« partager »
	iẓḍa	iẓḍa	« il a/est moulu »
(c)	iḍni	iḍni	« il est gros »
	iḍm3a	iḍm3a	« il espère »
	iḍla	iḍla	« il est noir »
	iḍr	iḍr	« il est tombé »
	imḍi	imḍi	« il a goûté »
	rḍu	rḍu	« accepter »
	ilḍ	ilḍ	« grain de beauté »

En présentant les data de (7), nous avons adopté la même démarche que dans (6) quant à l'occurrence et à l'entourage de **d.** En considérant ce segment au niveau de PB, il est aisé de remarquer qu'il ne subit ni altération ni transformation. Aussi force est de conclure que **l'obstruante coronale non-continue n'est pas assujettie au processus d'assibilation lorsqu'elle est emphatique ou emphatisée.**

Conclusion

Il apparaît donc que les traits de tension et d'emphase bloquent le processus d'assibilation, c'est pourquoi il est nécessaire de compléter la matrice de **t** et **d** en y ajoutant ces deux traits affectés de la valeur appropriée. Ainsi l'entrée des règles d'assibilation que nous avons dégagées dans (1), (2), (3), (4) et (5) devraient comporter la matrice en traits distinctifs minimaux suivante :

$$\begin{bmatrix} + \text{ obst} \\ + \text{ cor} \\ - \text{ cont} \\ - \text{ tendu} \\ - \text{ emph} \end{bmatrix}$$

5. Assibilation et indice socio-linguistique

L'assibilation est un phénomène phonétique géographiquement circonscrit aux tribus situées sur le versant occidental du massif du Lkest dans l'Anti-Atlas, en particulier celles appartenant à la « confédération » des Ida Oultit.

L'assibilation fonctionne ainsi comme un **indicateur géolinguistique** qui permet de localiser un locuteur dans l'aire dialectale du tachelhit. En outre, l'émigration interne et externe des ressortissants de ces tribus fournit essentiellement des commerçants dont certains se trouvent au sommet de la hiérarchie de quelques secteurs, en particulier celui de l'alimentation (11). L'assibilation est donc aussi un **indice socio-linguistique,** car elle constitue la

(11) Aux tribus « commerçantes » citées en note (3), il faut ajouter Ammeln, Tasserirt, Amanouz, Aït Abdallah et Ida Ougnidif ; A. Adam (1968 : 366-377) a parlé à leur propos de « capitalisme soussi ».

marque du parler d'une catégorie socio-professionnelle déterminée au sein de la communauté linguistique chleuh.

Or cette marque linguistique est **socialement stigmatisée** à l'intérieur comme à l'extérieur de cette communauté linguistique.

A l'intérieur de celle-ci, l'assibilation est perçue par les locuteurs qui ne la pratiquent pas comme un indice d'appartenance à la « montagne » vs « plaine/ville », ce serait alors une marque de la « ruralité » vs « urbanité » L'isotopie « ruralité » charrie les valeurs inhérentes à la culture rurale dont : le sens de l'économie, l'ardeur au travail et au gain, et le rigorisme des mœurs. Le transfert de ces valeurs en ville s'accompagne d'une dépréciation qui se retrouve dans les diverses connotations de l'appellation « aboudrar » (le montagnard).

A l'extérieur de la communauté linguistique chleuh, l'assibilation apparaît dans la performance des locuteurs chleuhs lorsqu'ils s'expriment en arabe (dialectal ou classique) en tant que résurgence du substrat de leur langue première.

Considérons les morphèmes suivants de l'arabe marocain (AM) et leurs correspondants dans la performance des chleuhs en parler arabe (AM') :

(8)	AM	AM'	
	lektuba	leksuba	« livres »
	lekḍub	lekzub	« mensonges »
	lemdad	lemzaz	« encre »
	hadi	hazi	« celle-ci »
	lefnati	lefnasi	« épingles »

(**e** est une transcription commode du schwa)

Il apparaît clairement que dans le parler AM' le processus d'assibilation fonctionne dans les morphèmes de AM exactement selon les conditions examinées en (1), (2), (3) et (4), comme il est bloqué dans les morphèmes du type suivant : **dlek** « masser », **dres** « moissonner », **ṭab** « cuit », **ḍar** « maison », **eddnub** « péchés », etc. ainsi que nous l'avons montré dans (5), (6) et (7).

Les arabophones perçoivent le phénomène de l'assibilation comme un indice d'appartenance au groupe ethnique amazigh-soussi, ce groupe est abusivement assimilé à la catégorie socio-professionnelle des commerçants, laquelle catégorie est stigmatisée par le « ridicule linguistique ». Cette stigmatisation est particulièrement virulente en temps de crise en raison de la position de la catégorie en question dans le circuit de distribution des produits alimentaires.

C'est pourquoi au fur et à mesure que s'intensifie le processus d'urbanisation de ce groupe, ce dernier adopte un comportement linguistique marqué par la volonté de neutraliser les aspects idiosyncrasiques de son parler, e.g.

l'assibilation, de sorte qu'après une période marquée par « l'insécurité linguistique », ce parler est « épuré » des effets du substrat de la langue maternelle (12).

En définitive, la fréquence du processus d'assibilation est inversement proportionnelle au degré d'intégration à la structure urbaine et partant au degré de conformité avec le modèle linguistique dominant.

6. Conclusion

Au terme de cette étude sur le processus d'assibilation dans le dialecte tachelhit, nous voudrions conclure sur deux remarques d'ordre théorique :

(1) (a) L'analyse de ce processus fondée sur les principes de la phonologie segmentale conduit à poser le problème en termes de conditionnement et de traits distinctifs, i.e. l'assibilation de **t** et **d** se produit dans les trois environnements suivants : vocalique, obstruant et sonant. Les règles dégagées en (1), (2), (3), (4) et (5) aspirent certes à atteindre un certain degré de généralisation, elles se révèlent toutefois trop puissantes ; c'est pourquoi il a fallu introduire des contraintes :

(i) dans l'environnement obstruant, l'assibilation ne doit pas engendrer une géminée,

(ii) dans l'environnement sonant, le processus est bloqué par l'antéposition de l'obstruante dans la séquence consonantique.

De toute évidence, l'analyse segmentale ne satisfait pas au critère de simplicité.

(b) En revanche, l'analyse inspirée de la phonologie syllabique s'est avérée à la fois plus adéquate et plus simple que l'analyse précédente ; en effet, **elle postule que l'obstruante s'assibile si et seulement si elle ne fait pas partie d'une séquence consonantique homosyllabique** (13).

(12) D'une manière générale, chez les locuteurs qui abandonnent leur idiome initial pour s'approprier celui du groupe dominant, « l'insécurité linguistique se traduit par une large variation stylistique ; par de profondes fluctuations au sein d'un contexte donné ; par un effort conscient de correction ; enfin par des réactions fortement négatives envers la façon de parler dont ils ont hérité » (Labov 1976 : 183).

(13) Pourtant, dans certains cas, l'assibilation se produit dans les séquences consonantiques en position initiale de morphèmes.
L'assibilation qui se produit en certaines séquences illustrées dans (2.3) peut s'expliquer de la manière suivante :
(i) dans le type tfka → sfka, le segment initial représente un morphème indiquant la 3è pers. fém. sing., aussi y a-t-il au niveau sous-jacent une frontière intra-morphémique :

$$\left\{ \begin{matrix} t \\ s \end{matrix} \right\} + fk + a$$

(ii) dans le type d n̄ i → z n̄ i, la frontière syllabique est potentielle, e.g. :
id.n̄ i → i z.n̄ i « il a poussé »

Nous dirons donc que le « modèle syllabique » est plus adéquat que le « modèle segmental » quant au traitement de l'assibilation.

2) L'étude produite s'inscrit dans la perspective d'une recherche sur la structuration de la variation phonétique au niveau des sous-systèmes linguistiques formant cette entité idéale appelée « berbère »

C'est dans cette mesure qu'elle rejoint les préoccupations de ceux qui — à la suite de labov — tentent de démontrer la validité d'une grammaire variationniste, i.e. grammaire qui rompt avec les idéalisations homogénéisantes de la GGT classique, en s'affirmant dans le champ de la linguistique comme **une pratique socio-linguistiquement basée.**

Remerciements

Nous tenons à remercier tous les collaborateurs qui nous ont permis de glaner des données et de contrôler nos intuitions. Nous nommerons en particulier « baba » Lahcen de Ouijjane, A. Jamaâ des Ida Ou Semlal et D. Abderrahman d'Anezi. Nos remerciements vont également à A. Akouaou qui a bien voulu lire ce papier et nous faire part de ses observations.

Références citées

Adam, A. (1968), **Casablanca,** Paris : éd. du C.N.R.S. 2 vol.

Akouaou, A. (1976), **l'expression de la qualité en berbère : le verbe** (parler de base : le tachelhit de Tiznit), thèse de Doctorat de 3è cycle, E.P.H.E. IVè section, Sorbonne.

Bach, E. (1968) « Two proposals concerning the simplicity metric in phonology », **Glossa,** 2 : 128-149.

Basset, A. (1949), « Le système phonologique du berbère », G.L.E.C.S., IV : 33-36.

Basset, A. (1952), **La langue berbère,** Handbook of African Languages, London : Oxford University

Broselow, E. (1976), **The Phonology of Egyptian Arabic,** unpublished Ph. D. dissertation, university of Massachusetts.

Chomsky, N and M. Halle, (1968) **The Sound Pattern of English,** New York : Harper and Row.

Dubois, J. et al. (1973), **Dictionnaire de linguistique,** Paris : Larousse.

Galand, L. (1953), « La phonétique en dialectologie berbère », **Orbis,** t. II, 1 : 225-233.

En revanche, dans (5) l'assibilation est bloquée en raison de l'impossibilité d'insertion d'une frontière syllabique entre les consonnes qui forment séquence. .
C'est pourquoi il convient de nuancer la règle générale en précisant que la contrainte syllabique sur l'assibilation est levée lorsque dans la séquence il y a : (i) frontière intramorphémique et (ii) frontière syllabique potentielle.

Hooper, J.B. (1976), **An Introduction to Natural Generative Phonology**, New York : Academic Press.

Kahn, D. (1976), **Syllable-based Generalizations in English Phonology**, Bloomington : Indiana University linguistics club.

Labov, W. (1976), **Sociolinguistique**, Paris : éd. de Minuit.

Laoust, E. (1936), **Cours de berbère marocain**, dialectes du Souss, du Haut-Atlas et l'Anti-Atlas, Paris : Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales.

Malmberg, B. (1974), **Manuel de phonétique générale**, Paris:éd. A. et J. Picard.

Marouzeau, J. (1969), **Lexique de la terminologie linguistique**, Paris : Librairie orientaliste P. Geuthner.

Saïb, J. (1976), **A Phonological Study of Tamazight Berber : Dialect of Ayt Ndhir**, Ph. D. dissertation, University of California, Los angeles.

Saïb, J. (1978), « Segment organization and the syllable ,in tamazight berber », **Syllables and Segments**, A. Bell and J.B. Hooper ed., North-Holland publishing company.

Saussure, F. de (1965), **Cours de linguistique générale**, Paris : Payot.

Stanley, R. (1967), « Redundancy Rules in Phonology », **Language**, 43 : 395-436.

Vennemann, T. (1972), « On the Theory of Syllabic Phonology », **Linguistische Berichte**, 18 : 1-18.

Al-Youssi ou l'autobiographie impossible

Abdellah BOUNFOUR

Le comparatisme est souvent dangereux surtout entre deux cultures aussi différentes que la culture arabo-islamique et la culture occidentale chrétienne. Mais parfois, il permet de mieux poser certaines questions à condition que des précautions soient prises : que l'une des deux cultures ne soit pas prise comme lieu de questionnement unilatéral de l'autre. Cette exigence sera la mienne dans cette intervention.

En quoi consiste-t-elle ? Il s'agit de montrer, à partir d'un cas – celui de Al-Yousi – comment certains discours rendus possibles en occident ne l'ont pas été dans l'aire arabo-islamique. C'est ainsi qu'un siècle après la parution des **Essais** de Montaigne, au XVIè siècle, Al-Yousi colligeait ses **muhādarāt.** Pourquoi le choix des **Muhādarāt** ? Parce que c'est le seul ouvrage, d'après Berque, où al-Yousi se raconte comme le fait Montaigne dans les **Essais.** D'où la question, les **Muhādarāt** serait-il un texte autobiographique ? (1)

I – L'OBJET DU LIVRE OU LE PACTE AUTOBIOGRAPHIQUE :

1. Commençons par citer l'auteur des **Essais** et demandons lui quel est le contenu de son livre :

> « Je veux qu'on m'y voie en ma façon simple,
> naturelle et ordinaire, sans contention et
> artifice : car c'est moi que je peins. Mes
> défauts s'y liront au vif, et ma forme naïve,
> autant que la révérence publique me l'as permis.
> que j'eusse esté entre ces nations qu'on dict vivre
> encore sous la douce liberté des premières loix
> de la nature, je t'assure que je m'y fusse très
> volentiers peint tout entier, et tout nud » (2).

Voyons maintenant comment Al-Yousi présente ses **muhādarāt :**

> « Je me suis mis à transcrire dans ce recueil

(1) Je me contente de renvoyer aux principaux ouvrages qui ont analysé ce genre de discours :
- LEJEUNE, Philippe. – **Le pacte autobiographique**, Le Seuil, 197, Paris.
- LEJEUNE, Philippe. – **Je ešt un autre.** Le Seuil, 1980, Paris.
- BEAUJOUR. – **Miroirs d'encres.** Le Seuil, 1980. Paris.
- MAY, G. – l'autobiographie. PUF, 1979, Paris.

(2) MONTAIGNE. – **Essais.** Gallimard, coll. La Pléiade 1950, Paris p. 26.

quelques [idées] qui se sont présentées à
mon esprit et s'y sont incrustées [....]
J'y mets des idées utiles et nouvelles, de
poèmes [....] ; bref ce que
J'ai pu rassembler, au cours de ma vie, comme
anecdotes plaisantes miennes ou appartenant à
d'autres [personnes], ainsi que tout ce qu'il
y a de meilleur et de savoureux. Je ne cite
jamais une rareté comportant un sens respectable
sans que je n'explicite ce sens, ou une idée agréable
sans la présenter embellie est parée. C'est cela
la moelle du livre et l'intérêt du discours. C'est
Dieu seul qui dirige vers le droit chemin » (3).

Ces deux textes sont radicalement opposés quant à leur projet :

- à une problématique du dévoilement du corps propre par un discours sur soi, s'oppose la problématique du violement de ce corps par un autre discours.
- à une parole narcissique qui s'assume en tant que telle avec une certaine pudeur dont l'auteur a conscience, s'oppose une parole autre. En d'autres termes, autant la parole de Montaigne se veut constative, autant celle de Al-Yousi se veut performative.

De quoi s'agit-il, en fait, dans **al-muhadarat** ? C'est un dépôt impur, un mélange, voire un pot pourri (mažmuε) ; on y trouvera, écrit l'auteur, des poèmes, des anecdotes, des énoncés moraux, etc... Ces discours seront siens ou appartenant à d'autres auteurs. C'est dire que cet ouvrage est en fait le lieu où se dépose le savoir d'une communauté de savants à laquelle appartient l'auteur. Par conséquent, c'est un enseignant qui transcrit ses cours à défaut de les parler. Or, ce savoir est en grande partie théologico-moral. C'est dans ce sens que je 'ai nommé parole performative.

2. **Pourquoi écrire** ?

Les **essais** ont une matière précise – l'individualité de Montaigne et un destinataire – la famille de l'auteur. Le mode de lecture est donc précis : lire les **Essais,** c'est se souvenir et perpétuer la mémoire, grâce au portrait de l'aïeul. Le rapport au texte anime le portrait peint : il lui donne une âme.

La lecture s'inscrit donc dans ce que Le jeune appelle la pacte autobiographique (4).

(3) Al-Youssi, al-Hassan. – **al-Muhadarat,** p.
(4) Voir **Le pacte autobiographique,** p. 26.

Revenons maintenant à Al-Yousi ; que dit-il dans sa présentation des **Muhadarat,** quant aux raisons qui l'ont poussé à écrire :

> « Beaucoup de choses m'ont poussé à l'[le livre]
> écrire dont celles-ci : éviter l'inactivité
> qui est le chemin vers l'ignorance et l'égarement,
> instruire l'ignorant et avertir l'inattentif,
> immortaliser ce qui est [seulement] mémorisé
> pour qu'il ne soit oublié, le classer en genres
> et en espèces, créer une science nouvelle... » (5)

On peut classer les arguments de Al-Yousi en deux catégories :

– des raisons personnelles : éviter l'inactivité, cette source des grands ennuis (ignorance et égarement)
– deux raisons professionnelles : l'enseignement et la prédication.

Il s'ensuit qu'Al-Yousi ne veut nullement fixer une image de lui-même, mais plutôt l'image d'un savoir. L'auteur semble nous dire ceci : je m'ennuie, j'ai la nostalgie de mon pays et des miens donc j'écris pour oublier cela. Ecrire, c'est oublier, voire s'oublier pour donner la parole à une autre voix. Pourquoi s'oublier ? L'écriture a une autre fonction : elle protège de l'ignorance (de Dieu, bien sûr) et de l'égarement dans la voie satanique. C'est dire que l'écriture est une défense au sens psychanalytique de ce terme.

> « La défense, d'une façon générale, porte sur
> l'excitation interne (pulsion) et, électivement,
> sur telle des représentations (souvenirs, fantasmes)
> auxquelles celle-ci est liée, sur telle situation
> capable de déclencher cette excitation dans la
> mesure où elle est incompatible avec cet équilibre
> et, de ce fait, déplaisante pour le moi » (6).

La situation déplaisante est connue historiquement : Al-Yousi est exilé à Marrakech et ne peut exercer sa fonction de professeur. C'est cette situation d'inactivité et d'éloignement qui déclenche la nostalgie qu'il a de sa famille et de ses collègues. La défense consiste à se défendre, par la transcription, d'un savoir contre une stérilité intellectuelle dangereuse pour son statut de savant confirmé en tant que tel, et un désespoir pour sa santé mentale nécessaire à la transmission du savoir. Les **muhadarat** est la trace de cette double angoisse.

Les deux autres arguments d'Al-Yousi permettent de préciser cette idée. Si son livre est une défense, c'est aussi parce qu'il lui permet de créer une situation imaginaire, à savoir la relation enseignant-enseignés.

(5) Ouv. Cité p.

(6) LAPLANCHE et PONTALIS. – **Dictionnaire de psychanalyse,** PUF, 1967, Paris (voir article « défense » p. 109)

Ecrire permet d'enseigner même si le public n'est pas présent ; l'écriture a ce privilège de rendre présent l'absent alors que la parole ne peut se sentenir sans la présence réelle du public, à moins que cela ne soit une parole de fou. L'on voit alors le mode de lecture instauré : lire les **muhadarat,** c'est écouter la parole savante d'un maître. Il s'agit de s'instruire ; c'est alors que survient l'idée de l'auteur comme médiation : à proprement parler, ce n'est pas sa parole propre ; il n'est que le fil conducteur de la parole de la science. C'est là que le titre du livre nous paraît significatif : On peut traduire la racine «hadara» par «être présent» et «être prêt, préparé» d'où, dans le dictionnaire de kazimirski, « max hadara » signifie « ce qui se trouve prêt » ; l'axe de la présence-absence (public) ainsi que l'axe de la préparation (du cours) sont ouverts. Quant à «muhadara», kazimirski note plusieurs sens de ce mot dont le plus éclairant pour notre propos est celui-ci : la conversation. Ainsi le titre concentre en lui l'idée de la présence-absence d'un public à qu'il faut transmettre, par la voie de la conversation (ce qui se présente à l'esprit, dirait Al-Youssi), un savoir.

Nous pouvons donc déduire de ce qui précède que :

a) Al-Youssi évite de parler de soi comme objet principal de son livre et se présente en tant que professeur et non en tant qu'autobiographe.

b) Ainsi la seule image, effet de son statut de prédicateur, digne d'être conservée est celle d'un sainthomme. Là, aucun danger n'est à craindre.

c) Il s'ensuit que seul le savoir (lequel ?) est à perpétuer et non l'image d'un individu sinon ce dernier serait Dieu. La parole propre à un individu ne peut prétendre à l'immortalité que si elle se perd dans la parole générale qui est celle du savoir théologico-moral.

d) On n'écrit pas pour écrire, pour son plaisir ou le plaisir des siens. L'écriture doit viser l'utile d'abord. La première utilité : éviter l'égarement et retrouver le droit chemin. Or, ceci est visiblement l'objet originaire de la rhétorique arabe (7).

II – QUAND LE REFOULE FAIT RETOUR, OU LE SOMMEIL PERTURBE DE DIEU

Les **muhadarat** d'Al-Youssi est texte à contenu hétéroclite, composé selon la technique de la conversation ; ce qui fait dire à M. Hijji (8) qu'il est difficile de trouver un quelconque entre deux thèmes qui se suivent. Mon objectif maintenant n'est pas de faire une description systématique des techniques de la conversation chez Al-Youssi. Je me contenterai de relever les séquences autobiographiques des **muhadarat** et d'interroger leur fonctionnement.

(7) BOUNFOUR, Abdellah. – **Théories et méthodologies des écoles de rhétorique arabe.** (Thèse de IIIè cycle, Paris III, 1967).

(8) Voir la présentation de **Al-Muhadarat** de Al-Youssi.

1. **Le nom propre**

Se nommer dans le corps du texte n'implique pas l'instauration du pacte autobiographique ; car, nous l'avons vu plus haut, le personnage principal du récit – si récit il y a – n'est pas l'auteur lui-même. Se nommer comme le fait Al-Youssi, c'est signer son texte ; c'est-à-dire s'annoncer comme auteur et seulement comme tel. Comment se nomme-t-il ? Al-Youssi commence par rappeler une « coutume »,

> « D'habitude, tout auteur même d'opuscule se
> nomme dans son livre pour se faire connaître » (p. 10)

Ensuite il expose la légitimité de cette coutume : elle permet

> « ... de connaître sa [de l'auteur] pensée
> ou son but afin qu'on puisse le discuter,
> l'accepter ou le prendre comme témoin » (p. 10)

Mais ce qui est fondamental dans cette coutume, écrit Al-Youssi, c'est « de savoir si on peut se fier à sa [celle de l'auteur nommé] transmission [du savoir] et à son raisonnement ».

La signature, ainsi que toutes les séquences autobiographiques, seront prises dans ce discours de la légitimité, de la véracité du savoir transmis. En d'autres termes, la signature ne renvoie pas à un « je » vécu dans la multiplicité de ses rapports, mais à un « je » d'une cohérence et d'une unité qui frise la paranoïa : ce « je » est exclusivement celui du « savant ». Al-Youssi ne se pense (ne s'écrit) que comme pensée et non comme corps et pensée. Cette pensée est une : elle est détérminée par la doxa théologique. Ce qui explique la conformité à la « coutume » de se nommer, de signer. Le sujet ne se donne à voir que dans l'image (l'imaginaire) que les autres (l'Autre) lui renvoient, où ils l'ont emprisonnée.

2. **La garantie par la chaîne**

Se nommer ne suffit pas à garantir la légitimité de l'image. Il est nécessaire que la généalogie intervienne pour la renforcer. Al-Youssi convoque deux généralogies, une naturelle et une spirituelle. Enoncer sa généalogie naturelle n'est pas surprenant ; c'est un des codes forts de la culture arabo-islamique. La généalogie témoigne de la qualité de l'énonciateur.

Ce qui attire l'attention d'abord, c'est la place que tient le père d'Al-Youssi dans le discours génèalogique.

Contentons-nous de prélever ce qui intéresse notre propos : le père est garant de l'excellence du fils dans la science puisqu'il l'avait prédite :

> « Parmi les choses qu'il avait prédites
> [...] celle qu'il raconta : « j'ai vu
> deux sources d'eau, une m'appartenait et
> l'autre à Ali b. Othman – [...]

> La source de Ali abreuvait notre pays alors
> que la mienne est partie ailleurs». On
> prétendit qu'il avait dit : «la source qui
> m'appartenait était plus abondante que l'autre
> il interprêta cela par la naissance de deux
> enfants dont il jouirait. Ainsi naquit Abu Saïd
> [...] et apparut comme étant la source de son père
> et je naquis aussi et eus deux frères plus âgés qui
> moururent analphabètes. J'espère cette seconde
> source» (p. 37).

L'on perçoit alors l'importance de ce père visionnaire : n'est retenue de lui que la vision qui «programme» le fils, le prédestine à la science. Le sujet, avant sa naissance, est déjà constitué par la parole du père. L'auteur des **Muhadarat** ne fera que reprendre cette parole pour s'y conformer. «Je veux que tu sois tel», dit la voix du père ; celle du fils lui répondra : «j'espère ne pas vous décevoir, père». L'on voit que nous sommes loin du «moi» de l'autobiographie, du moins l'autobiographie marquée par la revendication d'une individualité essentielle, si cette individualité à une quelconque validité. Le père n'est pas un corps, mais une voix. Cette voix est l'emblème d'un discours connu : le discours de la vérité, de l'unité. Vérité du logos théologique, unité du clan, de la tribu, voire de la communauté (umma). Le discours du père, malgré les vicissitudes du réel historique et individuel, permet de restituer au sujet sa cohérence, sa ligitimité ; cette cohérence se doit de continuer le discours du père sinon elle est illégitime, égarée et par conséquent condamnée.

Al-Youssi fait intervenir une seconde voix non moins importante : la voix du maître. Dans un premier temps, ce maître raconte que, pendant la période du pélerinage, chaque fois qu'il veut prononcer une prière, le nom de son disciple lui vient à la bouche et la prière se formule ainsi :

> «Dieu faites qu'il [Al-Youssi] soit la
> source qui abreuve orientaux et occidentaux»

S'adressant à des condisciples, le maître dit en parlant d'Al-Youssi :

> «C'est votre lumière, votre soleil» (p. 37)

Al-Youssi signale lui-même la concordance de la prière au maître avec la vision du père : même métaphore. Ce qu'il ne voit pas, par contre, c'est le lien de la métaphore de l'eau avec celle de la lumière. Ces deux métaphores sont effectivement solidaires et proviennent directement du Coran. Toutes deux sont liées à la parole de Dieu qui fertilise l'esprit ignorant, l'éclaire, et par conséquent le sauve de la chaleur et de l'obscurité de la géhenne.

3. Le modèle du «moi» :

Plus loin, Al-Youssi cite, à l'appui de sa thèse, l'exemple du Prophète qui

répond à une question sur son « identité profonde », (oserait-on dire) :

> « Je suis la parole de mon père
> Abraham et le rêve de ma mère »
> (p. 38)

Citation pesante par tous les sens qui la traversent.

L'on sait depuis Freud que si Moïse est la figure du père pour les Hébreux, Abraham est la figure du père pour les Musulmans. Il est, dans le Coran, le premier à se soumettre (aslama) à Dieu, c'est-à-dire le premier musulman. Il faut ajouter que ce père a rêvé qu'il fallait sacrifier son fils Ismael ; ce que ce dernier a accepté sans aucun signe de doute ou de révolte. Il y en couragea même. Etre la parole de son père, c'est s'oublier comme fils et s'investir comme désir du père : (identification totale au désir du père). Il faut préciser que cette identification est « spérituelle » étant donné qu'Abraham lui-même ne fait que se soumettre à un autre désir, à une autre parole : celle de Dieu. A ce titre, la parole de Dieu a ses lieux privilégiés qui se doivent de la transmettre dans l'évacuation de tout ce qui peut la parasiter (9).

N'oublions pas qu'Ismael est l'enfant qui a découvert une source pour que les siens puissent se désaltérer [qu'ils viennent d'Orient ou d'Occident]. Al-Youssi, consciennment ou non, obéit dans son écriture autobiographique a une matrice discursive et à certaines figures fortes de la culture islamique.

Mais un problème se pose lorsqu'il nous avertit que le fait de citer le Prophète ne signifie pas qu'il s'identifie à lui. Entre lui — Al-Youssi et Prophète, il ne peut y avoir d'identité ou même de ressemblance car les prophètes, ajoute-t-il, sont des êtres à part dans les hiérarchie des hommes. Néanmoins, ajoute-t-il, le lecteur ne doit pas nier toute ressemblance. Admirable dialectique ! Le Prophète est un modèle et un idéal : le modèle façonne, l'idéal fascine. Ceci renvoie avec exactitude au miracle (iεžāz) coranique : le style coranique est un modèle et un idéal ; et, comme tel, il façonne et fascine les écrivains et les théoriciens musulmans ; c'est dire que le modèle du « moi » est un modèle langagier. Le « moi » du Prophète (comme le « moi » du savant) abreuve et éclaire l'ignorant comme le discours coranique abreuve et éclaire le croyant. L'écriture des « autobiographes » musulmans — s'il y en a — ne peut se comprendre sans cette filiation discursive.

Pour terminer, je me contenterai de résumer mon analyse et d'émettre certains hypothèses.

Mon analyse des **muhādārat** d'Al-Youssi permet de dire :

1) Le genre autobiographique tel qu'il a été défini en Occident ne se

(9) C'est-à-dire le moi psychologique ; à moins que ce désir ne se confonde avec ce moi psychologique.

retrouve nullement dans la culture arabe classique, dans l'Adab dirait Arkoun. Ceci aboutit à choisir entre deux solutions : ou bien la théorie de l'autobiographie considèrera le champ arabe comme un ensemble vide ou bien elle devra remanier sa conception de l'autobiographie pour englober la spécificité arabo-islamique pour l'y inclure. Je pense que cette seconde solution est plus productive dans la mesure où des travaux récents le permettent (10).

2) Néanmoins une certaine floraison d'autobiographies est attestée depuis le début du XXè siècle. Elles sont écrites en arabe et en langues étrangères. Un grand nombre d'entre elles est la production d'écrivains ayant vécu et étudié en Occident ; d'autres, tel celle de M. Abdou, sont commandées par des amis occidentaux car elles ont une valeur de témoignage ; et en tant que telles, elles sont conformes a celle d'Al-Youssi. En d'autres termes, nous assistons à deux systèmes langagiées qui se diffèrencient (Benjelloun et Abdou) (11), s'encrecroisent (Khatibi) (12) ou s'identifie (Taha Housseïn) (13).

Une étude plus détaillée de ces textes montrera, en plus de la spécificité de ce genre de discours, son statut par rapport à ses lecteurs.

(10) C'est ce qu'on peut déduire de **Miroirs d'encre** de Beaujour et **l'art de la mémoire** de Yeat (Gallimard, 1975, Paris).

(11) BENJELLOUN, A. – **fi-ttufulah,** maktabatu l-maharif, sans date, Rabat – ABDOU, Mohammed. – Mudakkiratu l-liman Muhammad Abdu, édité par Tahar Ttennahï, dar el-Hilal, Sansdate, le Caire.

(12) KHATIBI, Abdelkébir. – **La mémoire tatoué,** Bougois, coll. 10/18, 1979, Paris.

(13) Housseïn, Taha. – **al-ayyam.** dar al-maharif, 1964, Le Caire.

Vème Séance : Debat

Président : M. Chadli El Mostafa

Question : Mme Boff-Dkhissi

M. Saib, je constate, avec étonnement, que vous faites figurer les consonnes /r/ et /γ/ parmi les consonnes emphatiques en Tamazight. Surtout en ce qui concerne /γ/, en Arabe classique notamment, je peux vous affirmer, sur des bases expérimentales, que cette consonne n'est pas une emphatique. Votre classification pose donc un problème qui sera, je pense, au centre de notre discussion.

Réponse : M. Saïb

Merci Mme Boff-Dkhissi pour votre question. Bien que j'aie inclus ces consonnes parmi les consonnes emphatiques, j'ai pris le soin de les mettre entre parenthèses. J'ai fait cela parce que, en tant que phonologue (et par conséquent un peu phonéticien), je suis conscient du fait que cela peut poser des difficultés au niveau de l'acceptation pour certains phonéticiens. Il se trouve que vous êtes un de ces derniers. Soit. La raison pour mon inclusion de ces consonnes parmi les emphatiques – ou plutôt les emphatisantes – est à chercher dans « l'effet arrière » que ces consonnes, notamment /γ/, ont sur certaines voyelles ; je dis bien certaines voyelles. Du reste, l'on sait que beaucoup de consonnes qui n'étaient pas emphatiques en arabe classique le sont devenues dans les dialectes arabes modernes.

Mme Boff-Dkhissi

C'est effectivement ce qui se passe pour la consonne /γ/, qui existe en Arabe, et qui fait partie de l'étude expérimentale que j'ai faite sur l'Arabe Classique et que j'exposerai demain matin. Il semble que, vu les caractéristiques acoustiques de cette consonne, et l'influence qu'elle a sur l'environnement vocalique, on a eu tendance à la confondre avec les consonnes emphatiques proprement dites, qui sont en Arabe /ṭ/, /γ̣/, /δ̣/, /ṣ/. Je

montrerai demain que cette consonne, /ɣ̣/, n'est pas une consonne emphatique. Je voulais simplement attirer l'attention sur ce fait dans le cadre de cette discussion.

Autre chose à propos de la consonne alvéolaire /ṛ/, quelles sont ses caractéristiques acoustiques ? Quelle est l'influence de cette consonne sur les voyelles de l'environnement ? Je ne vois pas très bien le rapport qu'il y a entre /ṛ/ et /ɣ̣/.

M. Saib

Si vous voulez, le /ṛ/ alvéolaire a une certaine tendance aussi à l'emphase, vu l'influence qu'il a sur certaines voyelles. Cette influence parait être similaire à celle du /ɣ/. Comme vous savez, il y a différents types du /r/ et, par exemple dans les formes comme [ạδ̣ạṛ] « pied », que j'ai citées, on sait que c'est le /δ̣/ qui est emphatique et que /ṛ/ est emphatisée. Mais dans d'autres exemples, comme [ạṛọmi] « européen », /aγṛom/ « pain », /afeṛṛan/ « four », nous percevons l'emphase, et ce en dépit du fait qu'il n'y a pas dans ces mots une des consonnes emphatiques inhérentes, comme /ṭ/, /δ̣/, /ṣ/ etc. Bien entendu, une étude expérimentale pourrait indiquer quelque chose d'autre, mais au niveau de la perception, il me semble que les consonnes en question, /r/ et /γ/, ont à peu près le même effet que celui observé pour les consonnes emphatiques.

Il me semble aussi que la raison pour laquelle bon nombre de linguistes ne reconnaissent pas un statut emphatique à /ṛ/ et /γ/, provient du fait qu'il n'y a pas de représentation graphique spéciale dans l'alphabet arabe – puisque vous basez votre remarque sur l'Arabe – pour le /ṛ/ emphatique, par exemple. Pourtant, pour moi, des mots en arabe comme [maṛṛa] « fois » ; [ʔiħmaṛṛa] « devenir rouge » ; [ħaṛa:m] « interdit », sont prononcés avec des /ṛ/ emphatiques.

Pour résumer donc, il y a deux niveaux : celui de la production et celui de la perception. Votre étude expérimentale me semble basée sur l'aspect « production » de ces sons. Il ne faudrait pas oublier le niveau « perception ». Et c'est sur ce plan que je me place en tant que phonologue. Il reste qu'il faudrait aussi consulter la thèse de Ghazeli que je viens de recevoir il y a quelques jours. Peut être y trouverons-nous des éclaircissements sur ces questions.

Mme Boff-Dkhissi :

Bien qu'a priori l'effet semble le même, l'expérimentation prouve qu'on a affaire à des effets divers. Il ne faut pas confondre entre l'effet propre aux consonnes emphatiques et celui qui est limité aux consonnes que l'on appellera des pharyngales, qui ont une influence sur le voisinage vocalique également. Qu'est-ce que cet effet selon vous ? Pouvez-vous le décrire, simplement au niveau de ce que vous percevez, vous ? Par exemple lorsque l'emphase s'étend à tout un mot au lieu d'une syllabe à une deuxième

syllabe, si l'emphase s'étend sur toutes les consonnes, toutes les voyelles d'une séquence assez longue, qu'est-ce que cela change ?

M. Saib :

Je suis bien aise que vous ayez reconnu, tout à fait au début de cette dernière intervention, que les consonnes /r/ et /γ/, sur lesquelles nous débattons, ont bien un effet sur les voyelles avoisinantes, bien que vous mainteniez que cet effet soit différent de celui des emphatiques proprement dites. Je voudrais à présent aborder votre question qui a trait à la description de l'effet que /ṛ/ et /γ/ ont sur les voyelles. Pour ce faire, il vaudrait mieux prendre un exemple. Prenons l'exemple d'un mot comme /arumi/ « européen », qui est un emprunt de l'arabe. Nous savons que le /r/ qui existe dans ce mot n'est pas ce que j'appellerais une consonne emphatique inhérente, mais vous pouvez entendre l'effet qu'elle a sur les voyelles : le /a/ est central au lieu d'être un /a/ d'avant que l'on representerait phonétiquement comme [æ] ; le /u/ est rendu comme [o], sinon [ə̣]. Donc, il y a une sorte de descente – en anglais « lowering » – de cette voyelle. Il me semble que pour ces voyelles, il y a un effet de retraction vers l'arrière de la cavité buccale, qui est, sinon identique, du moins similaire sur le plan de la perception à l'effet des emphatiques proprement dites. Donc, voilà un /ṛ/ qui, initialement « non-emphatisant », est devenu « emphatisant ».

Mme Boff-Dkhissi :

C'est ce que les grammairiens arabes appellent /tafxi:m/. Je pense que je ne vais pas insister là-dessus. Je vais en parler demain, merci. Je voulais aussi faire une petite réflexion à propos de ce que disait M. Boukous. Le processus de l'assibilation ne se produit pas en entourage emphatique, et c'est très intéressant de voir cela d'un point de vue phonétique. Cela prouve que le phénomène de l'emphase est quelque chose de très fort. C'est un phénomène qui empêche quelque chose qui se passe lorsque l'emphase n'est pas présente, et c'est très intéressant du point de vue de la Phonétique Générale.

M. Boukous :

Il apparait nettement que, dans les « parlers » que j'ai étudiés, il apparait effectivement que l'assibilation ne se produit pas dans un contexte emphatique proprement dit, mais elle ne se produit pas non plus dans le cas, par exemple, des consonnes d'arrière /q, x, γ, ħ, ʕ/ qui ont une influence de type « emphatisant ».

Mme Boff Dkhissi :

Cela se comprend bien du point de vue articulatoire, parce que ces consonnes sont, disons, caractérisées par un lieu d'articulation postérieur. Quant aux consonnes emphatiques, des études expérimentales notamment celles de Ali et Daniloff et de Jean François Bonnot à Strasbourg, ont

montré que ces segments ont deux lieux d'articulation : un premier lieu d'articulation qui est antérieur et un deuxième qui est postérieur, et qui se situe dans la région vélaire et le haut du pharynx. C'est pourquoi les effets sont similaires mais plus complexes, comme je l'exposerai demain.

Mr Boukous :

Il y a aussi un autre point. Kouloughli, un chercheur Algérien qui a fait une thèse sur le « Sraoui », un parler arabe algérien du Constantinois, a soulevé la question des consonnes d'arrière /q, x, γ/ d'une part, et d'autre part celle des consonnes emphatiques. Alors, il définit les consonnes qui sont proprement emphatiques, comme /ṭ, ḍ, ẓ/ etc., comme comportant une rétraction de la racine de la langue. Alors que pour /q, t, x, γ/, il y aurait simplement une constriction pharyngo-laryngale. Je ne sais pas si vous êtes d'accord avec ce point de vue.

Mme Boff Dkhissi :

Sur quelles bases a t-il avancé cela ?

M. Boukous :

Sur des bases articulatoires et acoustiques.

Question (adressée à M. Bounfour).

Vous avez dit que dans les discours autobiographiques indépendants, il y avait une certaine culture occidentale et que cela était valable surtout pour Taha Hussein, nous savons que celui-ci a vécu en France. Il est donc normal qu'il soit influencé par les courants littéraires qui existaient en France à cette époque. Cela est peut-être valable également pour Mohammed Abdouh. Vous remarquez que je ne parle que des auteurs Egyptiens ; j'aimerais savoir si pour les gens qui n'ont vécu qu'en Egypte, et qui ont été obligés de la quitter pour des raisons politiques, leur discours autobiographique implique automatiquement le fait qu'ils soient imprégnés de ce que j'appellerai « occidentalisme ». D'autre part, j'aimerais savoir ce que vous entendez par le mot « indépendant » dans culture « indépendante » ?

Mr Bounfour :

Dans la mesure où le discours autobiographique est indépendant des autres discours. Vous savez, on a essayé de définir les caractéristiques d'un discours autobiographique, on a essayé de l'opposer, par exemple, au journal intime, aux mémoires, au roman et ainsi de suite. On a vu, par exemple, que dans la littérature occidentale, le discours autobiographique a commencé à se détacher de ces centres types de discours à partir du XVIIIè siècle, essentiellement avec les confessions de J.J. Rousseau.

Je n'ai pas parlé de culture indépendante mais de discours indépendant par rapport aux autres.

Questionneur : indépendant, c'est à dire qui se rapporte uniquement à la vie de l'auteur, c'est à dire de celui qui fait sa propre biographie ?

Mr Bounfour :

Indépendant par plusieurs critères. Il y en a trois ou quatre importants, dans l'autobiographie :

1) Il faut que ce soit un récit

2) Il faut que ce récit concerne un personnage et ce personnage est identique à l'auteur.

3. Il faut que cela soit un discours en prose.

Le plus important, c'est effectivement l'identité de l'auteur et du personnage du texte. Alors, dans les autres biographies, on retrouve plus au moins ces critères mais il est nécessaire que le critère fondamental s'y retrouve. Si vous prenez Rousseau, on peut appliquer ces critères et montrer qu'il s'agit d'une autobiographie mais si vous prenez, par exemple, une autobiographie où l'auteur ne se nomme pas, utilise la troisième personne et ainsi de suite... Il y a des problèmes de ce genre.

Alors quand je dis « indépendant » c'est à dire lorsque le discours devient, je dirai même un discours stéréotypé et que l'auteur parle de lui même ; prenez **les Mots** de Sartre par exemple.

Questionneur : Cela suppose un narrateur qui se détache de son auteur, et le narrateur tout simplement est l'auteur lui même qui fait sa propre biographie.

Mr Bounfour :

C'est à dire narrateur = auteur.

Voilà ce qu'est le discours autobiographique.

(Après Réponse de M. Bounfour).

M. Saib :

(à Mme Boff-Dkhissi) :
Je voudrais mentionner un autre exemple où le /ṛ/ en Tamazight a le même effet emphatisant. Il s'agit de /aγrum/ « pain » que je transcrirais /aγṛọm/.

Question à M. Boukous

Sujet : similitude ou différence entre le /d/ et le /ḍ/ des exemples au tableau.

M. Boukous :

Il s'agit de deux phonèmes à part entière qui ont donc un statut phonologique tout à fait individualisé.

M. Chadli (Président de Séance) :

Je remercie MM. Jilali SAIB, Ahmed BOUKOUS et Abdallah BOUNFOUR, tous de l'Université Mohamed V et je déclare la séance close.

Les consonnes d'arrière de l'arabe classique : étude articulatoire et acoustique

DKHISSI-Boff M. Christine (*)

Nous exposons les résultats d'un travail de recherche en Phonétique Générale et Expérimentale, élaboré et réalisé à l'Institut de Phonétique de Strasbourg, sous la direction de Madame le Professeur P. Simon. Plusieurs méthodes d'investigation ont été utilisées conjointement : radiocinématographie, méthodes graphiques, sonagraphie. Le corpus, composé de courtes phrases de trois à sept syllabes, a été prononcé par quatre locuteurs marocains, des étudiants résidant à Strasbourg, originaires des régions de Fès, Oujda et Al-Jadida.

L'étude porte sur les consonnes typiques de l'arabe classique, à savoir les consonnes d'arrière.

Les consonnes apparaissent dans différentes positions dans le mot, dans des paires minimales les opposant entre elles.

La classification de ces consonnes fait l'objet de multiples controverses, tant du point de vue de leur localisation que du phénomène de l'emphase, et de l'interprétation des caractéristiques retenues par les grammairiens arabes. Le présent travail permet de caractériser ces différentes consonnes sur le plan articulatoire et acoustique, de les situer par rapport à l'emphase, de préciser leur statut au niveau du système phonologique.

1. Méthodes de recherche

a) Radiocinématographie

Pour étudier les positions et les mouvements des organes articulatoires pendant la parole, cette méthode est de loin la plus avantageuse, parmi d'autres méthodes employées en Phonétique Expérimentale. Elle donne une image dynamique directe du mouvement organique de profil pendant

(*) Faculté des Lettres Université Mohammed V — Rabat

la parole (sur le plan sagittal médian). Cette méthode a été utilisée avec l'un des quatre locuteurs. Deux films radiologiques (d'une durée totale de 2 mn) ont été réalisés au centre Médico Chirurgical de Strasbourg-Schiltigheim dans le Département d'Hémodynamique et d'Explorations Cardiovasculaires, dirigé par le Dr F. Wolff. La vitesse de déroulement des films a été réglée à 50 images / sec. L'enregistrement sonore sur bande magnétique accompagne la prise de vue. L'analyse s'est faite à partir de films 16 mm en positif obtenus par réduction des films 35 mm en négatif. Un système de synchronisation graphique entre le son et l'image (mis au point au Laboratoire de Phonétique) permet d'établir la correspondance entre les mouvements articulatoires et la réalisation acoustique des séquences. Ce système assure une délimitation rigoureuse et facile des phrases prononcées, par l'établissement d'une correspondance entre des impulsions figurant sur un oscillogramme et les images du film. Un système de mesures a été mis au point, à partir de points fixes, avec un balayage en degrés, pour exploiter les images sélectionnées et reproduites au crayon.

Ce système permet de donner le lieu d'articulation, la largeur du contact ou du rétrécissement maximal pour toutes les réalisation des consonnes étudiées.

b) Mèthodes graphiques.

En complément à l'étude articulatoire faite à partir des radiofilms, nous avons utilisé des méthodes graphiques : l'oscillogramme à une ligne synchrone des radiofilms, et le mingogramme à quatre lignes, qui donne une image dynamique du mode articulatoire et de la pression d'air pendant l'émission de la parole, et nous renseigne, de façon indirecte, sur le comportement laryngé (présence ou absence de sonorité) et sur le mouvement du voile du palais (présence ou absence de nasalité).

c) Sonagraphie

200 sonagrammes (donnant une représentation de l'émission vocale en fonction de la fréquence, de l'intensité et du temps) ont été réalisés à partir d'enregistrements faits en salle insonorisée, et utilisés notamment pour l'analyse acoustique.

Les deux dernières méthodes (mingographie et sonagraphie) ont été utilisées pour les quatre locuteurs. La multiplicité des méthodes d'investigation est un avantage dont nous n'avons pas négligé l'importance. Cela permet une comparaison des résultats obtenus par les unes et les autres, l'une palliant l'insuffisance de l'autre. C'est ainsi que les sonagrammes et mingogrammes à quatre lignes confirment que les quatres locuteurs présentent les mêmes realisations pour les différentes consonnes étudiées. et confirment par là-même l'analyse articulatoire faite à partir de la radiocinématographie.

2. Résultats

2.1 Aspect articulatoire

a) Les consonnes uvulaires /ẖ/,/ġ/,/q/ (خ غ ق)

Les consonnes /ẖ/ et /ġ/ sont des consonnes constrictives quant à leur mode articulatoire. Ce sont des fricatives sur le plan acoustique. La consonne /ẖ/ est sourde et /ġ/ est sonore. Leur lieu d'articulation est dorso-vélaire ou dorso-uvulaire selon l'entourage phonétique. Elles correspondent à la consonne occlusive sourde /q/ de même lieu d'articulation.

Le mouvement articulatoire observé sur les radiofilms pour les consonnes /ẖ/ et /ġ/ est similaire. Ce mouvement se décompose en deux phases distinctes. Il comporte une constriction initiale dans la cavité pharyngale (à mi-hauteur de celle-ci) entre la paroi pharyngale postérieure et la racine de la langue tandis que le voile, en position relevée, amorce un relâchement et que le maxillaire inférieur s'abaisse. Dans une deuxième phase, la constriction s'élargit et remonte dans le pharynx, au fur et à mesure que le dos de la langue se bombe en direction du voile ; ce dernier prend une forme incurvée vers l'avant pour contribuer à la réalisation d'un battement de la luette ou du voile lui-même, qui entrent en contact avec le dos de la langue le temps d'une image. L'ensemble du mouvement organique semble avoir pour cible ce contact final. Si la constriction pharyngale qui précède n'est pas négligeable, le mouvement du voile est cependant essentiel dans la production des consonnes /ẖ/ et /g/. car son volume, du fait de son relâchement, est très important, et occupe l'espace appelé « isthme du gosier ». Le fait que l'air phonateur rencontre cet obstacle est sans doute à l'origine du bruit de friction perçu pendant l'émission de ces consonnes. On a affaire ici, selon le terme de J.C. LAFON, à un « roulement », mais de type irrégulier, donnant lieu au battement d'un organe peu tendu, en l'occurrence le voile du palais ou la luette, qui module ainsi le son émis par le larynx. Nous avons pu observer un mouvement articulatoire similaire à celui des consonnes /h/ et /g/ pour la consonne /q/. Ces trois consonnes participent en effet d'un même mouvement circulaire de la langue, qui, avec la participation du voile, produit dans le cas de /ẖ-ġ/ une constriction aboutissant à une contact dorso-vélaire ou dorso-uvulaire, et dans le cas de /q/, une occlusion de même lieu d'articulation. Ces trois consonnes appartiennent donc, au niveau phonologique, à la même classe de localisation. Les travaux de S. GHAZELI aboutissent aux mêmes conclusions. Si nous comparons ces trois consonnes à la consonne occlusive sourde /k/, nous constatons que leur lieu d'articulation est nettement postérieur par rapport à celui de /k/, qui est palatal ou post-palatal. Le mouvement articulatoire de cette consonne est tout à fait différent de celui des trois précédentes, puisqu'il ne comporte pas la moindre participation du voile ou de la luette, et que le volume de la cavité pharyngale est très grand. Si l'on considère l'ensemble du système consonantique de l'arabe classique, la consonne /k/ se trouve à la limite entre les consonnes de lieu d'articulation antérieur (qui sont nombreuses), et les consonnes d'arrière.

La consonne /k/ occupe ainsi une position centrale, mais antérieure par rapport aux consonnes /h̲ ġ q/.

Si nous nous référons aux publications, nous constatons un accord quasi-général des auteurs, notamment J. CANTINEAU, R. JAKOBSON, D. COHEN, S.H. AL-ANI pour une localisation vélaire des consonnes /h̲/ et /ġ/, aussi bien dans des études expérimentales que non-expérimentales. De même leur mode articulatoire constrictif n'est mis en doute par personne. Quant à /q/, S. GHAZELI et J.F. BONNOT notamment donnent également une localisation uvulaire pour cette occlusive.

L'étude expérimentale de P. DELATTRE aboutit par contre à des conclusions différentes. Cet auteur considère en effet les consonnes /h̲ ġ/ comme des constrictives paryngales et /q/ comme une occlusive pharyngale, mais il précise « du pharynx supérieur », les opposant ainsi à /ḥ/ et /^{c}/, constrictives « du pharynx inférieur ». La description articulatoire de ce chercheur ne diffère pas de celle que nous venons de proposer, mais P. DELATTRE se fonde sur la présence de la constriction pharyngale qui a lieu au début du mouvement circulaire de la langue pour considérer les consonnes /h̲ ġ/ (ainsi que /q/) comme des pharyngales, sans tenir compte du mouvement organique qui suit.

En effet, si comme il le précise, il se produit un renflement du dos de la langue vers le voile et des mouvements de la luette ou du voile vers la langue, il est évident que l'on a affaire à une articulation dorso-vélaire ou dorso-uvulaire. La fig. 1 de l'article cité (p. 130) apporte la preuve d'une participation active du voile dans la réalisation de la consonne /h̲/ (notée X) et de la luette pour /ġ/ (notée Ṛ) : le lieu d'articulation est vélaire ou uvulaire, mais non pharyngal, malgré la constriction pharyngale importante. De même l'image présentant la consonne /q/ montre une occlusion uvulaire et non pharyngale.

Les films radiologiques nous ont permis de mettre en lumière, d'autre part, une différence essentielle entre les consonnes /h̲ ġ q/ et les consonnes pharyngales /ḥ/ et /^{c}/, que nous exposons ci-dessous.

b) Les consonnes pharyngales /ḥ/ et /c/ ح ع

Les consonnes /ḥ/ et /^{c}/ sont des constrictives quant à leur mode articulatoire et des pharyngales quant à leur lieu d'articulation. La consonne /ḥ/ est une sourde, et /^{c}/ sa correspondante sonore. Les films radiologiques révèlent pendant leur réalisation un mouvement articulatoire particulier. Le rétrécissement maximal se situe dans le bas de la cavité pharyngale ou laryngo-pharynx, entre la paroi pharyngale postérieure et la racine de la langue à laquelle, dans un mouvement ascendant, l'épiglotte (élément cartilagineux qui par un mouvement de bascule vers l'arrière, ferme le larynx pendant la déglutition) est venue s'accoler. Le lieu d'articulation de ces consonnes est donc entre la paroi pharyngale

postérieure et l'ensemble que forment la racine de la langue et l'épiglotte. Il semble parfois qu'au moment du rétrécissement maximal, l'épiglotte se dirige vers la paroi postérieure du pharynx (une légère protubérance est visible de profil) tout en restant solidaire de la racine de la langue.

D'autre chercheurs mentionnent également l'épiglotte dans leurs travaux, notamment S. GHAZELI et A. LAUFER – I.D. CONDAX, mais selon eux la constriction maximale a lieu entre la paroi pharyngale postérieure et l'épiglotte. S. GHAZELLI a utilisé une méthode similaire à la radiocinématographie, la cinéfluorographie ; il note une élévation des structures dans le bas de la cavité pharyngale et une compression antéro-postérieure de la cavité pharyngale sous l'épiglotte ; nos travaux confirment ces résultats. A. LAUFER – I.D. CONDAX ont utilisé une méthode d'investigation différente : un fibroscope placé dans le pharynx supérieur leur a permis d'observer la cavité pharyngale d'en haut et, partant, le mouvement de l'épiglotte vers l'arrière. Ces chercheurs considèrent l'épiglotte comme le seul articulateur pour les consonnes pharyngales, car selon eux l'articulation se situe entre l'épiglotte et la paroi pharyngale, jamais entre celle-ci et la langue. La technique utilisée se limite à une seule dimension : vue de haut en bas. La radiocinématographie, par contre, offre une vue de profil et permet d'observer le mouvement dans son ensemble : montée de l'épiglotte, accolement à la base de la racine de la langue, suivis d'un mouvement de l'épiglotte et de la racine de la langue vers la paroi pharyngale postérieure. Contrairement à S. GHAZELI et A. LAUFER – I.D. CONDAX, nous ne dirons pas que ce mouvement est indépendant de celui de la racine de la langue, mais que ces deux éléments (racine de la langue et épiglotte) participent d'une même et unique contraction. Les consonnes /ḥ/ et /ᶜ/ sont donc les seules pharyngales. La classification de P. DELATTRE des consonnes /ẖ ġ q/ parmi les consonnes pharyngales est ainsi infirmée, de même que la généralisation qu'il propose pour la jota espagnole, l'ach-Laut allemand et la consonne /R/ du français notamment, en tant que constrictives du pharynx supérieur. Nos résultats sont par contre en accord avec les siens en ce qui concerne les pharyngales proprement dites, localisées dans le bas-pharynx. La présente étude infirme par ailleurs la classification donnée par A. DENZ, qui considère les consonnes /ḥ/ et /ᶜ/ comme des laryngales. Nous estimons en effet que la localisation des consonnes pharyngales /ḥ/ et /ᶜ/ et le caractère spécifique de leur mouvement articulatoire exclut de ce type consonantique toute consonne qui n'en possède pas les caractéristiques. Les consonnes /ẖ ġ q/ présentent un mouvement articulatoire très différent et leur lieu d'articulation est bien plus élevé. Celui des consonnes pharyngales /ḥ/ et /ᶜ/ est, quant à lui, élevé par rapport aux consonnes laryngales /h/ et /ʔ/.

En ce qui concerne la consonne /ᶜ/, les résultats obtenus par nous-même et par d'autres chercheurs mettent en lumière le caractère consonantique indéniable de celle-ci. L'interprétation phonologique d'A. AVRAM, qui

classe /ᶜ/ parmi les semi-consonnes, en faisant le partenaire interrompu d'un soi-disant phonème «continu» représentant l'ʔalif (qui n'est pas un phonème de l'arabe classique) est par conséquent inacceptable. La classification des grammairiers arabes de cette consonne parmi les bayna-bayna, «intermediaires» entre les hurūf šadīda (correspondant aux occlusives) et les hurūf riẖwa (correspondant aux constrictives) ne trouve pas de justification expérimentale. Les autres consonnes intermédiaires à savoir /r l (n) w y/ sont en effet isolées dans le système phonologique, mais /ᶜ/ s'y intègre parfaitement puisqu'elle a un partenaire sourd (/ḥ/). Sa place est donc parmi les riẖwa. La réalisation occlusive de cette consonne, que signale S.H. Al-ANI est par ailleurs un cas d'exception parmi les réalisations de nos locuteurs : nous en avons une seule occurrence, en position initiale (aucune réalisation de ce type n'apparaît par ailleurs, ni sur les radiofilms.)

c) Les consonne laryngales /h/ et /ʔ/ (ه ء)

Les consonnes /h/ et /ʔ/ sont des laryngales quant à leur lieu d'articulation. La consonne /h/ est une constrictive, /ʔ/ est l'occlusive glottale. Ni l'une ni l'autre ne possède, au niveau des cavités supraglottiques, de position articulatoire spécifique. Elles présentent les traits articulatoires (et acoustiques) des voyelles précédentes et suivantes. Elles sont caractérisées pourtant par une constriction supérieure à celle des voyelles adjacentes, en particulier de la voyelle /a/, dans la cavité pharyngale. Elles se distinguent par leur mode articulatoire. Cette différence se répercute au niveau de leur comportement articulatoire. Ainsi l'occlusive /ʔ/ manifeste une grande énergie et une grande stabilité articulatoires tandis que la contrictive /h/ se caractérise par une faiblesse et une instabilité articulatoires très nettes.

2.2 Présentation des consonnes emphatique.

Les consonnes /ẖ ġ q ḥ ᶜ/ sont considérées par divers auteurs comme des emphatiques. Les travaux de D.H. OBRECHT, L.H. ALI-R.G. DANILOFF et J.F. BONNOT ont mis en lumière que la caractéristique essentielle des consonnes emphatiques réside dans leur deuxième lieu d'articulation postérieur, simultané à leur lieu d'articulation principal antérieur, qu'elles ont en commun avec leurs correspondantes non emphatiques. Il se produit en effet une constriction maximale à mi-hauteur du pharynx qui affecte par ailleurs le volume de toute la cavité pharyngale. L'existence de ce deuxième lieu d'articulation relève d'un «travail accessoire». Le changement de configuration des cavités buccale et pharyngale a une incidence directe au niveau acoustique. La postériorisation de la langue, pour les consonnes emphatiques, se traduit par une élévation de F1 et une baisse de F2 dans l'entourage vocalique. Le rapprochement de F2 et F1 est considéré comme l'effet acoustique caractéristique de ce type de

consonne. R. JAKOBSON, dans la perspective des **Preliminaries to speech analysis,** l'étend à d'autres consonnes, à savoir /ẖ ġ q ḥ ᶜ r l/. L'analyse articulatoire a permis d'établir que les cinq premières consonnes ne présentent pas de deuxième lieu d'articulation, mais un lieu d'articulation postérieur, certes, mais unique.

2.3 **Rapport entre l'aspect articulatoire et l'aspect acoustique.**

Si l'on établit un rapport entre le volume de la cavité pharyngale et F1, de la cavité buccale et F2, pour les consonnes sonores /ġ/ et /ᶜ/ et la voyelle /a/, on obtient les résultats suivants.

a) F 1 de /g/ (443) Hz) est inférieur à F1 de /a/ (591 Hz), lui même inférieur à F1 de /ᶜ/ (632 Hz). Le volume de la cavité pharyngale diminue de /ġ/ à /ᶜ/. F1 de /a/ est plus bas dans l'entourage de /ġ/ (547 Hz) qu'avec /ᶜ/ (626 Hz) P. DELATTRE a obtenu les mêmes résultats pour F1. L'expérimentation confirme donc la théorie acoustique en ce qui concerne le rapport entre F1 et le volume de la cavité pharyngale : une petite cavité pharyngale détermine un F1 élevé.

b) Le rapport entre F2 et la cavité buccale est plus complexe. P. DELATTRE établit le rapport suivant : une petite cavité buccale détermine un F2 élevé (ce qui est vérifié pour la voyelle /i/). La cavité buccale est plus grande pour /ᶜ/ que pour /a/ et /ġ/. F2 devrait donc être plus élevé pour /ġ/.

Or il n'en est rien. F2 de /ᶜ/ (1651 Hz) est supérieur à F2 de /a/ (1501 Hz), lui même supérieur à F2 de /ġ/ (1305 Hz). F2 de /a/ en présence de /ᶜ/ (1597 Hz) est supérieur à F2 de /a/ avec /ġ/ (1362 Hz). Nous constatons que, bien que le volume de la cavité buccale soit plus grand pour la pharyngale, son F2 est élevé, et que sa présence entraîne une élévation du F2 de la voyelle /a/, contrairement à l'uvulaire, qui l'abaisse. Cet abaissement de F2 s'explique : pour G. FANT, une constriction maximale au milieu de la cavité buccale est optimale pour un F2 élevé, tandis qu'une constriction maximale dans le haut pharynx est optimale pour un F2 bas.

Traits acoustiques des consonnes uvulaires :

F2 et F1 relativement bas ; elles entraînent une baisse des F2 et F1 vocaliques élevés (voyelles /a/ et /i/), mais une élévation des F2 et F1 vocaliques bas (voyelles /u/ et /i/)

Traits acoustiques des consonnes pharyngales :

F1 très élevé (le plus élevé), F2 relativement élevé, elles entraînent une élevation de tous les F1 vocaliques (voyelles /a i u/) et une élévation des F2 bas (voyelle /u/) ou relativement bas (voyelle /a/), mais une baisse des F2 très élevés (voyelle /i/). Le F2 élevé de la voyelle /i/ est sans doute à l'origine de bien des confusions, puisqu'il se produit un rapprochement de F2 et F1 pour cette voyelle avec les pharyngales et les emphatiques.

Le tableau ci-dessous résume les données présentées.

	ġ u	ᶜ u	ġ i	ᶜ i	ġ a	ᶜ a
F2	↗	↗	↘	↘	↘	↗
F1	↗	↗	↗	↗	↘	↗
F1 – F2	↗	↗	↘↗	↘↗	↘	↗

Notons que si F2 et F1 montent, la voyelle /u/ se réalise [o] ; d'autre part si F2 et F1 se rapprochent, la voyelle /i/ se réalise [e].

Remarque :

Il se produit un rapprochement systématique des F2 et F1 des consonnes étudiées (ou dans les zones correspondantes dans le spectre) en entourage emphatique /ṣ/ ou /ṭ/(ص ط) , tandis que ce phénomène n'apparaît jamais, dans les mêmes conditions, en entourage non emphatique /s/ ou /t/ (س ت). Ces consonnes subissent donc l'effet des consonnes emphatiques aussi bien que les voyelles de l'entourage immédiat.

2.4 **Caractérisation des grammairiens arabes.**

Les grammairiens arabes font la distinction entre trois notions, liées à celle « d'emphase ».

Les consonnes muṭbaqa /ṣ ḍ ḏ ṭ/ (ص ض ظ ط), contrairement aux consonnes munfatiḥa, présentent deux lieux d'articulation et une élévation du dos de la langue vers le palais. De ces deux spécifications, les différentes études expérimentales (J.F. BONNOT, S. GHAZELI et la nôtre) ne retiennent que la première, car aucune élévation du dos de la langue vers le palais n'a été observée dans le mouvement articulatoire des emphatiques.

La notion d'ʔistiᶜla serait en rapport direct avec l'emphase (pour les consonnes mustaᶜliyya) ; elle se traduirait par une élévation du dos de la langue vers le palais pour les quatre mutbaqa et pour /ẖ ġ q/. Des auteurs tardifs y ajoutent /h/.

Les consonnes mufaẖẖama : le tafẖīm traduirait une impression acoustique « grosse » « épaisse » produite par les mutbaqa, les mustaᶜliyya et certains cas particuliers de /r/ et /l/. Contrairement aux muraqqaqa, elles empêchent Lʔimala de la voyelle /a/, qui est son altération vers [e]. R. JAKOBSON fait correspondre la notion d'emphase au tafẖīm. Pour préciser cette impression, il y aurait lieu de faire une étude perceptuelle appropriée.

D. COHEN présente ces trois notions dans un rapport d'inclusion, sur le plan phonologique. En ce qui concerne les deux premières notions, son analyse trouve une confirmation expérimentale, les consonnes /ẖ ġ q/ étant caractérisées par une articulation vélaire ou uvulaire proprement dite, par opposition aux consonnes emphatiques, pour lesquelles le deuxième lieu d'articulation postérieur relève d'un « travail accessoire ». La classification par les grammairiens arabes de ces trois consonnes à l'écart des muṭbaqa se justifie donc ; mais leur description des mustaᶜliyya ne correspond pas tout à fait à la nôtre, puisque l'élévation du dos de la langue, prédédée d'une postériorisation, a lieu dans la région vélaire, et non palatale. Ces trois consonnes formant un groupe homogène au point de vue articulatoire et acoustique, il est tentant de les qualifier de mustaᶜliyya, avec les grammairiens arabes, mais cette notion ne recouvre pas la totalité du mouvement articulatoire qui les caractérise et convient tout aussi bien, sinon mieux, à la consonne /k/, pour laquelle le dos de la langue s'élève effectivement vers le palais. C'est pourquoi nous n'adopterons pas la classification des grammairiens arabes ; nous définirons par contre les trois consonnes /ẖ ġ q/ comme des non-emphatiques, les distinguant ainsi nettement, avec eux, des quatre consonnes muṭbaqa, qui sont les seules emphatiques. Quant aux pharyngales, nous avons vu qu'elles ont un lieu d'articulation unique et que leurs caractéristiques acoustiques, tout comme celles des uvulaires, ne sont pas les mêmes que celles des consonnes emphatiques. Toutes ces consonnes ainsi que /h/ et /ʔ/ subissent elles-mêmes les effets des emphatiques, ce qui confirme leur caractère non-emphatique.

Nous infirmons par conséquent les classifications des divers auteurs les ayant considérées comme telles et confirmons celle de J. CANTINEAU et des grammairiens arabes, en limitant le phénomène de l'emphase aux quatre muṭbaqa. Nous infirmons donc celle de N.S. TROUBETZKOY, qui considère /ġ/ comme l'emphatique de /ž/ et celle de P. DELATTRE qui considère les pharyngales /ḥ ᶜ/ comme les emphatiques de /ẖ ġ/, à cause de leur lieu d'articulation plus reculé sans doute. N.S. TROUBERTZKOY considère en outre /ḥ/ comme l'emphatique de la laryngale /h/ (de même que R. JAKOBSON, pour qui la deuxième pharyngale /ᶜ/ serait l'emphatique de /ʔ/).

Conclusion :

Nous proposons ci-dessous un classement des consonnes d'arrière sur le plan phonologique.

	Lieu d'Articulation				
Mode articulatoire	(post) palatal	uvulaire	pharyngal	laryngal	sonorité
Occlusif	k	q		?	Sourde
Constrictif		ẖ	ḥ	h	Sourde
Constrictif		ġ	ᶜ		Sonore

Ce tableau met en relief l'opposition de mode articulatoire qui distingue /?/ de /h/ et /q/ de /ẖ/, et d'autre part la différence de localisation entre /q/ et /k/.

La localisation est pertinente entre les trois consonnes sourdes /ẖ ḥ h/ et /k q ?/, et les deux consonnes sonores /ġ ᶜ/. La notion d'emphase est absente de ce tableau, puisqu'elle ne concerne pas les consonnes qui y figurent.

Références.

AL-ANI (S.H), **Arabic Phonology**, Mouton, Paris 1970

ALI L.H. – DANILOFF R.G. A cinefluorographic investigation of emphatic sound assimilation in Arabic, **Actes du VIIIème Congrès International des Sciences Phonétiques**, Montréal, 1971, p. 639-648, 1972.

– A contrastive cinefluorographic investigation of emphatic-non-emphatic cognate consonants, **Studia Linguistica**, vol. 26, n° 2, 1972, p. 81-105.

AVRAM. (A), Sur la classification des phonèmes notés ?alif et ᶜayn en arabe classique, **Revue Roumaine de Linguistique**, XVI, n° 6, 1971, p. 453-468.

BONNOT (J.F.), **Contribution à l'étude des consonnes emphatiques de l'arabe, à partir de méthodes expérimentales**, Thèse de Doctorat de 3ème cycle (dactylographiée), Université des Sciences Humaines de Strasbourg, 1976.

CANTINEAU (J.), Esquisse d'une phonologie de l'arabe classique **B.S.L.**, n° 43, 1946. p. 93-140, réédité dans **Etudes de Linguistique arabe**, Paris 1960.

COHEN (D.), sur le statut phonologique de l'emphase en arabe, **WORD**, vol. 25, n° 3, 1969, p. 53-69.

DELATTRE (P.) ; Pharyngeal features in the consonants of Arabic,

German, Spanish, French and American English, **Phonetica,** 23, 1971, p. 129, 155.

DENZ. (A), Die phonetische Beschaffenheit der laryngale im Arabischen und irhe phonologische Systematisierung, **Z.D.M.G.** CXIV, 1964, p. 232-238

FANT (G.), **Speech sounds and features,** the MIT Press, Cambridge, Massachussetts, and London 1973.

GHAZELI (S.) **Back consonants and backing coarticulation in Arabic,** Ph. D. dissertation, University of Texas at Austin, 1977.

JAKOBSON (R). FANT (G.) HALLE (M.), **Preliminaries to speech analysis ; the distinctive features and their correlates,** cambridge, Massachussetts, MIT Press, 10e ed., 1972.

JAKOBSON (R.), Mufaẖẖama, the «emphatic» phonemes in Arabic, **Studies presented to Joshuah Whatmough,** La Haye, 1957 p. 105-115.

LAFON (J.C.), **Message et Phonétique : introduction à l'étude acoustique et physiologique du phonème,** P.U.F. Paris 1961.

LAUFER (A.), The epiglottis as an articulator, **Actes du IXème Congrès International des Sciences Phonétiques,** Copenhague, vol. 1, p. 199.

LAUFER (A.). CONDAX (I.D.) The epiglottis as an articulator, **Working Papers in Phonetics,** U.C.L.A., Mars 1979, p. 60-83.

OBRECHT (D.H.), **Effects of the second formant in the perception of velarization consonants in Arabic,** Mouton, The Hague, Paris, 1968.

SIBAWAYHI, **Kitāb,** ed. H. Derenbourg, Paris T.I., 1881, T. II, 1889.

SIMON (P.) les films radiologiques et les aspects génétiques des sons du langage, **Orbis,** X, 1961, p. 47-68.

– **Les consonnes françaises à la lumière de la radiocinématographie,** Lib. C. Klincksieck, Paris, 1967.

TROUBETZKOY (N.S.), **Principes de Phonologie,** Traduction de J. Cantineau, Lib. C. Klincksieck, Paris (1949) éd. 1976.

Les consonnes géminées et les types de régles

Abderrafi BENHALLAM (*)

Les études phonologiques concernant les consonnes géminées ont proliféré récemment. Ces études se sont intéressées plus particulièrement a des questions telles que : doit on traiter les géminées comme deux consonnes simples ou comme une seule consonne longue ? Quels genres de règles peuvent les séparer, si elles sont vraiment deux consonnes simples ? Quelle est la différence entre les règles qui peuvent s'appliquer aux géminées et celles qui ne peuvent pas ? Bien que la première question ait été traitée à maintes reprises, les deux dernières ont été discutées d'une manière plutôt incomplète, et quelques aspects importants de ces questions ont été négligés. La discussion de ces questions a, d'autre part, conduit les linguistes à faire des généralisations accordant aux géminées un statut special. Alors que les géminées se comportent différemment des autres segments, toutes les généralisations qui ont été faites se sont avérées inadequates. Ceci résulta de deux facteurs : ou bien le corpus étudié n'était pas assez étendu, ou bien l'analyse était incorrecte. Dans une première partie, nous tenterons de passer en revue ces études et de montrer leurs imperfections. Dans un deuxième temps, nous nous attacherons à démontrer qu'une analyse se fondant à la fois sur des règles phonologiques et des règles morphologiques serait plus adéquate. Cette méthode permettrait en effet de résoudre les problèmes posés par les études entreprises à ce jour. Finalement, nous traiterons des implications théoriques de cette analyse en nous basant sur certains corpus, en particulier ceux de Miller (1969) et Pyle (1974), pour étayer notre thèse.

(*) Faculté des Lettres, Rabat.

Kenstowicz et Pyle (1973) analysent plusieurs langues pour démontrer que les géminées ont un comportement différent de celui des autres consonnes. Nous nous contenterons d'examiner les exemples qu'ils tirent du kasem (langue de l'Afrique de l'Ouest) et de l'arabe tunisien.

Le kasem suit une règle de troncation qui s'applique à des mots comme le pluriel de « marmite » :

(1)	kàmbi + i	forme sous-jacente
	kambi	troncation
	kambi	forme phonétique

Il existe aussi une règle de métathèse qui rend compte de la dérivation de mots tels que le pluriel de « derrière » (**kwe** dérivé de /kaug + i/)

(2)	kaug + i	forme sous jacente
	kau + i	suppression vélaire
	kua + i	métathèse
	kue	contraction
	kwe	u → w et forme phonétique

La métathèse n'a pas lieu dans le cas ou elle conduirait à la séparation de deux voyelles géminées, comme c'est le cas pour **pe** « moutons » :

(3)	**pai** + i	forme sous-jacente
	———	métathèse
	pai	troncation
	pe	contraction et forme phonétique

Kenstowicz et Pyle suggèrent qu'avec une contrainte universelle, la métathèse serait bloquée et l'on dériverait la forme correcte.

En ce qui concerne l'arabe tunisien, la preuve est empruntée à la réalisation du nom défini qui se forme généralement en ajoutant le préfixe **il** (article défini) à l'indéfini du nom :

ktēb « un livre » ilktēb « le livre »

Le défini à une forme alternative dérivée par métathèse, qui fait permuter la voyelle initiale avec la consonne qui la suit, ce qui donne **liktēb.**

Il existe également un phénomène d'assimilation selon la règle suivante :

(4) l]défini C
1 2 3 → 3 2 3
condition : 3 = [+ coronal]

Lorsque ce processus d'assimilation se produit, la métathèse ne peut avoir lieu, car cela conduirait à la séparation des deux géminées qui résultent de l'assimilation. Voici les dérivation correcte et incorrecte du nom « lettre » :

(5)	il + ž wēb	forme sous jacente	il žwēb
	iž + žwēb	assimilation	ižž wēb
	——— —	métathèse	žižwēb
	ižž wēb	forme phonétique	* žižwēb

Comme dans le cas du kasem, Kenstowicz et Pyle suggèrent qu'il existe une contrainte universelle qui expliquerait la non-application de la règle de métathèse, et ils formulent cette contrainte comme suit :

L'HYPOTHESE D'INTEGRITE :

Toutes choses étant égales par ailleurs, une règle qui sépare un groupe de géminées a moins de valeur qu'une règle qui doit être empêchée de s'appliquer.

Selon cette hypothèse, donc, il n'est pas anormal que les règles discutées ci-dessus ne s'appliquent pas dans certains contextes qui satisfassent leur description structurale.

Il serait intéressant d'examiner le sens de cette hypothèse et d'étudier ses conséquences. Un des problèmes majeurs posés par l'Hypothèse d'Integrité est qu'elle n'a pas été entièrement expliquée par ses auteurs. Ils declarent en effet qu'une règle qui sépare des géminées « coûte plus cher » pour la théorie, c'est-à-dire qu'elle est moins valable ; cependant, il ne ressort pas clairement de leur analyse qu'il leur semble plus naturel qu'une langue ait des règles de séparation de géminées ou non. De même, ils laissent entier le problème de savoir si une grammaire n'ayant pas de règles de séparation serait préférée à une grammaire où ces règles existent, toutes choses étant égales par ailleurs. Faut-il considérer qu'une grammaire sans règles séparant les géminées est préférable à une grammaire autrement plus simple mais qui connait les règles citées ci-dessus ?

Malgré la discussion entreprise par Kenstowicz et Pyle à propos de ce que cette hypothèse entraîne pour l'acquisition de la langue, ils ne nous disent pas si les enfants apprenant une langue ayant les deux genres de règles, apprennent d'abord les règles qui ne séparent pas les géminées et seulement plus tard les règles qui les séparent. Tout ceci montre que la notion de « moindre valeur » reste obscure.

Il faut également se demander quel est le genre de prédictions que cette hypothèse, soi-disant universelle, fait à propos des langues naturelles. Il semble évident que l'Hypothèse d'Intégrité entraîne des conséquences implicites en matières de structure syllabique des langues. Considérons à ce propos une partie du corpus discuté par Kenstowicz et Pyle, notamment celle de l'arabe tunisien

(6)	iθθniya	« la route »	* θiθniya

ižžwēb	« la lettre »	* žižwēb
iddbēbiz	« les bouteilles »	* didbēbiz

L'analyse de ce corpus, à la lumière de la discussion de Kenstowicz et Pyle, montre que les structures VCCCVC(V) pour les deux premiers exemples (iθθniya, ižžwēb) et VCCCVCVC pour le troisième exemple (iddbēbiz) sont préférées aux structures CVCCVC(V) et CVCCVCVC, respectivement. En d'autres termes, la syllabe initiale dans les deux premières structures (VCC) serait préférable à CVC dans les deux dernières. Ceci pouvant être vrai pour l'arabe tunisien, il est bien connu que, généralement, les syllabes préférées universellement sont de la forme CV ou CVC. Ce que nous avons donc c'est une hypothèse universelle qui, d'une part expliquerait un phénomène et, d'autre part, créerait des structures compliquées.

Il est clair, donc, que l'Hypothèse d'Intégrité pourrait décrire le corpus en question, mais ses auteurs ne discutent pas certains des problèmes qu'elle implique. Elle pourrait même conduire à de fausses prédictions concernant les langues naturelles. Nous ne proposons pas de rejeter l'hypothèse, mais plutôt de l'améliorer.

Cole (1973) analyse un corpus d'arabe palestinien utilisé par Abdo (1969). L'argument de Cole est qu'il y a des géminées qui sont séparées par une règle phonologique d'épenthèse. Il donne les exemples suivants :

(7)	saadid	sa:d (< /saadd/)	« fermant »
	haalil	ḥa:l (< /haall/)	« ouvrant »

Les exemples de la colonne de gauche seraient le résultat de l'application d'une règle d'épenthèse de **i**. Il ne mentionne guère que **sadd** est la forme neutre. Si on ne prend que le premier verbe, ayant le sens de « fermer », l'on pourrait comparer les trois formes : **saadid, saad** et **sadd.** Les deux dernières étant dérivées de **saadd,** l'une par une règle de simplification de voyelle et l'autre par une règle de dégémination finale, il semble étrange que deux formes différentes soient dérivées d'une même forme sous-jacente s'il n'y a pas une nécessité de distinction morphologique. Si l'on prend en considération le sens et la fonction de chacune des formes, on trouve que la première est un participe présent et l'autre une forme neutre. Les règles qui régissent ces deux formes ne peuvent être, donc, purement phonologiques. La différence entre **saadid** et **sadd** est également clairement morphologique. Donc, il s'avère nécessaire, à ce stade, de distinguer les règles purement phonologiques des règles qui doivent faire appel à des traits morphologiques.

Nous avons nous-même (Benhallam, 1979) essayé de résoudre ces problèmes en suggérant une révision de l'Hypothèse d'Intégrité, comme suit :

L'HYPOTHESE D'INTEGRITE :

> Toutes choses étant égales par ailleurs, une règle phonologique qui sépare un groupe de géminées a moins de valeur qu'une règle qui doit être empêchée de s'appliquer.

Cette nouvelle version avait introduit une distinction importante, étant donné qu'elle mentionne les règles phonologiques. Cela veut dire que les règles qui nécessitent une caractérisation morphologique ne sont pas régies par cette hypothèse. Bien que cette hypothèse rende compte du corpus palestinien et d'un corpus marocain, discuté ci-dessous, elle ne résoud pas tous les problèmes, étant donné que certaines règles phonologiques démentent cette hypothèse dans certains cas (voir ci-dessous).

Une direction semble se dégager de plus en plus clairement. Nous avons montré plus haut que chaque fois que les géminées étaient séparées, en palestinien, il s'agissait d'une distinction morphologique. Si l'on examine les corpus discutés plus haut, il s'avère que les cas sont identiques. On a vu qu'en kasem, dans le cas de **pe,** la règle phonologique de métathèse ne s'applique pas. Il faut noter, en passant, qu'il s'agissait de géminées dérivées (l'une appartenant à la racine, et l'autre étant un suffixe). Il en va de même pour l'arabe tunisien : la règle de métathèse ne s'applique pas non-plus et il s'agit également de géminées dérivées. Donc, pour récapituler, en arabe palestinien ce sont des géminées sous-jacentes qui sont séparées par une règle qui, si elle n'est pas morphologique, a pour but de réaliser une distinction morphologique. En kasem et en arabe tunisien ce sont des géminées dérivées qui ne sont pas séparées par des règles phonologiques.

Considérons d'autres cas, en commençant par certains exemples tirés de l'arabe classique :

(8)	šubba:k	« fenêtre »			šaba:bi:k	« fenêtres »
	sadd	« barrage »			sudu:d	« barrages »
	žadi:d	« neuf »	?ažadd	« plus neuf »	žudud	« neufs »
	šaqaqtu	« j'ai craqué »				
	šaqaqta	« tu as craqué »				
	šaqqa	« il a craqué »				
	šaqaqtum	« vous avez craqué »				
	šaqqu:	« ils ont craqué »				

Certaines études, particulièrement celle de Brame (1971) et Guerssel (1977), considèrent que toutes les voyelles dans les exemples ci-dessus sont sous-jacentes. Deux problèmes se posent ici : d'abord, il faut s'entendre sur le sens de sous-jacente ; ensuite, si toutes ces voyelles sont sous-jacentes il faut déterminer la forme de base de laquelle toutes les autres formes sont dérivées.

En ce qui concerne le premier point, il s'agit de savoir si la forme sous-jacente est ce qui est donné directement par l'output de la composante syntaxique, ou bien l'input à la composante phonologique. Nous considérons, quant à nous, qu'entre les deux composantes il y a un niveau de morphologie dans lequel les règles à caractéristique morphologique s'appliquent et c'est après cela qu'on obtient la forme sous-jacente, qui est l'input à la composante phonologique. A ce stade, si les deux études mentionnées ci-dessus considérent que la forme sous-jacente est celle qui a déjà subi l'application des règles morphologiques (ce que les auteurs ne font pas clairement ressortir) on se trouve simplement face à des différences de terminologie. Cependant, s'il faut déduire que les auteurs considérent que ces voyelles sont introduites par des règles phonologiques, ce qui semble être le cas pour Brame au moins, le problème est plus sérieux. Nous ne reviendrons pas la-dessus pour le moment, mais notre thèse de 1980 consacre tout un chapitre à la nécessité d'établir cette distinction. Et même ici, il semble évident qu'on a déjà montré qu'il faut distinguer clairement ce qui est morphologique de ce qui est purement phonologique.

En ce qui concerne la seconde question, si on considère **toutes** les voyelles sous-jacentes, il s'agit de savoir quelle est la forme de base. Autrement, est-ce qu'on va considérer toutes les formes du verbe **š̌aqqa,** de **ž̌adi:d, š̌ubba:k,** etc... comme sous-jacentes ? La réponse semble ne pouvoir être que négative. De toutes manières, ce qu'il faut retenir des exemples mentionnés plus haut, c'est que la où les géminées sont séparées, il s'agit de distinctions morphologiques. Ceci rejoint ce qui a été avancé plus haut à propos du kasem, du tunisien et du palestinien.

Considérons d'autres exemples, tirés de l'arabe marocain cette fois-ci :

(9)	ktəb	« il a écrit »	məktub	« écrit (passif) »
	š̌əqq	« il a craqué »	məš̌quq	« craqué (passif) »

Les exemples de gauche sont dérivés par une règle générale d'épenthèse de sheva. Les exemples de droite sont dérivés par une règle morphologique d'insertion de **u**. On voit que dans la deuxième ligne, à l'accompli les géminées sont adjacentes, alors que dans le participe passé passif elles sont séparées. En plus, il faut noter que dans tout le paradigme de l'accompli et de l'inaccompli les géminées ne sont jamais séparées, étant donné qu'on n'a à aucun moment à faire intervenir des règles morphologiques qui sépareraient les géminées.

A ce stade, il est possible de tirer une première conclusion. Au lieu d'utiliser des solutions **ad hoc** comme, par exemple, une réordination ou une reformulation des règles ou un tripotage des formes sous-jacentes, il faut voir ce que le corpus lui-même suggère. Ce qu'on a vu jusqu'à présent peut être résumé et décrit par la formule suivante :

LA LOI DES GEMINEES :

> Les groupes de géminées peuvent être séparés par des règles morphologiques et non par des règles phonologiques.

Cette loi est le résultat d'un examen du corpus présenté plus haut. Elle ne doit pas être considérée comme l'un des universaux des langues naturelles, mais plutôt comme une tendance générale du comportement des groupes de géminées dans ces langues. Pour réfuter cette loi, il faudra trouver un cas de géminées qui sont séparées par une règle phonologique (voir ci-dessous). En effet, la loi prédit l'existence de groupes de géminées qui ne sont pas séparées par des règles phonologiques, étant donné que son but est exactement d'empêcher les règles phonologiques de les séparer. Un cas de géminées non séparées par une règle morphologique n'invaliderait pas la loi.

Considérons certains exemples de l'arabe marocain qui pourraient être pris comme étant contraires à la Loi des Géminées :

(10)	məmdud	/m + mdd/	« couché »
	məmluk	/m + mlk/	« possédé »

Il faut noter que les deux exemples sont des participes passifs et que les deux cas de géminées initiales sont formés par affixation. On peut penser que c'est précisément parce qu'elles sont formées par affixation qu'elles ont été séparées par une règle phonologique. Donc, on devrait peut être distinguer les géminées sous-jacentes (c'est-à-dire faisant partie intégrante de la racine) et les géminées dérivées (c'est-à-dire résultant d'affixation). En outre, la loi des Géminées devrait être reformulée. Elle devrait spécifier qu'elle ne régit que les géminées sous-jacentes (voir cependant ci-dessous).

En ce qui concerne les exemples cités ci-dessus (numéro 10) il faut ajouter qu'ils sont utilisés en débit lent. Lorsque le locuteur parle rapidement on perçoit **mmdud** et **mmluk.** La prononciation lente de ces mots pourrait être considérée comme un cas d'hypercorrection, c'est-à-dire que le locuteur aurait tendance à appliquer la règle d'épenthèse même là ou il ne faut pas. Il serait possible, aussi, que le locuteur tente de garder ces géminées intactes, c'est-à-dire d'empêcher une règle de dégémination de les simplifier. Il est a noter qu'en début de mot les géminées ont, généralement, tendance à se simplifier. Aussi l'arabe marocain évite-t-il les géminées initiales, du moins phonologiquement. A cause de tout cela et à cause du fait que ces deux mots sont seulement perçus en débit lent et aussi à cause du fait qu'ils sont les deux seuls cas dont nous ayons connaissance à propos du marocain, ils ne peuvent être considérés comme des preuves réelles. Ils ne peuvent être utilisés comme preuves allant à l'encontre de la Loi des Géminées que s'il y a d'autres exemples (venant d'autres langues) pour les renforcer.

Nous avons suggéré plus haut qu'il pourrait s'avérer nécessaire de distinguer les géminées dérivées des géminées sous-jacentes. Considérons le cas du pali. Le pali a plusieurs règles d'épenthèse de **i** pour éviter des groupes de plus de deux consonnes. Quand il y a des géminées qui pourraient se traduire par des configurations non-acceptables elles sont soit simplifiées soit séparées. C'est surtout le second cas qui est particulièrement intéressant. Il s'avère que seules les géminées dérivées (celles qui sont séparées par des frontières de morphème) sont séparées ; des géminées qui sont dans le même morphème ne sont jamais séparées.

(11)	/vid + ta/	→	vidita	« connu »
	/pat + ta/	→	patita	« tombé »
	/madd + ta/	→	maddita	« écrasé »
	/sam + tthāna/	→	santhāna	« arrêté »

En comparant le dernier exemple avec les autres et en appliquant la même règle d'épenthèse de **i** on s'attendrait à quelque chose comme :

santithāna ou samtithāna

Mais la règle d'épenthèse, comme nous l'avons déjà dit, ne sépare jamais les géminées sous-jacentes.

Un corpus du lituanien, cité par Pyle (1974), montre que la règle d'épenthèse de **i** qui sépare les groupes de géminées et d'autres consonnes doit mentionner que les géminées sont dérivées. La règle est formulée comme suit :

(12) $\varnothing \rightarrow i \quad / \quad C_1 — C_2$ si C_1 et C_2 sont dans un préfixe et une racine, respectivement et si elles sont des plosives homorganiques.

Cette règle s'applique aux items suivants :

(13)	puti	« pourrir »	/ap + puti/ → apiputi
	begti	« courir »	/ap + begti/ → apibegti

Les corpus du pali et du lituanien n'entrainent pas nécessairement l'invalidation de la Loi des Géminées. Ils montrent plutôt que la loi a mis l'analyse sur une bonne voie. Etant donné que les corpus du pali et du lituanien montrent qu'une distinction entre les géminées phonologiques et les géminées morphologiques s'impose, une révision de la Loi des Géminées s'avère nécessaire ; elle peut donc être reformulée de la manière suivante :

LA LOI DES GEMINEES :

Les géminées sous-jacentes peuvent être séparées par des règles morphologiques, mais pas par des règles phonologiques. Les géminées dérivées peuvent être séparées par des règles phonologiques.

Il faut noter ici que la nouvelle formulation de la loi rend compte des formes **mamluk** et **mamdud** du marocain. Ce qui pourrait être reproché à cette nouvelle formulation c'est qu'elle ne nous dit pas si les règles morphologiques peuvent séparer les géminées dérivées, mais ceci nécessite un corpus qui nous éclairerait sur ces points.

Pour terminer nous donnerons une définition de règle phonologique et une définition de règle morphologique, selon notre thèse.

Règles morphologiques	:	ce sont des règles qui ne sont pas phonologiquement plausibles, et qui s'appliquent dans des contextes catégoriels (verbe, adjectif, nom...)
Règles phonologiques	:	Ce sont des règles qui sont phonologiquement plausibles et qui s'appliquent dans des contextes phonologiques.

Pour d'autres distinctions, se reporter a notre thèse (Benhallam, 1980, Chapitre 6).

Remerciements

Nous tenons ici à remercier Hélène Scemama et Abderrahim Youssi pour avoir lu le manuscript de cet article et suggéré des changements de style et de fond.

Bibliographie

Abdo, D. 1969. On Stress and Arabic Phonology : A Generative Approach. Beyrouth : Khayyats.

Benhallam, A. 1979. Geminates : A New Approach. Dans : Proceedings, The Mid-America Linguistics Conference, édité par Cooley, Barnes et Dunn. Pages 212-221. Norman : The University of Oklahoma.

Benhallam, A. 1980. Syllable Structure and Rule Types in Arabic. Thèse du Doctorat d'Etat. Gainesville : The University of Florida.

Brame, M. 1971. Stress in Arabic and Generative Phonology. Foundations of Language 7. 566-591.

Cole, P. 1973. Mutual Bleeding and the Ordering of Phonological Rules. Dans : Studies in Generative Phonology, édité par Kisseberth. Pages 42-71. Champaign : Linguistic Research, Inc.

Guerssel, M. 1977. Constraints on Phonological Rules. Linguistic Analysis 3.3 : 267-305.

Kenstowicz, M et Pyle, C. 1973. On the Phonological Integrity of Geminate Clusters. Dans : Issues in Linguistic Theory, édité par Kenstowicz et Kisseberth. Pages 27-43. La Haye : Mouton.

Miller, D.G. 1969. The Pali two-mora conspiracy : Historical Origin. Manuscript. Champaign : University of Illinois.

Pyle, C. 1974. Why a Conspiracy ? Dans : Papers from the Parasession On Phonology, édité par Bruch, Fox et Lagaly. Pages 275-284. Chicago : University of Chicago.

TABLE RONDE :

Etudes phonologiques
la syllabe et les processus syllabiques

RAPPORTEUR : M. SAIB Jilali (*)

Département d'anglais
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Rabat

NOTE AUX LECTEURS

Le texte qui suit est une transcription revue et corrigée par le Rapporteur et certains des participants, de l'enregistrement sur bande magnétique des débats de la table ronde. Les corrections ont porté sur le style des interventions et non sur leur contenu. Parfois des crochets [ ] ont été utilisés. Le texte des remarques de MM. Chami et Bouzineb paraît ici en arabe standard et non en arabe médian (cf. enregistrement).

L'intervention de M. Boukous sur les contraintes séquentielles en Tachelhiyt n'a pas eu lieu, d'abord à cause du manque de temps (séance du matin), et puis en raison de l'atmosphère non-académique créée lors de la table ronde sur les études sémiologiques. M. Boukous a fait sa présentation devant un groupe de travail formé par les collègues linguistes des départements des langues étrangères (anglais, espagnol, français, russe) à la Faculté des Lettres de Rabat. Elle paraît sous forme d'article dans le N° 2 de **Langues et Littératures**, revue en langues étrangères publiée par notre Faculté.

Le Rapporteur

Introduction faite par le Rapporteur :

Je vais essayer d'être bref, et je vais demander aux participants à cette table ronde d'être aussi brefs et aussi concis que possible pour qu'il y ait une discussion fructueuse sur les processus syllabiques et les problèmes de la syllabe.

Comme vous avez pu l'avoir constaté, j'ai énuméré dans le rapport qui vous a été distribué – aussi bien celui en langue arabe que celui en langue anglaise – les différents problèmes qui ont trait à la syllable et aux processus syllabiques. Comme il est écrit dans ce rapport, nous ne pouvons pas vraiment faire le tour de ces problèmes, même pendant les deux heures initialement imparties à cette table ronde. C'est pourquoi donc j'ai été contraint de limiter les sujets à discuter à quelques uns seulement, à savoir l'organisation des segments à l'intérieur de la syllable, les contraintes qui régissent cette organisation, et enfin à quelques processus basés sur la structure syllabique.

Le rapport, conformément aux vœux du comité organisationel du Colloque, n'a fait que donner les grandes lignes des problèmes à discuter. Ce que je voudrais faire maintenant, c'est de fournir quelques indications supplémentaires sur les différentes rubriques mentionnées, après quoi je donnerai le parole aux collègues qui ont exprimé le souhait de participer à cette table ronde.

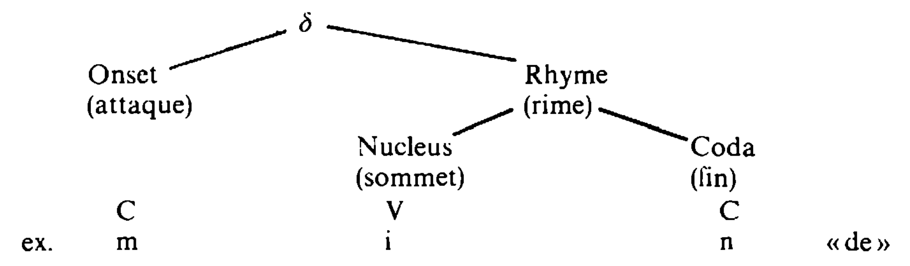
Pour ne pas que cette introduction ne prenne l'allure d'une mini intervention, je vais passer rapidement à l'énumération des points qui devraient, ce me semble, retenir notre attention.

Le premier point pourrait concerner la définition et le statut aussi bien phonologique que psychologique de la syllable. L'on sait que la syllable est « la structure fondamentale qui est à la base de tout regroupement de phonèmes dans la chaîne » (Dict-Ling. Larousse, Dubois et al). L'on sait aussi que « cette structure se fonde sur le contraste de phonèmes appelés traditionnellement voyelles et consonnes. »

Vu que la syllable a une attaque (c-à-d. un début), un sommet (ou noyau), et une fin, une des questions que l'on pourrait discuter est l'organisation des segments à l'intérieur de la syllabe dans nos langues nationales, l'arabe et Tamazight. Une autre question pourrait être le nombre et la nature des segments permis en attaque et en fin de syllabe. Un autre point à considérer est : quels segments, en plus des voyelles et des sonantes, peuvent constituer le sommet de la syllabe ? Cette question est primordiale pour qui veut faire de la recherche phonologique dans les domaines de l'arabe marocain et du Tamazight. Comme c'est le cas pour les parlers amérindiens « Salish » (par ex. le Bella Coola, qui est parlé en Colombie Britanique, au Canada) des fricatives – voire des occlusives – peuvent constituer un noyau ou sommet de syllabe.

Une autre question d'intérêt général est de voir comment les récentes propositions et théories sur la syllabe et la métrique, notamment celles élaborées par Hooper (1976) et les chercheurs américains de l'Institut Technologique du Massachussets – en particulier Mc Carthy (1979) – s'appliquent-elles aux processus syllabiques que l'on rencontre dans nos

langues nationales. A propos de l'approche de Mc Carthy, je voudrais signaler à ceux d'entre nous qui ne connaissent pas le travail en question, que ce chercheur divise la syllable en **attaque** (anglais « onset ») et en **rime** (anglais « rhyme »), qui peut contenir à la fois le noyau (ou le sommet) syllabique et la fin (ou marge) de la syllabe. Schématiquement, la syllabe est représentée comme suit :



L'on peut aisément constater que ce formalisme s'inspire de celui utilisé en syntaxe générative, et implique que la syllabe est considérée comme une structure hiérarchique.

Mc Carthy subdivise aussi les syllabes en arabe (classique et dialectal) en syllabes légères (CV), syllabes lourdes (CCV ou CVC), et syllabes surlourdes (CVVC). Je ne peux, malheureusement, pas entrer dans les détails. Pour ceux qui désirent avoir une idée beaucoup plus complète sur cette approche, je ne puis que les renvoyer à la thèse de Mc Carthy (1979), et, pour les non anglicistes à un très bon article dont les auteurs sont Bohas et Kouloughli, paru dans **Analyses_Théorie,** 1981, N° 1.

Nous pourrions aussi étudier les propositions et théories avancées par un bon nombre de chercheurs pour rendre compte de l'organisation des segments à l'intérieur de la syllabe et du découpage des mots en syllabes. L'on sait qu'il y a des contraintes régissant le nombre de consonnes permis en attaque comme en fin de syllabe. Ce nombre dépend de la nature des consonnes pouvant former des suites et est variable selon les langues.

Plusieurs principes ont été définis et proposés pour rendre compte de ces phénomènes, dont ceux découverts par Sievers (1893), Jesperson (1904), Saussure (1915), Kurylowicz (1948), Bell (1972), Hooper (1976), Kahn (1976), et bien d'autres.

Par exemple un de ces principes, que nous devons à Kurylowicz (1948), et qui est, selon Bell 1977 (1972), le principe de base de toutes les théories de syllabation, est le suivant :

> « ... Les suites de consonnes initiales et finales des syllabes apparaissant à l'intérieur du mot se conforment au mêmes contraintes qui régissent les suites consonantiques apparaissant à l'initiale et en finale de syllabe. »
> (P. 255. Traduction – J. SAIB)

Cela veut dire que :

> « si une suite intersyllabique de consonnes peut être analysée en sequences permises à l'initiale et en fin de mot, alors la frontière syllabique ne tombe pas entre les séquences non permises » (p. 255. Traduction — J. SAIB).

Un autre principe, dû à Sievers et ressuscité par Hooper 1976 (1972), prétend que les segments à l'intérieur d'une syllabe se groupent de telle sorte que leur degré de sonorité s'accroit de l'attaque syllabique jusqu'au noyau et décroit depuis le noyau jusqu'à la fin de la syllabe. J'ai interrogé cette théorie quand j'ai donné ma communication sur quelques processus syllabiques en Tamazight.

Puisque ces principes ont été arrêtés sur la base d'études sur plusieurs langues appartenant à des familles différentes, il serait intéressant de savoir comment ils s'appliquent à nos langues nationales.

La théorie métrique (Mc Carthy, 1979) a aussi proposé une procédure de segmentation des mots en syllabes et des principes régissant cette segmentation. Ceux de participants qui sont au courant des travaux s'inscrivant dans le cadre de cette théorie, pourraient nous éclairer là dessus.

Voilà grosso-modo quelques thèmes et questions sur lesquels nous devrions réfléchir lors des travaux de cette table ronde. Je voudrais donner la parole maintenant à M. Benhallam et puis à M. Boukous qui ont été les seuls à exprimer le souhait de faire une présentation orale sur leurs recherches sur les processus syllabiques.

Références Bibliographiques :

Bell, A. (1977 [1972]) :
« The Distributional syllable ». In A. Juillard (Ed.) **Linguistic Studies Offered to Greenberg.** Anma Libri, Saratoga, California. pp. 249-262.

Bohas, G. T. Kouloughli, D.E. (1981).
« Processus accentuels en arabe (parlers du Caire, Damas et arabe classique). **Analyses-Théorie** N° 1, pp. 1-59.

Hooper, J.B. (1976)
Introduction to Natural Generative Phonology. Academic Pess, New York.

Jesperson, O. (1904)
Lehrbuch der Phonetik B.G. Tenbner, Leipzig/Berlin.

Kahn, D. (1976).
Syllable-based generalizations in English. Thèse de Doctorat M.I.T.

Kurylowicz, J. (1948)
« Contribution à la théorie de la Syllabe ». Bulletin de la Société Polonaise de Linguistique, N 8, pp. 80-111.

Mc Carthy, J. (1979)
Formal Problems in Semitic Phonology and Morphology. Thèse de doctorat, M.I.T.

Pulgram, E. (1970).
Syllable, word, Nexus, Cursus. The Hague : Mouton.

Saussure, F. (1915).
Cours de Linguistique Générale. Lausane, Paris.

Sievers, E. (1893).
Gründzuge der Phonetik. Breitkopf und Hartel, Leipzig.

Intervention de M. Benhallam

Ce que je voudrais faire surtout, c'est d'essayer de rendre compte de l'insertion du chva en utilisant des notions de structure syllabique. Il y a longtemps que j'ai essayé d'utiliser ces règles purement phonologiques à la Chomsky et et Halle (1968), mais il s'est avéré qu'il y avait des problèmes et que la règle phonologique qui décrirait ce phénomène serait des plus compliquées qui soient. J'ai donc opté pour une règle très simple, formulée comme suit : ∅ → ə / $ .... — $ .... Ceci veut dire qu'il faut insérer un chva après une frontière de syllabe ($) suivie d'une attaque (...), dans un contexte où il y a justement une frontière syllabique, suivie d'un élément prévocalique suivi d'un élément post-vocalique, suivi par une frontière de syllabe. Pour prendre un exemple simple : / ktbu/. Un problème qui se pose, c'est que je ne définis pas à quel moment il y a insertion de la frontière de syllabe de gauche et il y aurait une frontière de syllabe entre le /t/ et le /b/ pour avoir la syllabe finale. Ce qu'on a après, c'est justement une frontière de syllabe, l'élèment post-vocalique, puis l'élément pré-vocalique et, bien sûr, une frontière de syllabe à l'extrême gauche. La règle donc, indique exactement ce qu'il faut faire ; c'est-à-dire : introduire le chva entre le /k/ et le /t/ pour avoir, finalement, la forme phonétique [k tbu].

Prenons un exemple plus compliqué où la règle marche : « /StkStbs/, à l'extrême gauche... puis on aurait une frontière de syllabe à droite du /k/. Donc, le chva s'insère entre le /t/ et le /k/ en allant de la gauche vers la droite, et on obtient /$tək$tb$/. Nous avons le même contexte pour les /t/ et /b/ finaux. On applique la règle une deuxième fois pour obtenir la forme phonétique qu'on cherche, notamment [təktəb]. Il y a quand même des problèmes qui se posent. Prenons un exemple comme [qtəlt]. En forme sousjacente, on a /qtlt$/. Si on suit la règle, que va-t-il se passer ? On obtiendrait [**qətlət**] « elle a tué », au lieu de [**qtəlt**] « j'ai tué ». La règle ne marcherait donc pas. Il s'avère exactement que le /-t/ de la première personne du singulier ne devrait pas être considéré, pour appliquer la règle. Ce n'est malheureusement pas le seul cas. Alors on a le /t/ qu'il faut garder.

Il y a un autre cas, le /š/ du négatif dans [maqtəlš]. Si, justement, on essaie

d'utiliser la règle on obtiendrait [maqətləš]. Je parle seulement de la première personne de singulier de ce que j'appellerais « l'accompli », et je parle aussi du š du négatif ; je ne parle pas d'autres /š/ qui sont en position finale, et je ne parle pas d'autres /t/.

Il y a d'autres éléments morphologiques qui ont une fonction syntaxique, si l'on veut. Notre problème, donc, c'est qu'on devrait faire appel à une première restriction pour que la règle ne s'applique pas n'importe où. Il va falloir dire que l'élément post-vocalique ne peut pas être le /t/ de la première personne du singulier ni le /š/ du négatif. Il y a une situation qui est un peu similaire : c'est dans le cas des géminées où, finalement, l'élément post-vocalique serait deux consonnes comme dans l'exemple cité ci-dessus avec le /t/.

La première restriction serait donc : pour que deux consonnes forment l'élément post-vocalique il faut qu'elles soient des géminées, ou que les deux consonnes soient séparées par une frontière de morpheme. Rappelons, ici, qu'il s'agit de morphèmes bien déterminés.

Il y a encore un autre cas où la règle ne marche pas, et ce cas est généralisé en arabe. Par exemple (cf tableau), si on prend cela et qu'on applique la règle, si l'on considère que ce sont deux consonnes qui sont séparées par une frontière de morphème justement, ça ne marche pas. Il faut absolument que ça soit un /t/ ou un /š/, parce que vous voyez, ici, on a une frontière de morphème. Mais, malgré tout, la règle va s'appliquer, comme il est démontré sur le tableau. Après avoir analysé un corpus assez large, il s'avère que la règle marche, mais avec certaines restrictions. Voilà ce que je voulais exposer.

TABLE RONDE

DISCUSSION :

M. Saib :

Je voudrais donner la parole maintenant à M. Boukous, à moins que vous ne préféreriez que nous discutions la présentation de M. Benhallam.

M. Bounfour :

Il vaudrait mieux discuter ce que M. Benhallam vient de présenter puisque c'est encore frais.

M. Saib :

Très bien. La discussion est ouverte donc. Je voudrais seulement demander à ce que les interventions soient très brèves, parce que nous n'avons pas assez de temps. Y a-t-il des questions à poser à M. Benhallam ?

M. Seghrouchni :

[Début inaudible]. Qu'est-ce qu'une règle phonologique ?

M. Benhallam :

Je vous demande pardon. Voulez-vous répéter votre question ?

M. Seghrouchni :

Quel est le statut de la règle phonologique dans une description phonologique ?...

M. Benhallam :

Bon. Vous avez posé deux questions en fait. Essayons de répondre à la première d'abord. Je prendrais un exemple, celui de l'insertion du chva qui est un phénomène qui s'applique généralement à l'arabe marocain. L'insertion du chva est ce que j'appellerais une règle phonologique. Je ne sais pas si j'ai vraiment répondu à votre première question.

M. Seghrouchni :

[Début inaudible]. A quel moment peut-on vraiment dire qu'on est devant une règle phonologique ?

M. Benhallam :

On pourrait reformuler la question ainsi : combien d'exceptions faut-il accepter sans que la règle ne perde son statut phonologique ? Vraiment, c'est une question presque métaphysique. Quand même, les restrictions dont j'ai parlé avant, dans mon bref exposé, sont tellement générales et non-limitées à des catégories, ou bien à de simples mots, ou quelque chose comme ça. Ce sont des restrictions générales : il n'y a jamais un chva avant le « t » de la première personne de l'accompli ; il n'y a jamais un chva avant le « š » en arabe marocain. C'est une tendance générale.

M. Saib :

Vous vouliez dire le « š » du négatif.

M. Benhallam :

Oui le « š » du négatif.

Le problème, c'est que généralement, le chva en arabe marocain est introduit dans des contextes où il y avait une voyelle en arabe classique. Alors si on prend l'exemple de /qtəlt/ « tuer », il n'y a pas de voyelle en arabe classique [en structure sous-jacente]. Peut être que le chva que nous avons en arabe marocain est le résultat de la transformation progressive de la langue à travers l'histoire. On n'introduit pas de chva [en arabe marocain] là où il n'y avait pas de voyelle en arabe classique. C'est quand même une restriction [sur la règle d'insertion].

M. Seghrouchni :

[Inaudible.] Une question sur l'influence du débit de la parole.

M. Benhallam :

Il est évident que la règle formulée ici a comme base – le débit lent. Bien sûr il y a des problèmes au niveau du débit rapide. Même dans ce dernier, il y a des niveaux aussi. Personnellement, je pense qu'on est dans le domaine purement phonétique, et qu'il faut laisser cela aux phonéticiens. Où est la limite ? Où faut-il limiter ? Je ne peux pas répondre.

Question :

Inaudible – question sur l'existence du coup de glotte.

M. Saib :

M. Benhallam, Voulez-vous que je réponde ? Il me semble que dans l'exemple que vous avez cité, il y a un article défini /ʔəl/ qui a, à mon avis, un coup de glotte /ʔ/ à l'initiale...

M. Benhallam :

J'allais répondre que c'est un problème de dialecte. L'autre jour, j'ai posé

la question à M. Halili, ici présent. Pour moi, quand je transcris l'arabe marocain, je mets toujours un coup de glotte /ʔ/ en arabe marocain. Peut être que c'est le cas de l'accent fassi, mais je crois que, pour une transcription étroite, il faut un coup de glotte. Même en anglais, on peut mettre un coup de glotte.

M. Saib :

Effectivement, dans l'exemple en arabe que l'on discute, je pense qu'il y a une attaque vocalique assez forte qui est bien un coup de glotte, tout au moins au niveau phonétique. C'est aussi le cas dans la langue allemande qui, au niveau phonétique, fait précéder ses voyelles à l'initiale du mot par une forte attaque vocalique.

Question :

[inaudible — Question sur la règle proposée par M. Benhallam].

M. Benhallam :

Alors là, où il n'y a pas de voyelles, si on applique la règle que j'ai proposé, on va avoir une situation qui est très normale, on va avoir /kərkəbha/. Il n'y a aucun problème. Ce dernier n'est créé que par la voyelle morphologique qui est présente ici. Il faut absolument qu'il y ait deux consonnes pour pouvoir introduire un chva. C'est ce qui se passe ici. L'exemple de /kɔrkəbha/ est un exemple qui marche parfaitement.

Question : Inaudible

M. Benhallam :

Ici, il y a l'autre restriction. Je ne sais pas si c'en est vraiment une. Je dirais plutôt que c'est une tendance où une consonne précède une autre pour la renforcer. Ici on n'a aucun problème puisqu'on n'a pas de syllabe ouverte.

M. Halili : Texte en arabe.

أعتقد شخصيا أن الصائت بين بين يقوم بدور تمييزي في المغربية

وبالتالي يجب أن نعتبر أن له وظيفة تمييزية — وبالتالي حرف — أي — فونيم — والدليل على ذلك هو المثال التالي الذي قدمته في عرضي يوم الخميس — قلت ان القاف في اللهجة الفاسية تحوّل إلى همزة ؛ وأن الهمزة الأصلية تحولت إلى صفر — وأوضح ذلك بالمثال التالي : **أرض** — كلمة أرض — في العربية ؛ نقول إذا أدخلنا أداة التعريف : **الأرض** — أما في اللهجة المغربية فإننا نقول **لرض** — .

— بالنسبة للهجة المغربية أعتبر شخصيا أن : **أرض** يجب أن تكتب على هذا

الشكل .. لأن إضافة التعريف تؤكد عدم وجود الهمزة ، نقول عادة في اعتقادي – حسب المستجوبين الذين اعتمدت عليهم في وضع النظام الصوتي للهجة الفاسية – كلهم ، عندما أطلب منهم اضافة التعريف لكلمات كانت تبتدأ في العربية الفصحَى بالهمزة ، ينتجونها على الشكل التالي : **لرض** – مثلا «**ألف**» يقولون «**للف**» عندما نطلب منهم ادخال أداة التعريف ينطقونها على الشكل التالي «**للف**» ، «**للف الريال**» لا يقولون «**الألف الريال**» .

– ملاحظة أخيرة :

اذن اعتمادا على هاته الملاحظات :

– أولا نتأكد عدم وجود الهمزة الأصلية ، ثم من ناحية أخرى وجود الهمزة ، ثم من ناحيه أخرى وجودها للشكل – أي « **C V** » ، ألف طويل فقط ، كما أنه يمكن أن نؤلف من صائت قصير كما في كلمة «**لرض**» أو «**أرْض**» .

شكـرا

أعقب على ما قاله الأستاذ في ما يخص كلمة «الأَرْضْ» وقلمة «لَرْض» . فالحركة في «الأرْضْ» في الفتحة لا الصائت بين بين [ə]. **فإذا أدخلت أداة التعريف ، فيصبح نطق الكلمة هكذا :** «**آللَّرْضْ**» (أي بتشديد اللام – ج ، س) .

M. **Abu Talib** (questions en français) :

Je voudrais poser un certain nombre de questions relatives à l'exposé et au résumé qui a été remis, en ce qui concerne la notion de syllabe et la « syllabisation », et je veux me référer à l'arabe, au français et à l'anglais.

Je veux poser cinq ou six questions importantes dont : (a) la définition des limites de syllabe, (b) le découpage d'un groupe de syllabes en syllabes. Autrement dit, il y a d'un côté la graphie, de l'autre la phonologie, et enfin la morphologie. Ces trois aspects doivent obligatoirement entrer en jeu, surtout en ce qui concerne l'anglais. La syllabe est-elle phonologiquement un groupe de lettres avec une voyelle ? Et ceci fait intervenir l'aspect lexicographique /lexicologique de la langue. Quand on prend un dictionnaire anglais, qui est plus important et plus vital pour les anglais que ne l'est le Larousse pour les français, [on remarque que] la « syllabisation » devient **impossible** dans le découpage des mots, quand une secrétaire frappe un document, ou lorsqu'on essaie d'attribuer un sens à la syllabe. Et en anglais la syllabe a un sens...

Prenons, comme exemple, le mot « motivation », Mo-ti-va-tion. Vous avez en français « mo-ti-va... », mais en anglais « mot-iv... », **iv** est une syllabe. Les voyelles prennent un sens sémantique et, par la même conséquence, elles prennent une position dans le découpage. La notion de syllabe est non seulement vague en arabe, mais elle est **inexistante.**

M. Saib :

Je pense que cette dernière affirmation est très forte. En effet comment peut-on dire que l'arabe n'a pas de syllabe ? A quel niveau se situe-t-on pour faire pareille affirmation. Y a-t-il une langue sans notion de syllabe ? Ce sont là des questions à considérer avant de faire une affirmation comme celle qui vient d'être faite. M. Benhallam, si l'on juge par la structure sous-jacente qu'il a donnée aux mots écrits au tableau, a largement suivi la tradition arabe. En effet, il n'a pas posé de chva en structure sous-jacente, ce qui veut dire que, pour lui, tous les chvas sont « épenthétiques » ou des éléments de disjonction. Je ne suis pas d'accord avec lui, car je pense que le chva a un statut phonologique en arabe dialectal et en Tamazight. En cela, je suis d'accord avec la suggestion de Harrell faite dans sa communication au IVè congrès des Sciences Phonétiques, en 1961, à Helsinki.

M. Youssi Abderrahim :

M. Benhallam a dit quelque chose qui est passé inaperçue. Il a dit qu'il se situait uniquement au niveau phonétique en ce qui concerne l'analyse qu'il présente. Je pense qu'il faut distinguer trois niveaux : [le phonétique, le phonologique, J.S.]. Il faut avancer dans chaque niveau séparément. C'est-à-dire, quand on parle de syllabe, il faut rester en phonétique, parce que sur le plan phonologique, elle n'a aucun – disons – impact. Le même fait phonétique peut n'avoir aucune valeur ou pertinence phonologique : cas de la variation contextuelle, individuelle, régionale, ou autre, et qui d'un point de vue phonologique devient totalement fausse. La syllabe reste quand même quelque chose qui a plusieurs définitions, dont aucune n'est phonologique. Peut être, dans les langues qui nous concernent, elle n'a strictement aucune importance.

En ce qui concerne le chva, c'est vraiment un « casse-tête » marocain. On voit très bien ici qu'on reste en phonétique ; le chva n'est donc qu'un élément de disjonction, c-à-d qui facilite la prononciation et qui met un peu d'air, ou d'huile, – comme on veut-entre les séquences de consonnes. Cela coïncide aussi avec les variations morphologiques, par ex : /kərkəb/ /kərkuha/. On voit dans cet exemple, que le chva se balade un peu. Mais si l'on veut retourner au plan phonologique, ça rejoint ce que disait Halili et Saib justement : le chva est un phonème en arabe dialectal, et dans l'arabe marocain médian, il va jusqu'à s'apposer à zéro. Donc dans la séquence finale que M. Benhallam a citée, on peut ajouter un autre chva qui s'oppose à zéro, par exemple : /dxəl/ « il est entré » ~ /daxəl/ « entrant » ~ /dɔxl/ « revenu, impôt ».

M. Idrissi Bouchaib (A M. Halili) (traduction du Rapporteur)

Je ne dis pas que le chva n'est pas un phonème. Je dis seulement que l'exemple que vous avez donné est faux : il n'illustre pas une paire minimale.

M. Halili : Pas complètement faux.

M. Idrissi B. :

Est-ce que c'est une paire minimale ? On voit bien que ce n'est pas le cas. D'un autre côté, les exemples de /dxəl/ etc., je les considérerais moi, plutôt, au niveau phonétique, [comme ayant] des « petits « w » » quelque part, parce qu'il y a labialisation [dans la plupart des dialectes marocains].

En effet il y a beaucoup « d'accents » en arabe marocain : on ne dit pas /dəkkala/ [dans mon dialecte], mais [dəkkʷala] ; ce n'est pas /krijəm/ qu'on dit, mais [kʷrijəm]. Je mettrais un signe diacritique avec les /K/.

Encore une fois, ce ne sont pas des cas de paires minimales.

M. Saib :

Précisons que ce que M. Idrissi veut dire par signe diacritique est le signe de labialisation.

M. Idrissi B. :

M. Benhallam nous a présenté quelque chose et chacun des gens qui ont pris la parole, parle d'autre chose. Il faut d'abord, au moins, savoir ce qu'est le statut théorique de la syllabe. Parler de règle phonologique est une chose, mais cela devrait se faire en second lieu. D'abord, est-ce que la syllabe existe ? On parle toujours d'arguments internes (« internal evidence »), pourquoi ne pas parler d'arguments externes ? Abderrahim Youssi se demandait tout à l'heure où il mettrait le /k/ (ou le /x/) dans certains exemples. Est-ce avec la première syllabe ou la deuxième ? Mais qui décide de cela ? Bien sûr c'est le locuteur. Donc il faut qu'on parle, quand même, « d'évidence externe », c.à.d., par exemple, de « speech errors » (lapsus). Est-ce qu'on fait des lapsus sur la voyelle, la consonne ou la syllabe ? On peut aussi considérer les jeux de mots (« word games »).

Je voudrais parler du statut psychologique de la syllabe. Est-ce que cela existe d'abord. Les psycholinguistes reprochent aux phonologues et aux phoneticiens de donner des règles abstraites qui ne rendent nullement compte de ce qui se passe réellement dans le « cerveau » des locuteurs. Les phonologues répliquent qu'ils ne cherchent pas cela, mais qu'ils cherchent, eux, à poser et à établir des règles générales.

Je propose tout de même de considérer les jeux de mots (word games) comme argument externe (external evidence). Par exemple, dans le Cuna, une langue amérindienne du Panama, il y a un jeu de mots qui consiste tout

simplement à déplacer la première syllabe d'un mot et la mettre en fin de mot. Selon la règle de ce jeu, le mot [bíriga] « année », doit normalement devenir [rígabi], après déplacement de la syllabe. Mais, les « Locuteurs – joueurs » disent [gábir]. L'accent en Cuna se place sur la syllabe pénultième du mot. Le mot [bíriga] semble être une exception, mais ce n'en est pas une. Le jeu de mots montre tout simplement que la représentation phonologique de [biriga] doit être /birga/, pour les locuteurs natifs. Le [i] doit être, donc, épenthétique et est introduit après la règle d'accentuation. Nous avons la dérivation suivante :

/birga/ Underlying Représentation (Structure Sous-jacente)

[bírga] Stress (Accentuation)

[bíriga] Epenthesis (Epenthèse)

Nous voyons bien, qu'à partir d'évidence externe, nous pouvons, soit conformer, soit infirmer, les règles « posées » par le linguiste – phonologue. Il faudrait, donc, utiliser des arguments internes et essayer de trouver des arguments externes comme, par exemple, les jeux de mots, les lapsus etc....

M. Halili : (texte en arabe)

[إن سمح الإخوان ، أريد أن أجيب ...]

M. Saib :

Je peux aussi répondre à plusieurs questions, mais je veux donner la parole aux gens ici présents. ... Bon, allez-y, mais soyez bref.

حليلي :

ما أريد أن أقوله هو : أولا يجب أن نعرف على أي مستوى نتناقش وقد أشار إلى ذلك الأستاذ (اليوسي . ج – س) ولذلك لن أعود إليه وانما أريد أن أنبه بأن الصائت بين بين ، كان موجودا في العربية الفصيحة ، وقد أشار إلى ذلك ابن جني ، ولمن أراد تفصيلا في الموضوع ، نشرت مقالا أخيرا عن تراكيب المقطع عن تمام حسان بينت فيه جوانب الخطأ وجوانب الصواب عنده في الموضوع . إذن فالصائت بين بين ، موجود ، وله قيمة تمييزية ، ربما يكون المثال الذي اخترته لا يمثل حقيقة ما أردت التعبير عنه ، ولكن أأكد للأخ أنه في رسالتي عدد كبير من الأمثلة التي تبين حقيقة القيمة التمييزية لهذا الصائت بين بين .

والآن عندي سؤال موجه إلى الأستاذ صاحب ورقة العمل . قلتم إن المقطع يبتدئ دائما بصائت ، وقد تبين من خلال ما شرحته أن المقطع قد يبتدئ بصائت كذلك في اللهجات المغربية العربية ، بالطبع في إطار محدد . هناك شروط ...

M. Saib : Bon. Bon... Excusez-moi... Est-ce que vous pouvez...

M. Halili : يجب أن يكون في بداية الجملة ، ألاّ يتقدمه الخ ...

M. Saib :

Je peux répondre à cette question, mais je veux donner la parole aux autres gens, autrement ce sera un dialogue entre nous deux. Nous pouvons en discuter après. La parole est maintenant à M. Chami.

الأستاد الشامي :

لدَي تساؤلان في شأن بعض الأمثلة التي كتبت على السبورة . أو مثال «فُرَحْ» و«فَرْحْ» . إني أشاطر ما جاء به بعض المتدخلين أن هذه الكلمات لن تكون ما يسمى «بالازواج الصغرَى Paire minimale » بقدر ما يتعلق الأمر بحجة ضد الأستاذ الذي قدم الأمثلة — وهو ما يسمَى بعدم استقرارية هذا الصائت بين بين ، أعني «chevauchement». واعتمادا على عدم استقرار هذا الصائت ، يصنف فونيتكيا لا فنولوجيا . وفي مايخص المثال الذي جاء به الأستاذ اليوسي «أَدْخَلَ أدَخْلٌ» ، أعتقد أن هذا المثال لا «يتعلق» بحركة بين بين ، بقدر ما يتعلق بحركة الفتحة (أ) ، أي «دخل» ، وهذا شيء معروف . والقضية هنا تتعلق باحساس المتكلم (أو مستعمل اللغة) واحساس السامع ، أو تتعلق بدراسة تجريبية étude expérimentale وهي التي يمكن لها أن تبين لنا هل المسألة تتعلق بـ «chva» ، أو حركة بين بين أولا . أعني بهذا أن قضية «أدْخَل» ، أو «ادْخْل»على ما أعرف ، لم تمثل الأزواج الصغرَى في اللغة الدارجة ، وهذا في العالم العربي ككل .

لدَى ، فإن جميع المعارضة التي كانت في قضية chva ، كما في علمي هي بالنسبة للمعارضات التي تكون للحركات الأخرى التي هي الفتح والكسر وغيرها . وانطلاقا من هذه المعارضة يتحدث عن القيمة المميزة لحركة «ما بين بين»، واما المعارضة فلا أعرفها . وعليه فإني أشك في هذه الأمثلة (أدْخَل ودَخْل). تبقَى الآن مشكلة الخلط بين «الصائت بين بين» والهمزة . أعتقد أن هناك خلطا بينهما ولقد طرحه الأستاذ السغروشني في مثال «الباب» وأعتقد أن الدراسات التجريبية هي التي ستبين لنا فعلا هل الأمر يتعلق بالهمزة أو «الصائت بين بين» . رأيي الشخصي أن الأمر يتعلق بالصائت بين بين أكثر مما يتعلق بـ «le coup de glotte» . لأن شرحه لا يوجد بصفة عامة في الصوامت (les consonnes) التي تحذف في بداية الكلمة أو تحذف بشكل من الأشكال ...

ودليل آخر أننا عندما نقول «الباب» فاما أن تظهر هنا الحركة أو تحذف لأنه يمكننا أن ننطق «الباب» دون أن ننطق هذه الحركة. — شكرا

M. Saib :

Bon. Je me permets de prendre la parole pour dire à M. Chami qu'il y a maintenant des ordinateurs et du matériel sophistiqué dans les laboratoires de phonétique qui peuvent établir s'il y a oui ou non des coups de glottes à l'initiale du mot, avant la voyelle. Je suis convaincu qu'il y en a.

Bon. Je voudrais donner maintenant la parole à M. Bouzineb.

الأستاذ بوزينب :

الذي أريد أن أقوله هو أن ما ذكر الأستاذ حليلي في أمر الصائت الطويل في الدارجة لا ينطبق على الواقع ، وانني أتساءل عن ماذا اعتمد ليثبت وجود صائت طويل في الفاسية،انني أظن أن هذا الصائت غير موجود في العربية الدارجة . وقد ضاع مع ضياع التمييز بين الصائت الطويل والصائت القصير في اللغة العربية عند تحولها إلى مختلف اللهجات . وكما نعلم بأن نبر اللحن Acento Tónico عوض طول وقصر الصائت . ويمكننا أن نقارن هذا بما حدث في اللغة اللاتينية عند تحولها إلى اللغات اللاتينية الحديثة (اسبانية ، فرنسية ، برتغالية ، ايطالية الخ...) .

(Echange inaudible entre M. Bouzineb et participant)

M. Saib :

Je crois qu'il y a en effet un problème pour ce qui est de la qualité de la voyelle, c-a-d si c'est un /a/ ou un /ə/. Il me semble qu'il y a eu un stade intermédiaire où la voyelle [de l'arabe classique] a été réduite d'abord et puis est tombée en syllabe ouverte. C'est ce que je voulais dire à M. Benhallam tout à l'heure. Nous ne pouvons pas syllabifier de telle sorte à avoir un chva en syllabe ouverte. On ne peut pas avoir cette séquence CəCV, ni cette syllabation Cə$CV. La même règle existe en berbère. (Le signe du dollar représente la frontière syllabique).

Je voudrais donner la parole à M. Boukous, à moins que nous n'ayez d'autres questions à poser à M. Benhallam. Nous avons déjà passé trop de temps sur un des processus syllabiques en arabe marocain seulement.

M. Taifi :

Je voudrais juste poser une question à M. Benhallam à propos de la présentation de sa règle. Ce que je voudrais savoir, c'est si [on ne devrait pas considérer] la nature des consonnes qui se succèdent. [Plus exactement],

est-ce que la nature des consonnes ne joue pas un rôle dans ce problème d'insertion du chva ? Peut-être qu'il y aurait insertion, par exemple, avant une suite de consonnes formée de sons occlusifs. [Par contre], si ces sons sont des fricatives ou des sonantes, [il n'y aurait pas insertion].

J'ai une deuxième question, si vous permettez. Elle concerne les exemples que vous avez donnés] : [təktəblək/ «elle va t'écrire» et [ktəblik] «il t'a écrit».

Dans le deuxième exemple, le dernier morphème est non pas /-lək/, mais /-lik/. Dans ce cas, il n'y aurait pas nécessité [d'insérer un chva]. Est-ce une variante dialectale ?

M. Benhallam :

Bon. Je répondrai à la deuxième question très rapidement. Là où il y a des voyelles morphologiques,.... la règle phonologique ne s'applique pas justement. Dans [təktəblik], il y a une voyelle. [Après cette voyelle, allons de droite à gauche], on doit sauter deux consonnes et insérer un chva. Maintenant, quelle était votre première question ?

M. Saib :

Elle a trait au rôle joué par la nature des consonnes dans l'insertion du chva.

M. Benhallam :

J'en parlais tout à l'heure. A l'initiale des mots, il y a parfois des germinées qui sont suivies par une autre consonne, et, là, il n'y a pas introduction du chva. Ce n'est pas tellement sûr, cependant.

[L'exemple que j'ai discuté, surtout, concerne des geminées suivies de liquides] /ššržm/ « fenêtre », par exemple. Là-et je reprends un peu ce que j'ai dit ce matin — [La règle] introduirait un chva entre les géminées ; mais ce n'est pas valable [ou correcte].

Il y a aussi un certain nombre d'exemples dans ma thèse [qui indiquent] que l'on ne pourrait pas déterminer si un certain nombre de consonnes pouvaient [permettre] l'insertion du chva ou non en arabe marocain.

Je voudrais très rapidement parler de trois ou quatre exemples sur le tableau. Le cas de /l?rd/, [il y a des dialectes au Maroc qui prononcent ce mot comme suit] : /?al?ərd/ ou /?əllərd/, avec la suppression du coup de glotte interne. Je ne pense pas que l'on puisse parler de coup de glotte en arabe [marocain].

[Discutons maintenant le cas de] [frəh/ et /fərh/. Il y a beaucoup d'exemples en arabe marocain où le verbe suit exactement la règle et où le nom ne la suit pas. Je pense que c'est une distinction morphologique. Il faut alors déterminer les niveaux.

Pour ce qui est des exemples avec /d, x, l/, [dx l] et [dx^w l]. Dans les exemples où il y a ou bien une voyelle ou un cas de labialisation, j'ai l'impression qu'il s'agit de voyelles morphologiques, et là où il n'y a pas ces voyelles, la règle phonologique s'applique et introduit un chva.

M. SAIB :

Merci pour votre participation et à cet après-midi.

المحتويات

منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ــ الرباط

رسائل جامعية

- ☐ أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ــ 1912) طبعة جديدة، جزءان في مجلد واحد، 1983
- ☐ نعيمة هراج التوزاني : الامناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ــ 1311 / 1873 ــ 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب ــ يناير 1979.
- ☐ سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي، 1980.
- ☐ سالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر.
- ☐ عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، 1982.

- ☐ Abderrahmane Taha : Langue et Philosophie, essai sur les structures linguistiques de l'ontologie. Janvier 1979.
- ☐ Ali Oumlil : L'histoire et son discours, essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun, 1979.
- ☐ Abdellatif Bencherifa : Chtouka et Massa, étude de géographie agraire, 1980.
- ☐ Abdelkader Fassi Fehri : Linguistique arabe : forme et interprétation, 1982.
- ☐ Ahmed Moutaouakil : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1982.

نصوص ووثائق

- ☐ محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ــ 1980.
- ☐ محمد بن تاويت : جهار مقالة (أربع مقالات مترجمة عن الفارسية)ــ 1982.
- ☐ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، 1984

بيليوغرافيا

- ☐ محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب (من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الحديث) 1983.

ندوات ومناظرات

- ☐ اللقاء المغربي الأول للسانيات والسيميائيات، عروض ومناقشات 6 ــ 18 ابريل 1976 (بالعربية والفرنسية).
- ☐ أعمال ندوة ابن رشد، بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاة ابن رشد، أيام جامعية من 21 الى 23 منه، 1978.
- ☐ أعمال ندوة ابن خلدون بمناسبة مرور ستة قرون على تحرير المقدمة 14 ــ 17 فبراير 1979.
- ☐ أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا وثلاثة وعشرين قرنا على وفاة أرسطو. 7 إلى 10 مايو 1980.

- ☐ Actes 6e colloque international de linguistique fonctionnelle S.I.L.F., Rabat 10-15 juillet 1979.

المجلات

- ☐ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية : العدد الأول والثاني (1977)، ثالث ــ رابع (1978)، خامس ــ سادس (1979)، السابع (1980)، الثامن (1982)، التاسع (1983)، العاشر (1984).

- ☐ Langues et Littératures : volume I (1981). vol. II (1982). vol. III (1983-1984).
- ☐ Héspéris Tamuda : du vol. I (1960) au vol. XXII (1984), vol de l'année 1921 (réedition).



ROYAUME DU MAROC
UNIVERSITE MOHAMMED V

PUBLICATIONS DE LA FACULTE DES LETTRES
ET DES SCIENCES HUMAINES - RABAT

SERIE : COLLOQUES ET SEMINAIRES N 6

Recherches
LINGUISTIQUES
et
SEMIOTIQUES

Les 7 - 8 - 9 Mai 1981